مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء التاسع

حسن بن موسى الصفار

مسارات
في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء التاسع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: 1439هـ-2018م

أطياف للنشر والتوزيع
Atiyaf For Pub. & Dist.
المملكة العربية السعودية - القطيف - تلفاكس: 00966138549545
atyaf.qatif@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمـدُ للّهِ ربِّ العَالمِين اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَبِيين وتَمَام عِدّة المُرْسَلِين وعَلَـى آلـهِ الطَيّبِيـن الطَاهِريـن وَصَحْبِـه المُنْتَجَبِين.

أول المسار

في منتصف القرن الميلادي المنصرم، انتشرت في بلاد المسلمين مختلف التيارات الفكريـة الوافـدة، كالماركسـية والاشـتراكية والقوميـة والعلمانية وغيرهـا، واتخذتها بعـض اتباعها والمتأثريـن بها رايات ومظلات لمناوئة الدين ومخالفته، وبسـبب حالة الجمـود والركود التـي يعاني منهـا الفكر الديني الإسـلامي، والصدمة التـي واجهتها الأمـة بانفتاحهـا على تطور الحضارة الغربية، ومقارنتها بالتخلف العميق الذي تعيشـه الأمة، كلّ ذلك أتاح لتلك التيارات الفكرية أن تسـتقطب مسـاحة واسـعة من جماهير الأمة، وبتضافر عوامل مختلفة قامت أنظمة سياسية في عدد من بلدان المسلمين تتبنّى شعارات تلك التيارات الفكرية، وتعلن الماركسية أو الاشتراكية أو القومية أو العلمانية هوية للنظام والوطن.

وكان يمكن لتلك التيارات الفكرية أن تستمر في حضورها ونفوذها المتصاعد في سـاحة الأمة، رغم أنّها لم تحقق شـيئًا يذكر من تطلّعات الشـعوب التـي عقدت عليها آمـال الخلاص والتقـدم، لولا الهزيمة النكراء التي ألحقها العدوان الإسـرائيلي بالأمة سـنة ١٩٦٧م، وما عرف بنكسة حزيران، حيث احتلت إسرائيل القدس وكلّ فلسطين، وسيناء مصر، وجولان سوريا، وغور الأردن، وأراضي من لبنان.

كانـت هذه الهزيمة المرة كالهزّة والصدمة العنيفة التي دفعت جماهير الأمة لإعادة النظـر في الموقف من تلك التيـارات الفكرية، وتقويم مسـيرتها وإنجازاتها، والبحث عن مشـروع بديل تلجأ إليه الشـعوب، بعد أن خابت ظنونها وآمالها في تلك التيارات ومشاريعها السياسية والتنموية.

وفـي هـذه اللحظـة بدأ صعـود التيـار الدينـي، أو ما عـرف بالصحوة الإسـلامية، وارتفعت شعارات العودة إلى الدين، وأنّ الاسلام هو الحلّ، وطرحت مشاريع تطبيق الشريعة الإسلامية، وانتعشت حركات الإسلام السياسي، وكان من الطبيعي أن توظّف مشاعر الانتماء الديني المتجذرة بعمق في نفوس أبناء الأمة لخدمة هذه التوجهات.

ولم يكن العامل السياسي الدولي والإقليمي بعيداً عن التأثير في نموّ هذه الظاهرة، واتسـاع نطاقهـا، حيـث كانت الحرب البـاردة في أوجهـا بين المعسـكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والمعسـكر الشـرقي بقيادة الاتحاد السـوفييتي، وكانت تعبئة المشاعر الدينية تخدم المعسكر الغربي في محاصرة نفوذ المعسكر الآخر.

وجاءت الانعطافة المصرية نحو الغرب في عهد السـادات، لتقدم فرصة كبيرة كان يحتاجهـا التيار الدينـي في العالم العربي، للتخلص من قمع وضغوط العهد الناصري، الذي شكل رافعة وزخماً للتيارات الفكرية الأخرى.

والعاملان الأشـدّ تأثيرًا في تصاعد التيارات الدينية والتفاف الشـعوب الإسـلامية حـول رموزهـا ومشـاريعها، همـا انتصـار الثـورة الإسـلامية فـي إيـران، والاحتـلال السـوفييتي لأفغانسـتان، حيـث رفـع العامـل الأول مسـتوى الطمـوح والتطلـع لدى الحركات الإسـلامية، وزاد من ثقتها بنفسـها وثقة الجمهور بها، كما وفرّ العامل الثاني لهـا فرصـة الحركة وتحصيـل الإمكانات والموارد المالية والبشـرية، وكسـب الخبرة والتجربة المتطورة في التأهيل والتدريب والتنظيم، وفي المجال الإعلامي والعسكري والأمنـي، حيث فتحت الأبواب على مصراعيها أمام الإسـلاميين الراغبين في مقاومة

الاحتلال السوفييتي لأفغانستان.

وفي السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وقد وضعت الحرب الباردة أوزارها بانتصار المعسكر الغربي، وسقوط الاتحاد السوفييتي، أصبح التيار الديني الإسلامي قوة ضاربة الجذور في معظم البلدان والشعوب الإسلامية، وبعض فصائله وصلت إلى مواقع السلطة والحكم في عدد من البلدان على نحو الانفراد أو المشاركة، كما أصبحت له امتداداته الجماهيرية الواسعة في مختلف دول العالم عبر الجاليات الإسلامية المتواجدة فيها، كأمريكا والدول الأوروبية.

هكذا استقبلت الأمة الإسلامية القرن الواحد والعشرين بوجه ديني صارخ، وبمعنويات شعبية عالية، وأصبح الدين على محكّ التجربة والاختبار، وفي مواجهة تحديات قيادة الحياة المعاصرة، وإدارة التنافس والصراع مع القوى المحلية والدولية.

ويبدو أنّ التيار الديني يواجه الآن ما واجهته التيارات الفكرية في الربع الأخير من القرن المنصرم.

إنّ رفع الشعارات والتطلعات المدغدغة لمشاعر الجمهور أمر سهل، تقوم به كلّ حركة وزعامة تريد كسب الناس لتحقيق استهدافاتها السياسية والاجتماعية.

لكنّ تحويل تلك الشعارات والتطلعات إلى برامج ومشاريع عمل فعلية ترتقي بواقع الشعوب سياسيًّا واقتصاديًّا، وتحقق لها التنمية المنشودة، ذلك هو التحدّي والامتحان أمام الحركات الإسلامية، كما كان التحدّي ذاته أمام الحركات الفكرية الأخرى، التي انحسرت شعبيتها وانفضّ الجمهور عنها، حينما فشلت في الاستجابة لهذا التحدّي، وهو ما يمكن أن يقع فيه التيار الإسلامي.

وتبرير الفشل بوجود العوائق ومؤامرات الأعداء لم يعد منطقًا مقبولًا، فذلك ما قالته التيارات الأخرى أيضًا، وهل يتوقع من يدخل غمار السياسة أن يكون طريقه مفروشًا بالورد خاليًا من العقبات والعراقيل، وألّا تعترضه مؤامرات عدوّ ولا منافسة صديق؟

كما أنّ إدارة المعارك مع الأعداء هو ما يثبت مؤهلات القيادة، حيث تتعزّز ثقة الشعوب بمن يكسب المعركة ويحقق النصر، بينما تهتزّ الثقة بأيّ قيادة تجلب لأتباعها الهزيمة والانكسار.

وحيث إنّ التوجه العام للحركات الإسلامية هو التعجل في منازلة الأعداء المنافسين، أو الاستجابة لمحاولات الاستدراج للمعارك والنزال، فقد وجد التيار الإسلامي نفسه محاطًا بالأعداء من كلّ جهة وجانب، من القوى العالمية والمحلية، إضافة إلى الحروب الداخلية بين فصائل التيار نفسه.

ومن الطبيعي أن يتأثر مستقبل هذا التيار الإسلامي بنتائج هذه المعارك التي يخوضها، فإنّ جماهير الأمة ستزداد به ثقة، وحوله التفافًا، إن أحرز الظفر والنصر، وقد تنفضّ عنه، وتخيب آمالها المعقودة عليه، حين يفشل في إدارة معاركه، وتلحق به الهزيمة والانكسار، كما حدث للتوجهات الفكرية قبله، حيث بدا العدّ التنازلي لشعبيتها ونفوذها بعد نكسة حزيران.

فللهزائم أثمانها الباهظة، كما أنّ للانتصارات مكاسبها الواضحة، وهذه حقيقة تحدّث عنها القرآن الكريم في تفسير الإقبال الكبير على الدين بعد فتح مكة، حيث يقول تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ [سورة النصر، الآيتان: ١-٢].

والمشكلة أنّ آثار الهزيمة لن تقف عند حدود الفصائل الإسلامية المنخرطة في المواجهة السياسية والعسكرية، بل ستنعكس على مجمل الحالة الدينية، والتوجه الإسلامي، وهذا ما يمكن رصد مظاهره فعلاً في واقع الساحة الإسلامية اليوم.

فقد أصبح الفكر الإسلامي، والانتماء الديني، في دائرة المسائلة والاتهام، بعد السياسات المتطرفة التي اعتمدتها الحركات المحسوبة على الإسلام، كما تسود

مشـاعر الإحباط والخيبة في أوسـاط جماهير الأمة، التي عقـدت آمال الخلاص على التيار الإسلامي، وتطلعت إلى استعادة أمجاد الأمة التاريخية على يديه.

إنّ علـى علمـاء الإسـلام ودعاتـه أن يواجهوا آثـار الهزيمة التي لحقـت بحركات التطـرف الدينـي في معاركها الطائشـة، وتجاربها السياسـية الفاشـلة، فـإنّ تلك الآثار والتبعـات سـتنعكس علـى صورة الإسـلام كله، وعلى أطيـاف الأمـة بأجمعها، وهذا مـا حـذّر منه القرآن الكريـم بقوله تعالـى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَـةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِيـنَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾[سورة الأنفال، الآية: ٢٥].

فقد ارتسـمت في أذهان أبناء الأمة أسـئلة عريضة، عن مدى صلاحية الدين لقيادة الحيـاة فـي هذا العصـر، وأثيرت إشـكالات وعلامات اسـتفهام على مـا يُعتبر حقائق ومسـلمات فـي قضايا الفكر والتشـريع الإسـلامي، وأصبح دور علمـاء الدين ودعاته والحركات الإسلامية في موقع المساءلة والمحاسبة.

وهذه نتائج متوقعة للمغامرات الطائشة التي قامت بها حركات التطرف المحسوبة على الإسـلام، كما أنّ أطروحات الحركات الإسـلامية وممارسـاتها في ميدان العمل السياسـي والاجتماعـي، لـم تثبت نجاحها فـي كثير مـن المواقع، ولا كانـت تجربتها أكثـر مصداقيـة ونزاهة مـن تجارب الآخرين، فقد شـابتها حالات من الجور والفسـاد والمحسوبية والانتهازية.

إنّ مواجهة آثار الهزيمة تسـتلزم أن يكون الإسلاميون أكثر موضوعية وتواضعًا في طرح مشـاريعهم، وأن يكونوا أكثر جرأة وشـفافية في مراجعة ونقد متبنّياتهم الفكرية، ومواقفهم السياسية.

إنّ حالة التوتر والغضب من نقد الآخرين ليس دلالة قوة وثبات، بل هو مؤشّر عجز واضطراب، ونهج القرآن الكريم قائم على مواجهة مقولات الطرف الآخر مهما كانت قاسية بالمنطق والحجة والبرهان، وتفكيكها ومحاكمتها على ضوء العقل والوجدان.

بل إنّ على الجهات الدينية أن تبادر إلى نقد نفسها قبل أن ينقدها الآخرون، كما ورد في أحد النصوص الدينية: «حاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أنْ تُحاسَبُوا وَزِنُوها قَبْلَ أنْ تُوزَنُوا».

وبعد:

فإنّ هذا الكتاب وهو الجزء التاسع من موسوعة (مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح) يضمّ معظم الخطب والفاعليات الثقافية والاجتماعية التي وفقني الله تعالى لإنجازها خلال العام المنصرم ١٤٣٨هـ. وهو كالأجزاء السابقة يمثل تجربة في مجال الدعوة والعمل الاجتماعي، أرجو أن يكون في تقديمها للقرّاء، وخاصة من إخوتي الخطباء والدعاة ما يخدم تدوير الأفكار، وتبادل التجارب، وتحفيز إبداء الملاحظات والنقد، راجيًا من الله تعالى قبول هذا اليسير، والعفو عن الخطأ والتقصير، والتوفيق لما يحبّ ويرضى، إنه وليّ التوفيق.

حسن الصفار

18 جمادى الأولى 1439هـ

2 فبراير / شباط 2018م

خُطَبُ الجُمُعَة

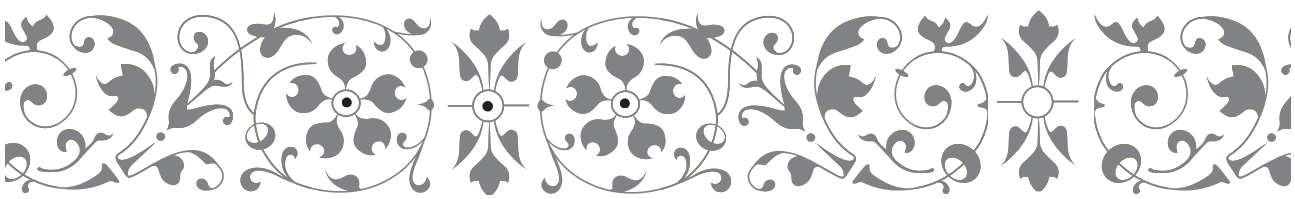

تحصين المجتمع من توجّهات العنف

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شِيعَتُنَا الْمُتَبَاذِلُونَ فِي وَلَايَتِنَا، الْمُتَحَابُّونَ فِي مَوَدَّتِنَا، الْمُتَزَاوِرُونَ فِي إِحْيَاءِ أَمْرِنَا، الَّذِينَ إِذَا غَضِبُوا لَمْ يَظْلِمُوا، وَإِذَا رَضُوا لَمْ يُسْرِفُوا، بَرَكَةٌ عَلَى مَنْ جَاوَرُوا، سِلْمٌ لِمَنْ خَالَطُوا»(١).

أن يكون للإنسان رأي فكري أو سياسي يبشّر به، ويسعى إلى تطبيقه، فذلك حقّ طبيعي، وأمر مشروع، ينبع من الإقرار بحرية الإنسان وحقه في التعبير عن رأيه، وشراكته في محيطه الاجتماعي.

وأن يطالب الإنسان بكامل حقوقه الإنسانية والوطنية، ويعترض على انتقاص شيء منها، هو الآخر أمر مشروع ومقبول.

لكن الكلام في الوسيلة والمنهج، فهل يصح استخدام أيّ وسيلة للتبشير بالرأي ولو بفرضه بالقوة على المجتمع؟

وهل يشرع العمل لنيل المطالب الحقوقية باستخدام العنف؟

إنّ الله سبحانه وتعالى منحنا عقولًا نفكر بها، ونقوّم بها الأمور، فنوازن بين الخسائر والمكاسب، ونميّز بين ما يخدم مصالحنا وما يضرّ بها، فلا يصح الخضوع

(١) الكافي، ج٢، ص٢٣٦، حديث٢٤.

لحالات الانفعال والحماس التي قد تدفعنا لما يسبب لنا ضررًا أكبر من الضرر الذي نريد إزالته، وكما ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: «لَيْسَ الْعاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَلكِنَّ الْعاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرَّيْنِ»(١).

كما أننا مسلمون نتقيّد بدين له قيم وتشريعات لا بُدّ أن نستحضرها في ممارساتنا وسلوكنا في مختلف المجالات، وخاصة حينما يتعلق الأمر بما قد يؤدي إلى تلف نفس، أو سفك دم، أو انتهاك حرمة، أو اخلال بالنظام العام، فتلك أمور خطيرة، لا يمكن تجاوز الشرع فيها، فلا بُدّ من الرجوع إليه لمعرفة الضوابط التي يقررها في هذه الحالات، ولتحديد الجهة التي يحقّ لها اتّخاذ القرار فيها.

وحين نتحدث عن العنف كوسيلة لخدمة رأي سياسي، أو نهج للمطالبة بحقوق وطنية، فإنّ علينا أن نناقش الموضوع على ضوء هدي العقل وحكم الشرع.

إنه لا يمكن لعاقل أن يرضى بما آلت إليه أمور الأمة، بسبب انتشار حركات العنف والممارسات الإرهابية، التي شوهت سمعة الإسلام والمسلمين على مستوى العالم، وحوّلت الحياة في عدد من البلدان الاسلامية إلى جحيم لا يطاق، يهيم أبناؤها على وجوههم بحثًا عن ملجأ أو مأوى، داخل وخارج أوطانهم، حيث وصل عدد اللاجئين والنازحين من سوريا مثلاً أكثر من خمسة ملايين لاجئ، ومن العراق زاد اللاجئون على ثلاثة ملايين ونصف المليون، ومن اليمن هناك الآن ثلاثة ملايين نازح ولاجئ، فضلًا عن افغانستان والصومال وبلدان أخرى.

أما أرقام القتلى والجرحى من ضحايا العنف السياسي، على مستوى العالم الإسلامي، فهي أرقام رهيبة مذهلة، حيث لم يَبْقَ بلد من بلدان المسلمين بمنأى عن استهداف الإرهاب الذي يُمارس تحت عنوان الإسلام، وباسم تطبيق الشريعة، وإقامة الخلافة والدولة الإسلامية.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٦، حديث٥٨.

العنف السياسي في المنطقة الخليجية

وكانت منطقتنا الخليجية بعيدة عن حركات العنف السياسي، تنعم بالأمن والاستقرار، لكنّ اندفاع بعض أبنائها أو دفعهم للمشاركة في ساحات العنف في بلدان أخرى، كأفغانستان والشيشان والبوسنة والهرسك، وأخيرًا العراق وسوريا، بمبرر النصرة والانتصار للإسلام والمسلمين، أنتج تسلل هذه التوجهات العنفية إلى داخل المجتمعات الخليجية، حينما ارتدّ أولئك المقاتلون على أوطانهم. بعد أن تمكنت في أذهانهم ونفوسهم توجهات التطرّف والتكفير، وتمرسوا على الحرب والقتال، وهان عليهم سفك الدماء وانتهاك الحرمات.

وبقيت المجتمعات الشيعية الخليجية أبعد عن توجّهات العنف والتطرف، مع أنّ بعضها يشكو من التهميش والتمييز الطائفي، بسبب هيمنة تيارات تعصبية ضدّ الشيعة، لكنّ الناشطين فيها اعتمدوا أسلوب التواصل مع حكوماتهم، والانفتاح على محيطهم الوطني، وقد يندفع بعضهم نحو المعارضة ضمن الأساليب السلمية.

وإذا ما حصلت بعض حوادث العنف فإنها كانت نادرة ومحدودة النطاق لا تشكّل ظاهرة، ولا تمثّل تيارًا، وقد سمعت شخصيًّا كما سمع غيري من القيادات السياسية والأمنية في بلادنا الثناء على حالة الانضباط والاستقرار في المجتمعات الشيعية، وعدم انزلاق أبنائهم نحو هاوية العنف والإرهاب.

لكنّ هذه المجتمعات ليست معزولة عن تأثير الأجواء العامة التي تسود المنطقة، حيث يشتد التوتر السياسي بين ضفتي الخليج (بين إيران ودول المنطقة) وحيث تدور المعارك الطاحنة في دول مجاورة كالعراق وسوريا واليمن.

هذا التجاذب الإقليمي يواكبه زخم من الإعلام الطائفي المذهبي من كلا الجهتين، وإذا ما أضفنا إلى ذلك شكاوى التمييز والتهميش، وتأخّر المعالجة الوطنية لهذه الملفات، فإنّ ذلك قد يعطي فرصة لتأثر بعض أبناء الشيعة وخلق الاستعداد في

نفوسهم لقبول توجّهات العنف. خاصة وأنّ بعض الشباب لديهم فائض وقت وطاقة، ونزوع للمغامرة والمخاطرة، كما نلحظ ذلك مثلًا من الإقبال على ممارسة التفحيط، مع أنها أوقعت عددًا من الضحايا الشباب موتًا أو إعاقة.

وهناك عصابات إجرامية كانت تستخدم العنف للسرقة والخطف، وترويج المخدرات، وقد ضجّ منها المجتمع لسنوات ماضية، وشكا الأهالي للحكومة من تكرار حالات سرقة المنازل والمحال التجارية، حتى في وضح النهار، وطالبوا الأجهزة الأمنية بوضع حدٍّ لهذه الجرائم التي أثارت قلق المجتمع على أمنه.

هذه العصابات من الوارد أن تسعى لحماية نفسها، وتضليل أبناء المجتمع، برفع شعارات سياسية مذهبية، مستفيدة من الأجواء السياسية التي سادت المنطقة أخيرًا. وقد حصلت بالفعل حوادث استهداف لرجال الأمن في المنطقة، ولبعض المواطنين المناوئين لتلك التوجّهات.

مما يؤكد الخشية والقلق من تسلّل ونمو توجهات العنف في المجتمع، وذلك يعني ضرورة اليقظة والانتباه من قبل الأسر لأبنائها، حتى لا يُغرّر بهم، كما يوجب على العلماء والخطباء وذوي الرأي في المجتمع العمل على محاصرة هذه التوجّهات، بإعلان الرفض والإدانة لها، وعدم القبول بأيِّ مبررات تسوّغ العنف، ونشر الثقافة الداعية إلى معالجة المشاكل والنواقص بالوسائل السلمية، والأساليب المشروعة.

من ناحية أخرى، فإنّ على الجهات الرسمية سدّ الثغرات، والإسراع في معالجة ما يشكو منه المجتمع من نواقص ومشاكل، حتى لا تكون مادة تستفيد منها هذه الجهات في خدمة توجّهاتها.

القيادات الدينية تجّرم العنف

ويمكن القول إنه لا يوجد غطاء ديني سياسي لأيّ ممارسة عنفية، فلا أحد من علماء الشيعة في البلاد يجيز هذه الممارسات، حتى من يتبنى موقفًا معارضًا، وليس

بين مراجع الشيعة البارزين الذين يقلّدهم المواطنون الشيعة في الخليج، من يفتي بجواز ممارسة العنف، والإخلال بالأمن والاستقرار في هذه المنطقة.

وقد أعلن هذا الموقف الرافض للعنف كثيرٌ من علماء الشيعة في البلاد، من خلال منابرهم الدينية، وخطبهم منشورة متداولة.

كما أصدر جمع من علمائهم البارزين أكثر من بيان يحرّم ويجرّم ممارسة العنف ضدّ الدولة والمجتمع، ومنها البيان الصادر بتاريخ ٥ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ الموافق ١٠ مارس ٢٠١٤م، وقد نشرته مختلف وسائل الإعلام، ومما جاء فيه:

«لا شكّ أنّ أعظم مقصد للدين وأهمّ مطلب للمجتمع هو بسط الأمن والاستقرار في البلاد.

وقد بليت مجتمعات الأمة في هذا العصر بجماعات وتيارات متطرفة، تمارس الإرهاب والعنف تحت عناوين دينية وسياسية، والدين بريء من الإرهاب، والعنف السياسي يدمّر الأوطان.

وما نعرفه من سيرة أئمة أهل البيت ﷺ، ومن توجيهاتهم الهادية، أنهم يؤكّدون حفظ وحدة الأمة، ورعاية المصلحة العامة، ورفض أيّ احتراب داخلي، حماية للسلم والأمن في مجتمع المسلمين، وذلك هو نهج مراجعنا وفقهائنا الكرام.

لذا نحذّر أبناءنا وشبابنا الأعزاء، من الانجراف خلف توجّهات العنف والتطرف، فهو لا يحلّ مشكلة ولا يحقق مطلبًا، بل يزيد المشاكل تعقيدًا، ويحقق مآرب الأعداء الطامعين.

ونؤكّد أنّ أيّ استخدام للسلاح والعنف، في وجه الدولة أو المجتمع، مدان ومرفوض، من قبل علماء المذهب، وعموم المجتمع، ولا يحظى بأيّ غطاء ديني أو سياسي»[1].

(١) http://www.saffar.org/?act=artc&id=3302

وأخيرًا أقول بلسان عموم أبناء المجتمع: إنه يزعجنا ويؤذينا أن يجري الحديث عن وجود إرهاب وإرهابيين في مجتمعنا، فلنعمل على تفويت الفرصة على من يسعى لذلك.

ومن يريد الدفاع عن حقوق الطائفة لا يسلك طريقًا يضرّ بالطائفة ويهدّد وجودها ومستقبلها.

ومن يريد الانتصار للمذهب لا يستخدم الوسيلة التي ينبذها أئمة المذهب من أهل البيت عليهم السلام.

ولنتذكر أقوال وتوجيهات أئمتنا عليهم السلام كالنص المروي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «شِيعَتُنَا الْمُتَبَاذِلُونَ فِي وَلَايَتِنَا، الْمُتَحَابُّونَ فِي مَوَدَّتِنَا، الْمُتَزَاوِرُونَ فِي إِحْيَاءِ أَمْرِنَا، الَّذِينَ إِذَا غَضِبُوا لَمْ يَظْلِمُوا، وَإِذَا رَضُوا لَمْ يُسْرِفُوا، بَرَكَةٌ عَلَى مَنْ جَاوَرُوا، سِلْمٌ لِمَنْ خَالَطُوا»(١).

وما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «يا مَعشَرَ الشِّيعَةِ، إنّكُم قد نُسِبتُم إلَينا، كُونُوا لَنا زَينًا، ولا تَكُونُوا عَلَينا شَينًا»(٢).

وما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «اِتَّقُوا اللّه َ وكونوا زَينًا ولا تَكونوا شَينًا، جُرّوا إلَينا كُلَّ مَوَدَّةٍ، وَادفَعوا عَنّا كُلَّ قَبيح»(٣).

حمى الله بلادنا ومجتمعنا من كلّ مكروه وحفظ شبابنا وصانهم من تيارات التطرف والانحراف.

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٣٦، حديث٢٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٨٥، ص١١٩، حديث٨٣.
(٣) تحف العقول، ص٤٨٨.

الإمام زين العابدين وخيارات المرحلة

ورد أنّ عباد البصري قال لِعَلِيّ بْنِ الْحُسَيْنِ ﷺ: أَقْبَلْتَ عَلَى الْحَجِّ وَ تَرَكْتَ الْجِهَادَ فَوَجَدْتَ الْحَجَّ أَلْيَنَ عَلَيْكَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ﴾، قَالَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﷺ: اقْرَأْ مَا بَعْدَهَا قَالَ فَقَرَأَ ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ ـ إِلَى قَوْلِه ـ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ قَالَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﷺ: إِذَا ظَهَرَ هَؤُلاءِ لَمْ نُؤْثِرْ عَلَى الْجِهَادِ شَيْئاً[1].

من الطبيعي أن تشكل واقعة بحجم واقعة الطف منعطفاً في حياة أهل البيت ﷺ، وأوساط شيعتهم، لجهة تأثيراتها النفسية والفكرية والسياسية، فالجرأة على قتل الإمام الحسين وأصحابه بتلك الطريقة البشعة، وسبي نسائه وعياله، كان عدواناً صادماً في مجمله وتفاصيله، وكانت السلطة الأموية تقصد منه الردع حتى لا يفكر أحد في مواجهتها، فإذا كان الحسين بن علي سبط رسول الله وريحانته وسيد شباب أهل الجنة، ليست له حصانة تحميه من بطش السلطة، فمن يأمن على نفسه بعده؟

وقد شاهد الإمام زين العابدين مشاهد المأساة بأمّ عينيه، وعاش فجائعها وأهوالها،

(١) التهذيب ٦: ١٣٤، باب من يجب معه الجهاد، حديث١.

وقد آلمه وأمضّه سكوت الأمة على هذه الجريمة النكراء، والمصاب الجلل. حيث اقتصر تفاعل جمهور الأمة بعد الحادثة على إبداء مشاعر الحزن والبكاء، وقد علق الإمام زين العابدين حينما سمع بكاء نساء أهل الكوفة بقوله: إلا إنّ هؤلاء يبكون فمن قتلنا؟[١].

وعندما عاد إلى المدينة المنورة مع قافلة السبايا من عيال الحسين، وخطب فيمن استقبله من جمهور المدينة، مستعرضاً لهم هول المأساة التي أصابت آل رسول الله بقوله: «إنّ الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية»[٢].

لم يجد منهم تفاعلًا يذكر غير إبداء مشاعر الحزن، ولم تذكر المصادر شيئًا عن رجالات المدينة المعروفين، إلا أنّ صوحان بن صعصعة بن صوحان قام فاعتذر إليه، فترحّم الإمام على أبيه[٣].

زين العابدين وهو القائد من أهل البيت لهذه المرحلة الصعبة، لم يكن معروفًا لدى جماهير الأمة بمستوى معرفتها لأبيه الحسين، الشخصية الأخيرة من أصحاب الكساء، وكان زين العابدين بعد حادثة كربلاء سنة ٦١هـ شاباً يخطو في بداية العقد الثالث من عمره، حيث ولد سنة ٣٨هـ، فلم تكن الأمة تعرف فضله وكفاءته بعد.

أمام هذا الواقع الذي واجهه زين العابدين، كان الأمر مفتوحاً على مختلف الاحتمالات والخيارات التي يمكن أن يأخذ بها الإمام في تصدّيه للقيادة، وتحمّل المسؤولية.

---

(١) بلاغات النساء، ابن طيفور، ص٢٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٥، ص١٤٨.

(٣) جهاد الإمام السجاد، السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، ص ٦٦.

خيار الانكفاء والعزلة

كان هناك خيار الانكفاء والعزلة بأن يبتعد الإمام عن الشأن العام، ويعتزل المجتمع، كردة فعل على الموقف السلبي تجاه مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وتلافياً لأيّ اصطدام مع السلطة.

وهذا ما روّج بعض الكتاب والمؤرخين حصوله، مقرّرين أنّ الإمام أخذ فعلًا بهذا الخيار، واعتكف للعبادة، وانشغل بالدعاء.

حتى في عصر الإمام كان البعض يعيب الإمام بذلك، كما ورد في بعض الروايات أنّ عباد البصري قال لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: أَقْبَلْتَ عَلَى الْحَجِّ وَ تَرَكْتَ الْجِهَادَ فَوَجَدْتَ الْحَجَّ أَلْيَنَ عَلَيْكَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ﴾الْآيَةَ، قَالَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: اقْرَأْ مَا بَعْدَهَا قَالَ فَقَرَأَ- ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ إِلَى قَوْلِهِ- وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ قَالَ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: إِذَا ظَهَرَ هَؤُلاءِ لَمْ نُؤْثِرْ عَلَى الْجِهَادِ شَيْئاً[1].

وتقول الدكتورة سميرة مختار الليثي[2]: «افتقدت الشيعة بمصرع الحسين الزعيم الذي يكون محورًا لجماعتهم وتنظيمهم، والذي يقودهم الى تحقيق تعاليمهم ومبادئهم. وانصرف الإمام عليّ زين العابدين عن السياسة إلى الدين وعبادة الله عزّ وجلّ، وأصبح للشيعة زعيمًا روحيًّا. ولكنّه لم يكن الثائر السياسي الذي يتزعّم جماعة الشيعة، حتى إنّه آثر البقاء في المدينة طوال حياته. وحاول المختار بن أبي عبيدة الثقفي أن ينتزع عليًّا من حياة التعبيد، والاشتغال بالعلم إلى ميادين السياسة، دون جدوى!».

(١) التهذيب. ج٦، ص ١٣٤، باب من يجب معه الجهاد، حديث١.

(٢) جهاد الشيعة في العصر العباس الأول، الدكتورة سميرة مختار الليثي، دار الجيل، بيروت لبنان، ص٢٩.

ويقول كاتب آخر[١]: «كانت فاجعة مقتل أبيه التي شاهدها ببصره أقسى من أن تتركه يطلب بعد ذلك شيئًا من إمارة الدنيا، أو يثق في الناس، أو يشارك في شأن من شؤون السياسة، اعتكف على العبادة...».

ويقول أحد الباحثين الزيديين[٢]: «وفي تاريخ الشيعة كذلك نشأت نظرات متخاذلة، تولّدت من شعور بعض العلويين وأنصارهم بالهزيمة الداخلية، وقلة النصير، وفجعتهم التضحيات الكبيرة التي قدّموها، ففضّلوا السلامة.

وقد وطّدت معركة كربلاء من هذا الاتّجاه، إذ كان تأثيرها مباشرًا على علي بن الحسين الذي ابتعد من هول الفجيعة عن السياسة، ونأى بنفسه عن العذاب الذي عاناه من سبقه، وعلى قريب من هذا النهج سار ابنه محمد، وحفيده جعفر».

وسيتضح لنا فيما بعد خطأ هذا الاستنتاج والتحليل، من خلال رصد حضور الإمام في الساحة الاجتماعية، ومتابعة مواقفه في الاهتمام بالشأن العام، حيث يتعذّر على الإمام التخلي عن مسؤولياته الرسالية، وأخذ موقف اللامبالاة تجاه قضايا الأمة.

خيار الصدام مع السلطة

أما الخيار الآخر الذي كان من الممكن أن يسلكه الإمام فهو خيار التصعيد ضد السلطة الأموية، والاندفاع نحو الانتقام منها.

وكانت أرضية هذا الخيار قائمة، ومبرراته حاضرة. وذلك:

أولًا: لفظاعة ما ارتكبته السلطة تجاه أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، مما يشحن نفوس الهاشميين وشيعتهم بالسخط والغضب، ويستثيرهم للانتقام والردّ.

---

(١) جهاد الإمام السجاد، عن: نظريّة الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية: الدكتور أحمد محمود صبحي، ص٣٤٩.

(٢) نفسه، عن: تيارات معتزلة اليمن، علي محمد زيد، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ـ اليمن، ص١٧ ـ ١٨.

ثانيًا: توغّل السلطة في الظلم والفساد والانحراف، مما يجعل الثورة عليهم مصداقًا لما ورد في الدين من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الظلم والطغيان والفساد.

ثالثًا: اختمار إرادة الثورة والرفض للسلطة في أوساط جماهير الأمة، حيث تجاوز الناس آثار الصدمة بما حصل في كربلاء، وبدأوا مراجعة أنفسهم، وشعروا بتوبيخ الضمير، من السكوت على ما حدث، فتفجرت الثورات والانتفاضات تباعًا ضد السلطة الأموية.

وقد عاصر الإمام زين العابدين عليه السلام اندلاع عدد من تلك الثورات، من أبرزها:

- ثورة أهل المدينة (٦٣هـ) بقيادة عبدالله بن حنظلة (غسيل الملائكة) وقد طردوا بني أمية من المدينة، فأرسل إليهم يزيد بن معاوية جيشًا بقيادة مسلم بن عقبة، يقول ابن كثير: «أباح مسلم بن عقبة، الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة قبّحه الله من شيخ سوء ما أجهله المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد، لا جزاه الله خيرًا، وقتل خلقًا من أشرافها وقرائها وانتهب أموالًا كثيرة منها، ووقع شرٌّ عظيم وفساد عريض»[١]، فبلغ عدد القتلى في بعض الروايات عشرة آلاف شخص، و «ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرة من غير زوج»[٢].

لقد طرد أهل المدينة الأمويين وكانوا قرابة ألف شخص، وكانت بعض عوائلهم مهددة تخشى الهجوم عليها، فطلب مروان بن الحكم من الإمام زين العابدين حماية عوائلهم، وينقل أنّ مجموع من حماهم الإمام زين العابدين عليه السلام (٤٠٠) نسمة كانت منهم بنت عثمان بن عفان، ولم يذكر التاريخ مكان تجمع هذا العدد الهائل

(١) البداية والنهاية، ج٨، ص٢٤١.
(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٤١.

من النفوس، فهناك من يذكر الحماية فقط من دون تحديد المكان، ومنهم من يذكر الحماية والخروج بهم إلى ينبع.

وقد هيأ الإمام لهؤلاء الحماية الامنية والمعاشية، بحيث صرح البعض أنّ الخدمات التي قدّمها الإمام كانت أفضل مما في بيوتهم وعند أهلهم[١].

وأورد ابن الأثير في تاريخه، أنّ يزيد لما سيَّر مسلم بن عقبة قال له: «ادْعُ الْقَوْمَ ثَلَاثًا، فَإِنْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا فَقَاتِلْهُمْ، فَإِذَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ فَانْهَبْهَا ثَلَاثًا، فَكُلُّ مَا فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ دَابَّةٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ فَهُوَ لِلْجُنْدِ، فَإِذَا مَضَتِ الثَّلَاثُ فَاكْفُفْ عَنِ النَّاسِ، وَانْظُرْ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ فَاكْفُفْ عَنْهُ وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ مَعَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَتَانِي كِتَابُهُ»[٢].

- ثورة عبدالله بن الزبير في مكة (٦٥هـ)، حيث أعلن ثورته وانضمّ إليه بعض الخوارج، والفارّون من المدينة وسواهم، فزحف إليهم الجيش الأموي بقيادة الحصين بن نمير السكوني، وحاصر مكة المكرمة، وضربوا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها، وفي الأثناء مات يزيد بن معاوية، فقوي موقف ابن الزبير وسيطر على مناطق الحجاز، ومناطق في العراق حتى هزمه الأمويون.
- ثورة التوابين في العراق (٦٥هـ)، بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي. الذي التف حوله جمع من أهالي الكوفة النادمين على عدم نصرتهم للحسين، فخرجوا تكفيرًا عن ذنبهم للانتقام من قتلة الحسين وكانوا أربعة آلاف رجل وواجههم الجيش الأموي فأبادهم.
- ثورة المختار الثقفي (٦٦هـ)، الذي قاد انتفاضة في الكوفة وسيطر عليها، وطرد والي عبدالله بن الزبير، وصفّى جميع قتلة الحسين، كما تصدّى للجيش

(١) موسوعة الإمام زين العابدين، الشيخ محسن الحسيني، ج١، ص٢٥٨.
(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٣، ص٢١٢.

الأموي الذي جاء لمحاصرته، وقتل قائده عبيدالله بن زياد.

- ثورة مطرف بن المغيرة (٧٧هـ)، وكان واليًا على المدائن من قبل الحجاج لكنه ثار على الحجاج وخلع عبدالملك بن مروان.
- ثورة عبدالرحمن بن الأشعث (٨١هـ)، الذي انتفض ضدّ طغيان الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان واستمرت ثورته من سنة ٨١هـ إلى ٨٣هـ حيث قضى عليها الحجاج بجيوش زاحفة من الشام.

لكن الملاحظ أنّ الإمام لم يتجه لاستثمار هذه الأجواء بإعلان الثورة والمعارضة للسلطة، ولم يشترك في أيّ من هذه الثورات، ولم يعلن دعمًا وتأييدًا لها، إلا ما ظهر من الشكر لله تعالى والثناء على المختار لقتله قتلة الحسين عليه السلام، حيث أورد بعض المؤرخين إنَّ «عَلِيَّ بنَ الحُسَينِ عليه السلام لَمّا أُتِيَ بِرَأسِ عُبَيدِ اللّه بنِ زِيادٍ ورَأسِ عُمَرَ بنِ سَعدٍ، قالَ: فَخَرَّ ساجِدًا، وقالَ: الحَمدُ للّهِ الَّذي أدرَكَ لي ثاريَ مِن أعدائي، وجَزَى اللهُ المُختارَ خَيرا»[1].

هذا ولم ينقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام أيّ تصريح وحديث لا من قريب ولا من بعيد عن حركة التوابين على الرغم من حدوثها في فترة انقلاب سياسي وفراغ قيادي في الأمة[2].

وقد روي أن المختار أرسل إلى عليّ بن الحسين بعشرين ألف دينار فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم التي هدمت، قال: ثم إنه بعث إليه بأربعين ألف دينار بعدما أظهر الكلام الذي أظهره[3].

وفي المقابل روي أيضًا: أنّ المختار بعث إلى عليّ بن الحسين عليه السلام بمائة ألف

(١) بحار الأنوار، ج٤٥ ص٣٤٤، حديث١٣.
(٢) موسوعة الإمام زين العابدين، ج١، ص٣٢٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٥ ص٣٤٤، حديث١٣.

درهم فكره أن يقبلها منه وخاف أن يردها، فتركها في بيت، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك يخبره بها فكتب إليه «خذها طيبة هنيئة»[١].

وتشير بعض النصوص التاريخية إلى أنّ السلطة الأموية كانت مطمئنة لموقف الإمام وراضية عنه. كقول يزيد لمسلم بن عقبه: «وَانْظُرْ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ فَاكْفُفْ عَنْهُ وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ مَعَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَتَانِي كِتَابُه».

وأورد الذهبي عن الزهري، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ مِنْ أَحْسَنِ أَهْلِ بَيْتِهِ طَاعَةً وَأَحَبَّهُمْ إِلَى مَرْوَانَ وَإِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ»[٢].

ولقد كانت علاقة مروان بن الحكم الأموي، بالخصوص، طيّبة مع الإمام عليه السلام لما أبداه الإمام تجاهه من رعاية، أيام وقعة الحرّة، وكان مروان شاكرًا للإمام عليه السلام هذه المكرمة.

وطبيعي أن يعرف عبدالملك بن مروان، للإمام زين العابدين عليه السلام هذه اليد والمكرمة.

ولذلك نراه، لمّا ولي الخلافة، يكتب إلى واليه على المدينة الحجّاج الثقفي يقول: «أَمَّا بَعْدُ: فَانْظُرْ دِمَاءَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَاحْقُنْهَا وَاجْتَنِبْهَا فَإِنِّي رَأَيْتُ آلَ أَبِي سُفْيَانَ لَمَّا وَلَغُوا فِيهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا قَلِيلًا وَالسَّلامُ»[٣].

والإمام عليه السلام لم يمرّ بهذه الرسالة بشكل طبيعيّ، بل بادر الى إرسال كتاب الى عبدالملك، يقول فيه: «فإنك كتبت يوم كذا وكذا، من ساعة كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، بكذا وكذا. وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنبأني وأخبرني، وأن الله قد شكر لك ذلك وثبّت ملكك، وزاد فيه برهة»[٤].

---

(١) قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، ج١٠، ص٨.
(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج٦، ص٢٤٦.
(٣) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص٣١٥.
(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٦، ص٤٤، حديث٤٤.

خيار الحضور وبثّ الوعي

وهناك خيار ثالث يبدو أنّ الإمام قد اختاره وسلكه، وهو تفعيل الدور القيادي لأهل البيت، بالحضور في ساحة الأمة، وبثّ الوعي في أرجائها، وتربية القيادات الصالحة، وتنمية روح الالتزام المبدئي في نفوس أبناء الأمة.

ومن يقرأ سيرة الإمام زين العابدين يجدها مفعمة بالنشاط والحركة على هذا الصعيد، بدأً من اهتمامه بالفقراء والمحتاجين، ومواظبته على الحضور في المسجد النبوي الشريف، واحتوائه لأعداد كبيرة من الموالي لتربيبتهم قبل منحهم الحرية والانعتاق، إلى تربية العلماء والفقهاء والمحدثين الذين وردت تراجم العشرات منهم في كتب التراجم وفي طليعتهم ولده الإمام الباقر الذي دشّن عهدًا زاهرًا للمعرفة والعلم، والشهيد زيد الذي حمل راية الثورة والجهاد.

والبعد الآخر اهتمامه بإعادة تشكيل الوعي في الأمة بالتركيز على الجانب الحقوقي، لتكون العلاقة بين مختلف الأطراف في المجتمع قائمة على أساس من الحقوق المتبادلة، كما ترسم ذلك رسالته الخالدة المعروفة بـ «رسالة الحقوق».

ولأنّ السلطة بسياستها أشاعت ورسّخت روح الأنانية والمصلحة المتطرفة، وأبعدت الناس عن القيم الروحية والمبادئ السامية، فقد اشتغل الإمام على إيقاظ الضمير والوجدان، وإحياء النزعات القيمية الروحية، عبر أسلوب الدعاء، وإنتاج مجموعة كبيرة من الأدعية لمختلف المناسبات، تحمل المضامين الفكرية والعقدية، وتذكر بالمبادئ والقيم، وتوجّه إلى مكارم الأخلاق وخصال الخير، وقد جمع القسم الأكبر منها فيما يعرف بـ «الصحيفة السجادية». إلى جانب سائر عطاءات الإمام في التوجيه الديني والأخلاقي.

حركات العنف تجارب فاشلة

روى الإمام محمد الباقر عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: «إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ، فَإِنْ يَكُ خَيْراً أَوْ رُشْداً اتَّبَعْتَهُ، وَإِنْ يَكُ شَرّاً أَوْ غَيّاً تَرَكْتَهُ»(١).

الرغبة الملحّة، والانفعال الشديد، قد يدفعان الإنسان لعمل أو ممارسة تضرّه وتؤذيه.

فقد تغري الإنسان بعض الأفعال والممارسات؛ لأنها تحقق له رغبة عاجلة، أو تشفي له غيظاً وخنقاً بالانتقام من خصم، أو تظهره بمظهر القوي الشجاع، لكنها لا تلبث أن ترديه في المهالك، وتصيبه بأفدح الأضرار والأخطار.

من هنا تأتي ضرورة استحضار العقل، والتفكير في نتائج ومآلات أيّ عمل يريد الإنسان الإقدام عليه، كما روى الإمام محمد الباقر عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: «إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ، فَإِنْ يَكُ خَيْراً أَوْ رُشْداً اتَّبَعْتَهُ، وَإِنْ يَكُ شَرّاً أَوْ غَيّاً تَرَكْتَهُ».

ومن أجلى المصاديق والشواهد للموارد التي يجب فيها التأمّل والتفكر والرجوع للعقل، وعدم الاندفاع تحت ضغوط الانفعال والحماس، مسألة استخدام العنف في العمل السياسي، وممارسته في مواجهة الحكومات والسلطات، من أجل تحقيق هدف أو مطلب.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤١٠، حديث ٥٨٩٤.

حيث تسعى بعض الحركات والجماعات السياسية، للضغط على السلطات في بلادها، عن طريق العنف، لإجبارها على التراجع وتقديم التنازلات، والاستجابة للمطالب الشعبية، وذلك بالقيام بعمليات الاغتيال والتصفية، لمسؤولي الدولة، ورجالات الأمن، أو الهجوم على المراكز الحكومية، أو التفجيرات وتخريب المصالح العامة.

وتواجه الآن معظم البلدان العربية والإسلامية هذا التحدّي الخطير، حيث انتشرت حركات العنف المنتسبة للإسلام، وحولت الحياة في أوطانها جحيماً لا يطاق.

ولسنا في معرض مناقشة أهداف ومطالب هذه الحركات، وإنها محقة أو باطلة، ولا في معرض التحليل للمبررات التي دفعتها للعنف، وهل هي مبررات قائمة أو مفتعلة؟

بل ينحصر اهتمامنا في هذه المناقشة، على تقويم نتائج ومآلات هذه الحركات العنفية، هل استطاعت نقل أوطانها ومجتمعاتها لواقع أفضل، أم زادتها سوءًا ودمارًا؟

وهل تمكنت هذه الحركات من تحقيق الأهداف التي وضعتها، والشعارات البراقة التي رفعتها، كإقامة حكم الاسلام، وتطبيق العدالة والإصلاح، والتخلص من الهيمنة الاجنبية؟

قراءة تجارب العنف

إنّ على من يتحمّس لهذا الخيار، أن يقرأ تجارب حركات العنف في العالمين العربي والإسلامي، ليرى هل كانت تجارب ناجحة أم فاشلة على الصعيد السّياسي؟

وقد تراجع بعض قيادات هذه الحركات فيما بعد عن توجّهات العنف، تحت ضغط ضربات الأنظمة لهم، وعجزهم عن فرض مطالبهم، حيث حكم على بعضهم بالإعدام، وقضى بعضهم سنوات طويلة في السجون، ونالوا أشدّ ألوان التعذيب

والتنكيل، بينما هاجر البعض إلى المنفى.

كما قام بعضهم بالمراجعة الفكرية والسياسية، ليعترف بخطأ الطريق الذي سلكوه، وسوء الخيار الذي أخذوا به، ونشرت مراجعاتهم عبر وسائل إعلامية ومن خلال كتب ومؤلفات.

وقد توالت موجات المراجعات منذ أن أطلقت الجماعة الإسلامية المصرية، مبادرتها لوقف العنف عام ١٩٩٨، وأصدرت حتى اللحظة نيفًا وعشرين كتابًا تسير كلّها في اتجاه التحول من العمل العنفي إلى الدعوة السلمية، ومراجعات سيد إمام الشريف، المشهور بالدكتور فضل، التي بدأت عام ٢٠٠٨، وصدرت منها ثلاثة كتب حتى الآن، أولها وثيقة ترشيد العمل الجهادي، وثانيها «التعرية» وآخرها «الصراع في أفغانستان».

وفي نفس الاتجاه تأتي مراجعات الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، التي عنونتها بـ «دراسات تصحيحية» التي صدرت عام ٢٠٠٩، ومراجعات بعض قيادات الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر وترحيبهم بقانون الوئام المدني الذي أطلقه الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة عقب توليه السلطة في يوليو سنة ١٩٩٩م.

ويكفي التأمل فيما يجري اليوم على الساحة في أفغانستان والصومال والعراق وسوريا وليبيا، حيث لحق بهذه البلدان دمار كبير، وقتل فيها مئات الألوف من المواطنين، وهجر الملايين ولم يتحقق بعد شيء مما تريده هذه الحركات. فهل يتمنّى عاقل مثل هذه النتائج الفظيعة لبلده؟

ونسمع الآن استغاثة بعض هذه الحركات بالمجتمع الدولي، أو الولايات المتحدة الأمريكية، لتقف معها في معركتها ضد هذا النظام أو ذاك، ويكررون عتابهم وأسفهم لخذلان المجتمع الدولي وأمريكا لهم، وهل يتوقعون أنّ الآخرين أحرص منهم على أوطانهم وشعوبهم؟ أم لا يعون اهتمام الدول الأخرى أولاً وقبل كلّ شيء بمصالحها وأطماعها؟

زعزعة الأمن وإرهاق المجتمع

إنّ التاريخ السياسي المعاصر لمنطقتنا العربية والإسلامية، حافل بالتجارب الدامية المؤلمة لحركات العنف، إسلامية وغير إسلامية، التي تبرز بوضوح أنها لم تحقق مكسبًا يوازي الخسائر التى لحقت بها وبأوطانها ومجتمعاتها، بل إنّها مارست الانتحار السياسي، وألحقت بذاتها وبأوطانها ومجتمعاتها أفدح الخسائر والأضرار، ومن أسوأها ما يلي:

زعزعة الأمن والاستقرار وإرهاق كاهل المجتمع، فعنف الحركات تقابله إجراءات عنيفة من قبل الدولة، بدءاً من حواجز التفتيش، إلى المطاردات واقتحام المنازل، وتوسع حملات الاعتقال، وإصدار الأحكام القاسية كالإعدام وسنين السجن الطويلة، وهكذا يدخل المجتمع في دوامة العنف، ويصيب شرره المواطنين الأبرياء فتسفك الدماء، وتهتك الحرمات، وتضيع مكاسب الأوطان.

وغالبًا ما يمارس المسلحون سلطتهم على المجتمع؛ لأنّ حمل السلاح ينتج غرورًا وطغيانًا، فيستهدفون من يخالفهم في الرأي والتوجّه، ويؤذون من لا يستجيب لطلباتهم، وهذا ما تعانيه المجتمعات التي تنشأ فيها عصابات ومليشيات مسلحة.

كما أنّ الحركات العنفية غالبًا ما تتصارع وتتحارب فيما بينها كما يحصل الآن في سوريا وكما حصل في أفغانستان والصومال وغيرها، مما يجعل المجتمع ميدانًا للعنف على جبهات متعددة.

يقول الباحث المصري أحمد المسلماني في دراسة له نشرها موقع صحيفة «المصري اليوم»، تحت عنوان «الجهاد ضد الجهاد»: «في باكستان وأفغانستان وفى سوريا والعراق.. وقف الإسلاميون ضد الإسلاميين.. قتل المجاهدون المجاهدين.. ووَصَفَتْ أطرافٌ جهادية أطرافًا جهادية أخرى بـ«الخوارج».

واليوم يعيش العالم العربي والإسلامي مشهدًا داميًا في «الحرب الأهلية الجهادية»:

تنظيم «القاعدة» ضد تنظيم «داعش»، وشيوخ الجهاد القديم ضدَّ نجوم الجهاد الجديد، وحزب التحرير الإسلامي الذي قضى ستينَ عامًا يدعو للخلافة يعارض تنظيم داعش الذي أعلن الخلافة!

إنّ الصراعات والمزايدات بين الحركات الإسلامية «لا نهائية» وسوف يُصدم القارئ إذا حاول أن يعرف رأى الإسلاميين في الإسلاميين ورأى الجهاديين في الجهاديين.. كلّ فرقةٍ تهاجم غيرها.. وكلّ جماعةٍ تلعنُ أختها!

وتشير بعض الدراسات إلى أنّ حرب المجاهدين ضدّ المجاهدين [في أفغانستان] ما بين عامي ١٩٩٢ و١٩٩٦ قد قُتِل فيها أكثر من (٥٠) ألف شخص، وجرى تدمير (٧٠٪) من مدينة كابول.. حتى جاءت حركة طالبان فأسقطت جميع الإسلاميين وأنهتْ حُكم المجاهدين!»[١].

التشويه والسقوط

تشويه السمعة والسقوط المعنوي، وخاصة في هذا العصر، حيث تنتظم الشعوب والمجتمعات ضمن رأي عام عالمي رافض للعنف والإرهاب.

لذلك فإنّ هذه الحركات الإرهابية قد وجهت للإسلام والمسلمين أسوأ صفعة في التاريخ، بأن أصبح الإسلام متّهمًا بالإرهاب، وأصبح وجود المسلمين في أيّ دولة مثيرًا للقلق، وباعثًا للتوجّس، واتخذت معظم الدول إجراءات مشدّدة تجاه كلّ ما يرتبط بالإسلام والمسلمين، كإجراءات السّفر إلى تلك البلدان، وقيام المؤسّسات الإسلامية فيها، وحتى بعض المظاهر الإسلامية كالحجاب، بعد أن كان المسلمون محلّ ترحيب واحترام من قبل جميع الدول والمجتمعات.

وعلى المستوى الداخلي هناك حالة نفور من الدين في بعض أواسط أبناء الأمة، وخاصة من عانى تأثيرات الممارسات الإرهابية، بل حصلت بعض موجات الإلحاد وإن

(١) http://www.almasryalyoum.com/news/details/477548

كانت محدودة، لكنها مؤشّر خطير.

أمّا فكرة الحكم الإسلامي وقيام دولة إسلامية، أو تطبيق الشريعة، وكلّ ما ينطوي ضمن عنوان الإسلام السياسي، فقد أصبح مرفوضًا في قطاع واسع من جماهير الأمة، بسبب هذه النماذج السيئة المنتسبة للدين، بعد أنْ كان أملاً وحلمًا.

وهكذا فإنّ أيّ معارضة تحمل السلاح وتمارس العنف، فإنّها ستفقد القبول والتأييد من الرأي العام العالمي والمحلي، ومن خارج مجتمعها وداخله، حتى وإن كانت القضية التي تحملها عادلة مشروعة. وستعين على نفسها، وتعطي الفرصة للنظام الذي تعارضه بمحاصرتها، وتشويهها، والتعبئة ضدّها، والعمل على استئصالها.

بل إنّ بعض الأنظمة قد تستدرج المعارضة وتدفعها للعنف، مما يسهل ويبرر قمعها والقضاء عليها.

إنّ منهجية العمل السلمي لتحقيق الأهداف السياسية، ونيل المطالب الحقوقية هي المنهجية الأفضل والأسلم عقلاً وشرعًا، حتى وإن استلزمت وقتًا أطول، وكلّفت خسائر وتضحيات، لكن خسائرها لا تقاس بالخسائر الجسيمة لتوجّهات العنف على ممارسيه وعلى المجتمع والوطن.

فرص للتدخل الأجنبي

غالبًا ما يكون بروز حركات العنف والإرهاب مبررًا وسببًا للتدخلات الخارجية، كما نرى الآن في سوريا والعراق وليبيا. حيث أتاحت هذه الجماعات المسلحة الفرصة للتدخل المباشر من قبل الأمريكيين والرّوس والأوربيين والدول الإقليمية النافذة. فالأنظمة تستعين بالدول والجهات الأجنبية، والحركات تضطر للارتباط ببعض الدول والجهات لتحصل على الدعم بالمال والسلاح والإعلام، وبذلك يصبح الوطن ساحة للصراع والنفوذ الدولي والإقليمي، على حساب سيادته واستقلاله ومصالحه التنموية.

هذا ليس مجرّد تحليل أو افتراض، بل هو واقع يتجسّد أمامنا في عدد من الدول المحيطة بنا.

صحيح أنّ العنف يزعج أيّ سلطة ونظام، وقد يحقق مكسبًا إعلاميًا آنياً، لكن ذلك لا يساوي ولا يوازي كلفته من الأثمان الباهظة، والخسائر الفادحة.

تضييع مكاسب المجتمع

إنّ مجتمعنا في المنطقة راكم سمعة حسنة على المستوى الوطني، بمشاركته في بناء الوطن، ومسيرة التنمية، وبروز كفاءات علمية وإدارية وأدبية من أبنائه، احتلّت مكانة مرموقة حتى على المستوى العالمي.

واتّصف هذا المجتمع بالتسامح وقبول الآخر، وعُرف أبناؤه بالأمانة والإخلاص في أدائهم لوظائفهم ومهامهم، وبحسن الخلق في تعاملهم مع محيطهم الوطني. رغم أنّ هناك أطرافاً وجهات متشدّدة متعصبة، حاولت تهميش هذا المجتمع ومحاصرته من منطلقات طائفية، لكنه استطاع اختراق كثير من هذه المحاولات، وسجل حضورًا وسمعة طيبة لافتة.

ولا نريد لمجتمعنا أن يخسر هذه المكاسب، وأن تتشوّه سمعته ببعض الممارسات العنفية الإرهابية، التي قد يقوم بها أفراد ضلّوا الطريق، ولعب بعقولهم الشيطان.

من هنا نعلن شجبنا واستنكارنا لحادث الاعتداء على رجلي الأمن في القطيف صباح يوم الأحد ٢٩ محرم ١٤٣٨هـ الموافق ٣٠ اكتوبر٢٠١٦م الذي أودى بحياة أحدهما رحمه الله، وإصابة الآخر منّ الله عليه بالصحة والعافية. كما أدنّا ما سبقه من أحداث مشابهة.

إننا يجب أن نحذّر ونكرّر التحذير، وأن ننشر الوعي في صفوف أبنائنا، حتى لا ينخدعوا بهذه التوجهات المنحرفة، صان الله مجتمعنا من هذا الوباء، وحمى الله بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرّ وسوء.

ثقافة الاحترام

وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام أنه قال: «يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ»[1].

يودّ الإنسان أن تُحترم شخصيته من قبل الآخرين، وأن تُراعى مشاعره وأحاسيسه، وألّا يُساء إلى مقدساته ورموزه.

وذلك حقّ مشروع ينطلق من حبّ الإنسان لذاته، وحرصه على كرامته، واهتمامه بانتمائه الاجتماعي.

لكن تحقيقه يتطلب من الإنسان أن يتعامل مع الآخرين على هذا الأساس، فيحترم شخصياتهم، ويراعي مشاعرهم، ولا يسيء إلى مقدساتهم ورموزهم.

لأنه إذا أهان الآخرين وأساء إلى رموزهم، لا بُدّ أن يتوقع منهم ردّ الفعل المشابه، ولا يستهين بقدرتهم على الردّ ولو كان يراهم في موقع ضعف، فإن الضعيف قد يصبح

(١) نهج البلاغة، كتاب ٣١.

قوياً، وخاصة في هذا العصر الذي انتشرت فيه وسائل القوة المالية والتكنولوجية بعد أن كانت محتكرة، وزادت فيه ثقة الناس بذواتهم الفردية والجمعية.

كما أن من يهين أحداً فإنه يسهم في نشر هذا الخلق السيئ وتطبيع الجرأة على ارتكابه، مما قد يجعله أحد ضحاياه.

إذا أهنْتَ تُهان

وقد أشارت النصوص الدينية إلى هذه الحقيقة، ضمن تحذيرها ونهيها عن إهانة الآخرين والإساءة إليهم.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ فَيَسُبُّوا اللَّـهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

وتتضمن الآية نهياً صريحاً للمسلمين عن سبّ الأصنام وعبدتها، حتى لا يتجرؤوا على سبّ الله تعالى، فكلّ مجتمع له رموزه التي يقدسها كما تشير الآية الكريمة: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي جعلنا من طبيعة كلّ أمة أن ترى منهجها مقدساً، حقاً كان أم باطلاً.

وهذا مبدأ تقرره الآية الكريمة للالتزام به في مختلف مواقع الصراع الاجتماعي، دينيًّا كان أو فكرياً أو سياسياً، بأن لا ينزلق الناس في صراعاتهم إلى الأساليب القذرة، كتبادل السبّ والشتم.

قال القرطبي في تفسيره: «قال العلماء: حكمها باقٍ في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسبّ الاسلام، أو النبي ﷺ، أو الله عزّ وجلّ، فلا يحلّ لمسلم أن يسبّ صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية»[1].

وقال الطباطبائي: «الآية تذكر أدباً دينيًّا تصان به كرامة مقدسات المجتمع الديني،

(١) تفسير القرطبي، ج٧، ص٤١.

وتتوقى ساحتها أن تتلوث بدرن الإهانة و الإزراء، بشنيع القول والسب و الشتم والسخرية ونحوها، فإنّ الإنسان مغروز على الدفاع عن كرامة ما يقدسه، والمقابلة في التعدي على من يحسبه متعديًا إلى نفسه، وربما حمله الغضب على الهجر والسبّ لما له عنده أعلى منزلة العزة والكرامة، فلو سبّ المؤمنون آلهة المشركين، حملتهم عصبية الجاهلية أن يعارضوا المؤمنين بسبّ ما له عندهم كرامة الألوهية، وهو الله عزّ اسمه، ففي سبّ آلهتهم نوع تسبيب إلى ذكره تعالى بما لا يليق بساحة قدسه وكبريائه»[١].

وفي هذا السياق يأتي ما رواه الإمام محمد الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لعن الله من لعن أبويه. فقال رجل: يا رسول الله، أيوجد رجل يلعن أبويه؟ فقال صلى الله عليه وآله: نعم، يلعنُ آباء الرجال وأمهاتهم فيلعنون أبويه»[٢].

ومثله في صحيح البخاري: عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه»[٣].

وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام أنه قال: «يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ»[٤].

إلى جانب النصوص الدينية هناك مبادئ ومواثيق حقوق الإنسان التي تشكّل في مجملها خلاصة للفكر الاجتماعي، وتعبّر عن الضمير الإنساني، وهي تؤكد رعاية حقوق الإنسان الماديّة والمعنوية.

---

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي. الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٢٥.
(٢) الكافي، ج٨، ص٧١.
(٣) صحيح البخاري، ج٤، ص٨١، حديث ٥٩٧٣.
(٤) نهج البلاغة، كتاب ٣١.

ومن أواخر هذه المواثيق ما أقرّته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) من تأسيس (ثقافة الاحترام) وهو قرار قدّمه واقترحه مندوب بلادنا (المملكة العربية السعودية) الدكتور زياد الدريس، واستطاع حشد دعم كافٍ من الأعضاء للتصويت عليه هذا العام ٢٠١٦م، في الدورة التاسعة والتسعين بعد المئة، بعد سنة ونصف من النقاش في ثلاث دورات لمجلس المنظمة.

ويدعو القرار إلى الارتقاء بمساهمات المنظمة الدولية لتعزيز ثقافة الاحترام المتبادل.

وقال الدكتور الدريس: إنه في أعقاب حادثة (شارلي ايبدو) تصاعد الحديث والجدل في شأن التلاقي بين ثنائية (حرية التعبير) و(الرموز الدينية)، وتكمن المشكلة في أن الغرب يستخف بتقديس الرموز الدينية، وبمبدأ التقديس عموماً، لكنه يقوم واعياً أو غير واعٍ بتقديس حرية التعبير، من ذلك الإطار بنعت فكرة أن الاحترام المتبادل هو السبيل الوحيد لخلق التوازن بين هاتيك الثنائية المتنازعة.

وأضاف في كلمته أمام المجلس: نحن اليوم نؤسّس لمبدأ جديد في اليونسكو عنوانه: ثقافة الاحترام. حضرت وشاعت هنا خلال العقود الماضية مبادئ عدة، مثل: التسامح، التفاهم، الحوار، السلام. لكن هذه المرة الأولى التي نضع فيها (الاحترام) على طاولة النقاش والاستخدام، ضمن أدوات التداول في اختلافاتنا الطبيعية التي تندرج تحت التنوع الثقافي للبشر. من الاحترام أن لا نسيء أو نشتم الآخرين تحت أيِّ ذريعة أو سبب، فحتى لو لم يكن الآخر مستحقاً للاحترام، فإنني سأمتنع عن شتمه احتراماً لنفسي ولقيمي التي نشأت عليها[1].

الوسط الديني الموبوء

وإذا كان الدين سبّاقاً ورائداً في إقرار مبدأ الاحترام المتبادل، كما رأينا في عدد

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ ١/٦/٢٠١٦م.

من النصوص الدينية، فلماذا نجد في الوسط الديني تجاوزاً لهذا المبدأ، عبر تبادل السباب والشتائم واللعن، في مجال الاختلافات الدينية والمذهبية والفكرية، وعبر تعمّد الإساءة من قبل كلّ جهة لرموز ومقدّسات الجهات الأخرى؟

وكان يفترض أن يكون المتدينون أنموذجاً ومثلاً في التزام المبادئ والأخلاق، في اختلافاتهم وتنوعاتهم.

ولعلّ المشكلة تكمن في اعتقاد كلّ فئة دينية أنها تمثل الحقّ المطلق، وأن غيرها باطل محض، ثم الاعتقاد بأنّ دينها يأمر بإهانة أهل الباطل والإساءة إليهم.

وهذا خطأ كبير وافتراء على الدين، وهو مجرد تبرير لنزعة الهيمنة والعدوان، وتوارث الأحقاد والأضغان، كما يقول تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّـهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّـهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٨].

لأنّ من يراهم الإنسان أهل باطل لا يخرجهم باطلهم عن الانتماء للنوع البشري والصنف الإنساني، ولا يسقط حقوقهم الإنسانية، ومنها حق الاحترام، وقد منح الله تعالى بني البشر حق الكرامة، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، وجاء عن رسول الله ﷺ: «ما شيء أكرم على الله من ابن آدم»[١].

هذا التكريم لا يختص بأهل الحقّ ولا يستثني أهل الباطل، بل يعمّ كل أبناء البشر. يقول السيد الآلوسي البغدادي في تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أي جعلناهم قاطبة، برّهم وفاجرهم ذوي كرم، أي شرف ومحاسن جمة لا يحيط بها نطاق الحصر[٢].

ويقول السيد الطباطبائي: يظهر أن المراد بالآية بيان حال لعامة البشر مع الغضّ عما يختص به بعضهم من الكرامة الخاصة الإلهية، والقرب والفضيلة الروحية المحصنة،

(١) كنز العمال. ج١٢، ص١٩٢، حديث ٣٤٦٢١.

(٢) السيد محمد شكري الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن، ج١٥، ص١١٧.

فالكلام يعمّ المشركين والكفار والفساق[١].

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر قوله: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ ... فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[٢].

كما أنّ على أهل الحقّ مسؤولية تجاه أهل الباطل، وهي دعوتهم إلى الحقّ، وتشويقهم إلى منهجه، واستقطابهم إلى رحابه، وذلك لا يكون إلّا باتباع الأساليب الجذابة المؤثرة في الطرف الآخر، كما يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٥].

أما إهانة الآخرين، ولعن رموزهم، والإساءة إلى مقدّساتهم، فإنه عامل تنفير وتشويه، وسبب للتوتر والاحتراب، يهدد السلم الاجتماعي، ويمنع التعايش، ويقدم عن الدعوة وأهلها أنموذجاً سيئاً ممقوتاً.

تنقية الحالة الدينية

ما أحوجنا كمنتمين للحالة الدينية إلى أن يحترم بعضنا بعضاً، حينما نختلف في مذاهبنا أو أفكارنا أو مرجعياتنا، وما أسوأ ما تعانيه ساحتنا الدينية من صراعات تُستخدم فيها الأساليب القذرة، بإهانة كلّ طرف للآخر، واتهامه في دينه، وإسقاط رموزه وشخصياته، لتكون النتيجة اهتزاز صورة الدين، وزعزعة الثقة بنماذج المتدينين.

من الطبيعي أن تتنوع التوجّهات والآراء في المجتمع الديني، وأن يتعدد المراجع الذين يلتف حولهم المتدينون، ومن حقّ كلّ طرف أن يعبّر عن رأيه وذاته، ضمن إطار الاحترام المتبادل.

---

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص١٥٢.
(٢) نهج البلاغة. كتاب٥٣.

أما أن ترى جهة نفسها أنها وحدها تحتكر الحقّ والصواب، وأنّ رموزها ومرجعياتها فقط أهلٌ للقداسة والاحترام، ثم توجّه الإهانة والإساءة إلى سائر الرموز والمرجعيات، وتحظر عليهم التعبير عن آرائهم المختلفة معهم، فإن هذا ما لا يمكن قبوله ولا تحقيقه، لأنّ الأطراف الأخرى مقتنعة أيضاً بصوابية آرائها وتوجّهاتها، ولا ترضى بالإساءة لرموزها ومراجعها، مما يدفعها لمقابلة الإهانة بإهانة، وردّ الإساءة بإساءة، وذلك هو ما تعيشه الحالة الدينية في كثير من الساحات، مما يضرّ بسمعة الدين ومصالح مجتمع المؤمنين.

من هنا تأتي ضرورة تعزيز ثقافة الاحترام، وتنقية الحالة الدينية من هذا الوباء الفتّاك.

توجهات مصلحية بغطاء ديني

جاء في كتاب وجّهه الإمام الرضا عليه السلام للبيزنطي عن الواقفة وزعمائهم ما نصّه: «أما ابن السراج: فإنما دعاه إلى مخالفتنا والخروج من أمرنا، أنه عدا على مال لأبي الحسن عليه السلام عظيم، فاقتطعه في حياة أبي الحسن وكابرني عليه وأبى أن يدفعه، والناس كلهم مسلمون مجتمعون على تسليمهم الأشياء كلها إلي، فلما حدث ما حدث من هلاك أبي الحسن عليه السلام اغتنم فراق علي بن أبي حمزة وأصحابه إياي وتعلل، ولعمري ما به من علة إلا اقتطاعه المال وذهابه به»[1].

تقلّد الامام الثامن من أئمة أهل البيت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام مهام الإمامة في ظروف بالغة الصعوبة بعد استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، في سجون السلطة العباسية (سنة ١٧٣ هـ)، فقد كان قمع السلطة شديدًا على أهل البيت وأتباعهم في عهد هارون الرشيد، كما أنّ غياب الإمام الكاظم عليه السلام لسنوات في السجن ترك فراغًا في السّاحة الشيعية، مكّن لبعض مراكز القوى الدينية والاجتماعية أن تنموَ بعيدًا عن الإشراف والتوجيه المباشر من قبل الإمام.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٤٩، ص٢٦٧.

لذلك من الطبيعي أن تواجه الإمام عدد من المشكلات والتحدّيات، كان من أبرزها مشكلة الواقفة، التي تتمثل في ذهاب بعض كبار أصحاب أبيه الإمام الكاظم عليه السلام إلى القول بأنّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام لم يمت، وأنّه حيّ يرزق، وأنّه القائم من آل محمد، وأنه خرج من السجن ولم يره أحد نهارًا، ولم يعلم به، وأنّ السّلطان وأصحابه ادّعوا موته، وموّهوا على الناس وكذبوا، وأنّه غاب عن الناس واختفى[1].

ومؤدّى هذه الفكرة إنكار إمامة الإمام الرضا وعدم التسليم إليه، باعتبار أنّ مسيرة الإمامة توقّفت عند أبيه.

الواقفة دافع مصلحي

ويبدو من خلال الروايات والنصوص التاريخية أنّ الدافع لتبنّي هذه الفكرة هو دافع مصلحي مالي، لدى القادة الذين طرحوها، فقد كانت بأيديهم أموال تعود للإمامة، وإقرارهم بموت الإمام الكاظم عليه السلام يعني إلزامهم بدفع تلك الأموال إلى خلفه الإمام الرضا عليه السلام، بينما إنكارهم لموت الإمام وادّعاؤهم غيبته على أساس أنه القائم المهدي، يبرّر بقاء الأموال بأيديهم وتصرّفهم بها.

جاء في كتاب وجّهه الإمام الرضا عليه السلام للبيزنطي عن الواقفة وزعمائهم ما نصّه: «أَمَّا ابْنُ السَّرَّاجِ فَإِنَّمَا دَعَاهُ إِلَى مُخَالَفَتِنَا وَالْخُرُوجِ عَنْ أَمْرِنَا، أَنَّهُ عَدَا عَلَى مَالٍ لِأَبِي الْحَسَنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمٍ فَاقْتَطَعَهُ فِي حَيَاةِ أَبِي الْحَسَنِ، وَكَابَرَنِي عَلَيْهِ وَأَبَى أَنْ يَدْفَعَهُ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُسَلِّمُونَ مُجْتَمِعُونَ عَلَى تَسْلِيمِهِمُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا إِلَيَّ، فَلَمَّا حَدَثَ مَا حَدَثَ مِنْ هَلَاكِ أَبِي الْحَسَنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ اغْتَنَمَ فِرَاقَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ وَأَصْحَابِهِ إِيَّايَ، وَتَعَلَّلَ، وَلَعَمْرِي مَا بِهِ مِنْ عِلَّةٍ إِلَّا اقْتِطَاعُهُ الْمَالَ وَذَهَابُهُ بِهِ»[2].

ونقل الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن يونس بن عبد الرحمن قال: «مات أبو

(١) فرق الشيعة، النوبختي، ص٨٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٩، ص٢٦٧.

إبراهيم [موسى الكاظم] وليس من قوّامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعًا في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند عليّ بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار.

فلما رأيت ذلك وتبيّنت الحقّ وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت، تكلّمت ودعوت الناس إليه، فبعثا إليَّ وقالا: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالا لي: كُفّ.

فأبيت، وقلت لهما: إنا روينا عن الصادقين عليهما السلام أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان، وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كل حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة»[1].

وروي أيضًا عن أحمد بن حماد قال: «كان أحد القوّام عثمان ابن عيسى، وكان يكون بمصر، وكان عنده مال كثير وستّ جوارٍ قال: فبعث إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فيهنّ وفي المال قال: فكتب إليه: إنّ أباك لم يمت. قال: فكتب إليه: إنّ أبي قد مات وقد اقتسمنا ميراثه، وقد صحّت الأخبار بموته، واحتج عليه فيه، قال: فكتب إليه إن لم يكن أبوك مات فليس لك من ذلك شيء، وإن كان قد مات على ما تحكي فلم يأمرني بدفع شيءٍ إليك وقد أعتقت الجواري وتزوجتهنّ»[2].

وفي إعلام الورى للطبرسي: «أجمع أصحاب أبيه أبي الحسن موسى عليه السلام على أنّه نصّ عليه وأشار بالإمامة إليه، إلاّ من شذّ عنهم من الواقفة المسمّين (الممطورة) والسبب الظاهر في ذلك طمعهم فيما كان في أيديهم من الأموال المجباة إليهم في مدّة حبس أبي الحسن موسى عليه السلام وما كان عندهم من ودائعه، فحملهم ذلك على إنكار وفاته وادّعاء حياته، ودفع خليفته بعده عن الإمامة، وإنكار النصّ عليه ليذهبوا بما في

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص٢٣٥، حديث١.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج٢، ص١٠٤، حديث ٣.

أيديهم ممّا وجب عليهم أن يسلّموه إليه»[١].

ويبدو أنّهم استقطبوا جزءًا من النخبة الشيعية آنذاك، فقد سجّل الشيخ الطوسي في رجاله أسماء الواقفة من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، فكانوا قرابة الستين اسمًا، من أصل ما يقارب ثلاثمئة شخص أحصاهم الشيخ الطوسي أصحابًا للإمام، وذلك يعني أنّ نسبة الواقفة فيهم يعادل ٢٠٪، بينما ذكر الباحث الشيخ رياض الناصري في دراسته المهمّة عن الواقفة التي تقع في مجلّدين: أنّ عدد الواقفة يتجاوز المئة وأثبت أسماءهم والمصادر التي ترجمتهم[٢].

وإذا كان هذا عدد الشخصيات البارزة منهم، فإنّ عدد المتأثرين بهم من الناس العاديين لا بُدّ أن يكون أكثر، وتشير المصادر إلى تراجع عددٍ كبير ممن قالوا بالوقف عن رأيهم فيما بعد، وتسليمهم بإمامة الإمام الرضا عليه السلام.

صناعة الأدلة

ومن أجل أن تكون الفكرة مقبولة فإنّها تحتاج إلى تنظير واصطناع أدلة، وهذا ما قام به زعماء الواقفة، فقد رووا عن الإمام جعفر الصادق أنّه قال في حقّ ابنه الإمام الكاظم: «هُوَ القائِمُ المَهْدِيّ فَإِنْ يُدَهْدِه رَأسَهُ عَلَيكُمْ مِنْ جَبَلٍ فَلا تُصَدِقُوا فَإِنَّهُ القائِمُ»[٣].

وأنّه قال: «صاحبكم قائمكم، ألا وهو سميّ صاحب التوراة»[٤].

وزعموا أنّ موسى بن جعفر حيّ لم يمت، وأنّه المهدي المنتظر، وقالوا إنّه دخل دار الرشيد [أي السجن] ولم يخرج منها وقد علمنا إمامته وشككنا في موته فلا نحكم في موته إلا بيقين[٥].

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٤٣.
(٢) الواقفة، رياض محمد نجيب الناصري، ج١، ص٢١٤.
(٣) فرق الشيعة، النوبختي، ج١، ص٨٠.
(٤) المِلل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني، ج١، ص١٩٧.
(٥) الفرق بين الفرق، البغدادي، ص٦٣.

كما احتجّوا بأنه لو كان الإمام الكاظم قد مات، وكان ابنه عليّ الرضا الإمام من بعده، لوجب أن يحضر وفاته وأن يقوم بتغسيله؛ لأنّ الإمام لا يغسّله إلا الإمام. وحيث لم يشهد الناس حضور عليّ الرضا من المدينة إلى بغداد ليتولى تغسيل أبيه، فدّل ذلك على أنّ الميت لم يكن الإمام الكاظم، وأنّ ابنه ليس إماماً.

هذه عيّنات من الأدلة التي اصطنعوها وافتعلوها لتمرير فكرتهم في أذهان الناس؛ لأنّ المتمصلحين من الفكرة هم القيادات، أمّا سائر الناس فيقبلونها بدافع ديني، لانطلاء الشبهة عليهم.

إنّ هذا الحدث يُسلّط الضوء على قضية مهمة وهي خطورة تطويع الدين لخدمة توجّهات مصلحية، باختلاق حديث، أو تكلف تأويل، والإمكانية قائمة متوفرة؛ لأنّ النص الديني مفتوح على الإضافة والزيادة، عدا القرآن الكريم، الذي تتحمّل آياته كما الأحاديث مختلف التفسيرات والتأويلات، وقد ورد عن عليّ عليه السلام قوله: «إنّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ»[1].

وقد رأينا عبر التاريخ كيف استغلّ الدين لخدمة مشاريع سياسية، ومصالح مالية، ومكاسب اجتماعية.

تبرير السّياسات

كان بعض الخلفاء والحكام يستعين بفقهاء ومحدثين يبررون سياساته وتصرفاته الجائرة، ليقبلها الناس ولا يقاومونها ما دامت تستند إلى رأي شرعي.

ويذكر التاريخ أنّه لما ولي يزيد بن عبد الملك قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز، فمكث كذلك أربعين ليلة، فأتي بأربعين شيخًا فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب[2].

(١) نهج البلاغة، وصية رقم ٧٧.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج٧، ص٢٨٠.

وقال منصور بن أبي مزاحم: سمعت الوزير أبا عبيد الله يقول: سألني المنصور: ما كان أشياخك الشاميون يقولون؟ قلت: أدركتهم يقولون: إنّ الخليفة إذا استخلف غفر له ما مضى من ذنوبه، فقال: إيْ والله، وما تأخّر»[١].

ونقل الشيخ ابن تيمية في منهاجه: وأمّا غالية الشاميين أتباع بني أمية فكانوا يقولون إنّ الله إذا استخلف خليفة تقبل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات وربما قالوا إنه لا يحاسبه[٢].

ونقرأ في سيرة الخليفة العباسي هارون الرشيد أنّه أعطى الأمان وصالح العلوي الثائر عليه يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثم سجنه وأراد التخلص منه، لكنه كان قد أعطاه عهد أمان مكتوب، ويعرف الناس ذلك، فكيف يبرر نقضه للأمان وخيانته بالعهد؟

هنا دعا إليه القضاة والفقهاء ليجدوا له مخرجًا ليتحلّل من العهد الذي بذله ليحيى، ولينقض الأمان الذي منحه له، واستدعى يحيى من السجن ليحضر هذا المجلس الذي حضره الفقهاء، وفيهم: محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي، وخرج إليهم مسرور [خادم الرشيد] بالأمان، فبدأ محمد بن الحسن فنظر فيه فقال: هذا أمان مؤكّد لا حيلة فيه.

واستلبه أبو البختري فقال: هذا باطل منتقض، قد شقّ عصا الطاعة وسفك الدم فاقتله ودمه في عنقي.

فدخل مسرور إلى الرشيد فأخبره فقال له: اِذهب فقل له: خرقه إنْ كان باطلاً بيدك، فأخذ أبو البختري سكينًا وجعل يشقه[٣]. ولم يتأخر الرشيد عن تصفية يحيى بعد استصدار هذه الفتوى.

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٦، ص٧٦.
(٢) منهاج السنة، ج٢، ص٢٢٨.
(٣) مقاتل الطالبيين، ص٤٠١.

استغلال الدين لكسب الجمهور

وفي اتّجاه آخر طالما استغلّ الدين من قبل بعض الجهات المنتمية للحالة الدينية، لكسب الجمهور، وتعزيز النفوذ الاجتماعي، وذلك باللعب على المشاعر ودغدغة الأحاسيس والعواطف الدينية الولائية.

فالجمهور المسلم محبّ لرسول الله ﷺ وأهل بيته الاطهار عليهم السلام وصحابته الأخيار رضي الله عنهم، هذه المحبة استغلّتها بعض التوجّهات لنشر ثقافة الغلو والمبالغة في الطقوس والمظاهر العاطفية، على حساب الارتباط الواعي بالقيادات الهادية، والأخذ بتعاليمهم والاقتداء بسيرتهم.

لقد رفض رسول الله ﷺ أن تقدّس وتعظّم شخصيته باختلاق معاجز وفضائل وكرامات غير واقعية، فحين مات ولده إبراهيم، اتّفق كسوف الشمس في ذلك اليوم، فقال الناس كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلّوا وادعوا الله[1].

وفي الوسائل عن عليّ بن عبدالله قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: إنّه لما قبض إبراهيم بن رسول الله ﷺ انكسفت الشمس، فقال الناس: انكسفت الشمس لفقد ابن رسول الله ﷺ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيّها الناس، إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره، مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فاذا انكسفتا أو واحدة منهما فصلّوا، ثم نزل فصلى بالناس صلاة الكسوف[2].

لكن ما حدث في العصر الأموي، كان اختلاق الأحاديث، واصطناع الروايات والقصص في فضائل الصحابة مقابل فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. كما نشأت حركة

(١) صحيح البخاري، باب الصلاة في كسوف الشمس، حديث٩٩٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج٧، ص٤٨٥، حديث١٠، باب وجوبها لكسوف الشمس وخسوف القمر.

الغلوّ في الإمام عليّ عليه السلام الذي واجهها بقوة وحزم، وقال عليه السلام: هَلَكَ فِيَّ رَجُلاَنِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ[1]. فالمغالي هالك وإنْ بالغ في إظهار المحبّة والولاء لعليّ، تمامًا كما أنّ من يبغضه مستحق للهلاك والغضب الإلهي.

وتوالت كلمات ومواقف أئمة أهل البيت الرافضة للغلوّ والمحذّرة منه، كالقول المروي عن الإمام الصادق عليه السلام: اِحذَرُوا على شَبابِكُمُ الغُلاةَ لا يُفسِدُونَهُم؛ فإنَّ الغُلاةَ شَرُّ خَلقِ اللّه، ثم قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله[2].

وهنا يعتبر الإمام عليه السلام أنّ الغلوّ فيهم أخطر وأسوأ من التقصير في حقّهم.

إنّ لائمة أهل البيت عليهم السلام ميزات وفضائل حقيقية، تتمثل فيما ورد في شأنهم من آي الذكر الحكيم، والأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وما انفردوا به من كفاءة علمية لا تضاهى، وسيرة مشرقة لا غبار عليها، وكرامات ظاهرة شهدتها الأمة. فهم ليسوا بحاجة لأنْ تختلق لهم معاجز أسطورية.

كما أنّ ما واجهوا من حيف وجور، وما تحمّلوا من مصائب ومعاناة واقعية في حياتهم تكفي لإبراز ظلامتهم وصمودهم واستقامتهم، وتأكيد التفاعل العاطفي لجمهور الأمة تجاههم.

أمّا التوسّل بالكذب، والاعتماد على روايات غير معتبرة، وقصص مختلقة، والمبالغة في الطقوس والمظاهر غير اللائقة، فذلك ما لا نعتقد برضا أهل البيت به، ولا يحقق ما أمروا به من جذب مودّة الناس إليهم وإلى شيعتهم، كما في الحديث المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام: رحم الله عبدا استجرّ مودّة الناس إلى نفسه وإلينا»[3].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٥١١.
(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص٦٥٠، حديث١٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٢ ص٧٧، حديث ٦٢.

التصدّي لظاهرة المتاجرة بأهل البيت

وقد تصدّى علماء الشيعة المحققون والمخلصون لمواجهة ظاهرة المتاجرة بفضائل ومصائب أهل البيت، عبر الأساليب غير المنضبطة بضوابط الشرع والعقل.

ومن تلك الجهود المهمّة في مواجهة هذه الظاهرة ما كتبه المحدّث الخبير الشيخ حسين النوري (توفي ١٣٢٠هـ) صاحب مستدرك الوسائل المصدر الحديثي المعروف، فقد ألّف كتابًا بعنوان (اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر) ركز فيه على شرطين للخطابة الحسينية، هما: الإخلاص والصدق.

وقد حذّر الشيخ النوري من المتاجرة بذكر أهل البيت ﷺ لنيل المكاسب المادية والنفوذ الاجتماعي، مستشهدًا بعدد كبير من الأحاديث والروايات.

كما تحدّث بالتفصيل عن خطورة التساهل في نقل الروايات والأخبار من مصادر غير معتبرة، مشيرًا إلى بعض تلك المصادر التي ينقل منها بعض الخطباء فضائل ومصائب أهل البيت ﷺ، وفيها أكاذيب وأساطير لا يقبلها العقل.

ومنها كتاب (محرق القلوب) للشيخ مهدي النراقي الذي قال عنه أنه من أعيان علماء الدهر، واعترف له عظماء الدين بالفضل وعلوّ المقام في العلم، لكنه يورد في كتابه هذا مطالب منكرة تجعل الناظر البصير يتعجّب من كتابة هكذا عالم لهكذا مطالب[1]!

ومنها كتاب (مقتل الحسين) المنسوب لأبي مخنف لوط بن يحيى وهو من كبار المحدّثين، ومعتمد أرباب السير والتواريخ، و(مقتله) في نهاية الاعتبار على حدّ تعبيره إلا أنّ نسخته الأصلية مفقودة، والموجود منه نسخة محرّفة، تشتمل على بعض المطالب المنكرة المخالفة لأصول المذهب، ولا بُدّ أن الأعادي والجهّال هم الذين

(١) اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، ص١٩٦.

أدخلوا تلك المطالب في ذلك الكتاب لأجل بعض الأغراض الفاسدة[١].

ومنها كتاب (اللهوف) للسيّد ابن طاووس وهو عالم جليل القدر عظيم المنزلة وصاحب كرامات باهرة ومناقب فاخرة على حدّ وصفه لكنه ألّف هذا الكتاب في ريعان شبابه وأوائل عمره، وهذا كافٍ في وضوح عدم إتقانه واستحكامه مثل سائر مؤلفاته الجليلة الأخرى[٢].

ومنها كتاب (أسرار الشهادة) للفاضل الدربندي، وهو من العلماء المبرزين والأفاضل المعروفين، وليس لإخلاصه لخامس آل العبا حدّ ولا نظير، إلا أنّ هذا الكتاب ليس له أيّ وقع ولا اعتبار لدى علماء هذا الفنّ، وجهابذة الحديث والسير، بل إنّ الأخذ عنه والاعتماد عليه، يدلّ على ضعف الناقل، وقلة بصيرته في الأمور[٣].

ومنها كتاب (المنتخب) للشيخ الطريحي المشتمل على الموهنات[٤].

وحين ينتقد الشيخ النوري هذه الكتب فإنه يشيد بمؤلفيها لإرساء منهج النقد والتمحيص العلمي، بعيدًا عن الشخصنة والانبهار بشخصية مؤلّف الكتاب.

ويشير أخيرًا إلى أضرار وخطورة نقل الأكاذيب والأساطير بقوله: «والنتيجة الظاهرة لذلك وثمرته الواضحة إدخال الوهن العظيم على الدين ومذهب الجعفرية وتقديم أسباب السخرية والاستهزاء والضحك للمخالفين، حيث يقيسون أحاديث ومنقولات الإمامية على هذه الأخبار الموهونة، والقصص الكاذبة، حتى إنّهم كتبوا في كتبهم أنّ الشيعة بيت الكذب. وإن كان هناك من ينكر هذا القول فإنه يكفيه أن

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٧.
(٢) اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، ص ١٨٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

يراجع المقتل المعروف[١] فضلًا عن نظائره ليرتفع إنكاره ويثبت عنده ذلك»[٢].

ومع أنّ الشيخ النوري نفسه محدّث يؤخذ عليه في سائر كتبه نقل الأحاديث الضعيفة، ففي بعض كتاباته قد نجد موارد شبيهة بما ينتقده في الكتب المذكورة. إلا أنّه في هذا الكتاب مارس دور الباحث الناقد والفقيه المسؤول، وليس دور المحدّث الجامع للروايات والأخبار.

فجاء كتابه بحثًا علميًّا رائعًا ينطلق من الإخلاص للدين والعلم، والغيرة على المذهب، وعلى سمعة أهل البيت وشيعتهم.

وكما قال عنه الشهيد الشيخ مرتضى المطهري: رغم أنّه كتاب صغير إلا أنه ممتاز للغاية.. وأنا لا أتصور أنّ هناك كتابًا فصل القول حول الكذب وأنواعه كما نرى في هذا الكتاب، وربما لا يوجد لهذا الكتاب نظير في العالم[٣].

وحريٌّ بكلّ خطيب أو ناشط في ميدان الشعائر الدينية، أن يقرأ هذا الكتاب، بل ينبغي لكلّ شيعي أن يطّلع عليه.

إنّه لا ضمانة لحماية الدين من التلاعب واستغلاله لخدمة التوجّهات المصلحية، إلا بتصدّي العلماء الواعين، وبارتقاء وعي الجمهور.

---

(١) لعله إشارة إلى أسرار الشهادة كما يظهر من العبارات اللاحقة. هامش الكتاب.
(٢) اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، ص ٢٢٩.
(٣) الملحمة الحسينية، ج١، ص١٩.

الموضوعية في توصيف الخُصُوم

سُئِلَ علي ﷺ عَنْ قَتْلَى الْجَمَلِ، أَمُشْرِكُونَ هُمْ؟ قَالَ: «لا، بَلْ مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا» قِيلَ: فَمُنَافِقُونَ؟ قَالَ: «لا، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلًا» قِيلَ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: «إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا»[1].

في الخصومات العقدية والسياسية والاجتماعية، يكون للإعلام دورٌ كبيرٌ كسلاح في معركة المواجهة، بين الأطراف المتنازعة.

فكلّ طرف يستخدم الإعلام ضدّ الطرف الآخر، لتحقيق أهداف، من أبرزها:

أولًا: تعبئة الأتباع ورفع معنوياتهم بإقناعهم، أنّ من يواجهونه سيئ، وخطير على مصالحهم، وأنه لا بُدّ من مواجهته.

ثانيًا: التأثير على ساحة الطرف الآخر، بزعزعة ثقتهم بأنفسهم وقيادتهم ومشروعهم، من أجل إيقاع الهزيمة النفسية بهم.

ثالثًا: كسب الرأي العام بإثبات سوء وعدوانية الطرف الآخر ومبررات مواجهته.

وكلّما كان الإعلام موضوعيًّا يتوخّى الصدق والدقة في الأخبار والمعلومات، كان أقدر على التأثير وتحقيق أهدافه المرجوة.

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة. ج٨، ص ٧٠٧، حديث٧، وورد في مستدرك الوسائل. ج ١١، ص٦٨، حديث١٩.

أمّا إذا كان إعلامًا تهريجيًّا، يستخدم الأكاذيب، ويستخفّ بعقول الناس، فإنه سيفقد مصداقيته، وينعدم تأثيره، حتى لو انخدع به بعض الناس لبعض الوقت، فإنّهم سيرفضونه حينما يكتشفون زيفه.

إدارة الخلافات والتهريج الإعلامي

وفي ساحتنا العربية يعاني الخطاب الإعلامي المواكب للصراعات والخلافات هشاشة وخفة، حيث تغلب عليه إلقاء التّهم جزافًا، وإطلاق التوصيفات زورًا. مما يجعله عاجزًا عن كسب ثقة المتلقّين وقبولهم، حتى ضمن دائرة منتجيه.

وتتركز هذه الحالة أكثر فيما يرتبط بالخلافات الدينية، حيث يكيل كلّ طرف للآخر أسوأ الاتّهامات والتوصيفات، دون أيّ ضوابط شرعية أو منطقية.

إنّه يمكن تفهّم الخلاف العقدي والفكري، وأنّ كلّ طرف فيه يرى أحقيّة موقفه ورأيه، وإنّ الطرف الآخر قد أخطأ الحقّ وسلك طريق الباطل، ومن الطبيعي أن يكون لكلّ طرف إعلامه وخطابه الذي يحصّن به أتباعه، ويعزّز قناعتهم بمذهبهم وطريقتهم، ويبيّن الأخطاء والانحرافات التي يرى أنّ الطرف الآخر قد وقع فيها.

كما يمكن تفهّم الصراع على المكاسب والمواقع، واتّهام كلّ طرف للآخر بعدم الجدارة والاستحقاق، وما يتبع ذلك من ادّعاءات واتّهامات، يجتهد كلّ طرف في دعمها بالأدلة وأساليب الإقناع للمتلقين.

لكن ما لا يمكن فهمه عرض تهم وتوصيفات لا يقبلها عقل ولا منطق، تخالف الحقائق والوقائع الواضحة، مثلما كان يشاع عن وجود إضافة في الخلقة في أجسام أتباع مذهب معيّن، وهي ذنب كأذناب الحيوانات أسفل الظهر.

ونسمع الآن في غمرة الصراع السّياسي والطائفي في المنطقة توصيف الشيعة والإيرانيين بأنّهم مجوس، حيث كتب أحد منظّري هذا التوجه الطائفي كتاباً عنوانه

(وجاء دور المجوس)[1] وهو الدكتور محمد سرور زين العابدين وطبعه باسم مستعار، وتبنّت جهات نشره بشكل واسع.

وما زالت بعض المنابر والمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام تروّج لمثل هذا التوصيف، وهو توصيف لا يقبله عقل ولا منطق مهما كانت مبرّرات الصراع السياسي والطائفي، ذلك أنّ المجوسية ديانة سابقة كاليهودية والمسيحية، فكيف يوصف بها مسلمون من أهل القبلة؟

وإذا كان الأمر تعييرًا لهم بأصولهم السابقة قبل الإسلام فإنّ أصول العرب هي الوثنية وعبادة الأصنام، فهل يصحّ تعييرهم بذلك؟

ومثلما تروّجه بعض الأوساط من المتطرفين الشيعة أنّ أهل السنة يبغضون أهل البيت وأنّهم أعداء لهم، مع أنّ كلّ سنّي يختم صلاته بالصلاة على محمد وآله في تشهد كلّ صلاة، وتعجّ كتبهم بذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام!!

ومن شواهد هذه التوصيفات والاتّهامات المفضوحة ما نشرته جريدة «الشرق الأوسط» يوم الأحد الماضي (٢٠ صفر/ ٢٠ نوفمبر) على صدر صفحتها الأولى، من التحذير من حالات حمل غير شرعي في أوساط الزائرين للإمام الحسين بن عليّ بمناسبة ذكرى أربعين استشهاده في كربلاء، حيث يشارك ملايين الشيعة من مختلف أنحاء العالم في مراسيم هذه الزيارة في أجواء دينية ولائية.

والأكثر افتضاحًا أنّها نسبت الاتّهام لمنظمة الصحة العالمية، التي سارعت إلى تكذيب هذا الادّعاء، وأنه افتراء على المنظمة، وحذّرت من زجّ اسم المنظمة في مثل هذه الأكاذيب.

---

(١) نشر عام ١٩٨١م باسم مستعار هو الدكتور عبد الله الغريب، ثم طبع باسمه الصريح، وقد صدرت الطبعة العاشرة عن دار الجابية، سنة ١٤٣٠هـ.

فبأيّ منطق يُتهم ملايين من المسلمين العاشقين لزيارة سبط رسول الله ﷺ بالدعارة والفحشاء؟

ومن المؤسف أن نجد جهات دينية تروّج لمثل هذه الأكاذيب المفضوحة بدافع طائفي، ولا يقتصر مثل هذا الأسلوب على جبهات الصراع بين الطوائف، بل نجده حتى في الصراعات الداخلية بين أجنحة الطوائف، والمذاهب.

فعلى أثر الخلاف الذي حدث في السّاحة الشيعية بعد بروز شخصية العالم الإحسائي الشيخ أحمد زين الدين (١١٦٦هـ ١٢٤١هـ) رحمه الله وانتماء جماعة لمدرسته العقدية التي تعرف باسم الشيخية، تحدّث يومًا أحد علماء الشيعة في العراق متناولًا شخصية الشيخ زين الدين بقوله: إنّه أحد قسيسي الغرب في (أندونيسيا) جاء إلى (البحرين) و(يزد)[1] .

فهل يجيز الخلاف معه في الرأي إنكار نسبه ودينه وانتمائه لبلده؟ مع أنّ عائلته وشخصيته معروفة في مجتمعه وفي الأوساط العلمية المختلفة.

إنصاف الخصوم

وهنا تبدو الأخلاقية العالية، والالتزام القيمي عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين رفض وصف مناوئيه الذين أعلنوا الحرب عليه، وخاضوا القتال ضدّه، رفض وصفهم بالشرك والنفاق، وحصر الخلاف معهم في إطار بغيهم وعدوانيتهم، مقرًّا بأخوّتهم الدينية، مع أنّه عليه السلام لو طبّق عليهم بعض النصوص وإخبارات رسول الله ﷺ عنهم، لكانوا مستحقين لأسوأ التوصيفات القادحة لدينهم.

لكنه أراد أن يرسي نهج الموضوعية والإنصاف في التعامل مع الخصوم. ينقل ابن أبي شيبة في المصنف أنّ عَلِيًّا عليه السلام سُئِلَ عَنْ قَتْلَى الْجَمَلِ، أَمُشْرِكُونَ هُمْ؟ قَالَ: «لا، بَلْ

(١) أعلام هجر، السيد هاشم الشخص، ج١، ص ٢٢٨.

مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا» قِيلَ: فَمُنَافِقُونَ؟ قَالَ: «لا، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلًا» قِيلَ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: «إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا»(١).

وجاء في وسائل الشيعة عن جعفر عن أبيه: «أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام لَمْ يَكُنْ يَنْسُبُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ حَرْبِهِ إِلَى الشِّرْكِ وَلَا إِلَى النِّفَاقِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: هُمْ إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا»(٢).

وفي هذا السياق نقل ابن ابي الحديد: عن عبد اللّه بن شريك قال: خَرَجَ حِجرُ بنُ عَدِيٍّ وعَمرُو بنُ الحَمِقِ يُظهِرانِ البَراءَةَ وَاللَّعنَ مِن أهلِ الشّام، فَأَرسَلَ إلَيهِما عَلِيٌّ عليه السلام أن كُفّا عَمّا يَبلُغُني عَنكُما، فَأَتَياهُ فَقالا: يا أميرَ المُؤمِنينَ، ألَسنا مُحَقّينَ؟ قالَ: بَلى. قالا: أوَلَيسوا مُبطِلينَ؟ قالَ: بَلى. قالا: فَلِمَ مَنَعتَنا مِن شَتمِهِم؟ قالَ: كَرِهتُ لَكُم أن تَكونوا لَعّانينَ شَتّامينَ، تَشتُمونَ وتَتَبَرَّؤونَ، ولكِن لَو وَصَفتُم مَساوِئَ أعمالِهِم فَقُلتُم: مِن سيرَتِهِم كَذا وكَذا ومِن عَمَلِهِم كَذا وكَذا، كانَ أصوَبَ فِي القَولِ، وأبلَغَ فِي العُذرِ. ولَو قُلتُم مَكانَ لَعنِكُم إيّاهُم وبَراءَتِكُم مِنهُم: «اللّهُمَّ احقِن دِماءَنا ودِماءَهُم، وأصلِح ذاتَ بَينَنا وبَينِهِم، وَاهدِهِم مِن ضَلالَتِهِم، حَتّى يَعرِفَ الحَقَّ مِنهُم مَن جَهِلَهُ، ويَرعَوِيَ عَنِ الغَيِّ وَالعُدوانِ مَن لَهِجَ بِهِ»(٣).

وعلى هذا الهدي الإسلامي العلويّ سارت المرجعية الدينية في العراق، فمع كلّ الفظائع والجرائم التي يرتكبها الدواعش في العراق، من سفك الدماء وهتك الحرمات، واستهداف الأبرياء في المساجد والحسينيات والأسواق والتجمعات الشعبية، إلّا أنّ المرجعية لم تطلق عليهم عنوان (النواصب).

فقد كنت بمحضر أحد أبرز المراجع في النجف الأشرف الشيخ محمد إسحاق الفيّاض، فسأله أحد السّادة عن الدواعش وهل تنطبق عليهم أحكام النواصب؟

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٨، ص ٧٠٧، حديث٧، وورد في مستدرك الوسائل ١١، ص ٦٨، حديث١٩.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٨٣.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ج٣، ص١٨١.

فأجاب: إنّهم بغاة مجرمون يُحاربون لبغيهم ولمواجهة عدوانهم، لكن لا يعتبرون نواصب؛ لأنّ الناصبي من يعلن بغض أهل البيت، وهذا لم نسمعه منهم.

ومن مصاديق هذا النهج في الموضوعية وإنصاف الخصوم والمخالفين ما يقرّره الفقهاء في مسألة جواز غيبة الفاسق المتجاهر بالفسق، من أنّ ذلك محصور فيما تجاهر به من الفسق، أمّا العيوب الأخرى فلا يجوز ذكره واستغابته بها.

يقول السيد السيستاني: المتجاهر بالفسق يجوز اغتيابه في غير العيب المتستر به[١].

وحين يتحدث العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَن ظُلِمَ﴾[سورة النساء، الآية: ١٤٨]، ويستنبطون منها أنه يجوز للمظلوم فضح الظالم والإجهار بظلامته، وأنّ ذلك حقّ له وليس مبغوضًا من قبل الله تعالى، فإنّهم في ذات الوقت يحصرون هذا الحقّ في مجال ما ناله من ظلامة، ولا يصحّ له أن يتجاوز ذلك لقذفه بتهم أخرى.

فإذا كان قد نهب ماله مثلًا يجوز له أن يعلن تلك الظلامة، ويشهّر بالمعتدي عليه وأنّه معتدٍ غاصب، لكن لا يجوز له أن يتّهمه بالزنا مثلًا، فإن اتّهمه صار معرّضًا لحدّ القذف.

يقول ابن عاشور في تفسيره: «وقد دلَّت الآية على الإذن للمظلوم في جميع أنواع الجهر بالسوء من القول، وهو مخصوص بما لا يتجاوز حدّ التظلّم فيما بينه وبين ظالمه، أو شكاية ظلمه: أن يقول له: ظلمتني، أو أنت ظالم؛ وأن يقول للناس: إنَّه ظالم. ومن ذلك الدّعاءُ على الظالم جهرًا؛ لأنّ الدعاء عليه إعلان بظلمه وإحالته على عدل الله تعالى، ونظير هذا المعنى كثير في القرآن، وذلك مَخصوص بما لا يؤدّي إلى القذف، فإنّ دلائل النهي عن القذف وصيانة النفس من أن تتعرّض لِحدّ القذف أو

(١) السيد السيستاني، منهاج الصالحين، الجزء الأول، باب التقليد، مسألة ٣٠.

تعزير الغيبة، قائمة في الشريعة»[١].

نحو مراجعة عميقة

إنّ الوسط الديني بحاجة إلى مراجعة عميقة، وإعادة نظر جريئة، في أساليب إدارة الخلافات الداخلية، بما يتواءم مع تعاليم الدين، ومكارم الأخلاق، ومنطق العقل، ذلك أنّ التديّن الذي لا ينعكس على سلوك المتديّن مع خصومه ومخالفيه، والتزامه العدل والإنصاف في التعامل معهم، هو تديّن زائف، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة المائدة، الآية: ٨].

كما أنّ المصداق الحقيقي للتحلّي بمكارم الأخلاق، إنّما يتجلّى في ضبط الإنسان لانفعالاته عند حالات الخصومة والعداء.

وحين يتحكم الإنسان بعقله، فسيهديه إلى أنّ الفوز والنجاح لا يُنال بالتهريج، والأكاذيب، والاتّهامات الباطلة، وكما قال الإمام عليّ عليه السلام: «مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ»[٢].

(١) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج٤، ص٢٩٤.
(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم رقم (٣٢٧).

سوق الوضع والاختلاق في الأحاديث

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إنَّ في أيْدي النَّاس حَقّاً وَ بَاطِلاً وَ صِدْقاً وَ كَذِباً وَ نَاسِخاً وَ مَنْسُوخاً وَ عَامّاً وَ خَاصّاً وَ مُحْكَماً وَ مُتَشَابِهاً وَ حِفْظاً وَ وَهْماً وَ لَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

قضى رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة وعشرين عامًا بين بعثته ووفاته، وهو يكدح في تبليغ رسالة الله للناس، لم يألُ جهدًا، ولا ترك وسعًا في تبيين مفاهيم الدين وأحكامه.

وحين رحل عن الدنيا، وكان لا بُدّ أن يرحل استجابة لسنة الله تعالى في الحياة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، التي لا تستثني نبيًّا ولا وليًّا ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

ترك لأمته سيرة مشرقة، وسنة هادية، وعترة طاهرة، إلى جانب كتاب الله تعالى، الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾.

وإذا كان القرآن الكريم محصّنًا بإرادة إلهية من أن تمسّ نصّه يد التحريف والتغيير، فإنّ السنة النبوية كانت في معرض هذا الخطر الذي أصابها حتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد اُختلقتْ عليه بعض الأقوال كذبًا، مما دفعه للتحذير الشديد حيث

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١٠.

قال ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١]، وقال ﷺ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أحدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَده مِنْ النَّار»[٢].

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٣].

وروى الإمام الجواد عن جدّه رسول الله ﷺ أنه قال: «قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ [الْكِذَابَةُ] وَسَتَكْثُرُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٤].

دوافع الوضع والتزوير

وإذا كان هناك من يتجرّأ على رسول الله ﷺ فيكذب عليه وهو حيّ يمارس دوره في قيادة الأمة، فإنّ حدوث ذلك بعد وفاته سيكون أكثر احتمالًا وتوقّعًا، وهذا ما حصل بالفعل، خاصة حين عصفت بالأمة الاختلافات السياسية والمذهبية، فقد حاولت بعض الأطراف تسويق نفسها، وتبرير سياساتها، والإعلاء من شأن رموزها وقياداتها، باصطناع أحاديث ونسبتها إلى رسول الله ﷺ.

لذلك اختلقت أحاديث في فضائل الخلفاء والحكام، من قبل الأوساط الموالية لهم والمرتبطة بهم، كما اصطنعت أحاديث في ذمّهم ومثالبهم من الأطراف المعارضة لهم.

وكذلك الحال في معارك الصراع المذهبي، حيث انتشرت أحاديث في الترويج لبعض الفرق والمذاهب وتمجيد أئمتها، يقابلها أحاديث في التحذير من هذه الفرق والطعن في زعاماتها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث ١٠٦.
(٢) صحيح مسلم، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، حديث ٣.
(٣) نهج البلاغة، خطبة (٢١٠).
(٤) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٥، حديث ٢.

ومن يقرأ مصادر ومجاميع الحديث لمختلف المذاهب الإسلامية، يجد أحاديث متبادلة بين الأطراف المختلفة في الفضائل والمثالب والغلو والقدح.

وللمندسين في صفوف المسلمين من أتباع الديانات السابقة، ومن الزنادقة ممن أظهروا الإسلام، وسعوا للكيد به من الداخل، لهؤلاء دور ملحوظ في دسّ الأكاذيب واختلاق الأحاديث ضمن ثقافة الأمة، حتى أصبح العلماء يتحدثون عن ظاهرة (الإسرائيليات)، ويقصدون بها الأخبار التي تسربت إلى الثقافة الإسلامية من قبل عناصر يهودية دخلت في الإسلام.

تزوير المتديّنين

لكن الدافع الأخطر لوضع الأحاديث هو التديّن الزائف، الذي دفع بشريحة من العلماء والزهّاد لوضع واختلاق أحاديث لغرض تشجيع الناس على الإقبال نحو الشعائر والممارسات الدينية، ولردعهم عن مخالفة بعض الأمور الشرعية، عبر اصطناع أحاديث للترغيب والترهيب، فمن صلى هذه النافلة أو قرأ هذه السورة، أو أتى بهذه الشعيرة الدينية فله ألف قصر وألف حورية في الجنة، وآلاف الحسنات، ومن لم يقم بهذا العمل أصابه هذا البلاء وذاك الضرر.

وضمن هذا السياق اختلقت أحاديث وأخبار عن معاجز وكرامات وهمية للنبي ﷺ أو لبعض الصحابة أو لأهل البيت عليهم السلام، وفي بعضها غلوٌّ فاضح، وذلك بمبرر توطيد ولاء الناس لقياداتهم الدينية.

ولأنّ أفراد هذه الشريحة ضمن السلك الديني، وظاهرهم الصلاح والزهد، فإنهم يتمتعون بثقة وقداسة في الأوساط الشعبية، توفّر لما ينتجونه ويبثونه أرضية القبول والتسليم.

كما أنّهم يجيدون دغدغة المشاعر الدينية، واستثمار عواطف الولاء الديني، وبذلك يخلقون للناس ثقافة دينية زائفة، قائمة على الكذب والافتراء، تصرف الناس

عن الاهتمامات الحقيقية، والأدوار البناءة لخدمة قيم الدين وإعمار الحياة. وتجعلهم يعيشون عالم الأوهام والأساطير والممارسات الطقوسية والشعائرية المتضخمة.

قال ابن الصلاح: «والواضِعُونَ للحديث أصناف، وأعظمهم ضررًا قوم من المنسوبين للزّهد وضعوا الحديث احتساباً فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركنوا إليهم»[١].

وقد تبنّى مقولته مع تغيير طفيف الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي والد الشيخ البهائي[٢].

ومن أمثلة ذلك ما رواه الحاكم النيسابوري: قِيلَ لأَبِي عِصْمَةَ (نوح بن أبي مريم توفي ١٧٣هـ)[٣]: «مِنْ أَيْنَ لَكَ عِنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ سُورَةٍ سُورَةٍ وَلَيْسَ عِنْدَ أَصْحَابِ عِكْرِمَةَ هَذَا؟، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الْقُرْآنِ، وَاشْتَغَلُوا بِفِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَغَازِي مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ فَوَضَعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ حِسْبَةً[٤].

وقيل عن غلام خليل: كان يتزهّد ويهجن شهوات الدنيا، وغلقت أسواق بغداد يوم موته، يسأل عن الأحاديث التي يحدّث بها، فيقول: وضعناها لنرقق بها قلوب العامة[٥].

وروي عن عبدالله بن المسوّر أنه: «كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ، وَلا

(١) معرفة أنواع علم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ابن صلاح، ص٢٠٤، دار الكتاب العلمية، ٢٠٠٢م.
(٢) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار ، ص ١١٥.
(٣) قال الحاكم في كتاب (المدخل إلى الصحيح): رزق من كلّ شيء حظًا إلا الصدق، ص٢٣٢.
(٤) المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل، للحاكم النيسابوري، ص ١٣٤، رقم ٤٢.
(٥) الموضوعات، ابن الجوزي، ١ج١، ص٤٠.

يضع إلّا ما فيه أدب، أو زهد، فيقال له في ذلك، فيقول: إنّ فيه أجرًا»[١].

وقيل لميسرة بن عبد ربه أحد الرواة : «من أين جئت بهذه الأحاديث؟ من قرأ كذا كان له كذا، قال: وضعته أُرغِّب الناس»[٢].

استخدام الكذب من أجل الدين

وفي كتاب (اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر) يتحدث الشيخ حسين النوري (توفي ١٣٢٠هـ) صاحب مستدرك الوسائل، عن ظاهرة الكذب والاختلاق للروايات والأخبار على لسان خطباء المنابر الدينية، والمبررات التي تجرّؤهم على ذلك، فيقول: «في ذكر بعض الشبهات التي حملت هذه الجماعة، بل بعض أرباب التأليف، على نقل الأخبار والحكايات التي لا أساس لها، والروايات التي لا يحتمل صدقها، أو التي يكون احتمال صدقها في غاية الضعف، وعلى افتراء الكذب، وجعل الأخبار ووضعها، واختلاق الحكايات المتضمنة للمصائب التي لا واقع لها، من أجل إبكاء المؤمنين وإضفاء الرونق على مجالس العزاء».

ويبيّن أنّ من ذلك: «ما نقل عن بعض مختلقي الكذب من الأخبار التي تمدح الإبكاء، وترغّب فيه، وما سُطّر في هذا المجال، مما يوحي بأن كلّ ما يحمل على البكاء، وما هو وسيلة للتفجّع وإسالة الدموع ممدوح ومستحسن، ولو كان كذبًا وافتراء».

ويضيف: «ولا يخفى على كلّ ذي شعور أنّ هذا النمط من الكلام خلاف ضروريات الدين والمذهب، وخروج عن الملة والإسلام. وجواب أصل هذه الشبهة مشروح في الفقه في كتاب المكاسب، ومجمله الذي يمكن إيراده هنا: أنّ المستحب مهما كان

---

(١) لسان الميزان، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج٥، ص ١٤، ترجمة بن المسور برقم ٤٤٦٣.

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي، ص ١٤٤.

عظيمًا، لا يمكنه أن يعارض الحرام مهما كان حقيرًا، ولا يطاع الله من حيث يعصى، ولا يكون ما يوجب عقوبة الله وسخطه داعيًا للتقرب منه، وأن مورد كلّ المستحبات ما كان جائزًا في نفسه، مباحًا بذاته، أما إذا كان حرامًا، وتترتب عليه مفسدة عظيمة، تستوجب توجه النهي عنه، لا يبقى لذلك المستحب محلّ ولا مجال».

ثم يقول: «إنّ إبكاء المؤمن مثل إعانته على الخير، وقضاء حوائجه، لا بُدّ فيه من إحراز جوازه أولًا، بإجماع العلماء على ما نقله الأستاذ الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري أعلى الله مقامه. أما الكثير من الوسائل التي تكون سببًا في الإبكاء أو الإعانة أو قضاء الحوائج، فلا يمكن إباحتها فيما إذا كانت في الأصل حرامًا، ولا يمكن لأخبار استحباب هذه الثلاثة أن تشملها وتخرجها عن الحرمة، فلا يمكن أن يصبح الظلم أو السرقة حلالًا، حتى لو كان في ذلك إعانة للمؤمن في أمر دينه أو في تزويجه. ومن أقبح المفاسد المترتبة على هذا النوع من الكلام، اختلاق الأكاذيب، وتجويز كلّ وسيلة محرمة تفضي إلى الإبكاء، إذ لا يوجد فرق في هذا الباب بين الكذب وسائر المحرمات وما قيل هناك يقال هنا» [1].

لهذه الأسباب والدوافع وغيرها راجت سوق الكذب، والوضع في الأحاديث والروايات والاخبار، مما أنتج تشويش الرؤية تجاه كثير من القضايا والمسائل الدينية، وانتشار أفكار وممارسات مبتدعة، وتضخّمًا في بعض الجوانب على حساب جوانب أخرى أكثر أهمية، وزيادةً في الفرقة والتباعد بين المسلمين، وغلوًّا في شخصيات الأنبياء والأئمة والأولياء.

سوق رائجة

إنّ الانسان ليذهل حينما يطّلع على الأرقام الهائلة للأحاديث والروايات التي يراها العلماء موضوعة أو غير معتبرة السند.

---

(١) اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، الشيخ حسين النوري، ص ٢١٩ – ٢٢١.

وربما وصل رصيد بعض الرواة إلى آلاف الأحاديث الموضوعة والمحرفة كـ (أحمد بن محمد المروزي) الذي يتهم بالتلاعب في أكثر من عشرة آلاف حديث، ونفس الرصيد لـ (صالح بن أحمد القيراطي) وبعضهم أربعة آلاف حديث، وثلاثة آلاف حديث، وأقلّ من ذلك وأكثر، حسب القائمة التي عرضها الشيخ عبد الحسين الأميني في كتابه: (الغدير في الكتاب والسنة والأدب)[1] حيث وصلت أرقام الأحاديث المكذوبة والمحرفة إلى (٤٠٨,٦٨٤) أربعمائة وثمانية آلاف وستمائة وأربعة وثمانين حديثاً!!

ومما يؤكّد ذلك ما يذكره أعلام المحدثين من انتقاء أحاديث كتبهم من بين أعداد ضخمة من الأحاديث التي أهملوها.

فالبخاري اختار أحاديث كتابه التي تبلغ بعد حذف المكرر (٢٧٦١) حديثاً، من أصل (٦٠٠,٠٠٠) حديث[2].

ومسلم اختار أحاديث صحيحه الأربعة آلاف دون المكرر من (٣٠٠,٠٠٠) حديث.

أما أحمد بن حنبل فقد انتخب أحاديث مسنده البالغة (٣٠,٠٠٠) حديث من أصل ٧٥٠,٠٠٠) حديث.

والشيخ المجلسي (توفي ١١١١هـ) في كتابه: (مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) صحح من كتاب (الكافي) للشيخ الكليني (٥٠٧٢) حديثًا من أصل (١٦,١٩٩) حديثًا.

وأخيرًا جمع الشيخ آصف محسني الأحاديث المعتبرة (من وجهة نظره) من كتاب (بحار الأنوار) للشيخ المجلسي، فلم تزد على ثلاثة مجلدات، بينما يقع (بحار الأنوار) في مئة وعشرة مجلدات!

---

(١) ج ٥، ص٤٦٧.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج٤، ص ١٩٠.

جهود تفضح الوضع والاختلاق

وهنا يجب أن نقدّر الجهود التي بذلها علماء الإسلام في مواجهة هذه المشكلة، حيث اجتهدوا في تمحيص رواة الأحاديث، وتقويم شخصياتهم، ليفرزوا الثقاة منهم عن الوضّاعين والكذابين، ومن أواخر تلكم الجهود موسوعة معجم رجال الحديث للسيد الخوئي وتقع في عشرين مجلدًا.

ووضع العلماء من السنة والشيعة، قواعد وضوابط في علم الرجال وعلم الحديث، وصنّفوا الكتب في رصد الوضّاعين والأحاديث الموضوعة، ومن أوائل هذه الكتب عند أهل السنة (علل الحديث ومعرفة الرجال) لعلي بن المديني (ت ٢٣٤هـ). وكتاب المجروحين من المحدثين لمحمد بن حِبان السجستاني (٣٥٤ هـ). ومن أبرزها في هذا العصر (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، في ثلاثة عشر مجلدًا.

وفي الجانب الشيعي كانت هناك جهود لشيخ القميين وفقيههم أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري في تنقية تراث أهل البيت من الغلاة والوضاعين، وهو من أصحاب الأئمة: الرضا والجواد والهادي عليهم السلام، حيث شهّر بالزنادقة والغلاة، وفضح دورهم في دسّ الأحاديث المكذوبة على أهل البيت، وضعّف الرواة والمشايخ المفتونين بتزويراتهم، واستنكر على العبّاد والقراء ما اخترعوه من صلوات وأدعية، وطرد من بلدة قم جمعًا من أولئك المغالين والوضاعين، ليحمي المجتمع من تأثيراتهم.

ثم جاءت جهود الحسين بن عبيد الله الغضائري (توفي ٤١١هـ) في علم الرجال، وجهود ابنه أحمد بن الحسين (توفي ٤٥٠هـ)، وجهود الشيخ أحمد النجاشي (توفي ٤٥٠هـ)، والشيخ الطوسي (توفي ٤٦٠هـ).

وإلى عصرنا الحاضر حيث صنّف السيد هاشم معروف الحسيني (توفي ١٤٠٣هـ) كتاب (الموضوعات في الآثار والأخبار) وكتاب (دراسات في الحديث والمحدثين)،

وصنف الشيخ محمد تقي التستري (توفي ١٤١٥ هـ) كتاب (الأخبار الدخيلة) في خمسة مجلدات.

كما بذل الشيخ محمد باقر البهبودي (توفي ١٤٣٦هـ) جهودًا كبيرة على هذا الصّعيد، وألّف عدة كتب نقدية وفرزية لعدد من مصادر الحديث عند الشيعة، كالكافي والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه.

وما يزال الشيخ آصف محسني يتابع جهوده في غربلة وتنقية التراث الحديثي للشيعة، حيث ألّف (مشرعة بحار الأنوار) أشار فيها إلى الأحاديث المعتبرة في كلّ باب من أبواب موسوعة البحار. وأصدر أخيرًا (معجم الأحاديث المعتبرة) في ثمانية مجلّدات تضم كلّ ما ثبت لديه اعتباره في مصادر الحديث الشيعية، وقد بلغت ١١,٦٥٨ حديثًا[1].

والمأمول أن تستمرّ مسيرة التحقيق والتنقيح للتراث، وأن تتكثف الجهود نحوها أكثر في هذا العصر، حيث تشتدّ الحاجة لإبراز معارف الدين الحقيقية، وإماطة ما لحق بها من تشويه وتحريف، وقد أصبحت الظروف حاليًّا مهيأةً لتوجّهات النقد والتحقيق أكثر من السّابق، لتراكم الخبرات والتجارب، وتقدم مناهج البحث العلمي، وتوفر الأدوات المساعدة، كتقنية المعلومات الإلكترونية.

امتداد مسيرة التضليل

وبالرغم من هذه الجهود التي بذلت وتبذل في تنقيح التراث، وتصفية وتنقية الأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته الكرام، إلّا أنّ هناك من يتجاهل كلّ ذلك، ويصرّ على الأخذ من كلّ ما في مخازن الحديث والروايات، بل يولي اهتمامًا أكبر للأحاديث والروايات الموضوعة، أو الضعيفة السند وفاقدة الاعتبار، إنّهم يأخذون روايات من كتب أُلفت في القرون المتأخرة كالقرنين التاسع والعاشر الهجريين وما بعدهما، دون

(١) دون المكرر، أما به فتبلغ ١٢,٩٩٠ حديثًا. راجع: معجم الأحاديث المعتبرة، ج١، ص٢٢.

وجود أثر لتلك الروايات في المصادر القديمة، ولا يسألون أنفسهم من أين وصلت هذه الروايات إلى مؤلفي هذه الكتب؟ هل نزل عليهم الوحي؟ أم أخبرهم بها الجنّ؟ أم اعتمدوا على مصادر لم يشيروا إليها؟

وحين يشيرون إلى بعض المصادر فإنّها مما لا يصحّ الاعتماد عليه، كالأخذ من كتاب مجهول المؤلف، أو من نسخة من كتاب لم تثبت صحة نسبته إلى مؤلفه.

فكيف يصحّ لمتشرّع الاعتماد على مثل هذه المنقولات، وترتيب الأثر عليها، ونشرها بين الناس منسوبة إلى النبي والأئمة، أو حاكية عن سيرتهم وحياتهم؟

وكنموذج على هذه الحقيقة ننقل ما توصّل إليه الشيخ محمد الرّي شهري واللجنة المساعدة له في تحقيق روايات واقعة الطف، يقول: «وردت في مصادر القرون الأخيرة، المئات بل الآلاف من الروايات الجديدة التي لا نجد لها أثرًا في المصادر القديمة».

كما أنّ «الأسلوب الذي اختارته المصادر الضعيفة في القرون الأخيرة لرواية واقعة عاشوراء، هو أُسلوب نسج القصص بدلًا من النقل التاريخي الموثّق، ولذلك فقد تحوّلت الروايات القصيرة في المصادر الأصليّة إلى قصص طويلة ذات الكثير من التفاصيل في هذا النوع من الكتب».

مؤكّدًا «تجاوز الكثير من المصادر المذكورة الحدود المعقولة، حتّى بلغت حدّ تجاهل كرامة أهل بيت الرسالة، بهدف إثارة عواطف الناس ومشاعرهم».

و (لم يدّعِ أحدٌ من مؤلّفي الكتب الضعيفة المعروفة أنّه كان تحت اختياره كتب معتبرة لم تكن في متناول الآخرين، وإنّما رواياتهم ليست مسندة عادة، بل أسندوا رواياتهم أحيانًا إلى كتب ضعيفة أمثالها «مع أنّ هذا الاستناد في بعض الموارد غير صحيح أيضًا»).

وتابع: (إنّ هذا النوع من الكتب يسند روايته أحيانًا إلى المصادر المعتبرة، ولكن

يتّضح من خلال الرجوع إلى المصادر المذكورة أنّ نقلهم كان خاطئًا) [١].

وهناك كتب أعلن العلماء المحققون شكّهم في صحة نسختها المتداولة؛ لأنّها لم تصل إلينا بطريق موثوق، (توضيح ذلك: أنّ كتاب المحاسن، ومجموعة كبيرة أخرى من المصادر التي اعتمد عليها كلّ من العلامة المجلسي، والمحدّث الحرّ العاملي، في تأليف موسوعتي البحار والوسائل، قد وصلت إليهم عن طريق الوجادة، أي عثروا على نسخة أو أزيد من هذه الكتب في بعض المكتبات، أو عند بعض الباعة، فاستنسخوها، أو اشتروها، وأدرجوا ما فيها من الروايات في كتابهم، لا أنّها وصلت إليهم بتلقّيها عن الشيوخ بالقراءة عليم، أو المناولة منهم، ونحو ذلك، طبقة بعد طبقة إلى أن تصل إلى مؤلفيها ليعلم صحة انتساب النسخ اليهم، كما هو الحال في الكتب الأربعة ونحوها)[٢].

والأدهى أنّ البعض لم يكتفِ بالنقل من هذه المصادر غير المعتبرة، بل أضاف إلى ذلك نقل المنامات والأحلام، والقصص المختلقة في الكرامات ونتائج بعض الأعمال والممارسات، مما يمكن اعتباره امتدادًا لدور الوضّاعين والمختلقين للأحاديث حيث تترتب عليه نفس النتائج والآثار.

وربما يكون دافع البعض في ذكر الأحاديث والروايات غير المعتبرة، والمنامات والقصص الأسطورية، في خطبهم وكتاباتهم، جذب المستمعين وجمهور المؤيّدين من عامة الناس، الذين يرتاحون لهذا النوع من الخطاب؛ لأنه يدغدغ مشاعرهم وعواطفهم الولائية، لكن ذلك يخالف تعاليم الدين، ويسبب غضب الربّ سبحانه، وتضليل الناس، وإلباس الحقّ بالباطل.

وقد يتكاسل البعض عن بذل الجهد في إعداد خطابه من المصادر المعتبرة،

(١) موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسّنّة والتّاريخ، ج٥، ص ٣٠٩.

(٢) قبسات من علم الرجال، أبحاث السيد محمد رضا السيستاني، جمعها ونظمها السيد محمد البكاء، ج٢، ص ١٧٠.

ويكتفي بالسائد المتداول من الحديث الذي لا يكلّف جهدًا في البحث والإعداد، لكن وسائل المعرفة أصبحت في متناول اليد، ويمكن الوصول إليها بأدنى جهد، حيث يستطيع الإنسان عبر محرّك البحث في الأجهزة التقنية، حتى ضمن الهاتف النقّال، الحصول على ما يشاء من النصوص الموثقة المعتبرة والمعلومات الصحيحة المفيدة.

دور الواعين

وواجب الواعين من أبناء الأمة العمل من أجل ترشيد الخطاب الديني، والاعتراض على حالات الإسفاف والتضليل في بعض الخطابات، والانحياز إلى جهود الإصلاح وتنقية التراث مما شابه من تحريف وتزوير، إذْ غالبًا ما يدفع من يتصدّى لهذا الدور الإصلاحي من العلماء والخطباء والكتاب ثمنًا باهظًا، بسبب تأليب العامة عليه من قبل المناوئين للتصحيح والإصلاح، المستفيدين من السّوق الرائجة للأساطير والخرافات.

ونختم بما رواه الْكَشِّيُّ: «عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا سَأَلَ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَ أَنَا حَاضِرُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، مَا أشدّك فِي الْحَدِيثِ وَأَكْثِرْ إنكارك لِمَا يَرْوِيهِ أَصْحَابِنَا، فَمَا الَّذِي يَحْمِلُكَ عَلَى رَدِّ الْأَحَادِيثِ؟

فَقَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لا تَقْبَلُوا عَلَيْنَا حَدِيثاً إِلَّا مَا وَافَقَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَوْ تَجِدُونَ مَعَهُ شَاهِداً مِنْ أَحَادِيثِنَا الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ سَعِيدٍ لَعَنَهُ اللَّهُ دُسَّ فِي كُتُبِ أَصْحَابِ أَبِي أَحَادِيثِ لَمْ يَحْدُثْ بِهَا أَبِي، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَقْبَلُوا عَلَيْنَا مَا خَالَفَ قَوْلَ رَبِّنا تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنَّا إِذَا حَدَّثَنَا قُلْنَا: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجِلَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

قَالَ يُونُسُ: وَافَيْتَ الْعِرَاقَ فَوَجَدْتُ بِهَا قِطْعَةً مِنْ أَصْحَابِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَجَدْتُ أَصْحَابَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَوَافِرِينَ، فَسَمِعْتُ مِنْهُمْ وَ أَخَذْتُ كُتُبَهُمْ فَعَرَضْتُهَا بَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَنْكَرَ مِنْهَا أَحَادِيثَ كَثِيرَةً أَنْ يَكُونَ

مِنْ أَحَادِيثَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ لِي: إِنَّ أَبَا الْخَطَّابِ كَذَبَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَعَنَ اللَّهُ أَبَا الْخَطَّابِ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابِ أَبِي الْخَطَّابِ يدسون هَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِي كُتُبِ أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَا تَقْبَلُوا عَلَيْنَا خِلَافُ الْقُرْآنِ فَإِنَّا إِنْ تُحَدِّثُنَا [حَدَّثَنَا] حَدَّثَنَا بِمُوَافَقَةِ الْقُرْآنِ وَمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ، إِنَّا عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ نُحَدِّثُ، وَلَا نَقُولُ: قَالَ فُلَانُ وَفُلَانُ فيتناقض كَلَامَنَا، إِنَّ كَلَامَ آخِرَنَا مِثْلَ كَلَامِ أَوَّلِنَا، وَكَلَامُ أَوَّلُنَا مِصْدَاقٌ لِكَلَامِ آخِرَنَا، وَإِذَا أَتَاكُمْ مَنْ يُحَدِّثُكُم بِخِلَافِ ذَلِكَ فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ وَقُولُوا: أَنْتَ أَعْلَمُ وَمَا جِئْتَ بِهِ، فَإِنَّ مَعَ كُلِّ قَوْلِ مِنَّا حَقِيقَةً وَعَلَيْهِ نُورٍ، فَمَا لَا حَقِيقَةَ مَعَهُ وَلَا نُورَ عَلَيْهِ فَذَلِكَ قَوْلُ الشَّيْطَانِ»[1].

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ج٢، ص ٤٨٩، حديث ٤٠١، وعنه: بحار الأنوار، ج٢، ص٢٥٠، حديث٦٢.

حماية مصالح المجتمع مقصد ديني

عَنِ الإمَام أبي محمد الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِشِيعَتِهِ فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ: أَمَرْنَاكُمْ بِالتَّخَتُّمِ فِي الْيَمِينِ وَنَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، وَالْآنَ نَأْمُرُكُمْ بِالتَّخَتُّمِ فِي الشِّمَالِ لِغَيْبَتِنَا عَنْكُمْ، إِلَى أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ أَمْرَنَا وَأَمْرَكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَيْكُمْ فِي وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ. فَخَلَعُوا خَوَاتِيمَهُمْ مِنْ أَيْمَانِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَبِسُوهَا فِي شَمَائِلِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: حَدِّثُوا بِهَذَا شِيعَتَنَا»(١).

التشريعات والأحكام الدينية قائمة على توخّي مصلحة الإنسان وإبعاد الضّرر عنه، على الصّعيدين المادي والمعنوي، فإذا ما طرأ ظرف أو نشأ وضع تغيّرت فيه هذه المعادلة، وأصبح التزام الحكم الشرعي موجباً للضرر والأذى، فإن الشارع المقدّس يعطل ذلك الحكم بحقّ المكلف، يضع له حكماً بديلًا يراعي مصلحته ويدفع عنه الضرر.

فمن القواعد التشريع الديني رفع الحرج والعسر والضرر، كما نصّ على ذلك القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[سورة الحج، الآية: ٧٨].

ويقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٨٥].

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص ٨١، حديث ٧.

ويقول تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١١٩].

وورد عنه ﷺ أنه قال: «لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ»(١).

وإذا كان هذا الأمر واضحًا على صعيد التكاليف الشرعية الفردية، كإفطار المريض في شهر رمضان، والتيمم بدل الغسل والوضوء عند الحرج، وتناول الطعام المحرّم عند الاضطرار، وما شابه ذلك من حالات فردية، فإن هناك التباسًا فيما يتعلق بالحالات والظواهر الاجتماعية، لذلك يقتضي الأمر التبيين والتوضيح، فلو كان الالتزام بحكم من الأحكام يوجب ضررًا على المصلحة العامة للمجتمع، فإن القيادة الدينية الجامعة للشرائط يمكنها التدخل لإيقاف ذلك الحكم وتغييره، بحكم تصدّيها لرعاية شؤون المجتمع وصلاحيتها الولائية.

إنّ أيّ قيادة لأيّ مجتمع إنساني صغيرًا كان أو كبيرًا، كقيادة أمة أو طائفة أو قبيلة، او فئة تكون معنية برعاية مصالحه، ودفع الأخطار عنه.

وإذا رأت القيادة الدينية حكمًا ما يعوق مصلحة مهمة للمجتمع ويسبب ضررًا عليه، فإنّها تتصرف وفقًا للقواعد الشرعية بالتوجيه إلى حكم ثانوي، أو إصدار حكم ولائي إداري، ويصبح هذا الحكم البديل هو التكليف الشرعي.

هذه المسألة ليست مجرد مسألة نظرية تحتمل النقاش والأخذ والردّ، بل تؤكّدها ممارسة فعلية وسيرة عملية، تعدّدت شواهدها في سيرة أئمة أهل البيت ﷺ، ومن سار على خطّهم من الفقهاء المراجع والقيادات الدينية. ونشير هنا إلى بعض تلك الشواهد.

(١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج٤، ص ٥٩، حديث ٩٤٩٨. والكافي، الشيخ الكليني، ج٥، ص ٢٩٢، حديث٢.

سبّ الإمام

لا شك أنّ سبّ الإمام عليّ وسائر الأئمة الأطهار من أكبر الكبائر والمحرّمات، بل ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سَبَّ عَلِيًّا، فَقَدْ سَبَّنِي»[١] وسبّ رسول الله كفر موجب للقتل، وكذلك هو حكم سبّ الإمام، كما يرى فقهاء الشيعة.

ومع فظاعة هذا الجرم، وصعوبة تقبّل المؤمن لارتكابه، إلّا أن الأمام عليًّا أجاز لشيعته أن يسبّوه، حينما يُفرض عليهم سبّه من السلطة الجائرة، حفاظًا عليهم وحماية لمصالحهم.

فقد روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ: إِنَّكُمْ سَتُدْعَوْنَ إِلَى سَبِّي فَسُبُّونِي، ثُمَّ تُدْعَوْنَ إِلَى الْبَرَاءَةِ مِنِّي وَإِنِّي لَعَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ»[٢]، ونحوه ما رواه الحاكم في مستدركه عنه عليه السلام: «إنَّكُم سَتُعرَضونَ عَلى سَبّي، فَسُبّوني، فَإِن عُرِضَت عَلَيكُم البَراءَةُ مِنّي فَلا تَبَرَّؤوا مِنّي، فَإِنّي عَلَى الإِسلامِ»[٣].

وجاء في نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام لأصحابه: «أما إِنَّهُ سِيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّأُوا مِنِّي، فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ»[٤].

قال ابن أبي الحديد في شرحه: «وكثير من الناس يذهب إلى أنه عليه السلام عنى زيادًا، وكثير منهم يقول: إنه عنى الحجاج أو المغيرة، والأشبه عندي أنه عنى معاوية؛ لأنه

---

(١) أخرجه الحاكم ج٣، ص١٢١. وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
(٢) الكافي، ج٢، ص٢١٩.
(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٢، ص ٣٥٨، حديث ٣٣٦٥/ ٥٠٢.
(٤) نهج البلاغة، خطبة ٥٧.

كان موصوفًا بالنهم وكثرة الأكل»[١].

ويعلق المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي على هذه الخطبة بقوله: «ويبدو من هذه العبارة أن السبّ سبّ الإمام عليّ أمر واجب إلزامي لا إباحي؛ لأنه يتضمن حفظ دماء الشيعة، وإيصال مبادئ مدرسة أهل البيت عليهم السلام. إلّا أنّ هذا الأمر قد يكتسب صفة الإباحة، كما عبّر عن ذلك علماء الأصول حيث أمر الوجوب يقتصر على احتمال المنع لتوهّم الخطر»[٢].

إنّ سبّ الإمام محرّم حرمة مغلّظة بالحكم الأولي الأصلي، لكن الإمام يضع أمام شيعته حكمًا ثانويًّا يجيز لهم سبّه متى ما اضطرتهم الظروف إليه؛ حفظًا لحياتهم ورعاية مصالحهم.

التختم بالشمال

كان من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يتختم بيمينه، أي يلبس خاتمًا في إصبع يده اليمنى، كزينة يتزيّن بها، وليختم به رسائله ومواثيقه، كما هو المتعارف في رسائل الزعماء ومواثيقهم الكتبية.

ولتأسّي المسلمين بنبيهم، واستنانهم بسنته، كان من يتختم منهم يحرص على التختم بيمينه. قال حماد بن سلمة: «رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي رَافِعٍ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ»[٣].

وهكذا حثّ أئمة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم على الأخذ بهذه السنة النبوية، التختّم باليمين، ولكنّ رأيًا ظهر لدى بعض علماء الأمة يقول بالتخيير في التختم بين اليمين

(١) شرح النهج، ابن أبي الحديد، ج٤، ص٥٤.
(٢) نفحات الولاية، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص ٤١٨.
(٣) صحيح سنن الترمذي للعلامة الألباني، ج٢، ص ٢٧٥.

والشمال، على أساس ورود ما يدلّ على أنّ النبي ﷺ قد تختم بعض الأحيان بشماله.

ولم يوافق على ذلك أئمة أهل البيت، الذين أكّدُوا على استحباب التختم باليمين فقط، وهذا ما التزم به شيعتهم، بينما راج الرأي الآخر لدى غيرهم، حتى أصبح التختم باليمين سمة تدلّ على الانتماء لخط أهل البيت عليهم السلام، في وقت كانت فيه السلطات العباسية تتحسّس من هذا الانتماء، وتراقب المتهمين به، وقد تتخذ تجاههم إجراءات عدائية، وكادت هذه السمة أن تسبب فرزًا لأتباع أهل البيت قد يؤدي إلى حصارهم وعزلهم في مجتمعات الأمة.

ولحماية المجتمع الشيعي من هذه الأخطار المحتملة أصدر الإمام الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت) توجيهًا يأمر فيه شيعته بالتختم بالشمال، خلافًا للحكم الشرعي الأصلي.

فقد جاء في تحف العقول ووسائل الشيعة: «عَنِ الإِمَامِ أبي محمد الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِشِيعَتِهِ فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ: أَمَرْنَاكُمْ بِالتَّخَتُّمِ فِي الْيَمِينِ وَنَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، وَالْآنَ نَأْمُرُكُمْ بِالتَّخَتُّمِ فِي الشِّمَالِ لِغَيْبَتِنَا عَنْكُمْ، إِلَى أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ أَمْرَنَا وَأَمْرَكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَيْكُمْ فِي وَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ. فَخَلَعُوا خَوَاتِيمَهُمْ مِنْ أَيْمَانِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَبِسُوهَا فِي شَمَائِلِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: حَدِّثُوا بِهَذَا شِيعَتَنَا»[1].

تحريم التبغ

كانت زراعة التبغ منتشرة في إيران، وكانت مصدر دخل لكثير من العوائل والمواطنين، من خلال البيع والشراء، لداخل إيران وخارجها، فحوالي ٢٠٪ من الإيرانيين كانوا يعملون في قطاع التبغ.

وجاءت شركة بريطانية واتفقت مع حاكم ايران الملك القاجاري (ناصر الدين

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص ٨١، حديث ٧.

شاه) أن تحتكر حقّ تجارة التبغ في إيران بيعًا وشراءً ، فلا يحقّ لمزارع أن يبيع نتاج زراعته من التبغ إلّا لهذه الشركة بالسعر الذي تحدده، وهي التي تقوم بتسويقه داخل وخارج إيران بالسعر الذي تريده.

وكان في ذلك حيف وجور على مصلحة المزارعين، وكانوا عاجزين عن مقاومة قرار الشاة. إضافة إلى ما يمنحه هذا الامتياز من فرصة لتغلغل نفوذ الاستعمار البريطاني.

وهنا تدخل المرجع الديني السيد محمد حسن الشيرازي المعروف بالمجدّد الشيرازي (١٢٣٠هـ - ١٣١٢هـ) فأصدر فتوى شرعية بتحريم التبغ بيعًا وشراءً واستخدامًا.

ومعلوم أنّ ذلك ليس حرامًا في الأصل، لكنّ القيادة الدينية أوقفت وجمّدت حكم الإباحة والجواز، وألزمت المجتمع بحكم بديل بالعنوان الثانوي، من أجل حماية مصالح المجتمع الاقتصادية والسياسية.

وأدّى ذلك إلى حراك شعبي كبير عرف بثورة التنباك سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، حتى اضطر ناصر الدين شاه إلى إلغاء الاتفاق مع الشركة البريطانية، وعادت الأمور إلى مجاريها، وانتهى صلاحية حكم التحريم الاستثنائي.

وهو شاهد من شواهد أولوية حماية مصالح المجتمع ولو اقتضت توقيف بعض الأحكام الشرعية.

التقية لحماية المصالح

ولاهتمام الدين بحماية الإنسان وحفظ مصالحه فردًا ومجتمعًا، شرّع أحكام التقية، والتقية من الاتّقاء والوقاية من الخطر والضرر.

وقد عرفها أحد العلماء بقوله: «ما يقال أو يفعل مخالفًا للحقّ لأجل توقّي

الضرر»[١]، وجاء في فتح الباري: «التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير»[٢].

وعرّفها الشيخ الأنصاري بقوله: «التحفّظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق»[٣].

فإذا عاش الفرد أو المجتمع في ظلّ واقع سياسي واجتماعي، ينكر عليه حريته الدينية، وأصبحت حياته أو مصالحه في معرض الخطر إذا أظهر معتقده، أو مارس شيئًا من شعائره الدينية، هنا لا يريد الدين للإنسان أن يُفرّط في مصالحه، بل يسمح له بالتكيّف مع الظروف المختلفة، بمنتهى المرونة التي تساعده على حفظ نفسه ومصالحه. وذلك تحت عنوان التقية، هذا العنوان الذي أصبح مثار لغط وتهريج ضمن أجواء الصراعات المذهبية، مع أنه مفهوم إسلامي عرضه القرآن الكريم في أكثر من مورد، كما تناولته الأحاديث النبوية، وأقوال المفسرين والفقهاء من السنة والشيعة.

ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[سورة آل عمران، الآية: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [سورة غافر، الآية: ٢٨].

وروت مختلف مصادر السنة النبوية أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَخَذوا عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ رَسُولَ الله ﷺ وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ثُمَّ تَرَكُوهُ. فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٣، ص٢٨٠.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ا بن حجر العسقلاني، ج١٢، ص ٣١٤.
(٣) رسالة في التقية، الشيخ مرتضى الأنصاري، ص٣٧.

وَرَاءَكَ»؟ قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ الله، وَاللهِ مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟». قَالَ: أَجِدُ قَلْبِي مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ. قَالَ: فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ»[1]، قال الحافظ ابن حجر: «واتفقوا على أنه (أي عمار) نزل فيه ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ﴾[سورة النحل، الآية: ١٠٦] »[2]. وقال أبو بكر الجصاص عن هذه الآية: «هذا أصل في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الإكراه»[3].

وجاء في كنز العمال عن عليّ عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لا تقية له لا دين له»[4].

وروى البخاري عن الحسن البصري قال: «التَّقِيَّةُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[5].

وناقش العلماء سعة ومحدودية استخدام التقية، هل يقتصر جوازها لدرء خطر الكافرين فقط؟ أم حتى لدرء الخطر ضمن المجتمع الإسلامي؟.

يرى الشيعة جواز التقية لكلّ حالات الحاجة إليها من الكافر أو الظالم المسلم، وكذلك مذهب الشافعي: «أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلّت التقية محاماة على النفس»[6].

كما أفتى علماء الحنابلة بجواز الصلاة خلف المبتدع والفاسق تقية[7].

وذكر الدكتور عبد الكريم الزيدان أنّ «التقية كما تجوز مع الكفار تجوز مع غيرهم إذا وجد الاضطرار دفعًا لتلف النفس بغير حقّ من قبل ظالم باغ ينتسب للإسلام.

قال الإمام السرخسي في مبسوطه: لا بأس باستعمال التقية وأنه يرخص له في ترك

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٢، ص ٣٥٧، حديث ٣٣٦٢/ ٤٩٩.
(٢) الإصابة ج٢، ص٥١٢.
(٣) أحكام القرآن ج٣، ص١٩٢.
(٤) كنز العمال، المتقي الهندي، ج٣، ص ٩٦، حديث ٥٦٦٥.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب قول الله تعالى: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.
(٦) تفسير الرازي، ج ٨ ، ص١٤، (آل عمران ٢٦ – ١٢٩).
(٧) الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية الكويتية، ج١٣، ص١٩٦.

بعض ما هو فرض عند خوف التلف على نفسه.

ولم يشترط السرخسي لجواز استعمالها مع الكفار وإنّما جعل مناط استعمالها خوف التلف على النفس.

وقال الإمام الجصاص وهو يتكلم عن النطق بالكفر عند الإكراه وإعطاء التقية في مثل ذلك إنّما هو رخصة من الله تعالى .. وهذا أيضًا يدلّ على ما دلّ عليه كلام السرخسي، وهو جواز استعمالها حيث وجد الاضطرار إليها»[1].

وإذا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام قد ركزوا كثيرًا على مسألة التقية، وتداولها شيعتهم أكثر من غيرهم، فذلك بسبب حاجتهم إليها في ظلّ ما واجهوه من قمع فكري، وتمييز وتهميش من قبل السلطات المختلفة.

من ناحية أخرى، فإنّ استخدام الشيعة للتقية يهدف إلى تجاوز حالة التوتر والتشنج في المجتمعات الإسلامية، فإذا كان هناك من تستفزّه بعض المقولات الشيعية، أو ممارسة الشيعة لشيءٍ من شعائرهم وأحكام مذهبهم، فإنّ الأئمة يوصون شيعتهم بتجنّب هذه الحالات، والتكيف والانسجام مع الأجواء السائدة في الأمة، تلافيًا للحرج والنزاع، بالتنازل عن حقّهم في التعبير عن الرأي وممارسة شعائرهم المذهبية. إلى أن ترتقي الأمة إلى مستوى الوعي والنضج الذي يقرّ الحريات الدينية، ويحترم حقوق الإنسان. وهذه المرونة ميزة تحسب للشيعة وليس مثلبة يعابون بها.

تصدّي القيادات ووعي المجتمعات

وإذا كانت حماية مصالح المجتمع مقصدًا دينيًّا، فذلك يستدعي اهتمام القيادات الدينية بتشخيص مصالح مجتمعاتها، وأن ترى نفسها معنية بحمايتها، وأن تأخذ أوضاع مصالح مجتمعاتها بعين الاعتبار، حين تصدر فتاواها الشرعية، وتنتج خطابها الديني.

(١) التقيّة في إطارها الفقهي، علي الشملاوي، ص١٤٩، عن كتاب: الدكتور عبد الكريم زيدان: مجموعة بحوث فقهية، ص٢١٣.

فهناك من القيادات الدينية من لا تجد نفسها معنية بذلك، وهي تستنبط الأحكام انطلاقًا من النصوص الشرعية، ومع المراعاة لآراء العلماء السابقين، دون اهتمام بدراسة الواقع الاجتماعي المعاصر، وما يحيط به من ظروف وتحدّيات.

من جانب آخر، فإنّ القيادات الدينية الواعية المهتمة بالمصالح الاجتماعية، تواجه في بعض الأحيان ضعف استجابة من المجتمع، بسبب وجود إصرار عند جهات محافظة على الآراء والتقاليد المألوفة، تأخذ منحى المزايدة على الدين والعقيدة والهويّة المذهبية.

وفي هذا السياق ينقل الشيخ مرتضى مطهري الحادثة التالية: «إنني أتذكر تلك السنوات التي عشتها في قم وكم من هذه المسرحيات المبتذلة، كانت تعرض على الناس آنذاك في السنين الأولى لمرجعية السيد البروجردي، حيث كان في أوج نفوذه، وجاء إليه البعض وشرح له وضع هذه المسرحيات، والوضع العام الذي يرافقها، فدعا سماحته في حينها جميع رؤساء الهيئات الحسينية إلى اجتماع في منزله، وسألهم يومها: أيّ المراجع تقلّدون؟ فقالوا له جميعًا: نقلّدك أنت. فقال لهم سماحته: إنّ فتواي بشأن هذه المسرحيات والتمثيليات التي تقيمونها بالشكل الذي سمعت حرام في حرام. فهل تعرفون ماذا كان ردّهم عليه؟ قالوا له: مولانا، نحن نقلّدك طوال العام ما عدا هذه الأيام الثلاثة أو الأربعة، فنحن لسنا من مقلّديك»[١].

وجاء في ترجمة السيد علي نقي الكشميري (١٩٠٠ - ١٩٧٦م) أنه أسّس ما عُرف في النجف الأشرف بشعار تشييع الزهراء فاطمة، إحياءً لمظلوميتها الزهراء، وكيفية دفنها ليلًا. ورغم أنّ السيد محسن الحكيم (وهو المرجع الأعلى) لم يمل إلى هذا واعتبره غير راجح إلّا أنّ السيد الكشميري أصرّ[٢].

(١) الملحمة الحسينية، الشيخ مرتضى المطهري، ج١، ص١٨٥.
(٢) مع الصادقين، السيد محمد حسن الكشميري، ج٣، ص٣٠.

التزمت في الدين: نشأته ومظاهره

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»(١).

وعنه ﷺ: «خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»(٢).

كان الإنسان قبل مجيء الإسلام يعيش تحت وطأة مختلف الضغوط والقيود التي تصادر حريته، وتقيّد نشاطه وحركته، وتمنعه من التعبير عن ذاته.

حيث كانت سلطة الحكام المستبدّين كأكاسرة الفرس وقياصرة الروم، الذين يستعبدون الناس ويسومونهم الذلّ والهوان، وكانت الزعامات القبلية التي تقرّر على أتباعها دون رأي منهم، فهي تفكّر بديلًا عنهم، وتقرّر عليهم.

وكانت الأعراف التقاليد التي لا فكاك لأفراد المجتمع من الالتزام بها، مهما كانت مؤذية لهم ومعوقة لمصالحهم.

والقيد الأكبر على الإنسان كان يأتي من تبنّيه وخضوعه للمعتقدات والأوهام الفاسدة التي ينظر من خلالها للكون والحياة، وتتأثر بها مواقفه وسلوكه.

فابتعث الله نبيه محمّدًا ﷺ ليحرّر الإنسان من كلّ هذه الضغوط والقيود، فيعيش حريته، ويُطلق العنان لفكره وإرادته، ويتمتع بالعزة والكرامة في حياته.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، حديث ٨٨١.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج١، ص١٢٧.

وكما وصف الله تعالى مهمة نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾

وأعلن ﷺ أنّ غاية دعوته أن يكون الناس مالكين لأمورهم، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ تُفْلِحُوا وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ، وَتَذِلَّ لَكُمُ الْعَجَمُ، وَإِذَا آمَنْتُمْ كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي الْجَنَّةِ»(١).

وهذا هو هدف كلّ الرسالات التي جاء بها الأنبياء السّابقون، لكن ما حدث هو وقوع التحريف والتزوير في تلك الرسالات، حتى أصبحت مبعث أسرٍ جديد للإنسان، ومصدرًا لكثيرٍ من القيود والحدود الضاغطة على حياته، والمقيّدة لحريته باسم الشرع والدين.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه الظاهرة التي حصلت في مجتمعات الديانات السّابقة، حيث حذّر أهل الكتاب من الغلوّ في دينهم، والإضافات التي أضافوها لمعتقدهم خلافًا للحقّ، يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّـهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

ويقول تعالى: ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّـهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّـهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٤٠].

وقد تكرّرت في القرآن الكريم الآيات التي تُندّد بتوسيع رقعة التحريم والمحرّمات في الدين، باعتبارها افتراءً على الله، ولأنها تشكّل قيودًا على حركة الإنسان في الحياة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[سورة المائدة، الآية: ٨٧].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّـهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّـهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّـهِ تَفْتَرُونَ﴾[سورة يونس، الآية: ٥٩].

(١) الإمام أحمد في مسند المكيين، حديث رقم ١٥٥٩٣.

التشدّد والتزمّت في الأديان

حين يُندّد القرآن الكريم بحالات التشدّد والتزّمت الديني في الأمم السابقة، إنما يستهدف تحذير الأمة من الوقوع في ذات المنزلق، ومع الأسف الشديد فقد ابتليت الأمة بمثل هذا الدّاء الوبيل، وتكونت فيها توجّهات متشدّدة متزمّتة حولت الدين إلى طقوس وشعائر تستهلك معظم وقت الإنسان وجهده، وإلى قائمة عريضة من المحرمات والممنوعات التي تحاصر حركة الإنسان في مختلف جوانب الحياة، وتحدّ من حريته، فكلّ شيء حرام، وكلّ شيء فيه إشكال، إذ يستخدمون قاعدة سدّ الذرائع بلا حدود.

ولكن لماذا تنشأ حالة التشدّد والتزمّت في الدين؟

يبدو أنّ هناك عوامل وأسبابًا وراء حدوث هذه الظاهرة، وأبرزها ما يلي:

أولاً: غياب القيم والاهتمامات الكبرى التي جاء من أجلها الدين، كإقامة العدل وهي المهمة الأساس التي نزلت من أجلها الرسالات الإلهية، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وكمهمّة إعمار الأرض واستثمار خيرات الكون، يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وكتحصيل المعرفة واستكشاف أسرار الكون، يقول تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وكحفظ لحقوق الناس واحترامها، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

حينما تغيب مثل هذه القيم والاهتمامات الكبرى، ويضعف حضورها في ساحة حياة المجتمع، يحصل التعويض عنها بالتعمق في جزئيات المسائل العقدية النظرية، والاستغراق في الطقوس والممارسات العبادية الشعائرية، والمبالغة في التحريمات والاحتياطات.

ثانيًا: تكوّن طبقة في الحالة الدينية تحترف التزمّت والتشدّد، وتعمل على نشره

والتبشير به، لخطأٍ في فهم المقاصد الدينية، أو لمصلحة ينشدونها من خلال تأكيد حضورهم عبر هذا التوجّه الذي يجد له روّادًا ومؤيّدين، بدافع ديني ساذج.

وعن وجود هذه الطبقة في الديانات السابقة يقول تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٤].

وتشير آية أخرى في القرآن الكريم إلى قيام هذه الطبقة بوضع إضافات من عنديّاتهم، ونسبتها إلى الدين، لتحقيق بعض المصالح والمكاسب، يقول تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّـهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٧٩].

ثالثًا: نشْأةُ ظروف وأجواء تدفع إلى حالة من المزايدات في الدين بسبب وجود تحدٍّ للهوية الدينية، أو صراع وتنافس بين أجنحة الحالة الدينية، حيث قد يدفع الشعور بالتحدّي للهوية إلى المبالغة فيها، كما قد يؤدي الصراع والتنافس بين الجهات الدينية، إلى سعي كلّ طرف لإظهار نفسه أنه أكثر التزامًا بالعقيدة ودفاعًا عنها، بينما يتّهم الأطراف الأخرى المنافسة بالميوعة والذوبان وتقديم التنازلات والمساومة على المبادئ.

الوقاية من التزمّت

من أجل حماية الدين من ظاهرة التزمّت والتشدّد أكّدت النصوص الدينية على أنّ طبيعة التشريع الإسلامي ومنهجيّته قائمة على أساس السّماحة واليسر، ورفع الحرج والعسر، مما يعني رفض توجّهات التزمّت والتشدّد.

يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٥].

ويقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٨].

ويقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّـهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٢٨].

وفي السنة النبوية الشريفة نجد أبوابًا تضمّ عددًا من النصوص في مصادر الحديث

تحت عنوان (الدين يسر)[١]، وعنوان (يسّروا ولا تعسّروا)[٢].

ومن تلك النصوص ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[٣].

وعنه ﷺ: «خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»[٤].

وعنه ﷺ أنه قال لأبي موسى ومعاذ حين بعثهما إلى اليمن: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا»[٥].

وعن عائشة أنها قالت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»[٦].

وورد أنَّ «أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[٧].

وقال ﷺ: «لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ»[٨].

ورأى رسول الله ﷺ «شيخًا يُهَادَي بينَ ابنَيْهِ، قالَ: ما بالُ هذا. قالوا. نَذَرَ أنْ يمشِي. قالَ: إنَّ اللهَ عن تعْذِيبِ هذا نفسَهُ لغَنِيٌّ. وأَمَرَهُ أنْ يَرْكَبَ»[٩].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج١، ص١٧.
(٢) نفسه، كتاب الآداب، باب قول النبي ﷺ: يسروا ولا تعسروا، ج٤، ص ١١٥.
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، حديث ٨٨١.
(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج١، ص١٢٧.
(٥) صحيح البخاري. حديث٦١٢٤
(٦) صحيح البخاري. حديث٣٥٦٠.
(٧) صحيح البخاري. حديث٦١٢٨.
(٨) سنن أبي داوود، ج٢، ص٤٥٧، حديث ٤٩٠٤.
(٩) صحيح البخاري، حديث ١٨٦٥.

وعنه ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَا دَامَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا»(١).

وورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «اجْتَهَدْتُ فِي الْعِبَادَةِ وَأَنَا شَابٌّ، فَقَالَ لِي أَبِي: يَا بُنَيَّ، دُونَ مَا أَرَاكَ تَصْنَعُ؛ فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً رَضِيَ عَنْهُ بِالْيَسِيرِ»(٢).

الحذر من توجّهات التشدّد

الظروف التي تمرّ بها مجتمعاتنا حاليًّا تجعل الأرضية مناسبة لنموّ توجّهات التزمّت والتشدّد، فهناك إقبال على الدين، قد يستغلّه البعض في تمرير ثقافة الغلوّ والاستغراق في الطقوس والشعائر، كما أنّ تفجّر صراع الهويات في المنطقة قد يشجّع على قبول المواقف البينية المتشنجة، وقد يكون من مصلحة الأطراف الخارجية الطامعة أن تدعم تيارات التطرّف والتشدّد.

لكلّ هذه الأسباب يجب الحذر واليقظة حتى لا تُستغلّ العواطف والمشاعر الدينية، وخاصة لدى فئة الشباب الناشئين الذين يمتلكون فائض طاقة تبحث عن تصريف. وعادة ما تتجه إليهم تيارات الغلوّ والتطرف، وذلك ما حذّر منه الإمام...

إنّ هذا الحماس العاطفي المتدفق عند جيل الشباب يجب أن يوجّه إلى تحصيل العلم والمعرفة، وتعميق الوعي، وبناء الكفاءة، وخدمة المجتمع والوطن، وزيادة الفاعلية في الإنتاج والعطاء.

يجب أن نقدّم لهذا الصّاعد المعارف الدينية الحقيقية، وثقافة التسامح والانفتاح، وأن نعلّمهم أنّ (أحبّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة) وأنّ (خير دينكم أيسره).

---

(١) كنز العمال، حديث ٥٣٤٨.

(٢) وسائل الشيعة، ج١، ص١٠٨، حديث٢٦٤.

الانطلاق من المشتركات منهج العقلاء

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّـهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

يعيش العالم هذه الأيام ذكرى ميلاد نبيّ الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي يُعدّ المسيحيون المنتسبون إليه أكبر كتلة في العالم، يليهم المسلمون، فهما أكبر كتلتين دينيتين على وجه الكرة الأرضية.

وقد احتفى القرآن الكريم بميلاد نبي الله عيسى عليه السلام حيث خصّص سورة باسم أمه (سورة مريم) تناول فيها تفاصيل ولادته، وكذلك في سورة (آل عمران)، وتكرر الحديث عن المسيح في أكثر من ٢٥ موقعًا في القرآن الكريم. مما يؤسّس لأرضية جيّدة من العلاقة بين المسلمين والمسيحيين.

علاقات طيّبة بين المسيحيين والمسلمين

وذلك ما كان في بداية الإسلام، حيث استقبل النجاشي المسيحي ملك الحبشة المهاجرين من المسلمين الفارين من قمع المشركين في مكة، وآواهم ورفض محاولات قريش لإرجاعهم.

وكان قد هاجر إلى الحبشة من مكة عشرات من المسلمين في السنة الخامسة من البعثة بتشجيع من رسول الله ﷺ، حيث قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه».

فغضبت قريش حين علمت عن استقبال النجاشي للمهاجرين، وبعثت (عمرو بن العاص) و(عبدالله بن أبي ربيعة) لإقناع النجاشي بطرد المهاجرين المسلمين وإرجاعهم إلى مكة. وقالا للنجاشي: (أيّها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين جديد لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم إليهم، فهم أبصر بهم، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه).

فاستدعى النجاشي مجموعة من المهاجرين يتقدّمهم جعفر بن أبي طالب وسأله: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الملل؟ وبعد أن شرح جعفر للنجاشي طبيعة الرسالة الإسلامية، والقيم التي تحملها، قال النجاشي لجعفر: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقرأ عليه آيات من مطلع سورة مريم، التي تحدّثت عن مكانة مريم عند الله، وكيف حملت بعيسى وقصة ولادته، وعظمة شأنه، فتفاعل النجاشي مع ما سمع، وتأثر كثيرًا، حتى بكى وأخضلّت لحيته بالدموع، وبكى الأساقفة الحاضرون.

وبعد صمتٍ قصير ساد المجلس قال النجاشي: «إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»[1].

وقد أشاد القرآن الكريم بهذا الموقف الإيجابي للمسيحيين تجاه المسلمين والدعوة الإسلامية يقول تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى

(١) الشيخ جعفر السبحاني، سيرة سيد المرسلين، ج١، ص ٤٥٥-٤٥٧.

الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ٨٢-٨٣].

تأثير الحروب المتبادلة

لكن المعارك التي حصلت بعد ذلك فيما عرف بالفتوحات الإسلامية، وزحف الجيوش العربية على أوروبا، ثم ما حصل في عهد الاستعمار من زحف الأوربيين على البلاد العربية والإسلامية، وقيام الحروب الصليبية والتبشير المسيحي، كلّ ذلك أوجد شروخًا واسعة بين المسيحيين والمسلمين، وخلق أجواءً من العداء المتبادل.

وفي هذا العصر بالذات أصبحت الظروف أكثر ملاءمة لتطوير العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، حيث يفترض أنّ الطرفين قد تجاوزا تأثيرات الحروب والمعارك التاريخية الماضية، وأصبحت هناك مؤسسات دولية ومواثيق تنظم العلاقة بين الدول والمجتمعات على أسس إنسانية حقوقية، وعلى معايير سياسية، تختلف عمّا كان سائدًا في عصر الدول الدينية، كما تداخلت المصالح بين الأمم والدول والمجتمعات، إذ تحوّل العالم إلى قرية واحدة، لا يستغني فيه طرف عن آخر.

واحتضنت المجتمعات المسيحية جاليات إسلامية كبيرة هاجرت من أوطانها إلى الغرب بحثًا عن فرص أفضل للحياة الكريمة، وأصبحت تتمتع بحريتها الدينية والسياسية، وتمارس دورها في الحياة العامة كجزء من تلك الدول والمجتمعات، وتبوأ بعض أبنائها الكفوئين مواقع قيادية متقدمة في السلطة السياسية والقضائية، وفي ميادين العلم والاقتصاد.

تحريض الصهاينة

والعامل الوحيد الذي يعكّر صفو العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في هذا العصر، هو انحياز معظم الدول الغربية إلى إسرائيل، ودعمها لأنظمة الاستبداد في العالم الإسلامي، لكن الفرصة متاحة للشعوب الإسلامية أن تؤثر في أجواء السّياسة الغربية، وأن تضغط على مواقف السياسيين فيها، لتواجه نفوذ اللوبي الصهيوني

المتغلغل في تلك الدول، بسبب فاعليته على الصُّعد المختلفة، لكن الأمة لم ترتقِ إلى مستوى التحدّي، ولم تحسن استثمار قدراتها وطاقاتها لخدمة قضاياها العادلة.

خاصة وأنّ اللوبي الصهيوني كان يقظاً وحذرًا من حصول أيّ تطور إيجابي في العلاقة بين المسيحيين والمسلمين، يمكن أن يوظّف في خدمة القضية الفلسطينية، وأن يؤثر على الدعم الغربي لإسرائيل.

لذلك فإنّ من الطبيعي أن يسعى هذا اللوبي الصهيوني إلى إثارة وتشجيع كلّ ما من شأنه تعقيد وتشويه العلاقة بين المسلمين والمجتمعات المسيحية، ويدخل ضمن نطاق هذا السعي تحريض المسلمين وتعبئتهم ضدّ المسيحيين، وتحريض المسيحيين وتعبئتهم ضدّ المسلمين.

هذا التحريض والتعبئة وإن صدرت من منطلق الغيرة على الدين، ومن أناسٍ صادقين في انتمائهم للإسلام أو المسيحية، فإنّ الصهاينة يستفيدون منها ويوجّهونها لخدمة أهدافهم، ونقصد هنا التحريض والتعبئة الدينية التي تستفزّ الجمهور عند الجهتين، كالدعاء على النصارى بالهلاك، وأن يرمّل الله نسائهم، ويتم أبناءهم، ويجفّف الدماء في عروقهم، إلى آخر ما يُدعى به في بعض المساجد والمنابر الإسلامية، وما يقابله من سخرية بنبي الإسلام، وبالقرآن الكريم من قبل بعض الجهات الغربية.

الإرهاب وتخريب العلاقات

وتأتي ممارسات الحركات الإرهابية المنتسبة للإسلام كعامل أخطر وأسوأ في تعقيد العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في هذا العصر.

حيث تستهدف الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال، في الأسواق والمطارات ومحطّات القطار، كما تستهدف التجمعات الدينية المسيحية، مثل الهجوم المريع الذي استهدف حشدًا لمحتفلين باليوم الوطني في مدينة نيس في فرنسا، وذبح القسّ الطاعن في السنّ (جاك هامل) البالغ من العمر ستة وثمانين عامًا بتاريخ ٢٦/ ٧/ ٢٠١٦م.

والتفجير الذي وقع داخل الكاتدرائية المرقسية بالعباسية وسط القاهرة، أثناء قدّاس يوم الأحد ١١/ ١٢/ ٢٠١٦م، وعملية الدهس لمتسوقي أعياد الميلاد في العاصمة الألمانية برلين يوم الاثنين الماضي ١٩/ ١٢/ ٢٠١٦م الذي أسفر عن مقتل ١٢ شخصاً، وجرح ٤٨ آخرين.

وما حدث للمسيحيين في العراق وسوريا وأماكن أخرى استهدفها الإرهابيون هذه الأحداث تخلق الآن أجواءً غير إيجابية تجاه المسلمين في العالم، فقد ازدادت شعبية الأحزاب اليمينية المناوئة للوجود الإسلامي في الغرب، وحصلت اعتداءات كثيرة على مساجد ومراكز إسلامية، وتعرّض كثير من المسلمين لمضايقات وإساءات في امريكا وأوروبا، وأصبح أيّ مظهر إسلامي قد يثير قلقًا واستفزازًا، ومن أواخر الأخبار على هذا الصّعيد إنزال مواطن عربي من الطائرة التابعة لخطوط دلتا أيرلاينز المتوجهة من لندن إلى نيويورك الأربعاء الماضي٢١/ ١٢/ ٢٠١٦م؛ لأنه تكلم مع أمّه باللغة العربية.

إرساء علاقات سلام واحترام

إنّ من مصلحة الإسلام والأمة إرساء علاقات سلام واحترام مع الأديان والأمم الأخرى، فذلك ينسجم مع مبادئه الإنسانية العادلة، ويتيح المجال لتعرف الآخرين على حقيقته وتعاليمه الجاذبة، ويصنع للأمة مكانة لائقة بين الأمم تحفظ مصالحها.

والاختلاف الديني والعقدي مع الأمم الأخرى لا يعني القطيعة والعداء معها، بل ينبغي الاتجاه للتعارف والحوار لاستكشاف مواقع الالتقاء، ومعالجة قضايا الاختلاف.

وهذا ما يدعو إليه القرآن الكريم، حيث أمر الله نبيه محمّدًا بأن يدعو أتباع الديانات السابقة أهل الكتاب إلى الانطلاق من المشتركات بين الأديان الإلهية السماوية، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّـهَ وَلَا

نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّـهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

هذه الدعوة العقلانية البنّاءة يجب تفعيلها في هذا العصر، وخاصة بين المسلمين والمسيحيين، وهما أكبر كتلتين دينيتين على وجه الكرة الأرضية، وانسجام العلاقة بينهما يخدم استقرار الأمن والسلام العالمي، ويصبّ في مصلحة البشرية جمعاء.

مساحات التلاقي والاشتراك

ومع الاختلاف الواضح بين المعتقد الإسلامي والمسيحي، لكن هناك مساحة كبيرة من التلاقي والاشتراك يمكن الانطلاق منها، واستثمارها في صنع أفضل العلاقات الإيجابية بين الطرفين.

ومن المساحات المشتركة بين الديانتين على الصّعيد العقدي:

١. الإيمان بالله الخالق لكلّ شيء.

٢. الإيمان باليوم الآخر.

٣. الإيمان بالوحي وأنّ الله قد بعث أنبياء ورسلًا وأنزل إليهم كتبًا وشرائع.

٤. الاهتمام بالبعد الروحي والبرامج العبادية.

وفي تفاصيل هذه المعتقدات هناك خلافات كثيرة، لكنها يجب ألّا تغطّي على الاشتراك في أصولها، وهذا ما يطلق عليه القرآن الكريم ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

وهناك المشترك الكبير في المجال القيمي الأخلاقي حيث تؤمن الأديان بالأخلاق الإنسانية الفطرية كالصدق، والعدل، والإحسان، والأمانة، ورفض الظلم والعدوان، وانتهاك كرامة الإنسان.

وتؤكّد الأديان على العفّة الجنسية، وحماية كيان الأسرة، كشرط ضروري لبناء مجتمع سليم.

وقد تجلّى بالفعل الإيمان بهذا المشترك العقدي والأخلاقي بين المسيحية والإسلام، في الموقف من التوجهات الإلحادية المنكرة للأديان ولوجود الله تعالى، وفي الموقف من النزعة المادية الطاغية التي تتجاهل البعد الروحي في حياة الإنسان، كما تجسّد هذا التلاقي والتقارب بين القيادات الإسلامية والمسيحية في التصدّي لمحاولات تشريع وتطبيع الابتذال الجنسي، والعلاقات المثلية، وتخريب كيان الأسرة، في كثير من المؤتمرات العالمية الدولية وذلك ما حصل في مؤتمر السكان الذي انعقد في بكين عام ١٩٩٥م مثلًا.

منهج العقلاء

إنّ البحث عن المشتركات والانطلاق منها هو منهج العقلاء في التعامل مع كلّ دوائر الاختلاف والتنوع الديني والفكري والسياسي، بينما يركز الجهّال والحمقى على نقاط الافتراق والاختلاف، وإن كانت قليلة ضئيلة في علاقتهم بالآخرين.

ونجد النموذج البارز لذلك الجهل والحماقة في الصراعات المذهبية الملتهبة داخل الأمة، مع أنّ مساحة التلاقي والاشتراك بين المذاهب الإسلامية هي المساحة الأوسع في العقيدة والفقه والتاريخ والمصلحة والتحدّيات، بينما تنحصر الخلافات في مساحة محدودة من التفاصيل.

بينما يدعو العقلاء المخلصون في الأمة إلى التعظيم من شأن الأصول والمبادئ التي تتفق عليها الأمة بشتى مذاهبها، وإدارة الحوار بموضوعية وحكمة في موارد الاختلاف العقدي والفقهي والتاريخي.

وإذا كان الإسلام يدعو إلى الاتفاق مع أصحاب الديانات الأخرى على كلمة سواء، فإنّ ذلك أولى وأحرى بين فئات الأمة الواحدة المنتمية إلى دين واحد.

وبهذه المناسبة ننعى للأمة الإسلامية فقد عالم من العلماء الربانيين المخلصين الذين حملوا هم الوحدة والتقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية، وهو آية الله الشيخ

محمد واعظ زاده الخراساني، الذي توفي يوم الأحد الماضي ١٨/ ١٢/ ٢٠١٦م عن عمر ينوف على التسعين عامًا في مشهد المقدّسة.

كان رحمه الله في طليعة العلماء الوحدويين، ليس على مستوى الدعوة والشعار فقط، بل على مستوى المقاربة الفكرية العقدية والتأصيل الشرعي الفقهي.

وقد ترك خلفه ثروة من الأفكار المهمة الجريئة على هذا الصّعيد، ضمّنها مؤلفاته القيمة، ومحاضراته في مختلف مؤتمرات الوحدة والتقريب، وكذلك ما أجري معه من حوارات ومقابلات نشرتها مجلات علمية مختلفة، ولعلّ من أهمها الحوار الذي نشرته مجلة (هفت آسمان) التخصصية في الأديان والمذاهب باللغة الفارسية، العدد التاسع والعاشر سنة ١٤٢٢هـ وترجم إلى اللغة العربية في أكثر من خمسين صفحة تحت عنوان (نظرات في التقريب بين المذاهب الإسلامية).

تغمّده الله بواسع رحمته وألهم ذويه ومحبّيه الصبر والسلوان، وخلف على الأمة بالخلف الصالح.

المسؤولية الفردية واستقلال الشخصية

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٨]

بعض المبادئ يُكرّر القرآن الكريم طرحها في أكثر من مورد من آياته الكريمة، مما يكشف أهميتها، وضرورة التأكيد عليها، ومنها مبدأ المسؤولية الفردية، وأنّ المرء مسؤول عن عمله، وأنه سيتحمّل دون غيره أعباء ونتائج عمله.

ففي خمسة موارد مختلفة يؤكّد القرآن الكريم هذا المبدأ، بتعبير واحد: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

والوزر هو الحِمْل، وهو ما يحمله المرء على ظهره.

- يقول تعالى في الآية ١٦٤ من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.
- ويقول تعالى في الآية ١٥ من سورة الإسراء: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.
- ويقول تعالى في الآية ١٨ من سورة فاطر: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾.

- ويقول تعالى في الآية ٧ من سورة الزمر: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.
- ويقول تعالى في الآية ٣٨ وما قبلها من سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

كما جاء التأكيد على نفس المبدأ بألفاظ وتعبيرات أخرى في عدد آخر من الآيات الكريمة، فلماذا التأكيد على هذا المبدأ؟

لأنّ الإنسان كثيرًا ما يغفل عن هذا المبدأ الأساس، فيقع في توجّهات وسلوكيات تقوده إلى الخطأ والانحراف، في تعامله مع ربه ومع الناس. ومن تجليات ذلك الصور التالية:

يوم لا تنفع القرابة

قد يندفع الإنسان نحو ذنب أو معصية لله تعالى، إطاعة لجهة تطلب منه ذلك، أو تجاوبًا مع رغبة من يحبّه أو يحترمه، أو له مصلحة معه، وهنا يحتاج الإنسان لاستحضار هذا المبدأ الذي تؤكّده الآيات الكريمة، ومفاده أنّ هذا الآخر لن يتحمّل عنك، ولن يتحمّل معك يوم القيامة نتائج المعصية والذنب الذي تقوم به، فستقف للحساب وحدك أمام الله تعالى، تحمل أوزار الذنب الثقيلة على ظهرك، وتواجه العذاب والعقوبة الإلهية، ولن يبادر أحد ممن دفعك إلى المعصية لمساعدتك، ولو استغثت بهم ورجوتهم، ولو كانوا من أقرب المقربين إليك، وأعزّهم عليك، كما تقول الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[سورة فاطر، الآية: ١٨].

أبوك وأمك أو زوجتك أو أولادك أو أصدقاؤك، لا ينبغي أن يدفعك التجاوب مع أحد منهم، للانزلاق نحو المعصية والخطأ، فإنّ أحدًا منهم لن يفيدك يوم القيامة؛ لأنّ كلّ واحد منهم مشغول يومئذٍ بنفسه، ولا فرصة ولا قدرة لديه للاهتمام بغيره، يقول

تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[سورة عبس، الآيات٣٣ـ٣٧].

فاحذر أن تقع في المعصية بتأثير ارتباطاتك العائلية.

تقف أمام الله فردًا

وقد ينتمي الإنسان لجماعة أو حزب أو تنظيم أو مؤسسة، أو يتبع زعيمًا دينيًّا أو سياسيًّا، وعليه أن يعلم أنّ كلّ الانتماءات يجب أن تكون تحت سقف القيم الدينية، فلا يدفعه انتماء أو اتّباع زعامة لتخطّي القيم والتعاليم الدينية؛ لأنّ الحساب يوم القيامة فردي وليس جميعًا، مما يعني أنّ كلّ إنسان سيقف أمام منصّة القضاء الإلهي بمفرده، بعيدًا عن قومه وجماعته، يقول تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[سورة مريم، الآية: ٩٥]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٩٤].

وحتى لا ينخدع أحدٌ بأيِّ وعود وهمية، من أيّ جهة تدّعي أنّها ستحميه يوم القيامة، وتغطي مخالفته ومعصيته، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[سورة العنكبوت، الآية: ١٢].

ويا خسارة من يتّبع زعامته أو جماعته اتّباعًا أعمى، ويرتكب الموبقات والمحرّمات لدعمها وتأييدها، يا خسارته حينما تتبرأ منه يوم القيامة، وتتنصّل من أعماله وموبقاته التي قام بها دفاعاً عنها، يقول تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٦٦].

إنّ هذه الصور والمشاهد التي تعرضها الآيات الكريمة، تريد ترسيخ مبدأ المسؤولية الفردية، وأن يحفظ الإنسان استقلالية شخصيته عن الوقوع تحت تأثير الآخرين، على حساب عقله وضميره والقيم الدينية التي يؤمن بها.

وكما ورد عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١].

لا يؤاخذ البريء بجرم غيره

في تعامل الإنسان مع الآخرين عليه أن لا يُؤاخذ أحدًا بما فعل غيره، فلا يُؤاخذ البريء بجرم المذنب، كما كان سائدًا في الجاهلية إذا اعتدى فرد من قبيلة، فإنّ كلّ أفراد قبيلته يكونون هدفًا لأخذ الثأر من قبل القبيلة الأخرى.

وما يزال البعض من الناس ينطلق من هذا القانون الجاهلي، فإذا حصل له نزاع مع أحد، فإنه يتخذ موقف العداء والقطيعة مع ذويه وأقربائه وأصدقائه، وإذا لم يعجبه كلام أو موقف من شخص، يتخذ موقفًا سلبيًّا من كلّ جماعته، وهنا يأتي مبدأ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ بأن لا تحمّل أحدًا مسؤولية وعبء موقف وعمل غيره.

وهذا ما تقرره القوانين العادلة، ومواثيق حقوق الإنسان، التي ترفض العقوبات الجماعية، كالذي تمارسه إسرائيل بحق الفلسطينيين، فإذا انتفض أحدهم للدفاع عن أرضه وشعبه وحقوقه المشروعة، فإنّ إسرائيل لا تكتفي بسجنه أو قتله فقط، بل تصبّ جام غضبها على كلّ عائلته، حيث تهدم دارهم، وتتخذ بحقهم الإجراءات الظالمة.

وهذا ما رأيناه في عهد صدام في العراق، حيث كان يتخذ إجراءات قاسية ظالمة ضدّ عوائل بأكملها، إذا تصدّى أحد أبنائها لمواجهة طغيانه، فينالهم التهجير أو السجن أو القتل أو سائر الضغوطات المختلفة التي تحوّل حياتهم إلى جحيم لا يطاق.

صلاح الفرد وسوء العائلة

ومن المشاهد التي يغيب فيها استحضار هذا المبدأ القرآني ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ على صعيد العلاقات الاجتماعية، مشهد المبالغة في التحفظ والتردّد

(١) بحار الأنوار، ج١٠، ص٣٥٦.

عند اختيار الزوج والزوجة، حين يكون أحد من عائلته أو عائلتها غير سويّ السيرة والسلوك، حيث واجهتنا بعض الحالات التي يرغب فيها شاب بالاقتران بفتاة يراها صالحة مناسبة له، لكن أهله يعترضون على اختياره لتلك الفتاة، ويمارسون مختلف الضغوط عليه لتركها، لا لإشكال أو خلل في ذات الفتاة، وإنّما لأنّ أحدًا من أهلها متورّط في بعض الانحرافات!! فما ذنب الفتاة نفسها؟ وأينهم عن هذا المبدأ القرآني ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؟ وكذلك الحال في موقف بعض العوائل المتحفّظ الرافض حين يتقدم لخطبة ابنتهم شخص صالح؛ لأنّ فلانًا من عائلته غير صالح!!

صحيح أنّ هناك أحاديث وروايات تحبّذ اختيار الزوج والزوجة من العوائل الكريمة الأصل، لكن هذه النصوص تشير إلى وجود المقتضي والأرضية المهيأة للانحراف في نفس من يتربى في عائلة تسودها أجواء الانحراف والفساد، ولا تعني حتمية حصول ذلك، فإذا تبيّن أن هذا الشخص قاوم ذلك المقتضي بموانع إرادته ووعيه، وتغلب على احتمالات التأثر بأجواء عائلته، وثبت صلاحه، فلماذا نتحفظ عليه ونعاقبه بذنب عائلته؟

إنّ الأطباء مثلاً يتحدثون عن أمراض الدم الوراثية، لكنهم لا يجزمون بانتقالها وراثيًّا لكل فرد من أفراد العائلة، والإجراء العقلائي هو القيام بالفحوصات اللازمة، فإذا تبيّن خلو الفرد من تلك التأثيرات المحتملة، يكون من الناحية الصحية سويًّا سالمًا.

وكذلك الحال في الجوانب النفسية والسلوكية، فلو كان في عائلة الولد أو الفتاة خلل في السلوك والأخلاق، ورأينا سيرتهما صالحة مستقيمة، فهذا يعني تجاوزهما لتلك الآثار المحتملة. وهنا لا ينبغي التوقف والتردّد في الزواج والاقتران.

بين الصفات الذاتية والصفات العائلية

ونسوق هنا شاهدًا ومثالًا مما ذكرته الروايات عن سعد بن عبد الملك الأموي،

ومعروف ما كانت عليه الأسرة الأموية أيام حكمها وتسلّطها من فساد وانحراف، ومن عداء أهل البيت عليهم السلام، لكن الإمام محمد الباقر سمّى سعد بن عبد الملك (سعد الخير)، وقد ورد أنه دخل يومًا باكيًا على الإمام الباقر، فقال له: ما يبكيك يا سعد؟ قال: كيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن؟ فقال له الإمام الباقر عليه السلام: «لست منهم، أنت أمويّ منّا أهل البيت، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ يحكي عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾»[1].

على أنّ النصوص الواردة حول اختيار الزوج والزوجة، والصفات التي ينبغي الحرص عليها فيهما، تركّز بالدرجة الأولى على الصفات الذاتية في شخصيتيهما، من التديّن والصلاح ومكارم الأخلاق، أما النصوص التي تتحدث عن صلاح العائلة وصفاتها فهي قليلة، والمعتبر منها سندًا أقلّ، إضافة إلى ما ذكرناه من أنّها تدعو للانتباه من التأثيرات السلبية للعائلة على الولد أو الفتاة، فإذا تبيّن تجاوزهما لتلك التأثيرات فلا داعي للتردد والتوقف.

وخاصة في هذا العصر الذي انخفضت فيه تأثيرات الوراثة والتربية، بسبب عوامل التأثير العامة، وشعور الأفراد بذواتهم، وممارستهم لاستقلال الشخصية.

من اختار الضلال عليه وزره

يتمنّى المؤمن أن يقود الآخرين إلى طريق الإيمان والخير، ويسعى لإقناعهم بالابتعاد عن الضلال والشرّ، لكن الآخرين لهم رأيهم وإرادتهم، فقد يتوفقون للاستجابة له فيفوزون، ويحظى هو بالثواب العظيم لهدايتهم، وقد يرفضون دعوته جهلًا وعنادًا، أو لأيّ سبب آخر، وفي ذلك خسارة لهم، لكنهم وحدهم يحملون وزر ضلالهم، ولا يلحق المؤمن شيء من عذابهم وشقائهم، لذلك عليه ألّا يتشنّج ولا يتوتر نفسيًّا لموقفهم الرافض للهداية، وعليه أن يستحضر المبدأ القرآني ﴿وَلَا تَزِرُ

(١) أبو القاسم الخوئي. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ج٨، ص٩٦.

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، يقول تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[سورة الإسراء، الآية: ١٥]، ويقول تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[سورة الزمر، الآية: ٧].

لا تظلم من تكره

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّـهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ۚ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨]

في القرآن الكريم نجد نوعين من الأوامر الإلهية:

الأول: يرتبط بعلاقة الإنسان بربه كالإيمان بالله وبرسوله واليوم الآخر، وأداء العبادات، وذكر الله ودعائه..

الثاني: يرتبط بعلاقة الإنسان مع الناس، كبرّ الوالدين، وحسن الجوار والصحبة، ورعاية المحتاجين، واحترام حقوق الآخرين، وعدم العدوان عليهم.

وكلا النوعين من الأوامر الإلهية يجب الالتزام به، لكننا نلاحظ أن معظم أوساط المتدينين تولي اهتمامها الكبير للنوع الأول من تلك الأوامر الإلهية، بينما لا تحظى الأوامر التي ترتبط بالعلاقة مع الناس بنفس الدرجة من الاهتمام.

فالحرص على أداء الصلاة أكثر من الحرص على أداء الأمانة، والحذر من ارتكاب مبطلات الصوم أشدّ من الحذر من ارتكاب انتهاكات حقوق الآخرين، والاهتمام بإتقان الوضوء أكبر من الاهتمام بإتقان العمل الوظيفي.

مع أنّ الأوامر الإلهية صادرة في الجانبين، وهي في الجانب الثاني أكثر تأكيدًا، حيث تشير النصوص الدينية إلى أن الله تعالى يغفر لمن يشاء ما أذنب تجاه ربه، عدا الشرك به، لكنه تعالى لا يتجاوز عن انتهاك حقّ أحد آخر إلا بتنازله.

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وأما الظلم الذي يغفره الله تعالى فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يدين بعضهم من بعض»[١].

ومثله ورد عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة في الخطبة (١٧٦).

ويبدو من النصوص الدينية أن التعامل مع عباد الله يكشف عن مدى صدق العلاقة مع الله، فليس صادقًا من يعتدي على عباد الله ويظلمهم مهما حسنت عقيدته وزادت عبادته:

وفي الحديث ذُكرت امرأةٌ عند رسول الله ﷺ وقالوا: إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها قال: هي في النار»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإنّ الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»[٣].

التعامل مع الخصوم

ومن أكثر الموارد حساسية في العلاقات بين الناس التعامل مع الخصوم، فليس

(١) كنز العمال، ج٣، ص ٤٩٨، حديث ٧٥٨٨.
(٢) كنز العمال، ج ٩ ، ص ١٨٧، حديث ٢٥٦١٨.
(٣) الكافي، ج٢، ص١٠٤، حديث٢.

فخرًا حسن العلاقة مع الأحباء والأصدقاء، لكن المحك والامتحان الحقيقي هو تعامل الإنسان مع من يكرهه، لأيّ سبب كان، لاختلاف ديني أو سياسي أو اجتماعي.

إنّ كراهتك لأحدٍ لخصومتك الفكرية أو المصلحية، لا تبرر لك العدوان عليه، والبخس لشيءٍ من حقوقه، وهو ما تصرّح به الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[سورة المائدة، الآية: ٨].

﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يحملكم ولا يدفعكم، ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ أي بغض قوم وعداوتهم.

وورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «أعدل الناس من أنصف من ظلمه»[1].

ومن المناسب أن نستحضر بعض الموارد والمشاهد التي تمثل مصاديق لهذا الامتحان والاختبار.

في موقع القضاء والحكم

في موقع القضاء والحكم، حين ينظر القاضي قضية بين طرفين، أحدهما أقرب إليه من الآخر في الانتماء العقدي، أو التوجه السياسي، أو التصنيف الاجتماعي، فإنّ عليه الحذر من تأثير ميوله النفسية على الحكم الذي يقضي به، والقرار الذي يصدره.

يقول الله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ﴾[سورة ص، الآية: ٢٦].

إنّ اتّباع الهوى في الانحياز في الحكم ضد المخالف، أعظم وأخطر عند الله، من اتّباع الهوى في ترك عبادة، أو ارتكاب معصية فردية.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[سورة النساء، الآية: ٥٨].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص١١٠، حكمة ٢٣٧.

وجاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لشريح القاضي: «ثمّ واسِ بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لا يطمع قريبك في حيفك، ولا ييأس عدوّك من عدلك»[١].

أداء الشهادة

حين يحضر الإنسان حادثة، أو يكون شاهدًا على أمر، فعليه أن يؤدي شهادته بحيادية، ولا ينحاز لصالح من يحب، أو ضد من يكره، فتكون شهادته زورًا، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّـهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّـهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[سورة النساء، الآية: ١٣٥].

إنه تهديد ووعيد إلهي، لمن ينحاز في شهادته، أو يتكتم عليها، لصالح ذاته، أو أعزّ الناس عليه والديه، أو لأحد من أقربائه، أو لمن يراعي مكانته الاجتماعية، فالله خبير بحقائق الأمور، وسيحاسب على هذا الانحياز.

اختيار وتقويم الموظفين

من يكون في موقع اختيار الموظفين لجهاز حكومي، أو مؤسسة أهلية، عليه أن يلتزم النظام والقانون في تطبيق مقاييس ومعايير الاختيار، فلا يقدم من يحب على غيره الأكفأ، أو الأسبق طلبًا، محاباة له، وجورًا على حقّ الغير.

وكذلك في مجال تقويم الموظفين، ومنح الترقيات والامتيازات، على المسؤول أن يتقي الله في بخس حقّ أحد، ومحاباة آخر، حيث يحصل كثيرًا أن يتأثر تقويم الموظف أو ترقيته بموقف مديره منه، فإذا كان يرتاح له أو من جماعته، فليبشر بالخير، أما إذا كان الموظف من غير جماعته، أو لا يرتاح له نفسيًّا، فسيناله الحيف والبخس لحقّه.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٢١٢.

في حدود دائرة النزاع

حين يدخل الإنسان نزاعًا مع أحد، فعليه أن يواجهه في دائرة النزاع، ولا يتجاوزها إلى الدوائر الأخرى، فيكون معتديًا، فإذا كان النزاع حول موضوع مالي، كما قد يحصل بين الورثة، أو الشركاء، أو المتعاملين في قضايا مالية مختلفة، فلا ينبغي تحويله إلى خلاف ديني، أو قبلي، أو اجتماعي، ولا يجوز له أن ينسب للآخر ما ليس فيه، وينكر إيجابياته الواقعية.

ومؤسف أن نجد مثل ذلك أحيانًا حتى في نزاع بين زوجين، على قاعدة (حبّ وقول وأبغض وقول) بأن تنسب الزوجة إلى زوجها كلّ سوء، وتجرّده من كل خير، وكذلك يفعل الزوج تجاه زوجته.

وهذا ما نراه أيضًا يحدث بين بعض الأصدقاء إذا اختلفوا، وافترقوا، حيث يتّهم الواحد الآخر بكل سوء، وينشر غسيله على الملأ.

عند الاختلاف الفكري والسياسي

في موقع الاختلاف الفكري والسياسي، يمكنك تفنيد الرأي الآخر، ومعارضته، وترجيح رأيك عليه، ولا يصح لك شخصنة الخلاف، باتّهام الطرف الآخر بشتى التهم، والتشكيك في نياته، وتشويه سمعته، فهذا كله ظلم وتجاوز للعدل.

وتعاني مجتمعاتنا في هذا الزمن من هذه الظاهرة الخطيرة، فقد اتّسعت رقعة الاهتمام بالشأن الفكري والسياسي والاجتماعي، وتوفرت فرص التعبير عن الرأي، كمواقع التواصل الاجتماعي، مما دفع البعض لاستغلال ذلك في التشهير والتجريح، وإسقاط شخصيات الآخرين، على خلفية تغاير الآراء والمواقف.

ويمارس البعض مثل هذا الدور القذر بعنوان الدفاع عن العقيدة، ومواجهة البدع، وهل يكون الدفاع عن الدين بالعدوان على الآخرين، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا

تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

ثم هل يجوز سوء الظنّ بالآخرين، واتّهام نيّاتهم؟ وقد عاتب رسول الله ذلك الصحابي الذي قتل من أعلن إسلامه في المعركة؛ لاعتقاده أنه لم يكن صادقًا في إعلانه الإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: «فهلا شققتَ عن قلبِه»[١].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اُطلب لأخيك عذرًا فإن لم تجد له عذرًا فالتمس له عذرًا»[٢]، وجاء عن عليّ عليه السلام أنه قال: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظننّ بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا»[٣].

ترصّد الأخطاء وتضخيمها

لماذا يبدو البعض وكأنه يترصّد الأخطاء على الآخرين، ليعمل على تشويه سمعتهم، وإسقاط شخصياتهم، وقد لا يكون ما يشهّر به خطأً حقيقيًّا؟

هناك رواية واردة عن الامام الصادق عليه السلام، يجب أن نجعلها نصب أعيننا، حتى لا نقع في مثل هذا المنزلق الخطير، يقول عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية، يريد بها شينه، وهدم مروءته، ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان»[٤].

إنّ التديّن لا يتحقق بأداء العبادات والشعائر، إذا شابه سوء تعامل مع الآخرين، أو بخس شيءٍ من حقوقهم، حتى وإن كانوا مكروهين لدينا.

وليحذر الإنسان أن يأتي يوم القيامة محمّلًا بمظالم العباد، قد اغتاب هذا، وشهّر

(١) المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١١٦.
(٢) الخصال للشيخ الصدوق، ص ٦٢٢.
(٣) الكافي، ج٢، ص٣٦٢، حديث٣.
(٤) الكافي، ج٢، ص٣٥٨، حديث١.

بذاك، وانتقص أقدار الآخرين، فإن حسنات عبادته لن تنفعه آنذاك، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة»[١]، وورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ قال: قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»[٢].

(١) الكافي، ج٢، ص٣٣٢، حديث١١.
(٢) الكافي، ج٢، ص٣٣١، حديث٢.

استقلال الشخصية وحسن العلاقات

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[سورة لقمان، الآية: ١٥]

من الطبيعي أن يكون للوالدين تأثير كبير على شخصية الإنسان، فهناك أكثر من عامل لترسيخ هذا التأثير، ومن أهمها:

١. الاستعداد النفسي للأخذ من صفاتهما بفعل العامل الوراثي.

٢. دور التربية والتنشئة في صياغة شخصية الإنسان.

٣. عنصر العاطفة الذي يجذب الولد إلى والديه ويجعله متعلّقًا بهما.

٤. الارتباط المعيشي والحياة بهما الذي يؤكّد الخضوع لهما.

٥. دافع الرغبة في المحاكاة.

٦. عامل الثقة في الوالدين.

٧. الدافع الوجداني والديني لاحترامهما وتقديرهما.

فقد فرض الله تعالى برّهما، كأعظم فريضة إلى جانب عبادته، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. كما جعل شكرهما رديفًا لشكره، يقول تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

الاستسلام لتأثير الوالدين

وقد يُخشى على الإنسان أن يستسلم لهذا التأثير بلا وعي ولا حدود، على حساب العقل والمبادئ والقيم، حين تنسحق شخصيته، ويذوب كيانه أمام والديه، إلى الحدّ الذي يكون فيه إمّعة، يسلك معهما حتى طريق الضلال والانحراف.

وهنا تأتي التعاليم الدينية لتنبّه الإنسان إلى أن يتحمّل مسؤولية نفسه، ويفكر في قراراته، ويختار طريقه بوعي وإدراك، وليس على نهج التبعية المطلقة للوالدين.

فحين يدعوانه إلى الإشراك بالله تعالى، ويضغطان عليه بهذا الاتجاه، فإنّ عليه أن يتمسك بمرجعية عقله، ولا يطيعهما فيما ليس له به علم.

ففي سورة لقمان، وبعد أن يتحدث القرآن الكريم عن حق الوالدين، وفضلهما على الإنسان، ويؤكّد على الوصية بهما، والشكر لهما، فإنه يحذّر من الاتّباع والاستجابة لهما في سلوك طريق الشرك والضلال، يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان، الآيتان: ١٤-١٥].

ومرة أخرى يؤكّد القرآن الكريم على نفس القضية في سورة العنكبوت، يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[سورة العنكبوت، الآية ٨].

وفي آيات أخرى يستنكر القرآن الكريم ويستهجن اتّباع الآباء في معتقداتهم وتوجّهاتهم التي لا ينطلقون فيها من موقع العلم وهداية العقل، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّـهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٧٠].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّـهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[سورة المائدة، الآية ١٠٤].

منهجية الاستقلال

هذا التأكيد لاستقلال شخصية الإنسان أمام أهم مؤثر عليه وهو الوالدان، يُراد منه ترسيخ منهجية الاستقلالية عند الإنسان تجاه مختلف القوى التي قد تؤثر عليه، كالزعامات الاجتماعية، والقيادات الدينية والسياسية، والأقرباء والأصدقاء، فإنّ على الإنسان ألّا يلغي عقله أمام أيّ أحد، ولا يتنازل عن إرادته، ولا يتجاوز المبادئ والقيم استجابة لأيّ أحد.

يمكنه أن يستفيد من آراء الآخرين وتجاربهم، وأن يستشيرهم، وأن يقبل نصائحهم، وذلك كلّه مع إعمال العقل، وتحت سقف المبادئ والقيم.

فالاستقلالية لا تعني الغرور والاستبداد بالرأي والمكابرة والعناد، بل التفكير والتأمل في كلّ رأي يطرح عليه، أو دعوة يدعى إليها، فإن وجدها موافقة لمنطق العقل، منسجمة مع مبادئ الحق، قبل ذلك واستجاب إليه، وهذا هو المنهج الرشيد الذي يُبشر الله سالكيه بكل خير وصلاح، يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّـهُ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨].

الطاعة في المعروف

صحيح أنّ طبيعة الحياة الاجتماعية فيها تراتبية تفرض على الإنسان القبول والاستجابة لأوامر هذه الجهة أو تلك، كالوالدين، والزوج، والحاكم، والقائد الديني، والزعيم الاجتماعي، ومدير العمل.. لكن هذه الطاعة ليست مفتوحة بلا حدود، بل تحدّها القيم والمبادئ، فلو استغلّ أيّ طرف موقعه القيادي، وأمر بما يخالف القيم

والمبادئ الثابتة، فإنه لا تصح طاعته ولا الاستجابة لأمره.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف»[١].

وعنه ﷺ: «أطيعوا آباءكم فيما أمروكم، ولا تطيعوهم في معاصي الله»[٢].

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «وبرّ الوالدين واجب وإن كانا مشركين، ولا طاعة لهما في معصية الخالق ولا لغيرهما، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٣].

وحين مرّ الحسين عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله: من أحبّ أن ينظر إلى أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء، فلينظر إلى هذا المجتاز، فقال له الحسين: أتعلم أني أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء، وتقاتلني وأبي يوم صفين؟ والله إنّ أبي لخير منّي، فاستعذر وقال: إنّ النبي ﷺ قال لي: أطع أباك، فقال له الحسين عليه السلام: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، وقول رسول الله ﷺ: «إنّما الطاعة الطاعة في المعروف»، وقوله: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».[٤]

لا للقطيعة والعداوة

كثيرًا نرى إفراطًا أو تفريطًا عند بعض الناس في علاقتهم بالآخرين، فهو إما أن يعيش حالة الذوبان والتبعية، والوقوع تحت التأثير المطلق للطرف الآخر، أو يعلن القطيعة والعداء لمن يخالفه في الاتجاه والرأي، وكلا النهجين خطأ.

---

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص١٠٤، حديث٤٣٤٠.
(٢) بحار الأنوار. ج٦٥، ص٢٨١، حديث٣٣.
(٣) الخصال، ج ٢، ص ١٥٤.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٩٧، حديث٥٩.

فاستقلال الشخصية في الرأي والموقف، لا يعني قطع العلاقة أو سوء التعامل مع المخالفين.

وهذا ما أكّدت عليه الآية الكريمة حول العلاقة مع الوالدين إذا كانا مشركين، وكانا يضغطان على الولد لاتباعهما في الشرك، فإنّ عليه أن يحتكم إلى عقله، ويتمسّك باستقلال قراره عنهما في المعتقد، لكن ذلك لا يعني أبدًا أن يترك والديه، أو أن يُسيء لهما، بل واجبه ملازمة والديه، وبرّهما، والتعامل معهما بأفضل ما يكون التعامل، يقول تعالى: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

وهذا النهج لا يختصّ بالتعامل مع الوالدين فقط، بل يحكم العلاقة مع أيّ جهة أخرى يرتبط بها الإنسان في حياته، ويخالفها في معتقده وتوجّهاته.

يريد الدين للإنسان أن يستقلّ بشخصيته ورأيه، وأن يبقى في الوقت ذاته على علاقة حسنة مع من يرتبط بهم قرابة أو صحبة أو معيشة.

إنّ البعض من الناس يبلغ به الحماس لرأيه وموقفه إلى حدّ القطيعة والخصومة لمن يخالفه، من أقربائه أو أصدقائه أو سائر أبناء مجتمعه، وتنتشر هذه الحالة أكثر في أوساط المتدينين، وكم رأينا حالات قطيعة وخصومة بين أقرباء وأصدقاء؛ لأنهم اختلفوا في اختيار مرجع تقليد، أو في الموقف من بعض العلماء والآراء والممارسات الشعائرية، وهذا لا يليق بعاقل ولا يصحّ من متديّن!!

ومن المؤسف أن تنهار علاقات بين الناس لطروء اختلاف في الرأي.

ورد عن الإمام علي عليه السلام: «ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد الإخاء، والعداوة بعد المودة»[1].

(١) مستدرك الوسائل، ج٩، ص٨٢، حديث١٠٢٧١.

احترام اختيارات الآخرين

إنّ التعاليم الدينية توجّه الإنسان إلى احترام اختيارات الآخرين في آرائهم ومواقفهم، وألّا يؤثر ذلك على حسن العلاقة معهم، يمكنه الحوار معهم فيما يخالفهم فيه، ونصهحم في اتّباع ما يراه حقًّا وصوابًا، لكن قرارهم بأيديهم، كما أنّ قراره بيده.

ورد عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يصرم ذوي قرابته ممن لا يعرف الحقّ؟ قال: لا ينبغي له أن يصرمه[١].

وعن صفوان عن الجهم بن حميد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تكون لي القرابة على غير أمري، ألهم عليّ حقّ؟ قال: نعم، حقّ الرّحم لا يقطعه شيء وإذا كانوا على أمرك كان لهم حقّان: حقّ الرحم وحقّ الإسلام[٢].

وكذلك الحال في مجال العلاقة مع الأصدقاء، فليس التطابق في الرأي والمسلك شرطًا لاستمرار الصداقة، إذا كان الإنسان واثقًا من نفسه ودينه، فقد ورد عن عليّ عليه السلام أنه قال: «لا تقطع صديقًا وإن كفر»[٣].

وعنه عليه السلام: «من جانب الإخوان على كلّ ذنب قلّ أصدقاؤه»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من لم يؤاخِ إلّا من لا عيب فيه قلّ صديقه»[٥].

إنّ الله سبحانه وتعالى يريد لعباده أن يعيشوا الأمن والاستقرار فيما بينهم، وأن يتعاونوا في إدارة حياتهم ومعيشتهم، بعيدًا عن اختلافاتهم الدينية، دون أن يعتديَ أحدٌ على آخر.

---

(١) الكافي. ج٢، ص٣٤٤، حديث٣.
(٢) الكافي، ج٢، ص١٥٧، حديث٣٠.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٢٠، حكمة ٢٠٣.
(٤) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٤٣، حكمة ٧٧٦٦.
(٥) الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ص٦.

يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[سورة الممتحنة، الآية: ٨].

إنّ ما نشهده من حالات تشنّج وخصومة في بعض الأوساط الدينية، نتيجة الاختلاف الفكري والسياسي، لا يمثل خلقًا دينيًّا، وإن حاول البعض أن يعطيه هذه الصفة بعنوان مواجهة البدع والضلال، مما يكشف عن سوء فهم للتعاليم الدينية، أو سوء توظيف لها خدمة لأغراض مصلحية، وعقد نفسية.

الصراع على عقول الشباب

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٨]

تحتدم معركة شرسة، من جهات مختلفة، على كسب عقول أبنائنا وشبابنا، والتأثير في سلوكهم، وتوجيه مستقبلهم.

الضياع الفكري والخواء الروحي

فهناك تيارات تثير الشكوك والشبهات حول الهوية والانتماء الديني، لكي يعيش الشباب حالة من الضياع والتشتت الفكري، وفقدان بوصلة القيم والمبادئ، بما يقود إلى الإلحاد والتنكّر للدين.

إنه لا مشكلة في طرح التساؤلات والنقد لأفكار وتشريعات دينية، فالدين يدعو إلى التفكير، وإثارة العقل في الإطار المنهجي الموضوعي، ليصل الإنسان إلى الاقتناع والاطمئنان بعقيدته عن معرفة ووعي، كما هو النموذج الذي قدّمه القرآن الكريم عن نبيّ الله إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٦٠].

كذلك لا غضاضة في الاعتراض على ممارسات المؤسسات الدينية، وواقع المتديّنين، فهي تعبّر عن حالتها البشرية، التي قد يشوبها النقص والخلل، ولا يمكن لها ادّعاء العصمة والكمال.

هذه الإشكالات والاعتراضات يجب أن تستقبل برحابة صدر، وأن ترتقي بالجهات الدينية إلى مستوى التحدّي، لكن المشكلة تكمن فيما تستهدفه هذه التيارات من خلق فراغ روحي، وخواء قيمي في أوساط الشباب، يجعلهم عرضة للشعور بالعبثية في وجودهم، والإحساس بانعدام المعنى في حياتهم.

فقدان التوازن السلوكي

وهناك جهات تلعب على إثارة وتحريض الغرائز والشهوات في نفوس الشباب، وهم يعيشون مرحلة المراهقة العاطفية، وقوة المشاعر والأحاسيس، مما يدفع بهم صوب الانحلال الأخلاقي، ويفقدهم التوازن في سلوكهم، ويترك تداعيات سيئة على الأمن الاجتماعي.

وتستغلّ هذه الجهات الإباحية تطور تقنية الاتصالات، لتخاطب أوسع شريحة من الشباب بل وحتى الأطفال.

ففي المملكة العربية السعودية يفيد تقرير بأنه تم خلال خمس سنوات حجب ٢,٦٥ مليون رابط إباحي عبر الإنترنت، وأنّ ٢٣٪ من زوّار المواقع الإباحية من النساء، وأعمار زوّار هذه المواقع تبلغ دون ١٨ سنة، وأنّ ٨٢ في المئة من الجرائم الجنسية على الإنترنت تستهدف الأطفال، وأنّ ٧٥ في المئة من ضحايا الجرائم الإلكترونية من الأطفال والشباب بين ١٠ و١٦ سنة، وأنّ ١٨ في المئة من الأطفال المتعرضين للتحرش تعرضوا له عبر الإنترنت، و٦٦ في المئة منهم تعرضوا له من دون قصد، بينما ٤٤ في المئة منهم كانوا يشاهدون أفلامًا مخلّة عن قصد، و١٨ في المئة استخدموا الإنترنت للممارسة الجنسية، وأنّ ١٠ في المئة من الأطفال السعوديين الذين تراوح أعمارهم بين ١٢ و١٣ مدمنون على الأفلام الإباحية[1].

من ناحية أخرى، ينشط تجار المخدرات، والشبكات المرتبطة بهم، في نشر هذه

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ ٣ يناير ٢٠١٧م.

السموم القاتلة في أوساط الشباب، حيث يقدّر عدد المدمنين في السعودية بـ ٢٠٠ ألف، يمثلون ٠,٧ في المئة من إجمالي عدد السكان البالغ ٢٨ مليون نسمة[١].

ومن أبرز أنواع المخدّرات المنتشرة في المملكة الكبتاغون، والكوكايين، والهيروبين. وقدّرت وزارة الداخلية أنّ حوالي ٣٣ في المئة من الكبتاغون المُصنع في العالم يتم مصادرته في السعودية. فيما تصادر المملكة حوالي ٦٠ طنًّا من الحشيش سنويًّا، وما بين ٥٠ إلى ٦٠ كيلوغرامًا من الهيروبين، تقدّر قيمته بحوالي ١,٢ بليون يورو.

فحسب التقارير المنشورة بلغت حصة السعودي الواحد من أقراص «الكبتاغون» حوالي ١٨ حبّة، وفق إحصاءات رسمية للمضبوطات خلال الأعوام الخمسة الماضية.

وسجلت الأجهزة الأمنية والجمركية السعودية خلال هذه الفترة أكثر من ١٨٨ ألف قضية مخدّرات، وتشهد أروقة القضاء السعودي محاكمة ٢٤٥ ألف متّهم بتهريبها وترويجها، فيما ضبطت حوالي ٣٦٨ مليون قرص «كبتاغون»، و١٩٩ مليون طنّ حشيش في الفترة نفسها، وفق تقرير وطني عن «ظاهرة المخدرات في المملكة»[٢].

توجّهات العنف والإرهاب

وهناك توجّهات العنف والإرهاب، التي تستثمر حالة الحماس الديني، والغضب السائد على سوء الواقع الذي تعيشه الأمة، والقلق في أوساط الشباب على مستقبلهم بسبب ما يواجهونه من الضغوط الاقتصادية والاجتماعية، تأتي هذه التوجّهات لتستقطب الشباب باسم الدفاع عن الدين وتطبيق شريعته، وبعنوان الانتصار لعزّة الأمة وكرامتها، فتزجّ بهم في متاهات العنف والإرهاب، وتوجّههم للبطش والتخريب، حتى أصبحت بلدان الأمة ومجتمعاتها ساحة رعب وحرب، يفقد الناس فيها الاستقرار

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ الثلاثاء، ٢٠ ديسمبر ٢٠١٦م.
(٢) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ ٢١ ديسمبر ٢٠١٦م.

والأمن، ويعيشون الفزع والاضطراب.

ولا يكاد يمرّ يوم لا تحدث فيه تفجيرات واعتداءات إرهابية، تستهدف الأبرياء والمصالح العامة والخاصّة.

آلاف من أبناء الأمة الشباب والشابات، من مختلف الدول والمجتمعات، انضموا تحت رايات الجماعات الإرهابية، وأصبحوا وقودًا لمعاركها العبثية، يفجّرون أنفسهم، ويقتلون أبناء مجتمعاتهم، ويدمّرون أوطانهم.

وقد غرّرت هذه الجماعات بأعداد كبيرة من أبناء مجتمعنا السعودي، لممارسة العنف والإرهاب داخل وطنهم، وللزجّ بهم في مناطق الحروب والصراعات في مختلف أرجاء العالم.

وفي تصريح لجريدة الحياة صرّح المتحدث الرسمي لوزارة الداخلية السعودي: أنّ أعداد السعوديين المتورطين بالقتال في الخارج بلغ نحو ٢٠٩٣ مقاتلًا ضمن عناصر التنظيمات الإرهابية في مناطق مختلفة[١].

ويظهر من التصريح أنّ هذا العدد المذكور يختصّ بمن توفرت المعلومات عنهم للوزارة، وقد يكون هناك كثيرون غيرهم، كما تشير إلى ذلك تقارير وإحصائيات متعددة المصادر.

كما يفصح المتحدث الرسمي أنّ هذا الرقم هو للمنخرطين حاليًا في معارك الفتن والاحتراب، دون من سبق لهم المشاركة والانخراط في السنوات الماضية.

وقد رأينا في منطقتنا، ومجتمعنا الآمن المستقر، كيف انخرطت بعض العناصر من أبنائه لممارسة العنف والإجرام، حيث تكررت حوادث الاعتداء على رجال الأمن، وعلى مواطنين، واستهدفت بعض المصالح العامة، كمواقع للدفاع المدني،

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ ٢٦ديسمبر ٢٠١٦م.

والصرافات الآلية، ومكاتب للتحويلات المالية وغيرها، وفي الأسبوع المنصرم كان هناك أكثر من حادث بشع.

فكيف انتزعت هذه التوجّهات العنفية هذا العدد الكبير من أبناء الوطن وشبابه، ليصبحوا معاول هدم وتخريب؟

التحصين الفكري والنفسي للشباب

إنّ الوقوف أمام هذه التوجّهات التدميرية، وحماية أبنائنا من تأثيراتها وأضاليلها يتم عبر مسارين:

المسار الأول: التحصين الفكري والنفسي للشباب، بتوعيتهم بمفاهيم دينهم الصحيحة، الداعية إلى المحبّة والتسامح، والمفعمة بروح الأمل والتفاؤل، والدافعة إلى التنمية والبناء.

هذا التثقيف والتوعية يجب أن يبدأ من أحضان الأسرة، ويتواصل عبر مناهج التعليم، ويترسّخ من خلال المنابر الدينية، ووسائل الإعلام.

ويجب التنبيه والحذر من تسلل الأفكار المتطرفة، والآراء التعصبية، التي تصوّر للشباب أنّ العالم كلّه ضد دينهم وأمتهم، فأتباع الديانات الأخرى كفار أعداء، وأصحاب المذاهب الأخرى أهل بدع متآمرون، والمثقفون علمانيون ملحدون، وهكذا تصبح الدنيا قاتمة أمام أعين الشباب، ويصبح استهداف الآخرين مشروعًا، وتلك هي الأرضية الخصبة التي تنمو فيها بذور العنف والإرهاب.

احتواء الشباب وتنمية كفاءتهم

المسار الثاني: احتواء الشباب واستيعابهم ضمن الأُطر التي تنمّي كفاءاتهم وطاقاتهم، من أجل بناء شخصياتهم، وصناعة مستقبلهم.

ويمثل أبناؤنا كنوزًا من القدرات والمواهب، التي تحتاج إلى اكتشاف وتنمية وتطوير، ومما يشهد لذلك ما نراه من بروز كفاءات مبدعة من أبناء الوطن، يتم الإعلان عن تكريمها على الصعيد الوطني، وعلى المستوى الدولي.

إنّ المؤسسات الرسمية والأهلية التي انبثقت للاهتمام بالموهوبين والمبدعين والمتميزين من الشباب، هي معقد الأمل بعد الله تعالى، في احتواء واستيعاب أبناء الوطن الطامحين لمستقبل أفضل، ويجب أن تكون خيارًا مفتوحًا ومتاحًا لكلّ الشباب والشابات، يصرفهم عن أيّ خيارات أخرى.

جائزة القطيف للإنجاز

وتمثل جائزة القطيف للإنجاز أنموذجًا مشرقًا على هذا الصعيد.

فقد انطلق هذا المشروع الأهلي الحضاري سنة ٢٠٠٨م في محافظة القطيف، ورسالته «تكريم وتحفيز الشباب المنجز للمساهمة في بناء جيل مبدع»

وتمنح الجائزة لكلّ من قدّم إنجازًا متميّزًا في مجال الدراسات والبحوث، ومجال التقنية والاختراع، ومجال الأدب والفنّ، إلى جانب جائزة للمنجز الناشئ، وأخرى للمنجز الواعد حيث تصل في نسختها السادسة هذا العام عشرين جائزة.

وقد ترشّح للجائزة منذ تأسيسها أكثر من (٧٠٠) شابٍّ وشابة، فاز بها منهم (٩٣) من الجنسين، حيث يعقد مهرجان تكريمي حاشد لكلّ نسخة من الجائزة.

وقطعت الجائزة شوطًا متقدّمًا على صعيد المأسسة والتنظيم، فهي تابعة للجنة التنمية الاجتماعية بالقطيف، ولها جمعية عمومية، وأمانة عامة، وتعتمد أخصائيين أكاديميين في التحكيم والتقويم لكلّ مجالٍ من مجالاتها.

وقد انعقد هذا الأسبوع مساء يوم الاثنين ١٨ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ١٦/ ١/ ٢٠١٧م لقاء لشركاء الجائزة، من رجال الأعمال، ووجهاء المجتمع، للإعداد

لانطلاق النسخة السادسة من الجائزة، وكان تفاعل الحاضرين المشاركين لائقًا، من حيث تقديم المقترحات، والدعم المالي، فقد كانت الأمانة العامة تستهدف جمع مبلغ (٣٢٥,٠٠٠) ريال، لكن التبرعات وصلت إلى مبلغ (٤٨٥,٠٠٠) ريال.

والمطلوب مزيد من الدعم لهذا المشروع وأمثاله من المشاريع التي تستهدف رعاية الشباب واحتوائهم، ولا بدّ من توفير مصادر دخل ثابتة لهذا المشروع التنموي الحضاري، وهو ما تسعى إليه أمانة الجائزة، بإنشاء وقف خيري استثماري يؤسّس بمشاركة أبناء المجتمع أفرادًا ومؤسسات من خلال طرح سندات وقفية.

إنّ الله سبحانه وتعالى يدعونا للمبادرة والسبق في أعمال الخير ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، وعلينا أن نهتمّ بفتح وجهات الاستقامة والصلاح، أمام شبابنا، ليتجهوا إليها، كما تقول الآية الكريمة: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾.

عادات الصرف وضرورة الترشيد

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا»[1].

تمرّ بلادنا والمنطقة كلها بمرحلة من الصعوبات الاقتصادية، بسبب انخفاض أسعار النفط، وكلفة الحروب التي تعاني منها المنطقة، وسياسات التقشف والتحول الاقتصادي.

فهناك عجز في ميزانيات دول المنطقة، قلّص اعتماد أيّ مشاريع جديدة، وأدّى إلى تأخير سداد مديونيات المشاريع السابقة، مما دفع عددًا من الشركات والمؤسسات الإنشائية الكبرى إلى الانكماش، وتحمل الخسائر، وتسريح قسم من عمالها وموظفيها. وبعضها أصبح على وشك الانهيار.

ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على دخل الأفراد، وأوضاع العوائل، خاصة في الطبقة الوسطى فضلاً عن الطبقة الفقيرة.

فقد تضاءلت فرص العمل والتوظيف، وتوقفت العلاوات والامتيازات التي كان يستفيد منها عدد كبير من الموظفين لتسيير أمور حياتهم.

---

(١) نهج البلاغة، حكمة ٣٥٩.

وحديثنا ليس باتجاه البحث والتحليل لهذا الواقع الاقتصادي الصعب، الذي نأمل أن تتجاوزه المنطقة سريعاً إن شاء الله، لكن ما نريد معالجته هو كيفية تعامل الأفراد والأسر مع هذه الظروف الاقتصادية الصعبة.

إنه لا مناص من التوجه لإعادة النظر في جدولة الصرف، وطريقة الإنفاق، فكما اضطرتْ الحكومات والشركات إلى الترشيد وتقليل الإنفاق، لتغطية العجز، كذلك على الأفراد أن يسلكوا نفس السبيل، بل هم الأحوج إلى ذلك.

مشكلتنا أنا تعودنا على طريقة في الصرف والإنفاق، تعتمد على الوفرة المالية، لكن الظروف اليوم قد تغيّرت، فعلينا أن نغيّر عاداتنا، لنكيّف حياتنا مع الوضع الجديد، وإلا فسنعاني من الأزمات النفسية، والمشاكل العائلية، والوقوع في فخّ الديون والقروض، وقد يندفع البعض لطرق ملتوية منحرفة من أجل الحصول على ما يغطي مصروفاته.

قرار التغيير في العادات

يسيّر الانسان مختلف شؤون حياته عبر طرق وأساليب يتعود عليها، من وحي قناعاته أو رغباته، أو استجابة لما تلقاه في نشأته، أو من خلال تكّيفه مع ما هو سائد في بيئته الاجتماعية.

هذه العادات التي تترسخ في حياة الانسان بفعل استمراريته في ممارستها، قد يحتاج إلى مراجعة قسم منها ليتأكد من صلاحيتها، خاصة حينما تطرأ على حياته الشخصية أو الاجتماعية ظروف جديدة، تصبح فيها تلك العادات مكلفة مرهقة.

لكن معظم الناس يصبحون أسرى لعاداتهم التي رسخها مرور الزمن في سلوكهم، فيكون صعباً عليهم التغيير والتخلي عن بعض العادات، وإن اتضح لهم خطؤها وسوؤها.

وإذا كان تغيير العادة أمراً صعباً، كما يقول الامام علي عليه السلام: « لِلعادَةِ عَلى كُلِّ إنسانٍ

سُلطان»[١] لكن هذه الصعوبة لا تصمد أمام إرادة الإنسان حينما يقرر ويريد. نعم سيعاني في البداية عند تحوله من عادة إلى أخرى، لكنه إذا تمسك بعزمه، فستحلّ العادة الجديدة تدريجياً مكان السابقة، وتنتظم حياته على أساسها.

وجدير بالإنسان أن يتحكم بعاداته، ويكون قادرًا على تجاوز ما يشاء منها، حين يجد المصلحة في ذلك، وإلا فستكون هيمنة العادة عائقاً أمام تقدمه المادي والمعنوي.

ورد عن عليّ عليه السلام أنه قال: «غَيِّروا العاداتِ تَسهُلْ عَلَيكُمُ الطّاعاتُ»[٢].

وعنه عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا».

وفي مجال الصرف والإنفاق تتكون للإنسان عادات كما في سائر المجالات، لكن هذه العادات يجب أن تخضع للمراجعة، وخاصة حينما تتغيّر الظروف الاقتصادية، وبعض العادات هي خطأ في ذاتها، بغض النظر عن حصول الوفرة المالية، أو عروض الصعوبات الاقتصادية، ومن أبرزها العادات التي يتجلى فيها الإسراف والتبذير والمبالغة في الاستهلاك.

هدر الماء

يتعامل الناس مع الماء على أساس أنه متوفر مبذول وكلفة استهلاكه قليلة، لذلك لا يحسبون أيّ حساب في استخداماته، وحينما رفعت وزارة المياه والكهرباء سعر تعرفة الماء مؤخراً، وجاءت الفواتير بأرقام عالية، ضجّ الناس جميعاً، وتعالت الأصوات للمطالبة بإعادة النظر في هذه التعرفة الباهظة.

وبمعزل عن هذا القرار، لا بُدّ من إعادة النظر في طريقة استهلاكنا للمياه في حياتنا، حيث يقدر استهلاك الفرد في المملكة من الماء نحو ٢٥٦ لتراً في اليوم، ويعادل ثلاثة

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٠٩، حكمة ٤٦.
(٢) نفس المصدر، ص ٢٧٠، حكمة ٦٦.

أضعاف ما حددته منظمة الصحة العالمية للاستهلاك المريح والصحي للفرد وهو نحو ٨٣ لتراً. مما جعل المملكة من أعلى الدول استهلاكا للمياه، مع أنها من أكثر الدول شحاً للمياه في العالم.

إنّ إنتاج الماء الصالح للاستخدام يكلف مبالغ ضخمة، خاصة في المناطق الصحراوية كبلادنا، التي تنتج من المياه المحلاة يومياً تسعة ملايين متر مكعب، وتشير الدراسات إلى أنّ معدل استهلاك الفرد من المياه في السباحة يقدر بين (١١٥) إلى (١٥٠) لتراً.

وفي كلّ مرة يسحب فيها (السيفون) في دورة المياه يتم استهلاك (١١) لتراً، وكلّ دقيقة يقف فيها الإنسان تحت دش الماء، يستخدم (١٩) لتراً، والاستخدام الواحد لغسالة الملابس يستهلك (١١٥) لتراً.

إنّ هناك نسبة كبيرة من الهدر للمياه بسبب عدم الاهتمام بصيانة شبكة المياه في المنازل، وحصول تسريبات، وترك الصنبور يجري لمدة طويلة عند الغسل، كما يحصل عند تفريش الأسنان مثلاً، حيث يترك الإنسان حنفية الماء مفتوحة حتى ينتهي من تنظيف أسنانه. وتوجد في الأسواق حنفيات حساسة تتوقف عند ابتعاد اليد عنها أوتوماتيكياً.

مَرَّ النَّبِيَّ ﷺ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ[١].

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «أدنَى الإِسرافِ: هِراقَةُ فَضلِ الإِناءِ»[٢].

وفي سيرة النبي ﷺ أنه كان يتوضأ بمدّ، ويغتسل بصاع، والصاع يعني أكثر بقليل من قنينة ماء بسعة لتر ونصف، والمدّ هو ربع هذه القنينة.

(١) رواه الإمام أحمد (٦٧٦٨) وابن ماجة (٤١٩).
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٢ ، ص ٣٠٣، حديث٧.

استهلاك الطاقة الكهربائية

وفي مجال استهلاك الطاقة الكهربائية، نلحظ إسرافاً واضحاً تحول إلى عادة يمارسها مختلف الأفراد، مما يرفع أرقام فاتورة الكهرباء شهرياً، فاستخدام الإنارة مبالغ فيه، وكذلك ترك أجهزة التكييف تعمل لفترة طويلة نسياناً أو إهمالاً، وعدم الاهتمام بصيانتها.

وتشير التقارير إلى أنه بلغ نصيب الفرد السعودي من استهلاك الطاقة الكهربائية خلال عام ٢٠١٥م إلى ٧٧٩ كيلو وات/ ساعة[١].

الإسراف في الطعام

ومن أبرز مظاهر الصرف التي يجب إعادة النظر فيها وخاصة مع الظروف الحاضرة، هي الإسراف في اقتناء الموادّ الغذائية المعرضة للتلف، حيث تعوّد أكثرنا أن يشتري منها بالكميات كاللحوم والأسماك والفواكه والخضار والخبز، مما يؤدي إلى ذهاب قسم منها إلى التلف والخراب، وقد يبرر البعض بأنّ الشراء بالكمية أرخص وأقلّ ثمناً، وهذا وإن يصدق على بعض المشتريات، لكن النتيجة ستكون مكلفة أكثر مما لو اشتراها بكميات أقلّ، إذا احتسب قيمة التالف منها، إضافة إلى أنه نوع من ابتذال النعمة وعدم احترامها.

ويبرر آخرون بأنّ ذلك يوفّر عليهم الوقت فلا يحتاجون للذهاب للشراء مرات عديدة، لكن توفر الأسواق ومحلات البيع الكبيرة في مختلف المناطق، جعل الشراء مهمة سهلة سريعة، وكما نهتم بتوفير الوقت، يفترض الاهتمام بتوفير المال، فنحن نصرف الوقت في العمل لتحصيل المال. وقد يصلح هذا المبرر لمن يكون وقته مضغوطاً جدًّا وليس الأمر كذلك بالنسبة لكثيرين.

---

(١) صحيفة الرياض ٢٣ أغسطس ٢٠١٦م.

ويبدو أنّ الدافع الأساس لشراء كميات من المواد الغذائية، هو العادة والعرف الاجتماعي، فقد تعودنا هذه الطريقة، بحيث نستعيب شراء الكميات المحدودة، ونتفاخر بكثرة ما نشتري، بينما نجد الناس في البلدان المتقدمة يشترون الفواكه مثلاً بالعدد الذي يستهلكونه في اليوم أو اليومين، فيشتري تفاحتين أو ثلاث مثلاً، ويشتري جزءاً من البطيخ وهكذا، كما يلحظ من يسافر إلى أمريكا وأوروبا وأمثالها.

والجانب الأسوأ يتمثل في زيادة كمية ما يطبخ من الطعام في المنازل، وفي المناسبات العامة كحفلات الزواج ومجالس العزاء، ومختلف الضيافات الاجتماعية، حيث لا يستهلك من الطعام إلا الجزء الأقلّ، بينما يكون مصير أكثره إلى القمامة.

وحسب بعض الإحصائيات فإنّ ذلك يشكل نسبة ٤٥٪ من الطعام في المناسبات. كما تشكل الأطعمة من نفايات محافظة جدة مثلاً ٦٠٪ من إجمالي نفاياتها التي تبلغ ستة آلاف طن يومياً[١].

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أنّ دول الخليج (حوالي ٥١ مليون نسمة) في مقدمة الدول المستهلكة للطعام بمعدل ٢,٨٪ من إجمالي استهلاك الغذاء العالمي[٢]، لـ ٤,٧ مليار نسمة.

واستدعت هذه الظاهرة قيام جمعيات تهتم بجمع الفائض من الطعام في المناسبات لتوزيعه على الفقراء والمحتاجين.

إنّ كثيراً من البلدان المتقدمة تخصص فيها البلديات يوماً واحداً أو يومين في الأسبوع لجمع النفايات المنزلية، بينما يتم إخراج القمامة والنفايات من منازلنا كلّ يوم، وقد تفيض الحاويات أمام المنازل بما يلقى فيها، لكثرة النفايات المنزلية، حيث تشير الإحصائيات إلى أنّ معدل النفايات المنزلية الصلبة في اليوم للشخص الواحد

(١) صحيفة الحياة ٢٥ فبراير ٢٠١٦م.
(٢) صحيفة عكاظ ١٤ يناير ٢٠١٧م.

في المملكة تبلغ ١,٥ كيلوجرام[١]. فإذا كان في المنزل ستة أشخاص فسيكون وزن كيس الزبالة كلّ يوم ٩ كيلوجرام من النفايات الصلبة.

وفي دراسة أجرتها مصلحة الإحصاء العامة والمعلومات في السعودية وجدت أن المواطن السعودي يحتل المرتبة الأولى عربياً في هدر الطعام، بمعدل ٢٥٠ كيلو جرام سنوياً للفرد الواحد، بينما لا يتجاوز معدل إهدار الفرد في الدول المتقدمة ١١٥ كيلو جرام للفرد الواحد[٢].

هواية التسوق

وقد أصبح التسوق في مجتمعاتنا هواية، وليس حسب الحاجة، حيث يذهب الفرد أو العائلة للسوق للتفرج والتمشية، وبالتالي تنفتح الرغبة على الشراء، ومن الطبيعي أنّ تتفنن الشركات والمصانع والمحلات، في إثارة رغبات الزبائن لشراء منتجاتها ومعروضاتها، والبعض في مجتمعاتنا يشتري الأجهزة أو الآليات على أساس الموضة، فحتى لو كانت سيارته صالحة ومناسبة لاستخداماته فإنه قد يشتري سيارة جديدة، تماشياً مع الموديل والموضة.

ويتحدث الباحثون في الدراسات الاجتماعية والاقتصادية عن ظاهرة إدمان التسوق (إنيومانيا) وهو مصطلح تقني يصف الرغبة الجامحة للتسوق. وقد وصف حوالي ٣٠٪ من المدمنين على التسوق أنّ فعل الشراء نفسه يعطي نشوة تماماً مثل المخدرات، بغضّ النظر عن السلع التي يتم شراؤها وملكيتهم لها.

ويعتقد الأطباء النفسيون أنّ هذا السلوك قد يكون بسبب الحاجة للشعور بالتميز.

وأظهرت نتائج دراسة ميدانية: أنّ السعوديات يفضلن التسوق التقليدي على الإلكتروني؛ لكون التسوق بالنسبة للمرأة السعودية هو أحد أشكال الترفيه والترويح النفسي.

---

(١) صحيفة اليوم ١٤ ديسمبر ٢٠١٥م.

(٢) جريدة الخليج الجديد: http://www.thenewkhalij.org/node/52245

كما نلحظ بعض عادات الصرف المرهقة لدى النساء تتمثل في موضات الأزياء، وفساتين الزواج، التي تبلغ قيمتها ما بين عشرة إلى عشرين ألف ريال في المتعارف، وقد تصل إلى أضعاف ذلك من قبل بعض العوائل الثرية. وفساتين حضور حفلات الزواج، التي تلبس لمرة واحدة، ولا تكرر المرأة لبس فستان سبق أن لبسته في حفلة زواج سابقة، واستئجار الفستان لليلة واحدة يكلف ما بين ١٥٠٠ إلى ٣٥٠٠ ريال.

نحو عادات رشيدة

إنّ مثل هذه العادات لا بُدّ من إعادة النظر فيها، وتجاوزها لخلق عادات جديدة هي أقرب للتعاليم الدينية وأنسب لتنظيم الشأن الاقتصادي.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة»[١].

وجاء عن عليّ عليه السلام أنه قال: «مَن تَحَرّى القصدَ خَفَّت عليه المُؤَن»[٢].

وعنه عليه السلام: «الاقتِصادُ يُنمّي القليلَ»[٣]، و «الإسرافُ يُفني الجَزيلَ»[٤].

ولكي ينجح الإنسان في تنفيذ قرارات ترشيد الصرف والإنفاق لا بُدّ أن يبذل جهداً لتهيئة عائلته وتوعية أبنائه بضرورة هذا التوجه، ليتفهموا التغيير ولا يتعاملون معه سلبياً.

ومما يساعد على توجهات الترشيد صنع الأجواء العامة الدافعة إليه عبر التوعية، ونشر المبادرات الإيجابية في الترشيد.

ففي مقابل حالات التباهي والتفاخر بالصرف، علينا أن نبشر بالقيم الصحيحة والتعاليم الراشدة، لتوجيه المجتمع إلى ما يساعده على مواجهة الظروف الاقتصادية

---

(١) كنز العمال، حديث ٥٤٣٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٧١، ص ٣٤٢، حديث ١٥.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٦، حكمة ١٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥، حكمة ٨٩.

الصعبة.

إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[سورة الاسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧].

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: إِنَّ مِنْ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ[١].

وورد عن عليّ عليه السلام أنه قال: مَنِ افتَخَرَ بِالتَّبذيرِ احتُقِرَ بِالإِفلاسِ[٢].

(١) كنز العمال، حديث ٧٣٦٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٣٢، حكمة٣٠١.

إمكانية الانتصار على السرطان

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[سورة الأنبياء، الآية: ٣٥]

كفاءات الإنسان وطاقاته الكامنة، لا تظهر إلا عبر مواجهته للتحدّيات، التي تستثير قدراته وتحفزها من أجل التغلب على الصعوبات، وبذلك تتقوى إرادة الإنسان، وينشط عقله، وتصقل مواهبه ومهاراته، وكما قيل فإنّ الحاجة أمّ الاختراع، والتحدّي يدفع إلى التقدم.

وهذا هو معنى الابتلاء في الحياة التي تحدثت عنه النصوص الدينية، كقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[سورة الأنبياء، الآية: ٣٥].

فالشرّ الذي يسوء الإنسان ويزعجه، يشكل في الوقت ذاته باعثاً على المقاومة واكتشاف وسائل الدفاع والحصانة، كما أنّ الخير يبعث نحو الاستثمار والتنمية والبناء، فكلاهما الشرّ والخير ينتج حركة تظهر مدى تفعيل الإنسان لقدراته وطاقاته الفكرية والنفسية والعلمية.

لذا ورد عن الامام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «مَا مِنْ بَلِيَّةٍ إِلَّا وَللهِ فِيهَا نِعْمَةٌ تُحِيطُ بِهَا»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٧٤، حديث ٣٤.

معركة الإنسان ضدّ المرض

ومن أشدّ الابتلاءات والتحديات التي تواجه الإنسان في هذه الحياة هي الأمراض، حيث تهدد حياته ووجوده، وتعوق حركته ونشاطه، وتسلب عنه الراحة والهناء.

لكنّ لهذه الأمراض وجهًا آخر، فقد حفزت الإنسان ودفعته للتعرف على نظام جسمه، وطريقة عمل أجهزته وأعضائه، وتعمقت الأبحاث في تشريح جسم الإنسان حتى وصلت إلى مستوى قراءة شيفرات جيناته الوراثية، والدخول على خط هندستها وتشكلها.

من جانب آخر، فإنّ السعي إلى استكشاف سبل الوقاية من الأمراض، والتمكن من علاجاتها، قاد الإنسان إلى تكثيف دراسته للطبيعة التي يعيش في أحضانها، من جماد ونبات وحيوان ومكونات وظروف مختلفة لبيئة الحياة؛ نظرًا لصلتها الوثيقة بحياته، وتأثيرها على صحة جسمه، ولتوفرها على عناصر مكافحة الأمراض ومعالجتها.

وحين نقرأ تاريخ مواجهة الإنسان لمختلف الأمراض، نجد أنه يقف في البداية حائرًا مضطربًا أمام أيّ مرض جديد يغزو جسمه، ويتحمّل الخسائر ويقدم الضحايا تلو الضحايا من أفراده، بسبب بطش ذلك المرض وسطوته، ومن ثم يتحرك للتعرف على طبيعة المرض وأسبابه، واستكشاف وسائل الوقاية منه، وطرق محاصرته، وصولاً إلى خطوات العلاج والسيطرة عليه، وإعلان الانتصار على خطره.

حصل هذا مع مرض الحصبة مثلاً، ومع مرض الجدري، ومع مرض الكوليرا، وأمثالها من الأمراض التي كانت تقضي على حياة كثيرين من البشر، لكنها الآن أصبحت تحت السيطرة الكاملة، حيث صنّعت لها لقاحات تؤمن الوقاية منها.

إمبراطور الأمراض

وفي هذا العصر يواجه الإنسان التحدّي الأكبر مع إمبراطور الأمراض – كما يطلق

عليه – وهو مرض السرطان، هذا المرض الذي يفتك كل عام بأكثر من ١٢ مليون من البشر، في معدل تصاعدي يتوقع أن يصل إلى ٢٤ مليونًا بحلول عام ٢٠٣٥م.

السرطان «تسمية عامة لمجموعة تضم أكثر من مئة نوع من الأمراض، وبالرغم من عددها الكبير، فإنّ جميع أنواع السرطان تحدث نتيجة حصول نمو غير طبيعي في خلية ما، وتحولها إلى خلية سرطانية، مما يؤدي إلى نمو غير متحكم فيه، وتمدد غير محدود إلى الأنسجة المجاورة. وذلك ما يعرف باسم الورم الخبيث، الذي يختلف عن نوع آخر من الأورام تسمى بالحميدة. وهو نمو غير طبيعي للخلايا، لكنه لا يمتلك القدرة على الانتشار لمناطق مجاورة أو أخرى، ولذلك فهو يبقى جالساً في مكانه محموداً على أدبه»[1].

وجاءت تسمية السرطان من اللغة اليونانية، نسبة إلى شكل المقطع العرضي للورم الخبيث، الذي تظهر فيه الأوردة الدموية مشدودة بصورة تشبه أقدام حيوان سرطان البحر «القبقب».

عوامل تؤدي إلى الإصابة

إنّ معركة الإنسان مع السرطان لا تزال محتدمة، وسلاحه الأساس فيها هو العلم، الذي كشف لنا عن طبيعة هذا المرض، ورغم أنّ العلم لا يستطيع الجزم بالسبب المؤدي إلى حدوث المرض على نحو الدقة، لكنه يشير إلى العوامل التي قد تؤدي إلى الإصابة به، مما يساعد على توقيه باجتنابها. ومن أبرزها:

١. التدخين وهو يتسبب في حدوث ١,٨ مليون من وفيات السرطان كلّ عام.

٢. زيادة الوزن، أو السمنة، أو الخمول البدني، وهي عوامل تسبب مجتمعة في وقوع ٢٧٤,٠٠٠ من وفيات السرطان كلّ عام.

---

(١) الجزيرة نت، ٦/ ٢/ ٢٠١٤م.

٣. تعاطي الكحول على نحو ضارّ، وهو يتسبب في وقوع ٣٥١,٠٠٠ من وفيات السرطان كلّ عام.

٤. التعرض للمواد المسرطنة في أماكن العمل، وهو يتسبب في وقوع ما لا يقل عن ١٥٢,٠٠٠ من وفيات السرطان كلّ عام[١].

الفحص المبكر

كما حقق العلم إنجازاً آخر في المعركة ضد السرطان، بتطوير القدرة على اكتشاف تسلل المرض إلى الجسم، حيث يتسلل خفية دون أن تكون له أعراض تدلّ على حدوثه، ليتمكن من التمدد والانتشار بصمت وهدوء، لكن العلم اليوم استطاع إنتاج وسائل للفحص المبكر، لفضح تسلل السرطان، والعمل على مواجهته في أسرع وقت، لمحاصرته ومنعه من التمدد والانتشار.

ولاستثمار هذا الإنجاز العلمي، لا بُدّ من نشر التوعية للمبادرة إلى إجراء الفحص المبكر، وتوفير فرص القيام بها.

يقول أحد الباحثين الإخصائيين: «إنّ الإنجازات لكثيرة، وتبدأ بالمعرفة التي أدت إلى فهم عميق لماهية الخلية السرطانية، وكيف تختلف عن الخلية السليمة. فأصبحنا نعرف أنّ «السرطان» ليس مرضاً واحداً، بل هو أمراض عديدة، بل مئات منها. وتختلف هذه الأمراض عن بعضها بيولوجياً كما تختلف سريرياً. وتختلف بنسبة تجاوبها للعلاج كما تختلف بنسبة إمكانية الشفاء التام. وأصبحنا على قناعة اليوم أنّ تشخيص المرض بواسطة المجهر فقط غير كافٍ. لقد أصبح تحديد المرض بهويته البيولوجية أمراً ضرورياً لاختيار العلاج الشافي له. وهنا تبرز معضلة جديدة، وهي أنّ التقنيات المخبرية المتطورة والقادرة على تحديد الهوية البيولوجية غير متوافرة بشكل كافٍ في العالم، مما يجعل من عدم القدرة على تحديد المرض بدقة أحد أهم

(١) صحيفة الاقتصادية الصادرة بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١١م.

الأسباب لفشل المعالجة.

ويضيف: تعلمنا أيضاً أنّ تحول الخلية السليمة إلى خلية سرطانية قد يستغرق سنين عديدة. في هذه المدة الزمنية تمر الخلية السليمة بمراحل بريئة، قبل أن تصبح خلية سرطانية قادرة على النمو موالتكاثر بشكل عشوائي. وقد أصبح بمقدورنا اليوم تشخيص هذه المراحل البريئة، كما أنه بمقدورنا تطوير استراتيجيات علاجية جديدة تستهدفها، وتشل قدرتها على التحول إلى المراحل الخبيثة، وبهذا نمنع الإصابة بالسرطان. وأكبر مثل على ذلك هو سرطان الثدي عند المرأة. لقد أثبتت الدراسات أنّ نسبة الإصابة عند النساء المعرّضات لسرطان الثدي، إما بسبب عمر يناهز الستين سنة أو لوجود حالات مماثلة في العائلة، تنخفض إلى النصف إذا ما عولجن وقائياً بواسطة أدوية تقليدية تؤخذ بالفم.

ويتابع: إنّ المعرفة العلمية التي نملكها اليوم، إذا وضعت في خدمة الإنسان، توفر له الوقاية من ٧٥ في المئة من الإصابات. هذا يعني أنه بدل أن يكون هناك ١٣ مليون إصابة جديدة بالسرطان كلّ سنة، فنحن قادرون اليوم على خفض هذا الرقم إلى ربعه. نحقق ذلك بسياسات صحية، تقضي على الأسباب التي نعرفها للأمراض السرطانية، وتفرض الفحص الدوري للاكتشاف المبكر. أما بالنسبة إلى الأمراض السرطانية الأخرى التي نجهل كيفية الوقاية منها، فالطب الحديث قادر على شفاء ٦٠ في المئة من المرضى المصابين بها)[1].

المواجهة المباشرة

وإذا أخذ المرض موقعه لا سمح الله في أيّ موضع من جسم الإنسان، تصبح المعركة معه مباشرة عبر برامج العلاج، التي تطورت وما زالت تتطور كلّ يوم، حيث

(١) http://www.albawaba.com/ar

يحرز الأطباء انتصارات كبيرة في كلّ ساعة وفي مختلف مستشفيات العالم التي تجري عمليات العلاج.

فهناك العلاج بالجراحة لاستئصال الجزء المصاب بالسرطان، والعلاج الاشعاعي لتدمير الخلايا السرطانية، والعلاج الكيماوي في حال الاشتباه بوجود بقايا خلايا سرطانية، وأخيراً العلاج البيولوجي.

وبفضل هذه البرامج العلاجية يتم إنقاذ عدد كبير من المصابين بالسرطان، ليواصلوا حياتهم بشكل طبيعي.

سلاح الأمل والمعنويات الرفيعة

إذا كان الإنسان بحاجة إلى سلاح الأمل والمعنويات الرفيعة، تجاه كلّ مشكلة أو تحدٍّ يواجهه، فإنّ هذه الحاجة تكون في أعلى درجاتها عند الإصابة بمرض السرطان، حيث تحوّل هذا المرض إلى «بعبع» في نفوس الناس، بسبب الاعتقاد الشائع بأنه يعني نهاية الحياة، وأن لا إمكانية للنجاة وتحقيق الشفاء منه.

ولشياع هذه الفكرة الخطأ، ورسوخها في النفوس، فإنّ اكتشاف الإنسان لإصابته بالسرطان تشكل صدمة كبيرة، قد تسبب له الانهيار النفسي، والاضطراب الفكري، وذلك ما يزيد ضعف مناعته أمام المرض، ويجعله فريسة سهلة لانتشاره وسيطرته، بينما تكون رباطة الجأش، والثقة والاطمئنان النفسي هو ما يعزّز قوة المناعة، والقدرة على المقاومة، ويحفّز كلّ العناصر الإيجابية في وجود الإنسان لمواجهة المرض.

ولا تقتصر الحاجة للمعنويات الرفيعة على المريض نفسه فقط، بل تشمل عائلته والمحيطين به، فكلما كانوا أكثر أملاً وتفاؤلاً، فإنهم يلهمون مريضهم الأمل والثقة، ويكون اهتمامهم به أكثر دقة وموضوعية.

في الماضي كان كسب الرهان والانتصار على السرطان إمكانية ضعيفة، لكن

تقدم العلم، وتراكم الخبرة والتجربة الطبية، جعل الإمكانية في درجة أعلى، وهو ما تثبته حقائق الواقع الخارجي، حيث تحتفل بلدان عدة كلّ عام بالناجين من السرطان. وذلك في اليوم الأول من شهر يونيو/ حزيران من كلّ عام. ويتم الاحتفال بهذا اليوم في أمريكا وإيطاليا، وهولندا، والهند، وماليزيا، وأستراليا، وأفريقيا الجنوبية، ودول أخرى، وانطلقت هذه الفكرة في ٢٠ نوفمبر ١٩٨٧م على يد (ميريل هاستنج) خلال المؤتمر العام الثاني للتحالف الوطني للناجين من مرض السرطان، الذي عقد في مدينة (نيومكسيكو) في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتقوم بعض المدن والمستشفيات ومجموعات الدعم لمرضى السرطان بالاحتفال بهذا اليوم بتنظيم عدة فعاليات، على شاكلة استعراضات، مهرجانات، معارض، مبادرات، وتقديم شهادات حيّة حول مقاومة المرض من أجل رفع معنويات المرضى الجدد.

يقول الدكتور نبيل تمام من البحرين: إنّ الناجين من السرطان هم تجارب حية للمرضى الجدد، ليثبتوا لهم أنهم قادرون على التغلب على المرض، وذلك لإثبات أنّ الحياة بعد تشخيص مرض السرطان واقع يجب التعامل معه، وخصوصاً أنّ المرض غير قاتل. وذكر أن هذه الفكرة تأتي في ظل الفكرة السائدة بأن أي شخص يصاب بالمرض فإنّ هذه هي نهاية الحياة، وهي فكرة خاطئة[١].

وفي الأردن نظمت (مؤسسة ومركز الحسين للسرطان، جلسة للاستماع لقصص الناجين من مرض السرطان، بعنوان «قصص الامل والحياة». ورغم اختلاف أعمار المتحدثين وبيئاتهم وحتى اهتماماتهم فقد جمعتهم إصابتهم بالمرض وفوزهم جميعاً بالمعركة ضدّ هذا المرض)[٢].

(١) صحيفة الوسط ١ يونيو ٢٠١٤م. http://www.alwasatnews.com/news/890930.html

(٢) الرأي الأردنية ٢٦/ ٩/ ٢٠١٤م. http://alrai.com/article/671935.html

وفي جدة وقفت الدكتورة نوره الزهراني أمام أكثر من ١٠٠ شخصية مجتمعية في احتفالية أقيمت بمناسبة اليوم العالمي للسرطان، لتعلن بكلّ قوة وعزيمة وإصرار انتصارها على إمبراطور كلّ الأمراض.

وقالت: «جئت اليوم لأقول لكم إنّ الإمبراطور خسر الكثير من جبروته، وبدأ يسقط تدريجياً عن عرشه، إنّ الشفاء بيد الله ثم العزيمة والإصرار والتحدّي لا مستحيل مع الإيمان بالله وقدرته والتوكل عليه».

وبمناسبة اليوم العالمي للسرطان لهذا العام ٤ فبراير ٢٠١٧/ كتب الدكتور (فيليب سالم) رئيس مركز سالم للسرطان في هيوستن مقالاً رائعاً، ومما جاء فيه: «في مثل هذا اليوم من كلّ سنة، تقف البشرية بخوف أمام هيبة «إمبراطور الأمراض». هذا «الطاغية» الذي يهدّد كلّ واحد منا، ولا يميّز بين غني وفقير، أميركي وعربي. لكن الظلمة تتبدد، ودائرة الضوء في آخر هذا النفق تكبر وتتسع. هل كنت جالساً إلى التلفزيون في ٢٠ كانون الثاني (يناير) تشاهد حفل تنصيب الرئيس الجديد للولايات المتحدة؟ وهل تعرفت إلى الرئيس السابق جيمي كارتر الذي كان يجلس إلى المنصة؟ هذا الرجل أصيب منذ أربع سنوات بسرطان الجلد Melanoma، وكان المرض قد انتشر إلى الدماغ. يومها لم يتوقع أحد أن يبقى كارتر على قيد الحياة. وها هو اليوم يتمتع بصحة جيدة وليس هناك ما يشير إلى بقايا المرض عنده. لم يكن ذلك أعجوبة. كان ذلك ثمرة البحث العلمي، ونتيجة لإخضاع كارتر لعلاج جديد اسمه keytruda، وهو أحد العلاجات الحديثة التي تقوي وتدعّم جهاز المناعة في الجسم بحيث يصبح قادراً على التعرف إلى الخلية السرطانية وبالتالي قادراً على تدميرها»[١].

منابع الأمل والرجاء

في عقيدتنا وثقافتنا الدينية مفاهيم وتوجيهات تلهمنا الثقة والاطمئنان، وتبعث في

(١) صحيفة الحياة ٣/ ٢/ ٢٠١٧م. http://www.alhayat.com/m/story/19969995

نفوسنا الأمل والرجاء، لمواجهة مختلف الظروف الصعبة والأخطار البالغة، وحين يتهددنا المرض وإن كان بقوة السرطان، فإنّ إيماننا بالله تعالى وبقدرته ورحمته يجب أن يكون أقوى.

إننا نعتقد أنّ كلّ شيء بيد الله، وأنه تعالى من يقرّر حياتنا وموتنا، و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[سورة الرعد: الآية ٣٨]، إنّ أيّ مرض لا يستطيع إنهاء حياة إنسان قبل حلول أجله، وإذا حان الأجل فلن تدفعه عن الإنسان أقوى عوامل الصحة والنشاط.

وكم رأينا أشخاصًا يهدّ كيانهم المرض الشديد لكنهم يبقون على قيد الحياة لسنوات، وفي المقابل نرى أشخاصًا يختطفهم الموت فجأة وهم في أوج القوة وتمام الصحة.

وكما يقول الشاعر:

وكم من صحيح مات من غير علةٍ وكم من سقيم عاش دهرًا إلى دهر

فالسرطان ليس نهاية الحياة، لأنّ نهاية الحياة يكتبها الله وحده بعلة أو بغير علة.

وتوجهنا التعاليم الدينية للالتجاء إلى الله تعالى في كلّ محنة تحيط بنا، أو شدة نمرّ بها، ولن يُعجِزَ إرادة الله أيّ مرض، فهو على كلّ شيء قدير، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، يقول تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾[سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٣-٨٤].

وعلى المؤمن أن يكون واثقًا باختيار الله تعالى له، ويفوّض أمره إليه، ويرجو رحمته وفضله.

إنّ كلّ الحقائق والتجارب تؤكد أهمية روح الأمل والمعنويات الرفيعة، لمساعدة المريض في إنجاح برامج علاجه، وللتغلب على آثار المرض وتداعياته، إضافة إلى ما يناله المريض من ثواب الله تعالى إذا ما تحلى بالصبر والثقة بالله والتوكل عليه.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ: يَا مُوسَى، مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ، وَإِنِّي إِنَّمَا ابْتَلَيْتُهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأُعَافِيهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَبْدِي عَلَيْهِ، فَلْيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، وَلْيَشْكُرْ نَعْمَائِي، وَلْيَرْضَ بِقَضَائِي، أَكْتُبْهُ فِي الصِّدِّيقِينَ[1].

تضافر الجهود

أمام زحف هذا المرض الخطير لا بُدّ من تضافر الجهود الرسمية والأهلية، من أجل بثّ الوعي الوقائي، والتشجيع على الفحص المبكر، وتهيئة وسائل التوعية وإجراء الفحوصات، وإرشاد المصابين للجهات التي تفيدهم، ومساعدتهم في الوصول إلى أفضل فرص العلاج، ونشر ثقافة التعامل الإيجابي لمواجهة المرض، في أوساط المصابين وذويهم.

إنّ التقارير التي يصدرها السجل السعودي للأورام بمستشفى الملك فيصل التخصصي، ومركز الأبحاث تحت إشراف وزارة الصحة، تستوجب بذل المزيد من الجهود لوضع حدٍّ لتصاعد أرقام الإصابات، ولمساعدة المصابين.

فقد بلغ المعدل المعياري للإصابة بالسرطان ٨٥,٥ لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان (٨٠,٩ بين الرجال و٩٠,١ لدى النساء)، وسجلت المنطقة الشرقية أعلى معدل لحدوث حالات السرطان بمعدل ١١٧,٧ في كل ١٠٠ ألف من السكان بين الذكور، والأعلى بين السيدات، بمعدل ١١٨,٩ في كل ١٠٠ ألف سيدة.

ويمكن للجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان أن تشكل إطاراً لتضافر الجهود الأهلية على هذا الصعيد، وقد تأسست الجمعية بعد موافقة وزارة الشؤون الاجتماعية في ٢٩/ ٤/ ١٤٢٤هـ، وتهدف إلى تقديم الدعم والمساندة لأولئك المرضى الذين ابتلوا بهذا المرض والحدّ من انتشار الإصابة به.

(١) بحار الأنوار، ج١٣، ص ٣٤٨.

ولها عدة فروع في عدد من مدن المملكة كالرياض وجدة والمدينة المنورة والمنطقة الشرقية.

وأنشئ فرع لهذه الجمعية في القطيف بتاريخ ١٩/ ٧/ ١٤٣٠هـ، حيث يقوم بدور فعّال في نطاق الإمكانات المتاحة، ونأمل أن يرفده المجتمع بالمزيد من الدعم والتفاعل، ليستطيع خدمة أهداف إنشائه، وهي:

- تثقيف وتوعية المجتمع بأمراض السرطان (أسبابها ومعالجتها والوقاية منها).
- العمل على رعاية وخدمة مرضى السرطان وذويهم معنويًّا واجتماعيًّا.
- تأهيل وتطوير الكوادر الطبية والصحية من خلال عقد الندوات والمؤتمرات وورش العمل.
- تدريب الكوادر التطوعية التي تسند نشاطات الجمعية.

إنّ مستوى تحقيق هذه الأهداف يتحدد بمدى مشاركة ودعم أبناء المجتمع، بالتحاق الأعضاء المتطوعين، وتوفير الإمكانات المالية.

الخادمات حقوق وملاحظات

روي عن سلمان الفارسي أنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل والحسين في ناحية الدار يتضور من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضة، فقالت: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يومًا، فكان أمس يوم خدمتها[1]

المحور الأساس في الولاء لأهل البيت عليهم السلام والارتباط بهم، هو الاهتداء والاقتداء، الاهتداء بهديهم، والاقتداء بسيرتهم وسلوكهم، وذلك ما يؤكّده القرآن الكريم في العلاقة مع أنبياء الله وأوليائه، يقول تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٩٠].

وحين يتحدث الإمام عليّ عليه السلام عن علاقة المأموم بإمامه يلخّصها في هذا البعد، يقول عليه السلام: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ»[2]، فالاقتداء بالإمام والاهتداء بنور علمه هو الهدف المنشود.

ولأنّ هناك من قد يتلاعب بعواطف المحبّين لأهل البيت عليهم السلام، أو يصرف توجه

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٨، حديث٣٣.
(٢) نهج البلاغة. كتاب ٤٥.

ولائهم إلى غير المسلك العملي، فإنّ الأئمة عليهم السلام قد نبهوا شيعتهم حتى لا تضلّلهم مثل هذه التوجّهات، يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام في وصبته لابن جندب: «يا ابن جندب، بلّغ معاشر شيعتنا وقل لهم: لا تذهبنّ بكم المذاهب، فوالله لا تنال ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا، ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس»[1].

فبناءً على هذه النصوص، وأمثالها، وهي كثيرة، فإنّ الاعتقاد والإيمان بإمامة أهل البيت وولايتهم، لا يكفي لإحراز النجاة والفوز، إن لم يقترن بالاهتداء والاقتداء، كما أنّ الإيمان بالله تعالى لا يكفي دون العمل الصالح، لذلك غالبًا ما يأتي في القرآن الكريم مقرونًا بعمل الصالحات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[سورة العصر، الآيتان: ٢-٣].

ومحبّة أهل البيت التي لا يتبعها اقتداء بهم، لا تجدي ولا تكفي، كما أنّ محبة الله دون اتباع أنبيائه لا تجدي، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ﴾[سورة آل عمران، الآية: ٣١].

والتفاعل العاطفي مع أهل البيت عليهم السلام، كالتألم لمصائبهم، والفرح بمناسباتهم، لا يصلح بديلًا عن الاهتداء والاقتداء، الذي هو المحور الأساس في الولاء لهم، والارتباط بهم.

وحين تمرّ علينا ذكرى وفاة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنّها فرصة لتجديد عهد الاهتداء والاقتداء بها، لذلك سنقتطف من حقل سيرتها العطرة زهرة فوّاحة من مكارم أخلاقها، ترتبط بتعاملها مع خادمتها فضة النوبية.

واخترنا الحديث حول هذا الجانب من سيرة الزهراء عليها السلام؛ لأنه يلامس مشكلة قائمة ذات بعد إنساني، وهي محلّ ابتلاء لكثير من العوائل التي تحتضن خادمات في منازلها.

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٨١.

الخادمة بين الحاجة والترف

الأفضل أن تعتمد العائلة على نفسها في إدارة شؤون المنزل، بالتعاون بين أعضائها، فتقوم الزوجة بأداء ما يمكنها من المهامّ، ويساعدها الزوج بالقيام بقسط من الوظائف المنزلية، ويربّون أبنائهم على المساهمة في تدبير الأمور.

إنّ تعاون أفراد الأسرة في إنجاز الخدمة المنزلية، يزيد في قوة الانتماء العائلي، ويثري مشاعرهم العاطفية، ويغنيهم عن استقدام خادمة للمنزل، تمثل عنصرًا غريبًا يقتحم أجواء الحياة الخاصة للعائلة، وقد تأتي من بيئة مختلفة ثقافيًّا وأخلاقيًّا.

وقد رأينا بروز بعض الظواهر السلبية الناتجة عن وجود الخادمات في المنازل، مما يتناقله الناس من حوادث، وتنشره وسائل الإعلام، وكما رصدته التقارير والدراسات الاجتماعية.

وتشير دراسات وأبحاث ميدانية، إلى أنّ بعض العوائل ربما استقدمت خادمة أو أكثر، ليس بسبب الحاجة إلى خدمتها، وإنما كجزء من (البرستيج) ومظاهر الرفاهية والتباهي الاجتماعي، وذلك ترف مذموم.

لكنّ ظروف بعض العوائل قد تستدعي وجود الخادمة؛ لكثرة أعباء الخدمة المنزلية، أو لتعدّد الأطفال، أو لوجود حالات مرض وإعاقة، أو لانشغال المرأة بوظيفة خارجية، في مثل هذه الحالات تضطر العائلة إلى وجود الخادمة، كما نقرأ ذلك في سيرة الزهراء عليها السلام، فقد أنجبت أربعة من الأولاد في زمن متقارب، حيث ولدت بالحسن في السنة الثالثة للهجرة، وبالحسين في السنة الرابعة، وبزينب في السنة الخامسة، وبأمّ كلثوم في السنة السادسة أو السابعة.

فكانت أعباء الخدمة المنزلية تزاحم اهتمامها بتربية وتنشئة أبنائها، إلى جانب أعبائها الأخرى في خدمة الدعوة الإسلامية، لذلك أشار عليها الإمام علي أن تطلب من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله خادمة، بعد أن توفرت لرسول الله صلى الله عليه وآله بعض غنائم الحروب،

لكن رسول الله ﷺ لم يجب طلبها في البدء؛ لوجود أولويات أخرى وحاجات في صفوف أصحابه تقتضي الإنفاق.

جاء في سنن أبي داود أنه قال لها: «اتّقي الله يا فاطمة، وأدّي فريضة ربك، واعملي عمل أهلك، فإذا أخذت مضجعك فسبّحي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي ثلاثًا وثلاثين، وكبّري أربعًا وثلاثين، فتلك مئة، فهي خير لك من خادم»[١].

وفي بحار الأنوار، أنّها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة، والذي بعثني بالحقّ إنّ في المسجد أربعمئة رجل ما لهم طعام ولا ثياب»[٢].

واستجاب لها رسول الله ﷺ في مرحلة لاحقة حينما توفرت لديه إمكانات إضافية، فقدّم لها خادمة اسمها فضة النوبية.

روى عليّ بن أعبد، قال: قال لي عليّ عليه السلام: «ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة الزهراء أنّها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضرٌّ شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادمًا يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فأتت النبي ﷺ فوجدت عنده حداثًا فاستحيت فانصرفت، فعلم ﷺ أنها قد جاءت لحاجة فغدا علينا ... قال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس... فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنّها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادمًا يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل، قال: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكبّرا أربعًا وثلاثين تكبيرة، وسبحا ثلاثًا وثلاثين تسبيحة، واحمدا

(١) سنن أبي داود، ج٢، ص٢٩، حديث٢٩٨٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٨٥، حديث٨.

ثلاثًا وثلاثين تحميدة، فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها وقالت: «رضيت عن الله وعن رسوله رضيت عن الله وعن رسوله»[١].

الخادمة وحقوقها الإنسانية

تأتي الخادمة عادة من واقع الاضطرار لممارسة هذا الدور، فتفارق عائلتها، وقد تترك زوجها وأطفالها، وتعيش حال الغربة في بيئة تختلف عن بيئتها، وكلّ ذلك يدعو للشفقة عليها، ومراعاة ظروفها النفسية، وخاصة في بداية عملها، حتى تتكيف مع واقعها الجديد، وتعرف طبيعة الأعمال المطلوبة منها.

إنّها إنسان لها مشاعرها وأحاسيسها، ولها حقوقها الإنسانية التي يجب أن تُراعى وتُحترم، فلا يجوز النظر عليها بدونية واحتقار، ولا إهانتها وإذلالها، ولا رفع الصوت عليها بدون مبرر، فضلًا عن شتمها أو الدعاء عليها بسوء، كما قد يصدر من بعض ربّات البيوت وأفراد العائلة تجاه خادمتهم.

ولا يصحّ إرهاقها بالعمل فوق طاقتها، من دون سقف زمني، فلا بُدّ من تحديد ساعات لراحتها، وأن تكون لها عطلة أو إجازة أسبوعية، وتعطى أجرها في الموعد المحدد دون تأخير؛ لأنّ عوائلهنّ يعتمدن على رواتبهنّ.

إننا نقرأ في سيرة الزهراء كيف كانت تتعامل مع خادمتها فضة بكلّ رعاية واحترام، فقد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقاسمها الخدمة، فتقوم الزهراء بشؤون المنزل يومًا، وتقوم فضة بذلك في اليوم التالي.

روي أنّ سلمان الفارسي قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل والحسين في ناحية الدار يتضوّر من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضة، فقالت أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٣٢١.

تكون الخدمة لها يومًا، فكان أمس يوم خدمتها[١].

إنّ على النساء المؤمنات المحبّات للزهراء، والمواليات لها، أن يستحضرن هذا النموذج في سيرتها، ليقتدين بها، فيحترمن إنسانية الخادمات لهنّ، ويراعين حقوقهنّ.

تقارير وقصص مرعبة

تتناقل وسائل الإعلام بين الفينة والأخرى، تقارير مؤسفة عن صور المعاناة لبعض خادمات المنازل في المملكة، وبعضهن يقدمن على الانتحار، وعدد كبير منهن يلجأن إلى الهرب من منازل مخدوميهم، وهناك من يرفعن الشكاوى إلى سفارات بلادهنّ، كلّ ذلك بسبب سوء المعاملة التي يتعرضن لها، من الإهانة والتعنيف والإرهاق، وتأجيل الرواتب.

نُذكّر هنا بالحديث المروي عن أبي مسعود البدري أنه قال: كنتُ أضرب غلامًا لي. فسمعتُ من خلفي صوتًا: «اعلمْ، أبا مسعودٍ! الله أقدرُ عليك منك عليه)، فالتفتُّ فإذا هو رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! هو حُرٌّ لوجه اللهِ. فقال: «أما لو لم تفعلْ، للفحتْك النارُ)[٢].

إنّ سوء المعاملة قد يدفع بعض الخادمات نحو الإجرام، والاعتداء على حياة مخدوميها وأطفالهم، كما يحدث كثيرًا، وتنقله وسائل الإعلام.

شهدت السعودية في العامين الأخيرين سلسة حوادث راح ضحيتها أطفال ونساء على يد عاملات منزليات، حيث تم تسجيل أكثر من ٩٤٦٠ جريمة قامت بها عاملات منزليات في الأشهر التسعة الماضية، كان أخطرها ثلاث جرائم قتل، ونحو ٣٤ جريمة اعتداء عنيف[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٨، حديث٣٣.
(٢) صحيح مسلم، ص٩٠٥، حديث ١٦٥٩.
(٣) مجلة أنا زهرة. ٢٢/ ١١/ ٢٠١٦م.

وتم تسجيل ١١ تصنيفًا لجرائم العاملات المنزليات في السعودية، من هرب، واعتداء على الأطفال، وإقامة علاقات غير مشروعة مع غرباء، وتسهيل دخول لصوص إلى المنزل، وإقامة علاقات مع أحد من العمالة في المنزل، والسرقة، والسحر، والشعوذة، والاعتداء على الزوجة، والسبّ والشتم، وإقامة علاقة غير مشروعة مع أحد أفراد الأسرة[١].

كما أظهرت دراسة سعودية أنّ فئة الخدم هي الأكثر ممارسة للعنف ضدّ الأطفال داخل المنازل بنسبة ٣,٣٨٪[٢].

ضوابط وملاحظات

إنّ على ربة البيت، وسيدة المنزل، ألّا تسمح للخادمة أن تكون بديلًا عنها في إدارة شؤون المنزل، وتربية الأولاد ورعايتهم، كما يحدث في واقع بعض العوائل، حيث تلقي الأم معظم الأعباء على الخادمة، فهي التي تقوم بمختلف الأمور المرتبطة بالأطفال، من تنظيفهم، وقضاء احتياجاتهم، وحملهم، حتى إنّ تعلّقهم بالخادمة قد يصبح أكثر من تعلقهم بالأمّ.

وفي ذلك سلبيات تربوية خطيرة، ويتحدث بعض الأزواج أنّ الزوجة قد لا تعرف عن متطلبات المنزل، اعتمادًا على الخادمة، التي تصبح وكأنّها كلّ شيء في البيت، أما الزوجة فكأنها ضيف شرف.

من ناحية أخرى، يجب الالتفات إلى أنّ الخادمة امرأة أجنبية، فلا بُدّ من مراعاة مسائل العفّة والحجاب، فلا تبدي من جسمها أمام البالغين من الذكور في العائلة ما يجب على المرأة ستره، ولا يتعامل معها الرجل وكأنّها محرم عليه، بل هي أجنبية تنطبق عليها كلّ أحكام المرأة الأجنبية في الستر والنظر والملامسة.

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ السبت، ١٢ مارس/ آذار ٢٠١٦م.

(٢) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الخميس ٢٥ رمضان ١٤٣٧هـ الموافق ٣٠ يونيو ٢٠١٦م.

التنافس على الخدمة بين أفراد العائلة

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»(١).

تنطوي نفس الإنسان على مختلف الميول والتوجّهات السلبية والإيجابية، كما يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس، الآيتان: ٧-٨].

وللبيئة التي ينشأ ويعيش فيها الإنسان دور أساس في تنمية ميوله وتوجّهاته السلبية منها والإيجابية، فإذا كانت بيئة صالحة أظهرت وعزّزت في نفسه وسلوكه توجّهات الصلاح، أما إذا كانت البيئة غير صالحة فستنمو في شخصيته ميول الشّرّ والفساد.

والعائلة هي الدائرة الأقرب والأكثر تأثيرًا على توجّهات الإنسان وسلوكه، فقد تنمو عنده حالة الأنانية أو الغيرية، وحالة النظام أو الفوضى، وحالة المسؤولية أو اللامبالاة، وحالة التسامح أو التعصّب والتشدّد.

إنّ الأجواء السائدة في العائلة، وطريقة إدارة الحياة فيها، وأسلوب التعامل بين أفرادها، هو ما يؤثر بشكل كبير على صياغة نفسية الإنسان وتشكيل نمط سلوكه.

ويمكننا أن نرصد ثلاث منحنيات في أسلوب إدارة الشأن العائلي:

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، ص٥١٣، حديث ٢٨٥.

التسيب واللامبالاة

تعيش بعض العوائل حالة من التسيّب واللامبالاة في تصريف أمورها، فلا وقت محدّدًا لإعداد الطعام وتناوله، فقد يذهب الأطفال للمدرسة دون تناول وجبة الإفطار، وقد يعودون من المدرسة فلا يجدون وجبة الغداء حاضرة، وقد لا يرون أحدًا في البيت يستقبلهم عند عودتهم، وليس هناك تنظيم لوقت النوم، فبعضهم يسهر لوقت متأخر، وبعضهم ينام لمنتصف النهار، وقد يقضي بعض الأبناء ليلته خارج المنزل.

وحاجات المنزل قد لا تتوفر بسرعة، وإذا ما احتاج شيء في المنزل للصيانة فقد يمرّ وقت طويل قبل إنجاز إصلاحه.

وحين يصاب أحد افراد العائلة بعارض صحي، لا يجد اهتمامًا مناسبًا لعلاجه، وفي التعليم ليست هناك متابعة جادة لدراسة الأولاد، ولا تواصل مع مدارسهم.

فماذا يُتوقع من سلوك أفراد عائلة تعيش مثل هذا الوضع؟

لا شك أنهم سيتربون على هذا المسلك وتنطبع حياتهم بطابع التسيّب واللامبالاة.

الاتكالية والاعتمادية

بعض الأسر والعوائل تسودها حالة من المركزية الشديدة، بأن يتحمل ربّ الأسرة كلّ الأمور، أو تقوم المرأة بكلّ المهام، بينما لا تكون لسائر أفراد العائلة أيّ مسؤولية أو دور، بل يتّكلون على الأب في توفير كلّ الاحتياجات، ولو حصل أيّ نقص لا يبادر أحد لتلافيه، ويعتمدون على المرأة في القيام بكلّ الخدمات، مهما تراكمت أو تعطلت، فلا أحد غيرها معنيٌّ بالأمر.

وهذا الأسلوب ينتج الإرهاق والعناء لطرف، ويكرّس روح الاتكالية والاعتمادية على الغير في نفوس أعضاء الأسرة، كما يؤدي إلى تعطيل مصالحهم.

التعاون والمشاركة

يُفترض أن علاقة الفرد بأسرته هي أعمق وأوثق علاقة، فهي أصله ومحضنه، وبها ترتبط عواطفه ومصالحه، إنه جزء منها وعضو فيها، وينعكس عليه واقعها، وتتأثر حياته بأوضاعها، فهو إذًا معنيٌّ بأمورها، وهذا ما يوجب أن يفكر أفراد الأسرة في شؤونها، وأن يتعاونوا معًا لإنجاح حياتهم العائلية، وإدارة منزلهم على أفضل وجه.

فالمرأة ينبغي أن تشعر الرجل بعونها له في تأمين النفقات الاقتصادية، حسب إمكانها، وخاصة إذا كان مضغوطًا من الناحية الاقتصادية، وأن تُحسن تدبير أمور المنزل لخفض المصروفات.

والرجل ينبغي له أن يساعد زوجته في أداء خدمات المنزل المتعارفة، وفي تحمّل مسؤولية التربية والرعاية للأبناء.

الخدمة المنزلية بين أعضاء الأسرة

وما يمارسه أكثر الرجال من إلقاء كلّ أعباء شؤون المنزل على المرأة، إضافة إلى تحمّلها دور الأمومة وتربية الأبناء، وحتى متابعة تعليمهم، يمثّل تخلّيًا وتهرّبًا من المسؤولية، قد ينعكس سلبيًّا على واقع حياة الأسرة، ومستوى تلاحمها الداخلي، وحسن مستقبل أبنائها.

لقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

كما تحكي السيرة النبوية عن مشاركته ﷺ لزوجاته في تدبير شؤون المنزل، فقد سئلت السيدة عائشة: «ما كان رسول الله يعمل في بيته؟ فقالت: كان بشرًا من البشرِ، يَفْلِي ثوبَه، ويحلبُ شاتَه، ويخدم نفسَه)[1]، وروى البخاري عنها أنها قالت: «كان

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٨، ص٥٠٧، حديث٢٦٧٢٤.

يكونُ في مهنةِ أهلِه، تعني خدمةَ أهلِه، فإذا حضرتِ الصلاةُ خرجَ إلى الصلاةِ»[١].

وفي حياة الزهراء ينقل لنا التاريخ صورًا من مشاركة عليّ لفاطمة في أداء مهام الخدمة المنزلية، فقد جاء عن ابن شاذان: «أنه دخل رسول الله ﷺ على عليّ فوجده هو وفاطمة ﷺ يطحنان في الجاروش، فقال النبي ﷺ: أيّكما أعيى. فقال عليٌّ: فاطمة، يا رسول الله، فقال لها: قومي يا بنيّة، فقامت وجلس النبي ﷺ موضعها مع عليّ ﷺ فواساه في طحن الحبِّ»[٢].

وعن الباقر ﷺ: «إنّ فاطمة ﷺ ضمنت لعليّ ﷺ عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها عليّ ﷺ ما كان خلف الباب نقل الحطب وأن يجيء بالطعام»[٣].

وعن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: كان أمير المؤمنين ﷺ يحتطب ويستقي ويكنس وكانت فاطمة ﷺ تطحن وتعجن وتخبز»[٤].

من جانب آخر، ينبغي إشراك الأبناء في إدارة البيت، ليتربوا على تحمّل المسؤولية، ويكتسبوا تجارب الحياة، كما كان متعارفًا في مجتمعاتنا إلى وقت قريب، حيث كانت البنت تساعد أمها وتكتسب الخبرة منها، وكان الولد يشارك في قضاء حاجات العائلة، أما التعامل مع الأبناء وكأنهم ضيوف شرف، لا يرتّبون حتى غرف نومهم، ولا يغسلون الكأس الذي يشربون منه الماء، فهذا ما قد يربيهم على الكسل، وضعف الجدّية والاهتمام.

ونسمع الآن عن بعض الفتيان والفتيات ممن يدخلون الحياة الزوجية، ولكن تنقصهم الخبرة في إنجاز أدنى الخدمات المنزلية، مما يؤثر في بعض الأحيان على نجاح التجربة العائلية.

---

(١) صحيح البخاري، ج١، ص١٦٣، حديث ٦٧٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٥١، حديث٤٧.
(٣) مستدرك الوسائل، ج١٤، ص٢٥٣، حديث ١٦٦٣٠.
(٤) الكافي، ج٥، ص٨٦، حديث١.

إن حالة التعاون والمشاركة بين أفراد العائلة في إدارة شؤونها، تصب في مصلحتهم جميعاً، وتحقق للأسرة مكاسب كبيرة:

أولًا: تنمي المشاعر الإيجابية، وتكرّس روح الشعور بالمسؤولية في نفوسهم، وهذا ينعكس على سلوكهم خارج المنزل، فيكونون أكثر تهيؤًا واستعدادًا للتعاون مع زملائهم في العمل، وأصدقائهم في الحياة، ويخلق لديهم توجهات العمل الخيري والتطوعي. وبعبارة أخرى تنمو عند أفراد هذه الأسرة الروح الغيرية، وحب مساعدة الآخرين، ومهارة التعاون والمشاركة.

ثانيًا: تشدّ أفراد الأسرة إلى بعضهم، وتقوّي انتمائهم العائلي، حيث يشعر كلّ واحد منهم بدوره وبحضوره، وأنه شريك في إنجازات العائلة، كما يتحمل نصيبه من كلّ فشل أو انتكاسة تمرّ بها، فوجوده أساس وفاعل داخل أسرته، وليس هامشيًّا لا يختلف حضوره عن غيابه.

ثالثًا: تصبح أمور العائلة أكثر انتظامًا، وتكون مهمّاتها أقرب إلى النجاح، كما ترتفع فيها درجة الحصانة والمناعة تجاه المشاكل والسلبيات التي قد تحدث في الحياة العائلية، لأسباب داخلية وخارجية.

نظام للحياة العائلية

من أجل أن تتحقق حالة التعاون والمشاركة بين أعضاء الأسرة، لا بدّ من تكريس نظام للحياة العائلية، وعدم ترك أمور المنزل للتقلبات المزاجية أو الممارسات العفوية والارتجالية.

وليس المقصود أن يكون هناك قانون مكتوب ونظام مفروض، وإنّما المطلوب تكريس واقع إيجابي في تسيير أمور العائلة ينبثق في الأصل من وعي الزوجين وإرادتهما، ليتربى عليه الأولاد، ويتشكّل من خلاله سلوكهم في الحياة المنزلية.

ويمكننا الإشارة إلى بعض الجوانب كمعالم للنظام العائلي:

أولًا: التفكير المشترك في قضايا المنزل وأمور العائلة، ليشعر الجميع بالمسؤولية، ويشتركوا في اتخاذ القرارات، فحين يجلس الوالدان مع الأولاد ويتبادلون الرأي حول أيّ موضوع يرتبط بالشأن العائلي، كإعادة ترتيب المنزل، أو تنظيم المصروفات، أو الإعداد لرحلة سياحية، أو وضع برنامج غذائي، أو ما شابه، فإن ذلك يعزّز اهتمامهم بالأمر، ويستثير أفكارهم لتقديم مقترحات تنضج من خلال النقاش، وربما التفت أحد الأولاد لزاوية كانت غائبة عن نظر الوالدين.

كما أنّ المشاركة في صنع القرار يدفع الجميع للعمل على تطبيقه وإنجاحه، حيث يرى كلّ واحد منهم أنه قراره.

لذلك أكّد القرآن الكريم على المشاورة بين الزوجين في موضوع إنهاء فترة رضاع الولد يقول تعالى: ﴿... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا...﴾[سورة البقرة، الآية:٢٣٣].

ثانيًا: الحضور المنتظم: البيت هو مأوى أفراد العائلة، والمكان الذي يجمعهم، فمن الطبيعي أن تكون لكل فرد من العائلة التزامات ومهام خارج المنزل، لكن البيت هو قاعدة الانطلاق، وتكون الأوبة إليه، بحيث يجتمع أفراد الأسرة ويلتقون ويتفقد بعضهم بعضًا، عند أوقات الوجبات وقبيل النوم، وفي سائر الأوقات المناسبة لهم.

وهكذا كانت سيرة العائلة التقليدية في مجتمعنا، حيث يجتمع أفراد العائلة على سفرة الطعام، ولا يتغيّب أحدهم إلا لعذر معروف، كما لا يأوي الوالدان إلى فراشهما إلا بعد الاطمئنان على عودة الأبناء.

وإذا كان اختلاف طبيعة الحياة يفرض شيئًا من المرونة والتغيير، لكنه يجب

أن يكون ضمن حدود متفق عليها، فقد تسللت بعض العادات السلبية إلى كثير من العوائل، كتأخر أفراد العائلة ليلًا خارج المنزل، حيث يسهر الأب مع أصدقائه إلى ساعة متأخرة، وتشارك الأم في بعض المناسبات الاجتماعية كأفراح الزواج إلى قرب الفجر، ويقضي الأولاد معظم الليالي وخاصة ليالي العطل مع شلتهم وأصدقائهم.

كما اختلّ نظام الوجبات التقليدية عند بعض العوائل، فلا تكاد العائلة تجتمع على وجبة طعام في اليوم، فهذا يذهب للمطعم، وذاك يتغدى مع شلته، والآخر يأتي متأخرًا ليأكل وحده.

إنّ ضعف الانتظام في الحضور للمنزل له آثار وانعكاسات سلبية يشير إليها الباحثون، وتتناولها الدراسات الميدانية عن جنوح الأحداث، وانحدار المستوى التعليمي، ومن يقعون في الانحرافات السلوكية.

ثالثًا: التزام النظام والترتيب لأشياء المنزل: فلكلّ شيء مكانه، وكلّ شيء يجب أن يكون في مكانه، ولا بدّ أن يتعلم ويتدرب كلّ فرد على إعادة ترتيب كلّ شيء يستخدمه في المنزل، بدءًا من سرير نومه، ووضع ما يحتاج للغسيل في المكان المخصص له، وترتيب أغراضه الشخصية.

إنّ ذلك هو ما يربي الفرد على التعامل المنظم مع الأشياء، ويبعده عن سلوك التسيّب والفوضى، وألّا يكون اتّكاليًّا على الآخرين في شؤونه الخاصة به، كوالدته أو زوجته.

رابعًا: توزيع المهام وتقاسمها، بأن يتحمّل كلّ فرد إنجاز مهمة من المهام، ولو مرة في الأسبوع، كسقي الحديقة، أو تنظيف واجهة المنزل، أو تفقد الكراج.

إنّ النصوص الدينية توجّه الإنسان لبذل الجهد في خدمة عائلته، وأنّ ذلك مدعاة لرضا الله تعالى وثوابه، إضافة إلى نتائجه الإيجابية على الحياة.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

وعنه ﷺ: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلقًا. وخيارُكم خيارُكم لنسائهم»[١].

وعن حصين بن محصن الأنصاري أنّ عمته أتت رسول الله ﷺ فقال لها: أذات زوج أنتِ؟ قالت: نعم، قال: «انظري أين أنتِ منه، فإنما هو جنّتك ونارك»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله عبدًا أحسن فيما بينه وبين زوجته»[٣].

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، ص٥١١، حديث ٢٨٤.
(٢) كنز العمال، ج١٦، ص٣٣٧، حديث٤٤٧٩٦.
(٣) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص١٧٠، حديث ٢٥٣٣٤.

العائلة مدرسة الاحترام والإكرام

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ»[1].

لا يُقصّر الإنسان عادة في الإنفاق من ماله وجهده على عياله، بل يعطيهم الأولوية في ذلك على كلّ أحد.

لكنّ البعض قد يعطي الأولوية للآخرين في حسن الخلق والتعامل، أما أفراد عائلته فلا يهتم كثيرًا بإبداء الاحترام والإكرام لهم؛ لأنّ له الميانة عليهم، ولأنّ علاقتهم به مضمونة، كما لا يخشى ردود فعل منهم.

لذلك لهم الأولوية في الإنفاق المالي والجانب الخدماتي، ولغيرهم الأولوية في إسباغ الاحترام والإكرام، وهذا تصور خطأ ونهج غير سليم.

التكليف الشرعي

وقد يتجاوز البعض الحدود، فيتعامل مع أفراد عائلته بأسلوب مسيء، كالإهانة والتعنيف، وهذا ما يدخل في دائرة المعصية لله تعالى، ومخالفة التعاليم الشرعية.

فكما أوجب الله تعالى الإنفاق على الأسرة، أوجب حسن المعاشرة لها، ونهى عن أيّ إساءة لأيّ فردٍ من أفرادها، زوجًا أو زوجةً، أو أولادًا.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣١.

حيث تؤكّد عدة آيات في القرآن الكريم التعامل بالمعروف في الحياة الزوجية، كقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[سورة النساء، الآية: ١٩]. وقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٣١].

والمعاشرة بالمعروف تعني المعاملة بأسلوب لائق منسجم مع تعاليم الشرع، وأعراف المجتمع.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فاستوصوا بالنساء خيرًا»(١).

وعنه ﷺ أنه قال بعد دفن الصحابي الجليل سعد بن معاذ: «إنّ سعدًا قد أصابته ضمّة، ... إنه كان في خلقه مع أهله سوء»(٢).

وروي عنه ﷺ أنه قال: «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه. وعلى الرجل مثل ذلك الوزر إذا كان لها مؤذيًا ظالمًا»(٣).

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام قال: «وأما حقّ الزوجة فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكنًا وأنسًا فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها»(٤).

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام «لا شفيع أنجح للمرأة عند ربها من رضا زوجها»(٥).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ ليس يغضب لشيءٍ كغضبه للنساء والصبيان» (٦).

---

(١) صحيح البخاري، ج٣، ٣٩٢، حديث ٥١٨٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٦، ص٢٢٠، حديث١٤.
(٣) بحار الأنوار ج٧٣، ص٣٦٣، حديث٣٠.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦٢١.
(٥) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١٦٤.
(٦) الكافي، ج٦، ص٥٠، حديث٨.

كسب الأجر والثواب

إذا كان المسلم حريصًا على كسب الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، بأداء العبادات وإعطاء الصدقات، وسائر أعمال الخير، فعليه أن يعلم أنّ حسن تعامله مع أفراد أسرته، وتقديم الاحترام والإكرام لهم، هو من أعظم موجبات رضا الله سبحانه، ونيل رحمته وثوابه، وهو مقياس صلاح الإنسان وخيريته، هذا ما تؤكّد عليه النصوص الدينية، كقوله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»(١).

وعنه ﷺ: «جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله من اعتكاف في مسجدي هذا»(٢).

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله»(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «رحم الله عبدًا أحسن فيما بينه وبين زوجته»(٤).

وروى الإمام الصادق أنه: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ لي زوجة إذا دخلت تلقتني وإذا خرجت شيعتني وإذا رأتني مهمومًا قالت: ما يهمّك، إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفّل به غيرك، وإن كنت تهتمّ بأمر آخرتك فزادك الله همًّا، فقال رسول الله ﷺ: بشِّرها بالجنة»(٥).

تعزيز الثقة وإشباع العواطف

ومن أهمّ آثار الاحترام المتبادل داخل العائلة، أنه يعزّز الثقة في نفوس أفرادها، ويحقّق لهم الإشباع العاطفي، فالولد المحترم ضمن أسرته، يعيش الثقة والاستقرار النفسي، بينما إذا تعرّض للإهانة والإذلال، تنكسر شخصيته وتهتزّ ثقته بذاته، وكذلك الحال فإنّ الفتاة التي يغمرها أهلها بعواطف المحبّة والتقدير، تكون قوية الشخصية،

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، ص٥١٣، حديث ٢٨٥.
(٢) تنبيه الخواطر: ج٢، ص١٢٢.
(٣) الكافي، ج٤، ص١١، حديث١.
(٤) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص١٧٠، حديث٢٥٣٣٤.
(٥) مكارم الأخلاق، ص٢١٥.

قويمة السلوك، بخلاف إذا كانت تعاني قسوة التعامل وجفاف العواطف ضمن عائلتها، فإنها قد تكون فريسة سهلة لمن يتلاعب بمشاعرها وعواطفها من خارج المنزل. وهذا ما تؤكّده التقارير التي تتحدث عن هروب الفتيات من أسرهنّ، أو وقوع بعض النساء المتزوجات في علاقات غير مشروعة، حيث تشير إلى أنّ الجوع العاطفي، وسوء التعامل، هو سبب رئيس لنسبة كبيرة من الحوادث المرصودة.

إنّ تبادل الاحترام والتقدير داخل العائلة، يرفع درجة التماسك والانتماء العائلي، وينعكس إيجابيًّا على نفوس أفراد العائلة وسلوكهم وإنتاجهم في مختلف المجالات.

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق وينسي في الأجل، ويحبّب إلى الأهل، ويدخل الجنة»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من حسن برّه بأهله زاد الله في عمره»(٢).

وقد أشارت النصوص الدينية إلى بعض مظاهر ومفردات الاحترام والاكرام بين أفراد العائلة، كالتوجيه إلى إلقاء التحية والسلام عند دخول المنزل، حيث ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا دخل أحدكم بيته فليسلّم»(٣).

وكإبداء الرجل حبّه لزوجته، كما روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «قول الرجل للمرأة: إني أحبّك، لا يذهب من قلبها أبدًا»(٤).

أمّا الاهتمام بمشاعر الأطفال وإكرامهم، فقد وردت فيه نصوص كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وآله: «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم»(٥).

وعنه صلى الله عليه وآله: «من قبّل ولده كتب الله عزّ وجلّ له حسنة»(٦).

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣١٠، حديث١.
(٢) الكافي، ج٨، ص٢١٩، حديث٢٦٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٣، ص١٧٥، حديث٢.
(٤) الكافي، ج ٥، ص ٥٦٩، حديث٥٩.
(٥) وسائل الشيعة، ج٢١، ص٤٧٦، حديث٢٧٦٢٩.
(٦) الكافي، ج٦، ص٤٩، حديث١.

وعنه ﷺ: «ويسمى بأحسن الأسماء ويكنّيه بأحسن الكنى»[١].

وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «إذا وعدتم الصبيان ففوا لهم»[٢].

التربية على الاحترام

حين يعيش الإنسان في عائلته أجواء الاحترام المتبادل، يحترمه أفراد العائلة، وهو يحترمهم، فإنّ ذلك يكرّس هذا السّلوك في تعامله مع الآخرين خارج العائلة، فيحترم الناس، ولا يرضى لنفسه الإهانة والتحقير من أحد.

وتثبت الملاحظة أنّ الأطفال الذين تجري على ألسنتهم ألفاظ بذيئة تجاه الآخرين، قد اكتسبوا هذا الأسلوب مما يسمعونه داخل عوائلهم. فما يتكرر على مسامع الزوج أو الزوجة، أو الأولاد في المنزل، يصبح مقبولًا في نفوسهم، ويعتادون على استخدامه في المنزل أولًا، ثم يتجرأون على ممارسته خارجه.

كما أنّ تلقي الفرد للإهانة والتحقير من القريبين منه، والفته لذلك، تنزع من نفسه التحسّس لتعامل الإهانة والإذلال من قبل البعيدين؛ لأنه أَلِفَ هذا الأسلوب وتعايش معه.

ولعلّ ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أذلّ الناس من أهان الناس»[٣]، يشير إلى هذه الحقيقة، فالذليل داخل نفسه، لا يرى قبحًا في توجيه الإهانة للآخرين.

كما يلمح الإمام الحسين عليه السلام إلى أنّ من عوامل رفضه لقبول المذلة، نشأته في أسرة طيّبة، غرست في نفسه العزّة والكرامة، حيث قال: «هيهات منا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[٤].

---

(١) بحار الأنوار. ج ١٠١، ص١٢٦، حديث٨٧.

(٢) الكافي، ج٦، ص٥٠، حديث٨.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٤٢، حديث٢.

(٤) تحف العقول، ص٥٨.

احترام الناس

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بحسب امرئٍ منَ الشَّرِّ أن يحقِرَ أخاهُ المُسلمَ، كلُّ المسلمِ علَى المسلمِ حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ، وَعِرْضُهُ»[1].

لا شيء يُسعد الإنسان كشعوره باهتمام الآخرين به، فذلك ما يعزّز ثقته بنفسه، ورضاه عن ذاته، ويشدّه إلى الآخرين.

إنّ فرح الإنسان باحترام الآخرين له أكثر من فرحه بعطاياهم المادية، وما نراه من ارتياح الطفل حين تحتضنه أمّه، أو يقبّله أبوه، أو يضاحكه أحد، هو تعبير عن هذه الحاجة العاطفية التي تواكب الإنسان طوال حياته، وإن تغيّرت مظاهرها وصور متطلباتها.

ومن العادات الجديدة الحسنة حفلات التكريم للمبدعين والمتميزين، التي تترك أثرًا كبيرًا في نفوسهم، وتثري مشاعرهم وأحاسيسهم، وتحفّز الآخرين للإبداع والتفوق حتى يحظوا بتكريم مماثل.

وكذلك أعياد الميلاد العائلية التي تمنح الفرصة للعائلة لإبداء الحبّ والاهتمام بكلّ فردٍ من أفرادها بمناسبة عيد ميلاده.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، حديث ٤٦٥٠.

ويؤكّد الإسلام أهمية احترام الآخرين، وإبداء التقدير لهم، وإظهار الاهتمام بهم، فكلّ فردٍ من البشر هو مخلوق لله، وهو محلّ تكريمه، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ولا يحقّ لك أن تهين مَنْ كرّمه الله، وفي حديث عن النبي ﷺ يعبّر فيه عن الناس بأنهم (عيال الله)، ومن الطبيعي ألّا يرضى الله بإهانة أحدٍ من عياله.

مظاهر الاحترام

وفد اهتمت التعاليم الدينية بالتأكيد على مفردات سلوكية لتبادل الاحترام بين الناس وفي طليعتها إلقاء التحية والسلام، حيث ينبغي للإنسان حين يقابل أحدًا أن يبدأه بالسلام، ويبادر بإلقاء التحية عليه، حتى وإن كان صغيرًا، فقد كان رسول الله ﷺ ملتزمًا السلام على الصبيان، وقال ﷺ: «خمس لا أدعهنّ حتى الممات: ... التسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي»[١].

وعنه ﷺ: «إنّ أبخل الناس من بخل بالسلام»[٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام»[٣].

وإذا كان الابتداء بالسلام مستحبًّا فإنّ ردّ السلام والتحية واجب، ولا يجوز لك تجاهل من يلقي عليك السلام ويحييك، بل عليك أن تشكر له تحيته، وتردّ سلامه، بترحيب أفضل وأجمل، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

وعنه ﷺ: «السلام تطوع والردّ فريضة»[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٣، ص٦٧، حديث١.
(٢) كنز العمال، ج٢، ص٦٤، حديث٣١٣٣.
(٣) الكافي، ج٢، ص٦٤٤، حديث٣.
(٤) كنز العمال، ج٩، ص١٢٢، حديث ٢٥٢٩٤.

وعن علي عليه السلام: «السلام سبعون حسنة تسع وستّون للمبتدئ وواحدة للرادّ»[١].

بل لو كان الانسان منشغلًا بأداء الصلاة، فإنّ ذلك لا يعفيه من واجب ردّ السلام، فيجب ردّ السلام، بنفس الصيغة، ويأثم المصلي إذا لم يفعل ذلك.

البشاشة وحسن الاستقبال

حين يستقبلك إنسان بوجه طلق منشرح، ويقابلك بالبشاشة والترحيب، فإنّ ذلك يبعث البهجة والسرور في نفسك، ويشجّعك على التفاعل معه، وطرح ما لديك من أمور عليه، أما إذا استقبلك بوجه منقبض مكفهر، فإنك لن ترتاح ولن تتفاءل بلقائه.

إنّ حسن الاستقبال هو مؤشّر الاحترام والتقدير، وهو ما يصنع أرضية العلاقة السلمية والتعامل الإيجابي بين الناس، بينما يوحي الفتور والجفاف بعدم الاهتمام بالطرف الآخر، وضعف الرغبة في التواصل معه. لذلك ركزت التعاليم الدينية على هذا الجانب، حيث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «اِلق أخاك بوجهٍ منبسط»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر»[٣].

وجاء عن علي عليه السلام: «الْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ»[٤].

وعنه عليه السلام: «بِشْرُكَ يدلّ على كرم نفسك»[٥].

وتتأكّد أهمية حسن الاستقبال بالنسبة لمن هم في موقع التصدّي لحاجات الناس ومشاكلهم، فإنّ من يقصدهم يكون تحت ضغط حاجته ومشكلته، وحين يُستقبل بفتور ولا مبالاة، فإنّ ذلك يضاعف عليه الضغوط، ويملأ نفسه بالتشاؤم والانزعاج.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٣، ص١١، حديث٤٦.
(٢) الكافي، ج٢، ص١٠٣، حديث٣.
(٣) الكافي، ج٢، ص١٠٣، حديث١.
(٤) نهج البلاغة، حكمة٦.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٧١، حكمة٢٢.

فالطبيب حين يستقبل مريضه، بصدر رحب، وطلاقة وجه، فإنّ ذلك يرفع معنويات المريض، ويجعله أكثر تجاوبًا مع برنامج العلاج، بعكس ما إذا كان الطبيب جافًّا فاترًا في استقباله للمريض.

وكذلك الموظف حين يستقبل المراجعين، فإنّ لطريقة استقباله أثرًا كبيرًا على نفوسهم، وينطبق ذات الأمر على علماء الدين الذين يجب أن يتحلّوا بأعلى قدرٍ من الأخلاق السامية في استقبال الناس، والتواضع لهم، ليجذبوا الناس إلى الدين بأخلاقهم، وليكونوا قدوة بسلوكهم.

ونشير أخيرًا إلى أهمية حسن الاستقبال للفقراء والمحتاجين، من قبل مسؤولي الجمعيات الخيرية، أو مكاتب العلماء، أو ذوي الخير من المحسنين، فإنّ الحاجة تُشعر صاحبها بالضعف، والسؤال فيه نوع من المذلّة، لكن حسن الاستقبال هو الذي يخفف الوطأة على الفقير والمحتاج، لذلك فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي لا تزجره ولا ترفع صوتك عليه.

إنّ مراعاة مشاعر الفقراء والمحتاجين عندما يعرضون حاجتهم، أهمّ من إعطائهم المساعدة والدعم، وإذا رافق العطاء لهم شيء من الاهانة أو الجرح للمشاعر، فلا قيمة لذلك العطاء عند الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ فالاعتذار للفقير عن المساعدة بكلمة طيبة توحي بالاحترام والتقدير، خير من مساعدة يرافقها جرح لمشاعر الفقير وامتهان كرامته.

إظهار الاهتمام

حين يدخل المجلس شخص، فإنّ على الجالسين أن يظهروا الاهتمام به، فيفسحوا له في المكان، ويبدوا له التقدير، ولو بأقلّ حركة للاحتفاء به.

قال الصحابي الجليل سلمان الفارسي: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فألقاها إليَّ، ثم قال: يا سلمان! ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له الوسادة إكرامًا له إلّا غفر الله له»[١].

وكان ﷺ يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته[٢].

وكان ﷺ إذا جلس إليه أحد تزحزح له شيئًا، وذات مرة قال له رجل: يا رسول الله، في المكان سعة، فقال: «نعم، لكن من حقّ المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس أن يتزحزح له»[٣].

هكذا يربينا الإسلام ويعلمنا على إبداء الاحترام والإكرام لكلّ الناس، وبذلك ننال رضا الله سبحانه، وننعم بعلاقات طيبة في محيطنا الاجتماعي.

(١) الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج١٠، ص٢٩٧.
(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٢٧.
(٣) السيد محمد الحسيني الشيرازي، السبيل إلى إنهاض المسلمين، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، قم، ص٤١٠-٤١٤.

التطوع بالوقت

جاء في دعاء كميل: «أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَأَعْظَمِ صِفاتِكَ وَأَسْمائِكَ أَنْ تَجْعَلَ أَوْقاتي مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمالي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً»[1].

الوقت هو أعظم ثروة بيد الإنسان، من خلاله يمكن كسب سائر الثروات، وتعويض ما يضيع منها، لكن أيّ شيءٍ آخر لا يسترجع للإنسان ما ضاع من وقته، إنّه الحياة والعمر، وهو رصيد محدود لا يعود ما ذهب منه.

ومن الطبيعي أن يوظّف الإنسان وقته لخدمة مصالحه، وتسيير شؤون حياته، ولتحقيق تطلّعاته ورغباته، لكن عليه أن يخصّص جزءاً من وقته لخدمة الآخرين، ومساعدتهم في قضاء حوائجهم. فكما يطلب من الإنسان أن ينفق من ماله في سبيل الله ولمساعدة الآخرين، فإنه مطلوب منه أن ينفق من وقته كذلك، وحين يقول الله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فإنّ الوقت هو أعظم رزق يمنحه الله تعالى للإنسان، وعليه أن ينفق منه.

إنّ التطوع بالوقت أصبح مصطلحًا وعنوانًا عالميًّا، لحراك إنساني في مختلف شعوب العالم، فهناك ملايين المتطوعين بجزء من أوقاتهم ضمن مختلف المنظمات

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص٨٤٩.

الخيرية الإنسانية، إلى جانب من يتطوعون ويتبرّعون بجزء من أموالهم وثرواتهم.

وعلى سبيل المثال، فإنّ منظمة أطباء بلا حدود، التي تأسّست عام ١٩٧١م بهدف تقديم المساعدات الطبية على مستوى العالم، ينضمّ إليها كلّ عام أكثر من ثلاثة آلاف شخص مستعدّ للتطوع بجزء من وقته سنويًّا للعمل ضمن برامج المنظمة، من بينهم أطباء وممرضات ومهندسو الصحة والمياه وإداريون، إضافة إلى خمسة عشر ألف شخص يتم تشغيلهم من المناطق التي تعمل فيها المنظمة لتقديم المساعدة الطبية، وتشمل أكثر من ٨٠ دولة في العالم.

ويأتي الشعب الأمريكي في مقدّمة الشعوب الغربية التي يتزايد الإقبال فيها على التطوع بالوقت، لخدمة الحاجات الإنسانية في مجتمعاتهم المحلّية، حيث تشير التقارير إلى أنّ عدد المتطوعين في عام ٢٠٠٩م بلغ ٦٣,٤ مليون أمريكي، صرفوا من أوقاتهم في مجال العمل التطوعي ٨,١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ساعة، قدرت قيمتها بمبلغ ١٦٩ مليار دولار.

وقد ظهرت في بلادنا مؤخّرًا بعض البرامج التطوعية على هذا الصّعيد، حيث بادر بعض الأطباء لتخصيص أيام أو ساعات محدودة يبذلون فيها العلاج للمرضى، دون مقابل، ضمن إطار جمعيات ومؤسّسات خيرية، كجمعية زمزم في مكة المكرمة، وبرنامج يسر التطوعي، والجمعية السعودية للسرطان، وجمعية الرحمة الطبية الخيرية بالدمام.

وما أحوجنا في محافظة القطيف إلى تفعيل مثل هذه البرامج، فهناك كثافة سكانية، وأمراض منتشرة، ومرضى قد لا تتوفّر لهم إمكانية العلاج، أو لا تتيسّر لهم في الوقت المناسب، وهناك من يحتاج إلى الرأي والمشورة الطبية، وإلى تذليل العقبات أمامهم لتلقي العلاج المطلوب، وهذا ما تساعد البرامج التطوعية على تحقيقه.

إنّ في مجتمعاتنا كفاءات طبية كثيرة، تحتل مواقع جيّدة في مختلف المستشفيات

والمؤسسات الصحية على مستوى الوطن، وتقدّم أداءً مشكورًا من خلال عملها الوظيفي، لكنّنا نأمل منها تخصيص جزء من الوقت، لتقديم خدمة تطوعية خارج العمل الوظيفي، وقد سمعت عن بعض المبادرات الفردية على هذا الصّعيد، لكنها محدودة جدًّا، ولو تشكل إطار مؤسّسي لمثل هذا البرنامج، فإنّه سيشجّع هذه المبادرات الخيّرة.

وكما في المجال الطبي يمكن أن يكون ذلك في المجالات الأخرى، كالمجال المعرفي والعلمي مثلًا. ويمكن الاستشهاد بالدور الذي تقوم به الأستاذة الفاضلة غالية المحروس، حيث تقيم دورات مجانية لتعليم اللغة الإنجليزية للنساء...

وقف الوقت

وإذا كان الإنسان حرًّا مختارًا في التبرع بوقته ساعة يشاء وفي أيّ مجال أراد، ولا أحد يحقّ له أن يجبره أو يلزمه بحدود الوقت الذي يتبرع به، أو تحديد مجال صرف تبرعه بوقته، فهل يمكن إيجاد صيغة شرعية يلزم بها الإنسان نفسه للتبرع بالوقت بشكل دائم، بحيث يخرج ذلك الوقت المتبرع به عن سلطته وتصرفه لصالح الجهة التي حدد لها، بحيث يكون ذلك الوقت محبوسًا وموقوفًا على تلك الجهة، تمامًا كما هو حال وقف الأعيان المالية، التي يحبّس أصلها، وتسبّل منفعتها، ضمن مصطلح الوقف الشرعي بشروطه وضوابطه؟

هذا الموضوع الذي يطلق عليه وقف الوقت موضوع جديد مستحدث، لم يكن مطروحًا على الصّعيد الفقهي سابقًا، لكن تطور مسار العمل التطوعي الخيري أثار هذا الطرح، بحيث يكون ذلك الوقت الموقوف خارج ملك الإنسان الواقف وتصرفه، فلا يعود له حقّ التراجع عن بذله أو التصرف فيه لغير الجهة التي وقف لها.

ويعتبر مفهوم وقف الوقت من المفاهيم الجديدة التي استحدثت في السنوات القليلة الماضية، وكانت الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت لها قصب السبق في

طرح هذا المفهوم، منذ بداية عام ١٩٩٨م.

ولقد تمت ترجمته عمليًّا حتى بات أحد المشاريع الوقفية التي تتبع إدارة المشاريع بالأمانة العامة للأوقاف بالكويت، وأصبح للمشروع أوقاف خاصة يصرف ريعها على أغراضه.

كما استفادت المغرب من هذه التجربة واعتمدتها، قال الكاتب العام للمجلس الأعلى لمراقبة مالية الأوقاف بالرباط، عبد الرزاق اصبيحي، وهو يعلن عن إطلاق أول مبادرة لوقف الوقت بالمغرب: «إنّ أيّ شخص له خبرة أو كفاءة في أيّ مجال من المجالات، يمكنه أن يخصّص جزءًا من وقته، ويسخّره لخدمة مؤسّسة خيرية أو غيرها، بحيث يجعل نفسه في ذلك الوقت محبسًا رهن إشارة تلك المؤسّسة، وملتزمًا مع الله ثم مع المؤسّسة بأنْ يقدّم تلك الخدمات».

معتبرًا أنّ وقف الوقت هو شكل مبدع وسهل وراقٍ في تسخير ما حبا الله به الإنسان من خيرات وكفاءات في خدمة المجتمع.

وقد شاركت في الأسبوع المنصرم، في ملتقى الوقف الجعفري بالكويت، الذي خصّص معظم جلساته لبحث موضوع وقف الوقت.

وقد عقد الملتقى بتاريخ ٥-٧ مارس٢٠١٧م برعاية أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح لمدة ثلاثة أيام، حضره وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية محمد ناصر الجبري ممثلًا لسمو الأمير وألقى كلمة.

وشارك في الملتقى عدد من العلماء والباحثين من الكويت والقطيف والأحساء ومسقط والعراق ولبنان وإيران والهند وجنوب أفريقيا. وناقش العلماء والباحثون إمكانية وضع صيغة شرعية لوقف الوقت، ذلك أنّ الفقهاء يشترطون في الموقوف أن يكون عينًا خارجية، وأن تكون مملوكة أو بحكمها، وأن يمكن الانتفاع منها مع بقاء عينها؛ لأنّ الوقف تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة.

فيمكن للإنسان أن يلزم نفسه التبرع بوقته بصيغة النذر أو العهد أو الحلف، أما بصيغة الوقف فهذا ما يحتاج إلى بحث واجتهاد جديد. لذلك خصّصت إدارة الوقف الجعفري بالكويت، التي تأسّست بمرسوم أميري عام ٢٠٠٢م ملتقاها السادس هذا العام لبحثه ودعوة الفقهاء والمجتهدين لإبداء رأيهم حوله.

ضرورة المؤسّسة الوقفية

وبمناسبة الحديث عن هذا الملتقى العلمي الذي أقامته دائرة الوقف الجعفري بالكويت، يهمني التذكير بالمشروع الذي سبق أن طرحته قبل سنوات، حول أهمية الاستفادة من تجارب قيام المؤسّسات الوقفية في المجتمعات الشيعية المجاورة لنا، كالكويت والبحرين ودبي، حيث أصبحت الأوقاف الشيعية في هذه البلدان تحت إشراف مؤسّسة رسمية تختصّ بها، وتقوم بحماية هذه الثروة الوقفية والحفاظ عليها، وتنميتها وتطوير مواردها، وتوظيف إمكاناتها في خدمة الأغراض الوقفية، ضمن أحكام المذهب الجعفري.

أما في منطقتنا فما تزال أوقافنا تحت ولايات فردية، وقد تعرّض قسم من الأوقاف للضياع والتلاعب، وأكثر المتولّين على الأوقاف لا قدرة لهم على تطويرها وتنمية مواردها، واستفادة المجتمع من عطاء هذه الأوقاف محدودة جدًّا قياسًا إلى الحجم الكبير للثروة الوقفية.

وليست هناك جهة متصدّية لإدارة هذه الأوقاف، والإشراف على تحقيق أغراض الواقفين، فالجهة الرسمية المعنية بالأوقاف وهي دائرة الأوقاف والمواريث لا تستطيع بصورتها الحالية القيام بهذا الدور، حيث ترتبط هذه الدائرة بوزارة العدل، وتنشغل بتوثيق ما يرتبط بالأحوال الشخصية من عقود الزواج والطلاق وقضايا الإرث، ولا تمتلك جهازًا إداريًّا لشؤون الأوقاف.

فلا بُدّ من قرار حكومي لتشكيل هيئة لإدارة الأوقاف الشيعية بإشراف ديني شرعي

وفق ضوابط المذهب الجعفري، كما هو الحال في دبي والبحرين والكويت.

إدانة العنف مرة أخرى

مرة أخرى، أصبحت منطقتنا مسرحًا لأعمال العنف حيث وقعت عدة حوادث مؤسفة خلال أسبوع واحد، فقد اُستهدف جندي من شرطة تاروت وقتل على يد مجهولين، كما وجدت جثة لمواطن من العوامية ملقاة في مجرى مائي بمنطقة زراعية في بلدة القديح، وفي حيّ الشويكة قتل بالأمس شاب في حادث لم توضح الجهات الأمنية ملابساته بعد، وجرت محاولة لاغتيال شخصية اجتماعية معروفة هو المهندس نبيه البراهيم، حيث أطلقت عليه عدة رصاصات البارحة (ليلة الجمعة) فنقل إلى المستشفى، نسأل الله أن يمنّ عليه بالصحة والعافية، وما يزال وضع الشيخ الجيراني المختطف منذ شهرين مجهولًا إلى الآن، أعاده الله سالمًا لأهله.

كما تكرّر الهجوم على بعض الصّرافات والبنوك، إنّه لواقع مؤلم محزن أن تحصل هذه الحوادث في مجتمعنا المسالم، ومنطقتنا الآمنة.

إنّنا نطالب الدولة أن تضع حدًّا لهذا الانفلات الأمني، ويجب أن نتحمّل مسؤوليتنا الاجتماعية في محاصرة توجّهات العنف، والتعاون مع أجهزة الدولة في تعزيز الأمن والاستقرار.

المعرفة الدينية بين التفكير والتسليم

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾[سورة الإسراء، الآية: ٣٦]

في الماضي كان الاهتمام بالمعرفة بين الناس محدودًا، فمعظمهم منشغل بتحصيل لقمة العيش، وتسيير أمور حياته، ولا يجد فراغًا للاهتمام بالثقافة والمعرفة، وأكثرهم أميّون لا يعرفون القراءة والكتابة، كما لم تكن وسائل المعرفة متوفرة ومتاحة لعامة الناس، فكانت الأفكار تتداول في نطاق ضيّق، وعلى مستوى محدود ضمن إطار نخبوي، أما سائر فئات المجتمع فإنّ اهتماماتهم الفكرية لا تتجاوز ما يتوارثونه ويتلقّونه من عوائلهم من معتقدات وأفكار دينية سائدة.

أما في هذا العصر فإنّ الواقع الاجتماعي قد تغيّر تغيرًا كثيرًا، حيث انتشر التعليم، وتقلّصت الأميّة إلى أدنى الحدود، وتوفّرت وسائل المعرفة، وانفتحت المجتمعات البشرية على بعضها بعضًا، وأصبح للعمل والكسب قوانين وأنظمة تتيح للأفراد فرص فراغ يملؤونها باهتماماتهم المختلفة.

كما تعزّزت ثقة الفرد بنفسه، فأصبح يتساءل وينتقد ويعترض، ويقارن بين الآراء والأفكار، وانتعشت سوق الترويج لمختلف الآراء والتوجّهات الفكرية على مختلف الصُّعد، واشتدّ التنافس بينها لكسب العقول والأذهان، والتأثير على توجّهات المجتمعات.

بسبب هذا الواقع الجديد وجد كثير من المتديّنين أنفسهم أمام معتركات صراعات فكرية وخلافات ثقافية، وحالات من التساؤلات والاشكالات التي تطال كثيرًا من المسلّمات الدينية السائدة، والأفكار الموروثة والمتداولة.

فهناك صراع بين الدين واللادين، وصراع بين هذا الدين وذاك الدين، وصراع داخل الدين بين مذاهبه المختلفة، وداخل المذهب بين مدارسه المتعدّدة، وداخل المدرسة بين توجّهاتها المتنافسة.

صحيح أنّ مثل هذه المعارك والصّراعات الفكرية كانت قائمة في الماضي، لكنها كانت ضمن نطاقات محدودة، لا شأن لمعظم الناس بها، وقد ينخرطون في معاركها كوقود وأتباع، دون أن يجدوا أنفسهم معنيين بدراسة الأفكار أو الاجتهاد في اختيار الآراء والتوجّهات.

ويعيش كثير من الناس حالة من الإرباك والاضطراب تجاه الخلافات والصّراعات الفكرية، وتصيبهم الحيرة التردّد في اتخاذ المواقف من تصارع الآراء والتوجّهات.

القلق على الدين

وبعض المتديّنين يعيشون حالة القلق على الدين، وأنّ ما يثار حول الدين من شبهات وإشكالات، وما يدور داخله من اختلافات وصراعات، قد تهدّد الدين بالانهيار والانحسار والتراجع في الواقع الاجتماعي، وأنّها بداية النهاية للدين والمذهب، وربما عدّ ذلك بعضهم من علامات آخر الزمان حيث ينتشر الظلم والفساد.

ونرى أنّ ذلك إفراط في القلق، ومبالغة في التحليل والتقدير، فالدّين أقوى وأمنع من أن تنسفه أو تضعفه الإشكالات والتحدّيات، بل قد تكون باعثًا لنهوضه وتعزيز حضوره، وقد رأينا كيف استعاد الدين قوّته ونفوذه بعد أن بشّرت الاتجاهات المادية والإلحادية بموته وانتهائه.

إنّ هذه التحدّيات قد تدفع الوسط الديني لمزيد من القراءة والتأمّل في مبادئ الدين ونصوصه، ولتجديد النظر في المسائل والآراء الدينية، التي هي نتاج لفهوم واجتهادات قد تحتاج إلى التطوير والتغيير.

لكن بعض المتديّنين يتصوّرون أنّ ما يؤمنون به من أفكار، وما يعرفونه من أحكام، وما يمارسونه من طقوس وشعائر، هي حقائق دينية صلبة لا تقبل المسّ والتغيير، ولا يصح الاعتراض على شيءٍ منها.

وهذا نابع من سطحية التفكير وروح التعصّب، بينما يؤكّد العلماء أهميّة استمرارية نهج الاجتهاد في الدين، وإمكانية البحث والنظر في مختلف قضاياه ومسائله العقدية والفقهية.

ويشير الشهيد السيد محمد باقر الصدر إلى «أنّ القليل من أحكام الشريعة الإسلامية هو الذي يحتفظ بوضوحه وضرورته وصفته القطعية ... وقد لا تتجاوز الفئة التي تتمتع بصفة قطعية من أحكام الشريعة الخمسة في المئة من مجموع الأحكام»[1]. ومعنى ذلك أنّ خمسة وتسعين في المئة من الأحكام قابلة للاجتهاد والنقاش.

وذكر مثل ذلك المرجع الشيخ الفياض بأنّ «الذي يتمتع بطابع ضروري لا تتجاوز نسبته إلى مجموع الأحكام الشرعية عن ستة في المئة»[2].

أولويات الاهتمام الفكري

قد يجد الإنسان أمامه عددًا كبيرًا من قضايا الاختلاف الفكري مطروحًا للجدل والنقاش، لكن عليه ألّا يشغل ذهنه وفكره بكلّ قضية مطروحة، خاصة وأنّ كلّ طرف أو جهة تعمل لتسويق آرائها، وإبرازها وكأنّها على أعلى درجة من الأهمية.

(١) اقتصادنا، ص٣٩٣-٣٩٤.

(٢) محمد إسحاق الفياض، المسائل المستحدثة، ص٧.

فمثلًا هناك بعض الجهات الدينية، تبالغ في الاهتمام ببعض تفاصيل القضايا العقدية أو الفقهية أو التاريخية، وتجعل الالتزام بها وكأنّه الحدّ الفاصل بين الإيمان والكفر، وتشنّ حربًا ضارية وهجومًا كاسحًا على من يخالفها في الرأي حول تلك الأمور الجزئية، فتربك الساحة الدينية، وتمزّق صفوف المجتمع على أساس ذلك الاختلاف. هنا على الإنسان المتديّن ألّا يُستدرج لهذه المعارك المفتعلة، فينشغل بها، ويتأزّم نفسيًّا، ويتشنج اجتماعيًّا، فليس واجبًا على الإنسان معرفة كلّ تلك التفاصيل، ولا مطالبًا بها أمام الله، نعم لو انكشف له رأي ديني ثابت تقوم عليه الحجة والدليل، فإنه لا يصح له تكذيبه.

لكنه ليس ملزمًا بالبحث والمعرفة إلّا عن أصول الإيمان، دون التفاصيل والجزئيات المرتبطة بها.

منهجية البحث والتفكير

وإذا ما أراد الإنسان الاهتمام بأيّ فكرة أو قضية، لأولويتها عنده، أو لرغبته في الإلمام بها، وتكوين رأي تجاهها، فإنّ عليه أن يتسلّح بالمنهجية السليمة في البحث، ويمارس التفكير الحرّ، ويسعى أوّلًا للقراءة والاطّلاع على جوانب القضية من المصادر المعتمدة، حيث تتوفر الآن سبل الوصول إليها أمام كلّ باحث، فالكتب موجودة، والشبكة العنكبوتية متاحة، والتواصل مع العلماء والباحثين ميسّر، وما على الإنسان إلّا الاجتهاد في البحث وبذل الجهد لتحصيل المعرفة.

إنّ بعض الناس يكتفي بالمعلومات السّطحية السّائدة، وما يسمعه من خطيب هنا أو فضائية هناك، ويتأثر بأجواء الخلاف والصراع، فيتعجّل في تكوين رأي غير ناضج، أو يحشر نفسه في موضوع لم يبذل الجهد الكافي لبحثه.

وقد يقع الإنسان حينئذٍ تحت تأثير الانفعالات النفسية، والصراعات القائمة، فيتّخذ موقفًا فكريًّا كردّ فعل من جهة أخرى، أو من وحي الشعور بالإحباط وعدم

الرضا عن المجتمع.

والمؤسف أنّ البعض ممن يتّبعون مواقف فكرية بحماس بالغ، حول بعض القضايا المختلف فيها، لم يكلّفوا أنفسهم عناء البحث وتشغيل عقولهم، بل رضوا لأنفسهم أن يكونوا إمّعات وأبواقًا لآخرين يفكرون بديلًا عنهم.

الثقة بالعقل

ربما يعزف البعض عن البحث والتفكير في القضايا المثارة أمامه؛ لأنّه يشك في أهليته وقدرته، فلا يرى نفسه جديرًا بالنظر والدراسة، ولا يثق في إمكانية اعتماده على عقله، وهناك في الوسط الديني ثقافة تدعو إلى تجاهل العقل في الشأن الديني، تحت شعار أنّ دين الله لا يدرك بالعقول، وهي كلمة وردت في ردع من يريدون استخدام القياسات العقلية في المسائل الفقهية المنصوصة، مثل لماذا تقضي الحائض الصوم ولا تقضي الصلاة، مع أنّ الصلاة أهمّ من الصوم؟ ولماذا صلاة الصبح ركعتان والظهر أربع، مع أنّ وقت الصبح أدعى للنشاط من وقت الظهر؟

لمثل هذه التساؤلات جاءت هذه المقولة، لا أنّها قاعدة ومبدأ في العلاقة بين الدين والعقل، أنّ أصول دين الله تدرك بالعقول، كالتوحيد والنبوة والمعاد، كما أنّ القرآن طالب بالرجوع إلى العقل في المسألة الدينية، حيث تكرر آياته: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

كما تؤكّد أحاديث كثيرة أهميّة دور العقل في فهم الدين وإدراكه، كقوله: (أساس ديني العقل)...

إنّ بعض الأطراف الدينية التي تحظر على الناس التفكير والتساؤل في أمور الدين، وتربّيهم على تجميد عقولهم، إنّما تنطلق من خطأ في الفهم، أو سوء في القصد، لكي تسيّر الأتباع كما ترغب وتشاء.

ونقول بكلّ ثقة أنّ بإمكان كلّ فرد مهما كان مستواه أن يقرأ ويفكر ويبحث ويتساءل عن القضايا الفكرية الدينية، ويأخذ بالرأي الذي يطمئنّ إليه، ولا إثم عليه، وإن كان الرأي الذي اطمأنّ اليه خطأ، ما دام قد سلك المنهج الصحيح في التفكير والبحث.

ويستثنى من ذلك المسائل الشرعية العملية، التي تتطلب قدرة اجتهادية لاستنباطها، لا تتوفر لمن لم يصل مرتبة الاجتهاد في دراسته العلمية، فهنا يكون تكليفه الأخذ برأي الفقهاء المجتهدين.

لذلك فإنّ الفقهاء في رسائلهم العملية يحصرون التقليد في هذه المسائل الفرعية الفقهية، أمّا المسائل العقدية والفكرية والتاريخية وفي المجالات المختلفة من النظريات والعلوم، فلست ملزمًا برأي حتى أعلم الفقهاء فيها، ما لم تكن مطمئنًا بذلك الرأي.

فإذا لم يتوفر لك العلم بفكرة ولم تكن مقتنعًا بها، فلست ملزمًا بالإيمان بها، بل عليك ألّا تؤمن بها، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

ولا داعي للتخويف والتخوف، فإنّ الله لا يؤاخذ الإنسان بشيء لم تثبت عليه الحجة فيه، يقول تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[سورة الانفال، الآية:٤٢]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[سورة الإسراء الآية:١٥].

وننبه هنا إلى ضرورة الحذر من بعض الأساليب التي يمارسها الجهلاء السّذج والمغرضون، من نشر بعض الادّعاءات على أساس أنّها مستحبات، أو أحلام وأطياف، ومطالبة الناس بالعمل بها ونشرها، وإلّا فستصيبهم نقم وابتلاءات!!

إنّها خزعبلات وأضاليل ينبغي فضحها وكشفها.

التسرّع في الإنكار

وإذا كان الإنسان غير ملزم بالإيمان بما لم يقتنع بصحته من ما يطرح من أفكار دينية، وهو ليس مأثومًا في ذلك، لكن عليه ألّا يتسرّع في الإنكار والرفض قبل الدراسة والبحث والموضوعي، فعدم الاقتناع شيء والإنكار شيء آخر، والموقف الصحيح هو التوقف، فلعلّ هناك مبررات للفكرة لم يطّلع عليها، أو لأنّها لم تعرض بالشكل السليم، وهناك أسباب كثيرة تحول بين الإنسان وبين إدراك كثير من الحقائق، ونستخلص من ذلك ما يلي:

- دراسة أيّ فكرة قبل اتّخاذ موقف تجاهها.
- الفكرة التي لها أدلة يقتنع ويطمئنّ بها الإنسان يؤمن بها.
- الفكرة التي يتضح بطلانها يرفضها.
- الفكرة التي لم تتأكّد من صحتها ولا بطلانها عليك التوقف فيها وعدم التسرّع في الرفض والإنكار. ولا عليك ممن يطالبك بالإيمان بها، أو يدفعك للكفر بها، فأنت مسؤول عمّا تتبنّى من آراء وأفكار، وتذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

وتأكيدًا على هذه المنهجية الموضوعية وردت عدة روايات وأخبار كما روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: (إذا سمعتم من حديثنا ما لا تعرفون فردّوه إلينا وقفوا عنده، وسلّموا حتى يتبيّن لكم الحقّ، ولا تكونوا مذاييع عجلي)[1].

فالإمام حسب هذه الرواية، لا يطلب من المؤمنين أن يقبلوا ما يصلهم من حديث ديني، لا يقتنعون به (ما لا تعرفون)، ولا يرضى منهم أن يتعجّلوا بإعلان موقف مؤيّد أو رافض ينشرونه بين الناس قبل التأكّد من الموضوع، حيث يقول: (ولا تكونوا مذاييع

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص١٨٩، حديث٢٠.

عجلى) والمذاييع جمع مذياع من أذاع الشيء وأفشاه.

وإنّما المطلوب التوقف حتى تتبيّن حقيقة الموضوع صوابًا أو خطأً.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: (لو أنّ العباد إذا جهلوا وقفوا لم يجحدوا ولم يكفروا)[١].

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: (لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلّا الكفّ عنه، والتثبت والردّ إلى أئمة الهدى، حتى يحملوكم فيه على القصد، ويجلوا عنكم فيه العمى، ويعرفوكم فيه الحقّ، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

خطابات دينية مربكة

تعاني السّاحة الدينية في مجتمعاتنا من وجود خطابات دينية تسبب الإرباك والاضطراب، تصدر من جهات لا تعتمد التحقيق والبحث، أو تخدم أجندة خاصة، فتختار من التراث ما يدغدغ العواطف والمشاعر، بأسلوب المبالغة والتضخيم والغلو، وبإثارة الكراهية والعدوانية ضدّ الآخر، وينتج عن هذه الخطابات، كثير من التشنّجات والإرباكات الفكرية في الساحة، مما دفع المرجعية الدينية إلى التحفّظ والتحذير من هذا الأسلوب، ويظهر ذلك من التوجيهات التي أصدرتها إحدى المؤسّسات التابعة للمرجعية العليا (سماحة السيد السيستاني) للخطباء والمبلغين بمناسبة حلول موسم المحرم ١٤٣٨هـ، ومما جاء فيها:

تحرّي الدّقة في ذكر الآيات القرآنية، أو نقل الروايات الشريفة من الكتب المعتبرة، أو حكاية القصص التاريخية الثابتة، حيث إنّ عدم التدقيق في مصادر الروايات، أو القصص المطروحة، يفقد الثقة بمكانة المنبر الحسيني في أذهان المستمعين.

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص١٢٠، حديث٣١.
(٢) الكافي، ج١، ص٥٠، حديث١٠.

أن يترفّع المنبر عن الاستعانة بالأحلام، وبالقصص الخيالية، التي تسيء إلى سمعة المنبر الحسيني، وتظهره أنّه وسيلة إعلامية هزيلة، لا تنسجم ولا تتناسب مع المستوى الذهني والثقافي للمستمعين[١].

والرهان الحقيقي هو على وعي الناس، وأن يتحمّل الواعون مسؤوليتهم في ترشيد الساحة الفكرية الثقافية، للارتقاء بالخطاب الديني إلى المستوى المطلوب.

(١) http://www.sistani.org/arabic/archive/25463 موقع السيد السيستاني

مجالس العزاء (الفواتح)
ملاحظات وتقويم

جاء في سنن ابن ماجة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من مُؤمِنٍ يُعَزِّي أخاه بمصيبةٍ، إلا كساه اللهُ سبحانه من حُلَلِ الكرامةِ يومَ القيامةِ»[1].

كما أنّ الإنسان إذا أصيب بجراحة أو مرض في جسمه يحتاج إلى المساعدة في توفير العلاج، كذلك إذا أصيب بجراحة في مشاعره وعواطفه بفقد عزيز أو حبيب، فإنه بحاجة إلى المواساة والتعاطف لبلسمة جراحه وآلامه النفسية.

من هنا يندفع الناس فطريًّا في كلّ المجتمعات البشرية، على اختلاف أعراقها وأديانها وثقافاتها، لمواساة بعضهم بعضًا عند المصائب والنوائب.

وقد أولى الدين هذا الجانب اهتمامًا تماشيًا مع الاتجاه الفطري، وتنمية للمشاعر الإيجابية في النفوس، وتعزيزًا للتآلف والتلاحم بين الناس.

ووردت في المصادر الإسلامية عشرات بل مئات الأحاديث والروايات التي تحثّ على تعزية المصاب، وأنّ ذلك موجب للأجر والثواب من قبل الله تعالى، وتبيّن بعض آداب وسنن التعزية والمواساة.

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح سنن ابن ماجه، ج٢، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع)، باب ٥٦ ما جاء في ثواب من عزّى مصاباً، ص٤٥، حديث ١٣١٠ ـ ١٦٢٤.

ففي إحدى الموسوعات الحديثية وهو (جامع أحاديث الشيعة) الذي أُلّف تحت إشراف المرجع الديني السيد حسين البروجردي (توفي ١٣٨٠هـ) بلغت أبواب التعزية والتسلية وما يرتبط بها سبعة عشر بابًا، تضمنت ما يزيد على ثلاثمائة حديث[١]. ومع أنّ المعتبر منها سنداً محدود لكنها من حيث المجمل تؤدي إلى الاطمئنان باهتمام الشارع بهذا الموضوع.

ومن تلك الأحاديث ما رواه ابن ماجه في سننه عن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من مُؤمِنٍ يُعَزِّي أخاه بمصيبةٍ، إلا كساه اللهُ سبحانه من حُلَلِ الكرامةِ يومَ القيامةِ)، وقد صححه الألباني.

وما أورده الكليني في الكافي عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عن جدّه رسول الله ﷺ أنه قال: (من عزّى حزينًا كسي في الموقف حُلّة يحبى بها)[٢].

ولأنّ مواساة المصاب وتعزيته قضية إنسانية، فإنّها تتسع لأتباع الديانات الأخرى، ولا تختصّ بالمسلمين، حيث وردت روايات وفتاوى من الفقهاء بمشروعية تعزية غير المسلم، وهي من مصاديق البر والقسط الذي تناولته الآية الكريمة: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨].

قال العلامة الحلّي في التذكرة: «الأقرب جواز تعزية أهل الذمة، وبه قال الشافعي وأحمد في رواية لأنّه كالعيادة، وقد عاد رسول الله ﷺ غلامًا من اليهود مرض»[٣].

ويمتاز مجتمعنا بالاهتمام البالغ بالمواساة، وتعاطف الناس والتفافهم حول المصابين، وكأيّ مجتمع آخر فإنّ لمجتمعنا تقاليده وأعرافه في برامج التعزية

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج٣، ص٦٠١ – ٧٠٩.

(٢) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي ج٣، ص٢٢٦، حديث٢. ضعفه المجلسي في مرآة العقول، ج١٤، ص١٨٩.

(٣) العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ج٢، ص١٢٦، بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

والمواساة، وأبرزها ما يطلق عليه مجالس الفاتحة، التي يحتشد الناس فيها لتعزية أهل المتوفى، ويقرأ المعزِّين فيها سورة الفاتحة مع جزء من القرآن الكريم، ولذلك سميت (الفاتحة) فيقال تقام الفاتحة لفلان، وحضرت فاتحة فلان.

وبمرور الزمن ترسّخت لمجالس التعزية (الفواتح) في مجتمعنا أعراف وتقاليد يحتاج بعضها إلى المراجعة والتقويم، لتكون أكثر ملائمة وانسجامًا مع تطورات الظروف الاجتماعية؛ لأنّ بعض تلك الأعراف صارت تشكل كلفة وعبئًا على أهل العزاء والمعزِّين.

الكلفة المالية

لم تعد التعزية مجرّد تقديم العزاء لذوي المتوفى عند المشاركة في تشييعه، وهو ما يكفي لانطباق عنوان التعزية عليه.

كما لم تعد مجرّد زيارة لأهل المصاب في منزلهم وتقديم التعزية لهم، كما هو المتعارف عند إخواننا أهل السنة في البلاد، حيث تستقبل العائلة المعزِّين في مجلس البيت، أو ينصبون خيمة أمامه.

بل إنّ المتعارف في مجتمعنا اختيار مكان عام كالمسجد أو الحسينية، يجتمع فيه أهل العزاء، ويستقبلون المعزِّين لمدة ثلاثة أيام على الأقلّ للرجال وخمسة أيام أو سبعة للنساء، ويُستدعى خطيب لقراءة سبعة مجالس عزاء، كما يُستأجر من يقرأ نصًّا في الوعظ والتذكير بالموت والآخرة، قبل قراءة الخطيب، ويطلق عليه (التصديقة)؛ لأنّ النص يبدأ بكلمة صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم، وتكون هناك ضيافة للمعزِّين بالقهوة وسائر المرطبات، كما تُعدّ وجبات الطعام لأهل العزاء ومن يبقى معهم من الضيوف.

وتصل كلفة مجالس الفاتحة للرجال والنساء إلى عشرات ألوف الريالات، بل قد تزيد على المئة ألف ريال لدى بعض العوائل البارزة.

وإذا كانت بعض العوائل تمتلك القدرة والملائمة المالية لإنفاق هذه المبالغ الطائلة، فإنّ أغلبية الناس من محدودي الدخل، وتشكل نفقات الفاتحة عليهم عبئًا وكلفة، وبعضهم يشعر بالحرج إن لم يساير ما هو متعارف في الفواتح الأخرى، مما يضطرهم للاستدانة، ويضغط على أوضاعهم الاقتصادية.

وحتى لو كان للمتوفى مال فإنّ الصرف منه على أداء الحقوق التي قد تكون في ذمّته أو التصدّق عنه، أو التوسعة على عياله وورثته، أنفع وأجدى من المبالغة في مصاريف الفاتحة.

إنّ إقامة وجبات الطعام في الفاتحة أمر لا داعي ولا مسوِّغ له، وبعض مناطقنا يقيمون ثلاث وجبات للفطور والغداء والعشاء، ولأنّ عدد الحاضرين في كلّ وجبة ليس محدّدًا، فانّهم يهيئون ما يكفي لأكبر عدد محتمل، ثم يكون مآل كمية كبيرة من الطعام إلى التلف والضياع، وذلك من مصاديق الإسراف والتبذير، علمًا بأنّ هناك رواية أوردها الشيخ الصدوق مرسلة عن الإمام الصادق عليه السلام: (الأكل عند أهل المصيبة من عمل أهل الجاهلية)[1]، وأفتى السيد اليزدي في العروة الوثقى بالكراهة قال: (ويكره الأكل عندهم أهل الميت وفي خبر أنه من عمل أهل الجاهلية).

وعلّق السيد الشيرازي على هذه الرواية بقوله: (ولعلّ سرّه أنّهم مشغولون بعزائهم، فالأكل عندهم نوع من الكلّ عليهم، ولكن الظاهر أنّ ذلك ليس فيما إذا كان لهم استعداد لذلك، كما يعتاد في هذه الأزمنة)[2].

ويبدو لي أنّ الرواية بصدد الاعتراض على هذه الظاهرة والمسلك، حتى لا تكون عرفًا وتقليدًا في المجتمع الإسلامي؛ لأنّها إنما تليق بالمجتمعات الجاهلية التي تتباهى بالموائد الفاخرة حتى في مناسبات الوفيات، وإذا كان لبعض العوائل استعداد

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١١٦.
(٢) الفقه، ج٥، ص١٥٩.

وإمكانية لبسط موائد الطعام في الفواتح، فإنّ العوائل الأخرى غير المقتدرة ستصبح في موقع الحرج وتحمّل الأعباء.

ويشكو البعض من مبلغ أجرة الخطيب في الفاتحة التي تتراوح بين ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف ريال؛ لأنّ الخطيب يلتزم قراءة سبعة مجالس، وتستغرق مدة القراءة ما بين نصف ساعة إلى ساعة كاملة، بينما لا يلتزم إخوتنا المؤمنون في الأحساء بالقراءة في كلّ أوقات العزاء، بل قد تكتفي الفاتحة بقراءة مجلس واحد كلّ يوم، لا يستغرق أكثر من عشر دقائق إلى خمسة عشر دقيقة، ويعطى للخطيب ما بين مئتين إلى ثلاثمئة ريال فقط، كما سمعت من عدد من العلماء والخطباء هناك.

أما قارئ (التصديقة) التي يتعارف على قراءتها قبل خطيب التعزية، فيعطى بين ألف إلى ألف وخمسمئة ريال، وهذه التصديقة متعارف عليها في مجتمع القطيف فقط كما يبدو.

إرهاق أهل العزاء

إذا كان أهل العزاء في حاجة للتعاطف والدعم النفسي، مواساة لهم في مصابهم، فإنّهم أيضًا في حاجة للراحة الجسمية، لذلك لا ينبغي أن يكون برنامج استقبال المعزِّين مكثفًا بحيث ينالهم التعب والإرهاق، ويؤثر على سائر مصالحهم والتزاماتهم العائلية والعملية، ففيهم كبار السنّ والمرضى والحوامل والمرضعات وربات البيوت، والموظفون وغير ذلك.

إنّ بعض العادات تفرض على أهل العزاء أن يستقبلوا المعزِّين لما يزيد على اثني عشر ساعة أيام العزاء صباحًا وعصرًا وليلًا، وأن يتركوا أعمالهم والتزاماتهم خلالها، ولأنّ الموت حقّ وقدر على العباد، فإنّ مناسبات العزاء تتكرر، فلكلّ عائلة دائرتها الواسعة من القرابات والمصاهرات والصداقات والجيرة.

وفي مجتمعات كثيرة تقتصر مجالس قبول التعازي على ساعة أو ساعتين مساءً،

وفي مجتمعنا حصل تطور إيجابي في معظم المناطق باعتماد فترتي المساء عصرًا وليلًا دون فترة الصباح لإقامة مجالس الفاتحة؛ نظرًا لانشغال الناس في الصباح بأعمالهم ومدارس أبنائهم والتزاماتهم المختلفة.

وإذا كانت مجالس الفاتحة للرجال تقتصر على ثلاثة أيام، فإنّها عند النساء تتضاعف إلى خمسة أو سبعة أيام، مما يسبب عناءً وإرهاقًا لهنّ، وزيادة في المصرف، ويكون على حساب واجباتهن العائلية، وبعضهنّ ذوات وظيفة وعمل.

وفي الكافي عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام: (يصنع لأهل الميت مأتم ثلاثة أيام من يوم مات)[١]، وهو حديث حسن الإسناد[٢].

وجاء في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: (لما قتل جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام أن تتخذ طعامًا لأسماء بنت عميس زوجته ثلاثة أيام، وتأتيها ونسائها، فتقيم عندها ثلاثة أيام)[٣]، وهو حديث حسن الإسناد[٤].

بل إنّ بعض الفقهاء يرى أنّ التعزية يوم واحد فقط وما زاد على ذلك مكروه، كما ذكر السيد اليزدي في العروة الوثقى قال: (ويجوز الجلوس للتعزية، ولا حدّ له أيضًا، وحدّه بعضهم بيومين أو ثلاث، وبعضهم على أنّ الأزيد من يوم مكروه).

المشقة على المعزّين

احتشاد مجالس العزاء بالمعزِّين، وحرص أبناء المجتمع على مواساة بعضهم بعضًا، يكشف عن درجة عالية من التعاطف والتماسك الاجتماعي، لكن بعض العادات والتقاليد تفرض على الناس أن يتحمّلوا كثيرًا من المشقة والعناء حين يبادرون

(١) الكافي، ج٣، ص٢١٧، حديث ٢.
(٢) المجلسي، مرآة العقول، ج١٤، ص١٦٦.
(٣) الكافي، ج٣، ص٢١٧، حديث ١.
(٤) مرآة العقول، ج١٤، ص١٦٥.

لأداء هذا الواجب الاجتماعي، فقد أصبح متعارفًا أن يقف العشرات من ذوي الميت وأصدقائه لتقبّل العزاء، وقد يصل تعدادهم إلى السبعين أو الثمانين شخصًا، وعلى المعزِّي أن يصافحهم واحدًا واحدًا، وقد لا يكتفي البعض بالمصافحة بل يردفها بالمعانقة والتقبيل، ومع كثرة المعزِّين يكون الصفّ طويلًا، وقد يكلف الإنسان نصف ساعة أو أكثر في بعض الأحيان.

وعند إخواننا الأحسائيين على المعزِّي أن يصافح جميع الموجودين في مجلس العزاء من أهل العزاء وغيرهم، ولك أن تتصور مدى الجهد والعناء والوقت الذي تستهلكه مثل هذه التقاليد التي يتذمّر منها كثير من الناس، ويشكون من عنائها، لكن هناك إصرارًا على الاستمرار فيها، وكأنّها قدر لا يمكن تغييره.

وحتى حين يتكرر مجيء الإنسان لمجلس العزاء فإنه يلتزم تكرار المصافحة.

وقد جاء في رواية عن الإمام علي عليه السلام: (التعزية مرة واحدة قبل أن يدفن وبعدما يدفن)[1].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (كفاك من التعزية أن يراك صاحب المصيبة)[2].

ولتخفيف هذا العبء والمشقة عن الناس، ينبغي تقليل عدد المستقبلين للمعزِّين بالاقتصار على عدد من أقاربه فقط، أو ترك المصافحة والاكتفاء بالمرور من أمام أهل العزاء، كما هو المتعارف في بلدان أخرى كالعراق.

أعراف تقبل النقاش والتطوير

القدر المتيقّن أنّ تعزية المصاب سنة شرعية، وعمل ندب إليه الشرع، كما هو اندفاع فطري ونزعة إنسانية عزّزها الدين وأيدها.

---

(١) السيد الشيرازي، الفقه، ج١٥، ص١٥٣.

(٢) الوسائل، ج٣، ص٢١٦، باب ٤٨ من أبواب الدفن، حديث٤.

أما أسلوب وطريقة التعزية وتوقيتها وملابساتها فذلك شأن عرفي، تحدّده أوضاع وظروف المجتمعات، بل حتى ظروف الأفراد.

وهذا ما نصّ عليه الفقهاء، قال السيد اليزدي في العروة الوثقى في المستحبات قبل دفن الميت وبعده: (تعزية المصاب وتسليته قبل الدفن وبعده، والثاني أفضل، والمرجع فيها إلى العرف، ويكفي في ثوابها رؤية المصاب إيّاه، ولا حدّ لزمانها).

وقال السيد الشيرازي في شرحه لعبارة السيد اليزدي: (والمرجع فيها إلى العرف، فكلّما يسمى تعزية وتسلية يكون داخلًا فيهما، وقد يكون بالفعل، وقد يكون بالقول، وقد يكون بالإشارة، وقد تكون بالكتابة...ولا حدّ لزمانها، بل زمانها ما يُعدّ عند العرف تعزية، وإن كان بعد سنة، كما إذا رأى صديقه بعد سنة وقد مات أبوه وكان الموقع موقع التعزية عرفًا)[1].

أما الروايات الواردة في بعض تفاصيل قضايا التعزية، فالمعتبر منها سندًا قليل، وحتى بناءً على التسامح في أدلة السنن، لمن يقول بذلك، فإنّ هناك اختلافًا بين بعض تلك الروايات، وقد يكون ذلك لصدورها في حالات مختلفة.

صحيح أنّ بعض الأعراف في التعزية تتوافق مع عناوين عامة لما هو مرغوب ومندوب إليه شرعًا، كتلاوة القرآن الكريم، وذكر فضائل ومصائب أهل البيت عليهم السلام، والموعظة والإرشاد، وإطعام الطعام، والمصافحة والمعانقة بين المؤمنين، وأمثال ذلك من الأمور الصالحة والجيدة في حدِّ ذاتها، لكن الكلام فيما إذا تحولت هذه المستحبات إلى التزامات تسبب المشقة والحرج النوعي، فهنا يمكن الدعوة إلى التخفيف منها تيسيرًا على الناس، ودفعاً للمشقة والحرج، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

ولعلّ بعض من يدافع عن هذه العادات والأعراف، مستعينًا ببعض الروايات

(١) الفقه، ج١٥، ص١٥٤.

والفتاوى والعناوين العامة، ليس ملتفتًا إلى محور البحث والنقاش، وهو التخفيف والتيسير على الناس، وليس النزاع في المشروعية، أو رجوح تلك الأعمال في حدّ ذاتها.

ويمكننا الاستشهاد بما يؤكّد عليه الشرع من التخفيف في الصلاة لمن يؤمّ الجماعة، مع أنّ زيادة الأذكار في الصلاة، والإتيان بالمستحبات المختلفة في أعمالها، أمر يحبّذه الدين ويدعو إليه، لكن مراعاة حال الضعفاء في المصلين جماعة يصبح أولوية ينبغي مراعاتها.

الالتزام بالوصية

في بعض الأحيان قد يجد أهل العزاء أنفسهم ملزمين بهذه الأعراف والتقاليد لنصّ الميت عليها في وصيته، وهنا لا كلام في أنّ الوصي ملزم بتنفيذ الوصية، وتحقيق ما أراده المتوفى، لكن من الواضح أنّ كثيرًا من المتوفين لا وصيّة لهم، كما أنّ بعض الوصايا لا تذكر التفاصيل وإنّما تنصّ على إقامة العزاء حسب المتعارف، وحين يتغير العرف، وهو ما ندعو إليه، فستنطبق الوصية على العرف الجديد، كما ندعو إلى أن يعيد الناس النظر في صياغة وصاياهم، وأن يأخذوا هذه الملاحظات بعين الاعتبار.

إنّ ما نهدف إليه هو تقليل الكلفة المالية لنفقات الفواتح؛ مراعاة لأوضاع محدودي الدخل، وأن يتوجه المقتدرون للصرف فيما يكون أكثر نفعًا للميت ولعائلته ومجتمعه من أعمال الخير والبر.

كما نهدف إلى تخفيف المشقة والعناء على أهل العزّاء وعلى المعزِّين، لنؤدي واجباتنا الاجتماعية بسهولة ويسر، ونحتاج إلى شيءٍ من الجرأة للتغيير في بعض العادات والتقاليد، لتصبح أكثر ملاءمة لظروف المجتمع، ومراعاة لمصالحه، ولا يتم ذلك إلّا عبر المبادرات الجريئة، ونشر الثقافة الداعمة للتغيير والتطوير، وسيبقى هناك من يعارضون ويمانعون أيّ تغيير أو تطوير في تلك التقاليد؛ لقناعتهم بأرجحيتها

وأفضليتها، وتلك وجهة نظر محترمة، لكن هناك من يتشبّث بموروثات الأعراف والتقاليد لعدم وعيه واستيعابه لتطورات العصر والحياة، ولهواجسه وقلقه من أيّ تطوير وتغيير.

والله من وراء القصد.

الواقعية في تطبيق القيم والمبادئ

عن الحسن بن موسى قال: روى أصحابنا عن الرضا عليه السلام: أنه قال له رجل: أصلحك الله، كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟ وكأنه أنكر ذلك عليه؟ فقال له أبو الحسن الرضا عليه السلام: «يا هذا، أيهما أفضل النبي صلى الله عليه وآله أو الوصي؟ فقال: لا، بل النبي، قال: فأيّهما أفضل مسلم أو مشرك؟ قال: لا، بل مسلم، قال: فإنّ العزيز عزيز مصر كان مشركًا وكان يوسف عليه السلام نبيًّا وأنّ المأمون مسلم وأنا وصي، ويوسف سأل العزيز أن يوليه حين قال ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وأنا أجبرت على ذلك»[1].

وعن محمد بن عرفة قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال: ما حمل جدّي أمير المؤمنين على الدخول في الشورى؟.[2]

ثمة تساؤلات جوهرية تثار حول منهجية أئمة أهل البيت عليهم السلام السياسية حيال التعاطي مع الواقع السياسي المعاصر لكلٍّ منهم. ومن ذلك مثلًا ما يثار عند تناول حياة

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص١٥٠، باب٤٠، حديث١.
(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص٣٩٤.

الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ فيما يتعلق بقبوله تولي منصب ولاية العهد للخليفة العباسي المأمون. وتزداد حدة التساؤلات في ظلّ الاعتقاد بأنّ المأمون لم يكن يمثل السّلطة الشرعية بوجود الإمام ﷺ. فكيف قبل الإمام أن يشترك معه في الحكم، وأن يكون ولي عهد له. وعلى غرار ذلك، يجري نقاش مشابه عند الحديث عن حياة الإمام الحسن بن علي ﷺ، وقبوله عقد الصلح والتنازل عن الحكم لصالح الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، الذي لم يكن يمثل سلطة شرعية وقد استخدم القوة لتحقيق مآربه السياسية والاستيلاء على الحكم.

وفي هذا المقام يجتهد الباحثون والعلماء والخطباء في تقديم الإجابات وسرد التبريرات، في سبيل إقناع جمهور المؤمنين بسلامة تصرف الأئمة، وتتراوح التبريرات بين اعتبار تصرف الإمام نابعًا عن أمر إلهي، وبموجب ذلك ليس على الإمام سوى التقيّد بما أمره الله به، دونما اعتبار إلى مدى فهم الجمهور للحكمة من وراء ذلك أو عدمه. كما قد يأتي تبرير موقف الإمام، سواء الحسن أو الرضا، باعتبارات الاضطرار وأنّ كلًّا منهما كان مجبرًا على اتخاذ موقفه ذاك وإلّا تعرض للقتل. ولكن هذا التبرير غير كافٍ لحلّ الإشكال القائم؛ لأنّ القتل لم يكن بالأمر المخيف لمن هو في مقامهما، فلم يكن أيٌّ منهما يهرب من الشّهادة.

وحقيقة الأمر، يكمن منشأ التساؤلات آنفة الذكر عن موقف الإمامين الحسن والرضا ﷺ في وجود قناعة مسبقة بشأن القيم والمبادئ التي ينبغي أن تحكم المجال السياسي العام. وأنّ أيّ واقع سياسي يخالف تلك القيم والمبادئ التي نؤمن بها لا يصح لنا أن نتعامل معه، وإذا ما تعامل أحد مع واقع سياسي من هذا القبيل، فلا بُدّ وأن تبرز بوجهه علامات الاستفهام وتثار بشأنه التساؤلات. من هنا تبرز الحاجة لتقديم الإجابة عن هذه التساؤلات ومعالجة هذه الإشكالية.

التصلب في الموقف السياسي

في هذا المقام ينبغي أن نتساءل أولًا، حول ما إذا كان مطلوبًا التقيد والالتزام التام، في كلّ الأحوال وفي جميع الظروف، بجميع القيم والمبادئ والتشريعات التي نؤمن بها، بصرف النظر عن الواقع القائم. أم أنّ هناك مرونة دينية حيال التعاطي مع الواقع القائم. واستجابة لهذا التساؤل، تتراوح المواقف العامة في وسط المؤمنين إزاء هذه الإشكالية، فهناك من يكون لهم مسلك متصلب إزاء أيّ واقع سياسي ليس منسجمًا مع المبادئ والقيم التي يؤمنون بها، وبذلك لا مجال للتعامل معه، وليس هناك من خيار وفق هذا المنطق إلّا الاصطدام مع ذلك الواقع السياسي والثورة عليه والاحتراب معه، بصرف النظر عن تبعات هذا الخيار من القتل والسجن وشتّى الكوارث المتوقعة. أما الخيار الآخر المطروح فهو خيار الاعتزال، فلا يذهب أصحاب هذا الخيار للصدام مع الواقع السياسي، كما لا يسعون للتعامل معه، ويتلخص هذا الخيار في التزام حالة العزلة والانكفاء على الذات، والقبول بحالة التهميش إلى أن تتغير الأوضاع. هذان المسلكان هما السّائدان في الواقع الاجتماعي عند المسلمين في العصور المتأخرة خاصة.

منهج الواقعية السياسية

غير أنّ هناك مسلكًا آخر في مقابل هذين المسلكين، لكنه منهج مغيّب وجرى التعتيم عليه طويلًا، ألا وهو منهج الواقعية السياسية. ويكمن جوهر هذا المنهج الواقعي في إثبات الوجود، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وإصلاح ما يمكن إصلاحه، وبناء القوة، وتنمية الحضور في واقع الأمة، والسعي باتجاه تغيير الواقع الفاسد قدر الإمكان، دون الذهاب إلى الصّدام بأيِّ ثمنٍ ولو أدّى للإبادة والفناء كما في الخيار الأول، ولا القبول بالتهميش والعزلة كما الخيار الثاني. إنّ منهج أئمة أهل البيت عليهم السلام غني بالواقعية السياسية، لكن هذا المنهج مغيّب ومعتم عليه، وغير مطروح للتداول ولم يجر التنظير

له، كما لم يتحول إلى رؤية ونظرية ومنهج.

إنّ من المهم أن نعالج فهمنا للدين. إذ من الصحيح أنّ الدين جاء بغرض أن يأخذ مداه على أرض الواقع، لكن هناك مراتب لهذا التطبيق، فتارة يمكن تطبيق قيم الدين في مرتبتها العليا، كما في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّـهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وتارة أخرى ليس من المتيسر تطبيق هذه القيم في مرتبتها العليا، فيجري تطبيق ما هو أدنى من ذلك حسب الإمكان، كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّـهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وهذا المعيار يكاد ينطبق على كلّ حالة دينية.

إنّ الفهم المتصلب للدين هو الذي قاد الحالة الدينية إلى التطرف والتشدّد، والعزلة والتهميش، وذلك ما لم يكن في مصلحة الإسلام ولا مصلحة الأمة. ذلك أنّ الدين يؤكّد على التزام الواقعية؛ لجهة عدم اعتبار تطبيق القيم الدينية أمرًا مثاليًا، بمعزل عن الواقع وعدم الأخذ به بعين الاعتبار، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وعلى غرار ذلك يمكن القول إنّ الله لا يكلف أمة إلّا وسعها، ولا مجتمعًا فوق طاقته، إنّ المجتمعات مطالبة في التزامها بالقيم بأن تحسب حسابًا لمصالحها وحفظ ورعاية وجودها. وقد جاء في الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، إنه لا تكليف بما لا يطاق، وفي ذات السّياق جاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّـهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾. وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «رفع عن أمتي أربع خصال: خطؤها ونسيانها وما أُكرهوا عليه وما لم يطيقوا»[1]. وبذلك يغدوا تطبيق القيم والمبادئ أمرًا بعيدًا عن المثالية والصّرامة.

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص٤٦٢.

تنوع الحكم الشرعي

واستطرادًا، يقسّم الفقهاء الحكم الشّرعي إلى عدة تقسيمات تختلف ظروف تطبيق أحدها عن الآخر. فهناك ما يعتبر حكمًا أوليًّا، وآخر حكمًا ثانويًّا، وثالث حكمًا ولائيًّا. ويعرّف الحكم الأولي بأنه الحكم المجعول للشيء وبالذات، دون لحاظ لأيِّ عارض أو طارئ يطرأ عليه، ومن ذلك مثلًا اعتبار شرب الماء مباحاً، فيما شرب الماء النجس حرام، وهذا حكم أولي، غير أنّ بروز عارض موضوعي قد يجعل من شرب الماء بالحكم الثانوي واجبًّا شرعيًّا إذا توقف عليه إنقاذ النفس من الهلاك، وكذلك الحال مع حرمة شرب الماء النجس، الذي قد يصبح بالحكم الثانوي جائزًا، وربما كان واجبًا عندما يتوقف عليه إنقاذ حياة الإنسان، وهنا يتضح أنّ شارب الماء النجس في هذه الحال ليس خارجًا عن الدين، وإنّما هو متقيّد بصميم التشريع، بل لو لم يقدم على شرب الماء النجس إنقاذًا لنفسه لكان مخالفًا للدين.

وهكذا تأتي في الشريعة أحكام مندرجة تحت بند الاضطرار؛ ومن ذلك رفع الحرج، ومصلحة النظام، وأهون الضررين، وهذه بأجمعها عناوين موجودة ومقرّة في الشّرع.

وهناك نوع الثالث من الأحكام وهو الحكم الولائي، وهو الحكم الصادر عن القيادة الدينية مراعاة لظرفٍ من الظروف، فقد يحكم الفقيه بوجوب أمر من الأمور التي هي ليست واجبة من حيث الأصل، وذلك لمصلحة معينة، وعلى هذا النحو قد يحرّم أمرًا هو ليس حرامًا من حيث الأصل، لكنه يرى مصلحة في المنع والتحريم، وهذا ما يعرف بالحكم الولائي.

وعليه يمكن القول إنّ الفكر الديني غنيٌّ بالمرونة التشريعية، والنأي عن الجمود والخشبية والتصلب. ومردّ حالة التصلب هذه، إمّا لوقوع البعض في حالة من سوء الفهم للمبادئ والقيم الدينية، وطريقة التعامل معها، وإنزالها في مجال التطبيق

والعمل، وإمّا لدوافع أخرى تجعلهم يتعاطون مع المبادئ والقيم الدينية على نحو متشدّد متطرّف.

نماذج من سيرة أهل البيت

إنّ سيرة أئمة أهل البيت غنية بالنماذج التي قدّم من خلالها الأئمة أمثلة حية على المنهجية المرنة في التعاطي مع الوقائع المختلفة. وقد قدّم أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام نموذجًا مشرقًا في التعامل مع الخلفاء، فقد كان يحضر الجمعة والجماعة، وكانوا يستشيرونه، وهو يمحضهم النصيحة ويقدّم لهم الرأي، وقد وثقت مختلف المصادر ومنها «نهج البلاغة» لهذه المنهجية التي كان عليها الإمام عليه السلام كقوله عليه السلام: (لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ)، وكحديثه عليه السلام عن مشاركته في جلسة الشّورى التي شكّلها الخليفة عمر بن الخطاب عند إصابته لاختيار الخليفة من بعده، حيث عيَّن ستة من الصحابة كان الإمام عليٌّ واحدًا منهم إلى جانب عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، ورغم أنّ الإمام ينتقد هذه التشكيلة إلّا أنه لم يرفض الانضمام إليها، يقول عليه السلام: (فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا).

وقد سجّل له التاريخ أنه لعب دورًا حيويًّا فقام بالوساطة بين الثائرين والخليفة، في الفتنة التي حصلت في عهد عثمان بن عفان، فلم يكن عليه السلام منعزلًا ولا منكفئًا على نفسه.

وكذلك الحال مع الإمام الحسن عليه السلام في قبوله الصلح، والإمام الرضا في قبوله منصب ولاية العهد، فقد كان جميع ذلك ضمن هذه المنهجية المرنة في التعامل مع

الواقع السّياسي في عصرهم، انطلاقًا من رؤية مفادها ضرورة حفظ مصالح الأمة من خلال المسلك الواقعي، لا خوفًا على أنفسهم من القتل أو ما أشبه ذلك. وحينما يعبّر الإمام الرضا عليه السلام بقوله: (وأنا أجبرت على ذلك)، فإنّما يقصد أنّ الظروف اقتضت منه ذلك من أجل المصلحة العامة، وهذا الموقف الواقعي نفسه هو الذي كان سيتخذه أيّ إمامٍ آخر من أئمة أهل البيت لو مرّ بالظروف ذاتها التي مرّ بها الإمام الرضا أو الإمام الحسن، فلو كان الخليفة الرشيد في تعامله مع الإمام موسى الكاظم عليه السلام انتهج نهج المأمون في تعامله مع الإمام الرضا، وكانت الظروف متطابقة لكان موقف الإمام الكاظم مشابهًا لموقف الإمام الرضا، ولكان اختار تولي منصب ولاية العهد على دخول السجن، وكذلك الحال مع الإمام الصادق والإمام الحسين وسائر الأئمة، ومردّ ذلك إلى أنّهم جميعًا عليهم السلام يمتحون من ذات المنبع وينتهجون ذات المسار، ولا ينطلقون من مزاجية مختلفة.

وحينما يستشهد الإمام الرضا عليه السلام بموقف نبيّ الله يوسف عليه السلام في توليه إدارة التخطيط الاقتصادي في سلطة حاكم مشرك، وموقف جدّه الإمام عليّ في دخوله الشورى التي لم يكن مقتنعًا بصحة تشكيلها، إنّما ليشير إلى أنّ هذه هي منهجية الأنبياء والأئمة في التعامل مع الواقع السياسي القائم بما يخدم مصلحة الرسالة والأمة.

نحو قراءة جديدة لسيرة الأئمة

من هنا كان لزامًا أن نعيد قراءة سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام لغرض الوقوف على منهج الواقعية السياسية عندهم. ذلك أنّ منهج أهل البيت السّياسي قد تم حصره ضمن نطاق شديد الضيق بين قراءة قديمة وأخرى متأخرة، يتلخص في حصرهم ضمن خيار العزلة السّياسية التامّة والانكفاء على الذات وفق القراءة القديمة، فلا شغل لهم غير الدعاء والعبادة، ولا يكاد يذكر لهم دور في الحياة الاجتماعية والسّياسية في عصرهم. وفي مقابل ذلك انتعشت القراءة الثورية لحياة الأئمة، بالتساوق مع صعود التيارات الثورية

في العصور المتأخرة، حتى يكاد يصوَر الأمر وكأن المنهجية السّياسية الوحيدة التي انتهجها الأئمة في حياتهم هي الثورة والصدام مع الواقع السياسي القائم وحسب، بخلاف ما كانت عليه سيرتهم عليهم السلام. وقد كان الاستثناء الوحيد، الذي يؤكد القاعدة، يتمثل في حالة واحدة وهي ثورة الإمام الحسين وقيامه في وجه الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، وتلك حالة استثنائية كان لها ظروفها وملابساتها، وإلّا فالإمام الحسين عليه السلام نفسه وبعد وفاة أخيه الإمام الحسن، عاش تحت حكم معاوية بن أبي سفيان نحوًا من عشر سنين دون أن يخلع معاوية أو يعلن الثورة عليه.

وبذلك نخلص إلى أنّ المنهج السّياسي العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام هو منهج الواقعية السّياسية، والتعاطي الواقعي مع النظام السّياسي القائم. ولو شئنا تقريب الفكرة أكثر فلنا في مواقف العلماء والمراجع والقيادات الدينية العصر الحديث الكثير من الأمثلة التي لا تعدّ ولا تحصر والتي تقوم في مجملها على مراعاة الواقع الراهن الذي يعيشه المؤمنون، فالدين لا يريد تدمير مصالح المجتمع المسلم، من خلال الانعزال والانزواء والقبول بالتهميش. وإنّما على العكس من ذلك يريد أن يعمل المؤمنون من أجل تنفيذ القيم والمبادئ بمقدار استطاعتهم، ويعملون على التعايش مع واقعهم ضمن سياق السّعي لإثبات الوجود وتنمية الحضور ونيل سبل الاقتدار، وهذا هو جوهر السّيرة السّياسية الواقعية لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

التدخل في شؤون الغير وخصوصيات الآخرين

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حُسْنِ إسلامِ المرءِ تَركَهُ ما لا يَعْنِيهِ»(١).

إنّ من الطبيعي أن يهتم الإنسان بما يرتبط بشؤون حياته الخاصة ومصالحه الذاتية. وأن يصرف جهده في التفكير والسّعي من أجل خدمتها. ولأنّ الإنسان جزء من المجتمع، فإنّ من الطبيعي أيضًا أن يهتم بالشأن الاجتماعي العام، وله الحقّ في ذلك، وقد يرقى هذا الاهتمام إلى مستوى الواجب المتحتم عليه، سواء لاعتبارات دينية أو اجتماعية أو إنسانية.

وإذا كان من الطبيعي جدًّا أن يهتم المرء بشؤونه الخاصة والشأن الاجتماعي العام، إلّا أنّ من غير الطبيعي أبدًا أن يتدخل الإنسان بالشؤون الخاصة المرتبطة بغيره من الأشخاص؛ لأنّ كلّ إنسان له حياته الخاصة وشؤونه الشخصية، العائلية والمالية والصحية والعبادية، وله أنماط سلوكه وعلاقاته الاجتماعية.

لون من العدوان

وكما لا يرغب المرء أن يتدخل الآخرون في شؤونه، فإنّ عليه هو ألّا يتدخل في شؤون الآخرين؛ لأنّ حياة الإنسان الخاصة ملك له، وأسراره وقضاياه الشخصية حصن

(١) سنن الترمذي، ج٣، الطبعة الأولى ١٤٢١، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٢٩١، حديث٢٣١٧. وفي الأمالي للشيخ المفيد، ص٣٤، حديث٩.

داخلي لا يرغب في تجاوز الآخرين عليه. فكما لا يرغب المرء بأن يقتحم الآخرون عليه بيته دون استئذان أو موافقة منه، كذلك الحال مع أيّ تدخل في شؤون الآخرين الخاصة، فهو تصرف غير مقبول أيضًا، بل ويُعدّ ضربًا من ضروب العدوان، فالعدوان على الآخرين ليس مقتصرًا على الاعتداء البدني أو سرقة الأموال والممتلكات الخاصة وحسب، وإنّما التدخل في خصوصيات الآخرين هو الآخر مظهر من مظاهر العدوان؛ لما في ذلك من أذى شخصي يترتب على هذا التدخل، ولما في دسّ الأنف في شؤون الآخرين من إرباك حياتهم، فكم من العوائل تعرضت للأزمات والمشاكل نتيجة تدخل الآخرين في شؤونها.

وينبغي القول في هذا المقام بأنّ رفض التدخل في شؤون الآخرين لا نعني به النأي عن شؤون الأغراب والأجانب فقط وإنّما يشمل ذلك أيضًا التدخل في شؤون أقرب المقربين، من الأبناء الراشدين والأخوة والأصدقاء. إنّ العلاقة القريبة بالآخرين لا تجيز للمرء التدخل في شؤونهم الخاصة على نحو تلقائي، ولا يجوز أن يبرّر ذلك التدخل بإسداء النصيحة لهم أو ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معهم، ذلك أنّ إسداء النصيحة له ضوابطه، وعلى رأسها أن يجري تقديمها في حال الطلب، ناهيك عن أنّ النصيحة لها آدابها، ومن ذلك عدم ملاءمتها في حال انعدام رغبة الآخرين في الاستماع لها. وكذلك الحال مع مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي له أحكامه وضوابطه، والذي لا يسوغ إلّا في حالات الضرر والمخالفة الصريحة للشرع، وليس من موارد ذلك الشؤون الذاتية الخاصة بالإنسان، فلا يصحّ الخلط بين الأمور.

أسباب التطفل

إنّ هناك جملة أسباب تدفع البعض للتدخل في الشؤون الخاصة بالآخرين. وأول هذه الأسباب ربما كان الرغبة في التسلية وملء الفراغ، فهناك أناس فارغون لا شغل عندهم، فيتسلّون بالتدخل في شؤون الآخرين، وغاية الهم عند أمثال هؤلاء أن زيدًا

واقع في مشكلة مع زوجته هذه الأيام، وأنّ عمروًا لديه خلاف مع ولده، وينبغي أن يقال لهؤلاء؛ ما شأنكم والناس، وما الذي يسوغ لكم التدخل في شؤون الآخرين!، اللهم إلّا الرغبة في التسلّي بشؤون الناس، نتيجة الفراغ وقلة الاهتمامات المفيدة، وهي الصفة الذميمة التي ابتلي بها بعض الناس.

والسبب الآخر هو رغبة البعض في استعراض قدراتهم، فأمثال هؤلاء يظهرون أنفسهم بمظهر المُنظّر الجهبذ وصاحب الرأي الأوحد في كلّ الشؤون والقضايا، وبذلك يسوّغ الواحد من هؤلاء لنفسه دسّ أنفه في كلّ شأنٍ خاصّ بالآخرين، حتى تجده في موضع الناصح للتاجر الخاسر، والمشير على المريض الخارج من عملية جراحية معقدة، وحلال المشاكل العائلية، كلّ ذلك دون أن يُستشار أو يطلب رأيه أحد، اللهم إلّا إبداء القدرات التي لم يجد لها سبيلًا سوى التدخل في شؤون الآخرين.

والسبب الثالث هو امتلاك البعض عقدًا نفسية وشحنات سلبية وتراكمات يسعى لتنفيسها عن طريق التطفل على حياة الآخرين.

أما السبب الرابع فهو ابتلاء البعض بنزعة فضولية تدفعه لدسّ أنفه في كلّ شاردة وواردة تتعلق بالحياة الخاصة بالآخرين، فلا يكاد يرى شخصًا إلّا ويسعى لإشباع فضوله بالوقوف على كلّ صغيرة وكبيرة متعلقة بذلك الشخص، وقد يبدو الأمر للوهلة الأولى صادرًا عن نية حسنة، لولا أنّ الطريقة الخاطئة التي يتناول بها خصوصيات الآخرين تستحيل إلى تدخل سلبي مقيت.

إنّ تناول شؤون الآخرين بدافع من الفضول هو تدخل غير مبرّر في خصوصياتهم. والسبب الخامس هو نزعة البعض لممارسة النفوذ وفرض الوصاية على الغير، فأمثال هؤلاء يريدون من الآخرين أن يكونوا مثلهم.

أما السبب السادس فهو ابتلاء البعض بنزعة الإيذاء، فهؤلاء يدسّون أنوفهم في شؤون الآخرين بغرض إيذائهم والنيل منهم.

مستويات التدخل في شؤون الآخرين

ويتدرج التدخل في شؤون الآخرين إلى درجات. وتأتي الدرجة الأولى من خلال تتبع الأخبار الخاصة بالآخرين عن طريق المراقبة والتلصص، فأمثال هؤلاء لا تشبع فضولهم الإجابات العامة حول بعض الشؤون الخاصة، بل لا يرضيهم إلّا أن يقفوا على كلّ تفصيل خاصّ بغيرهم حتى لو كان الطرف الآخر لا يرغب في الإفصاح عنه، كأن يتعلق الأمر بأوضاع صحية حسّاسة، أو رحلات خاصة أو قضايا عائلية، كلّ ذلك بدافع من نزعة فضولية تدفع نحو تتبع أدق الشؤون الخاصة بالآخرين.

وتأتي الدرجة الثانية من خلال مواجهة الناس بالملاحظات والعتاب على مواقفهم المتعلقة بشؤونهم الخاصة، التي لا دخل لزيد أو عمرو بها.

وأخيرًا تأتي الدرجة الثالثة المتمثلة في بثّ الإشاعة وتشويه السمعة، فما يكاد يقع المتطفل على معلومة خاصة عن الطرف الآخر إلّا ويبدأ في ترويجها والتطبيل عليها، حتى تصبح عنده مادة للحديث في المجالس. والسؤال؛ من يا ترى يجيز لهؤلاء فعل هذه الممارسة القميئة، ومن سمح لهم بها، ولماذا يعوّد المرء نفسه على هذا السلوك.

الزجر الديني

إنّ التعاليم الدينية تنهى بشدة عن التدخل في شؤون الآخرين. ومن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وأجلى مصاديق ما لا يعني الإنسان، هي الشؤون الخاصة بالآخرين. وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من أشرف أفعال الكريم غفلته عن ما يعلم»، أي إنّ من كريم الأفعال التغافل عن ما نعرف من خصوصيات الآخرين، فلا يجري الحديث معهم بشأنها ولا سؤالهم عنها ما لم يطلبوا النصيحة، فمن الواجب إجمالًا النأي عن الخوض في خصوصيات الآخرين، خاصة إذا كانت تمثل نقاط ضعف عندهم. وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أعقل الناس من كان بعيبه بصيرًا وعن عيوب غيره ضريرًا»، في إشارة منه عليه السلام

إلى أنّ عين العقل تكمن في الكفّ تمامًا عن النظر في عيوب الآخرين على حساب العيوب الذاتية. كما روي عنه ﷺ أنه قال: «تأمّل العيب عيب»، أنّ العيب كلّ العيب في تفحّص عيوب الآخرين، علاوة على كونه ذنبًا فهو فوق ذلك خلق سيئ.

الفضول من سمات التخلف

وتتفاوت المجتمعات في مستوى بروز هذه الظاهرة، حيث تحترم المجتمعات المتحضرة خصوصيات الأفراد وتنبذ التدخل في شؤونهم الخاصة، سواء كانوا أغرابًا أم كانوا من المقربين كالأبناء والأخوة والأصدقاء، حتى بات من المعتاد ألّا يسأل أحدهم الآخر عن شيءٍ من خصوصياته ما لم يكن هناك مقتضى يدعو لذلك.

أما في مجتمعاتنا فالأغلب عندها سيطرة الفضول، بل لا يكاد يوجد فيها حدود للحياة الخاصة للأفراد، لدرجة يكاد يبدو فيها الفرد صفحة مفتوحة للآخرين، بما في ذلك أخباره وخصوصياته، فلا احترام للحياة الخاصة.

هذا وتعزّز بعض الأعراف العامة هذه الحالة، ومن ذلك على سبيل المثال اعتياد البعض عند الجلوس على الطعام أن يُلزم أحدهم الآخر بتناول صنف معيّن من الطعام، بل ويشدّد الطلب عليه، حتى مع اعتذار الطرف الآخر مرارًا عن تناول ذلك، إما لعدم الرغبة أو لأسباب صحية، وهذا نمط سلبي خاطئ.

وعلى هذا النحو قد يتدخل الوالدان في خصوصيات ابنهم المتزوج وفي نمط علاقته بزوجته، وهو تدخل خاطئ وفي غير مكانه، فالابن هو المعني بتسيير شؤونه العائلية، وعلى المقلب الآخر ينطبق الحال على تدخل عائلة الزوجة في نمط علاقتها بزوجها. وربما ينظر البعض إلى هذا النمط من التدخل بين الزوجين باعتباره أمرًا عاديًا، لكنه في حقيقة الأمر غالبًا ما يترك ندوبًا غائرة وينعكس آثارًا سلبية على العلاقة الزوجية، بل وسائر العلاقات الاجتماعية.

من هنا ينبغي للإنسان المسلم أن يحرص على حسن إسلامه بالنأي عن التدخل

في شؤون الآخرين. وكما ورد عن بعض العلماء أنّ من لم يترك ما لا يعنيه فإنه سيئ في إسلامه، وكما روي عن النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، ذلك أنّ النأي عن التدخل في شؤون الآخرين هو ما يمثل الإسلام الحسن، وهو ما يظهر جمال الإسلام، وخلق المتديّن، وبذلك يخلص مفهوم الحديث إلى أنّ من يتدخل فيما لا يعنيه فإنه سيئ في إسلامه.

شهيد العمل الإنساني

جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ»(١).

تمرّ بمختلف المجتمعات البشرية حالات من الكوارث والأزمات، إمّا بسبب من الطبيعة كالزلازل والفيضانات وانتشار الأوبئة والأمراض، أو بسبب الحروب والصراعات والفتن والاضطرابات الاجتماعية.

ولأنّ هذه الكوارث تنتج عددًا كبيرًا من الضحايا والخسائر والإصابات فإنّها تستدعي جهدًا استثنائيًّا كبيرًا لمواجهة أضرارها وتداعياتها على المجتمع الذي تحلّ به.

وانطلاقًا من الوجدان والفطرة الإنسانية، وبحثٍّ وتشجيع من الديانات والقيم الأخلاقية، عادة ما تستجيب المجتمعات لهذا التحدّي الإنساني، فمن قديم الزمان كان الناس يبادرون إلى التعاون فيما بينهم وقت الشدائد والأزمات، لكن المجتمعات تتفاوت في نسبة الاستجابة ومستوى التفاعل، وفي توفير الاستعدادات لمثل هذه الحالات الطارئة.

تطور في جهود الإغاثة

وفي عصرنا الحاضر قطعت البشرية شوطًا متقدّمًا لتحفيز المجتمعات والحكومات

(١) نهج البلاغة، حكمة ٢٤.

على مواجهة حالات الكوارث الطبيعية وتداعيات الحروب والصراعات المنتشرة.

فتكونت مؤسسات ومنظمات دولية رسمية وأهلية، كمنظمة الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، ومنظمة العمل لمكافحة الجوع، والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، وكالصليب والهلال الأحمر، وأطباء بلا حدود، ومنظمة الإغاثة الدولية، ومنظمة الإغاثة الإسلامية، ومنظمة الإنقاذ الدولية.

وشرعت قوانين وأنظمة، أصدرتها الأمم المتحدة أو وقعت عليها الدول كاتفاقيات ملزمة كاتفاقية اتفاقية جنيف وهي عبارة عن أربع اتفاقيات دولية تمت صياغة الأولى منها في ١٨٦٤ وأخيرتها في ١٩٤٩ تتناول حماية حقوق الإنسان الأساسية في حالة الحرب، أي طريقة الاعتناء بالجرحى والمرضى وأسرى الحرب، وحماية المدنيين الموجودين في ساحة المعركة أو في أيّ منطقة محتلة. وفي عام ٢٠٠٥م انضم إلى اتفاقية جنيف ١٩٠ دولة، أي عموم دول العالم تقريبًا، مما يجعلها أوسع الاتفاقيات الدولية قبولًا، وهي جزء أساس مما يسمى بالقانون الدولي الإنساني، وبذلك تراكمت تجارب وخبرات في المجتمع الدولي لإغاثة المجتمعات التي تتعرض للكوارث والحروب والاضطرابات.

وتشير تقارير الأمم المتحدة إلى أنه في عام ٢٠١٦، بات أكثر من ١٣٠ مليونًا من النساء والرجال والأطفال في جميع أنحاء العالم بحاجة إلى المساعدة الإنسانية، فلم يحدث منذ الحرب العالمية الثانية أن أجبر عدد كبير جدًّا من الناس على ترك بيوتهم، أكثر من ٦٠ مليون شخص نصفهم من الأطفال، وأنه بمعدّل كلّ ٣ دقائق يجبر ٨٨ شخصًا على الفرار من منازلهم في مناطق الصّراعات. وهناك نحو ٤٥٠ ألف عامل إغاثة في جمع أنحاء العالم عام ٢٠١٥م.

الإغاثة تحدّيات وأخطار

ويواجه العاملون للإغاثة الإنسانية في مناطق الكوارث والأمراض والحروب

أخطارًا على وجودهم وحياتهم، لكن دوافعهم الإنسانية النبيلة تجعلهم على استعداد لتقبّلها وتحمّلها.

وكشاهد على ما يتحمّله العاملون في مجال الإغاثة الإنسانية في عام ٢٠١٤، سجلت منظمة الصحة العالمية ٣٧٢ هجمة فى ٣٢ بلدًا ضد القوى العاملة الصحية، مما أسفر عن وفاة ٦٠٣ حالات وإصابة ٩٥٨، وفي عام ٢٠١٥، قتل المئات من العاملين في المجال الصحي في مناطق الصراع، ومناطق تفشّي الأمراض، وفى غرب أفريقيا، أصيب ٨٧٥ من العاملين في مجال الصحة بالإيبولا، توفى ٥٠٩ منهم. كما تعرض عددٌ من العاملين في الإغاثة الإنسانية للخطف والتنكيل في مناطق مختلفة تدور فيها حروب وصراعات.

وقد أشارت وسائل الإعلام إلى تعرّض فريق من الدفاع المدني (أصحاب القبعات البيضاء) في سوريا، فجر يوم السبت ١٢ أغسطس/آب ٢٠١٧، إلى هجوم من مجموعة مسلحة أطلقت عليهم النار. وذكر الموقع الإلكتروني لـ "الدفاع المدني"، أنّ ٧ متطوعين من عناصره في مدينة سرمين بريف إدلب شمال سوريا قتلوا، إضافة إلى سرقة سيارتين تابعتين للدفاع المدني وخوذ بيضاء.

من هنا فإنهم جديرون بكلّ التقدير والإجلال والاحترام لتضحياتهم، ولهم من الله تعالى عظيم الأجر والثواب. لذا روي عن رسول الله ﷺ: «من أغاث ملهوفًا كتب الله له ثلاثًا وسبعين حسنة، واحدة منها تُصلِح آخرته ودنياه، والباقي في الدرجات»[١]، وعنه ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ إغاثة اللهفان[٢].

وجاء عن عليّ عليه السلام: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ»[٣].

(١) مكارم الأخلاق للطبراني، ج١ ص٣٤٥، حديث ٩٦.
(٢) المصدر السابق، حديث ٩٥.
(٣) نهج البلاغة، حكمة ٢٤.

اليوم العالمي للعمل الإنساني

وتكريمًا لهذه الجهود، ولإلفات النظر لأهميتها، وتشجيعًا لهذه المبادرات الإنسانية يُحتفل باليوم العالمي للعمل الإنساني سنويًّا في ١٩ أغسطس للإشادة بعمال الإغاثة، الذين يجازفون بأنفسهم في مجال الخدمات الإنسانية، كما يراد من هذا اليوم حشد الدعم للمتضررين من الأزمات في جميع أنحاء العالم.

وفي ١٩ أغسطس من عام ٢٠٠٨م أقرّت الجمعية العامة في الأمم المتحدة هذا اليوم باعتباره اليوم العالمي للعمل الإنساني لزيادة الوعي بالأنشطة والمساعدات الإنسانين، وأهمية التعاون الدولي وتكريم العاملين في هذا المجال.

في العوامية معاناة وتضحيات

وفي الأيام الماضية عاش أهلنا الكرام في العوامية محنة ومعاناة شديدة أثارت الألم والمرارة في نفوس كلّ أبناء المنطقة بل كلّ أبناء الوطن، حيث سُفكت دماء وأُزهقت أرواح، وأُتلفت ممتلكات، واضطرت مئات العوائل للنزوح عن منازلها وديارها، وعاش الناس في العوامية أيامًا بل أسابيع وشهورًا من الرعب والقلق والمعاناة.

وقد أصدر علماء المنطقة عدة بيانات واضحة، قبل الأحداث وأثناءها تحذّر من آثار العنف وتوجّهات الإرهاب وإشهار السلاح في وجه الدولة والمجتمع، وأنّ ذلك ليس طريقًا مشروعًا ولا مناسبًا ولن يحقق مطلبًا ولن يعالج مشكلة، بل يزيد الأمور تعقيدًا، ومنها البيان الصادر بتاريخ في ١٧/ ٥/ ١٤٣٢هـ، والبيان الصادر بتاريخ ٠٨ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ، والبيان الصادر بتاريخ ١٤/ ١١/ ١٤٣٧هـ والبيان الصادر يوم الاثنين ٢٦ شعبان ١٤٣٨هـ.

كما أصدر أهالي العوامية الكرام ممثلين بشخصياتهم ومشايخهم بيانًا بنفس المضمون والمفاد، صدر بتاريخ ٠١/ ٠٩/ ١٤٣٨هـ موقع من ٨١٧ شخصية دينية

واجتماعية، والبيان الصادر بتاريخ ٢٤ ذي القعدة ١٤٣٨هـ وقد وقع عليه ٤٦ من شخصيات العوامية الدينية والاجتماعية.

ولكن حدث ما حدث ووقع ما لم يكن يتمنّى أيّ غيور وقوع شيءٍ منه في مجتمعنا ومنطقتنا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

جهود إنسانية كبيرة

ولأنّ العالم سيحتفل غدًا باليوم العالمي للعمل الإنساني ولتقدير العاملين في هذا المجال رأيت من الواجب الإشادة بالجهود الإنسانية الكبيرة التي بذلها إخوتنا الأعزّاء في العوامية للتخفيف من معاناة أهاليهم ومجتمعهم، حيث تكوّنت منذ شهور لجنة تحت عنوان (تواصل) التحق بها عشرات من شخصيات المجتمع والناشطين في العوامية من أعضاء الجمعية الخيرية ونادي السّلام الرياضي، وسائر أفراد المجتمع، وتفرّعت من هذه اللجنة لجنة للتواصل والتعاون مع الجهات الرسمية، لتسهيل خروج العوائل من مناطق الخطر، ومعالجة المشاكل ومساعدة المحتاجين، وتشكل من اللجنة وفدٌ للقاء أمير المنطقة الشرقية، حيث استقبلهم بترحيب كبير وحثّهم على تفعيل دورهم الاجتماعي[1] وتفرعت لجنة للإعاشة وتوفير المواد الغذائية للعوائل هناك، ولجنة للطوارئ، ولجنة للصحة ولجنة لإيواء وإسكان الأسر والعوائل النازحة، حيث تم توفير السكن لمئات العوائل خارج العوامية عبر محافظة القطيف وبتعاون الخيرين في المناطق المختلفة.

وقد تحمّل هؤلاء الإخوة عبئًا كبيرًا، وكما هي العادة لم يسلموا من توجيه الإساءات والاتّهامات لهم، كما تعرضوا للأخطار المختلفة وكان من الرموز الشّاخصة لهذا الجهد الإنساني (الشهيد محمد ارحيمان (أبو عادل) رحمه الله الذي استشهد[2] وهو

(١) صحفية اليوم، الثلاثاء ١٨ رمضان ١٤٣٨ هـ الموافق ١٣ يونيو ٢٠١٧ العدد ١٦٠٦٩.
(٢) الأربعاء ٩ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ٢ أغسطس ٢٠١٧م.

في الباص خلال عملية تنظيم إخراج المرضى وكبار السنّ من العوامية بعد التنسيق مع قيادة العمليات العسكرية.

رجل الميدان:

هذا الشهيد الذي تطوع للعمل مع كثير من اللجان فهو عضو في لجنة غذاء ولجنة إيواء، ولجنة الطوارئ، وكذلك في اللجنة الرئيسة لأهل العوامية.

تجده أحيانا يوصل مواد غذائية لعوائل داخل وخارج العوامية وبعدها ينتقل لتنظيم ومتابعة تسكين عائلة نازحة ويتبعها بإيصال دواء أو غيره من الاحتياجات لمواطنين محاصرين..

يستغرب الإنسان كيف لرجل في عمره يمتلك كلّ هذا النشاط وينفذ نشاطات متعددة في أكثر من مكانٍ ولا يسأم ولا يتضجّر بل يشعر دومًا بأنه مقصّر ومع ذلك أيضًا يعتذر عن التقصير[١].

وكما أخبرني بعض زملائه أنّهم وجدوا في جيبه بعد شهادته ظرفين فيهما مبالغ مالية كتب عليهما اسم اللجان المخصص لها المال، وكان قد كتب رسالة بالواتس آب لولده عن المبالغ التي عنده وأنها ليست له وتسلّم إلى اللجان لو حدث له حادث، وحينما رأى قلق أهله على سلامته كتب لهم: لماذا تستكثرون عليَّ أن أكون شهيدًا.

وقد جرح معه في نفس الحادثة زميله ورفيقه في هذا الجهد الإنساني (الحاج عبد الستار الشيخ) ولا يزال يرقد في المستشفى لتلقي العلاج، منّ الله عليه بالصحة والعافية وأثابه على جهوده العظيمة.

إنّ على أبناء المنطقة أن يتداعوا لتكريم هذا الشهيد شهيد العمل الإنساني، كما جرى تكريم شهيد القرآن الأستاذ أمين آل هاني الذي أقيمت له مهرجانات تأبين في

(١) رجل الميدان أبا عادل، لعبد الرحيم الربح http://juhaina.ddns.net/index.php?act=artc&id=42937&hl

مختلف أنحاء المنطقة، وهو يستحقّ ذلك وأكثر، وكذلك الشهيد (أبو عادل) ليكون رمز العمل الإنساني في المنطقة.

نسأل الله له الرحمة والرضوان، وأن يخلف على أهله ومجتمعه بالخلف الصالح.

ونسأل الله أن يتغمّد أرواح جميع الشّهداء بالرحمة والرضوان، وأن يشفي جميع الجرحى والمرضى، وأن يعيد النّازحين من أهالي العوامية في القريب العاجل إلى ديارهم ومنازلهم بعد استتباب الأمن وتوفير الخدمات، وتعويضهم عن التلفيات التي حصلت في منازلهم وممتلكاتهم، مع الشّكر لكلّ الجهود المبذولة من الجهات الرسمية والأهلية.

ونرجو أن يدفع الله عن بلادنا ووطننا شرّ الأشرار وكيد الأعداء الطامعين.

العتاب وحماية العلاقات الاجتماعية

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «العِتابُ حَياةُ المَوَدَّةِ»[1].

في علاقة الإنسان مع الآخرين، من القريبين كأفراد العائلة وزملاء العمل، أو البعيدين ممن تربطه بهم أيّ علاقة تعامل، قد يواجه تصرفاً لا يعجبه، ويتأذّى منه، وقد يبلغه عن أحدٍ ما يزعجه ويسيئه. وهنا غالباً ما ينفعل الإنسان، ويرتب أثراً، ويتخذ موقفاً، يبدأ بإدانة ذلك الطرف والحكم عليه بالخطأ، ويقوده ذلك للسّخط عليه والزعل منه، ثم مقاطعته ومعاداته، وأخيراً اتخاذ إجراءات عملية ضدّه.

العتاب أولاً

لكن هناك مرحلة ينبغي أن تسبق هذه الخطوات والإجراءات وهي ما يطلق عليها مرحلة (العتاب).

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وَصِيَّتِهِ لِمُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ ـ: لا تَصرِمْ أخاكَ عَلَى ارتِيابٍ، ولا تَقطَعْهُ دونَ استِعتابٍ، لَعَلَّ لَهُ عُذراً وأنتَ تَلومُ[2].

والعتاب يعني إشعار الطرف الآخر بعدم الارتياح مما حصل منه، ومساءلته عن الدافع

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٤٥، حكمة ١٢٩٧.
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ٢١٧، حديث ٢.

لذلك. ومن خلال ردّ فعله على عتابك تتضح لك الصورة لتتخذ الموقف المناسب.

١. فقد يتبيّن لك براءته من الخطأ المتصور، فهو لم يقل ما بلغك أنه قال، أو لم يعمل ما تصورت أنه عمله.

ورد عن علي عليه السلام أنه قال: رُبَّ مَلُومٍ ولا ذَنْبَ لَهُ.(١)

٢. وقد يتضح لك أنّ هناك سوء فهم لقوله أو تصرفه. وأنه لم يقصد الإساءة.

حدث أنّ جماعة في مجلس تناولوا شخصاً لعدم مساهمته في مشروع خيري، فدافع عنه صديقه بأنّ ظروفه المالية صعبة، فذهب من أخبره أنّ فلانًا يقول عنك أنك في أزمة مالية، غضب وجاء منفجرًا في وجه صاحبه، هل شكوت لك الفقر؟ هل أنا محتاج إليك؟ أنا وضعي المادي أحسن منك، وكادت أن تنقطع العلاقة بينهما، وقد يحصل مثل هذا الموقف كثيرًا عندما يُنقل الكلام أو الفعل مفصولًا عن سياقه وخلفياته.

٣. وقد يظهر لك أنّ له عذرًا في تصرفه الذي أزعجك، فهو لم يزرك في مرضك أو لم يحضر مناسبتك؛ لأنه لم يعلم أو لأنه مسافر، أو لأنه مريض.

٤. وقد يتراجع عن خطئه ويعتذر عمّا صدر منه، وعليك أن تقبل عذر أخيك وصديقك، لتستمر العلاقة والمودة، وتعود الأمور إلى طبيعتها معه.

حيث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ مُتَنَصِّلٍ عُذْراً، صَادِقاً كَانَ أَوْ كَاذِباً، لَمْ يَنَلْ شَفَاعَتِي.(٢)

وعن علي عليه السلام: اِقبَلْ مِن مُتَنَصِّلٍ عُذرًا، صادِقًا كانَ أو كاذِبًا.(٣)

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: لا يَعتَذِرُ إلَيكَ أحَدٌ إلاّ قَبِلتَ عُذرَهُ؛ وإن عَلِمتَ أنَّهُ كاذِبٌ(٤).

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢١٦، حكمة ٨٨.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٤، ص ٤٧.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢، ص ٢١٧، حديث ٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٨٠.

وبهذا يظهر دور العتاب في تلافي القطيعة والعداوة، وضمان استمرار المودة والعلاقة، كما أشار الإمام عليّ عليه السلام فيما روي عنه: العتاب حياة المودة.

وكما قيل: العتاب صابون القلوب، أي يغسل ما يعلق بها من البغضاء والشحناء.

على ماذا نعاتب؟

ولكن هل كلّ أمر يستحقّ العتاب؟

هناك نصائح دينية وتربوية وإدارية توجه الإنسان إلى أن يتغاضى ويتغافل عن أشياء كثيرة، فليس كلّ شيءٍ يستحق أن تهتم به وأن تتخذ موقفاً من أجله، يقول أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ، لِمَ فَعَلْتَ كَذَا، وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا» (١).

وورد عن علي عليه السلام: «لا تُكْثِرَنَّ العِتابَ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الضَّغينَةَ، وَيَدْعُو إِلَى البَغْضاءِ». (٢)

وعنه عليه السلام: «مَن لَم يَتَغافَلْ عَن كَثيرٍ مِنَ الأُمورِ تَنَغَّصَت عِيشَتُهُ». (٣)

وعنه عليه السلام: «أشرف أخلاق الكريم كثرة تغافله عما يعلم».

وكما قال الشاعر:

إذا كنت في كلّ الأمـور معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه

إنّ بعض الناس يبالغون في العتاب على كلّ شيء فيسببون الحرج للآخرين، مثلاً: يعاتب على عدم معرفته وتذكّر اسمه، حين يسألك بإلحاح: ألا تعرفني؟ ألا تذكرني؟

ولعلّ عهدك به بعيد، أو لقاؤك به كان عابرًا، لكنه قد يحرجك بالمحاسبة، كيف نسيتني وقد لقيتك في المكان الفلاني، أو قمت لك بتلك الخدمة؟

---

(١) صحيح مسلم، باب الفضائل، بَابُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، حديث رقم ٤٣٩٢.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٥١٩.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٦٣، حكمة ١٣٩٠.

وبعضهم قد يعاتبك على عدم حضور مناسبته في فرح أو ترح. أو حتى على عدم تكرار حضورك. أو لأنك أغفلت دعوته في مناسبة ما!

ثانياً: فنّ العتاب

عليك أن تأخذ مستوى وظرف الطرف الآخر عند معاتبتك له، فلا تعاتب ولدك الصغير كما تعاتب الكبير الناضج المدرك، ولا تحاسب العامل الأجنبي إن أخطأ في فهم ما تريد كما تحاسب أبناء لغتك والعارفين بلهجتك..

لذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عَاتِبُوا أَرِقَّاءَكُمْ عَلَى قَدْرِ عُقُوْلِهِمْ».[١]

وينبغي أن تكون لبقًا في معاتبتك، تتحدث بهدوء دون صراخ أو انفعال، فذلك لن يكون عتاباً وإنما سيصبح مشاجرة.

ومن المفضل أن تبدأ عتابك بذكرك إيجابيات من تعاتبه ليكون أكثر تقبلًا وتجاوبًا مع عتابك، وكما قيل: امدح على قليل الصواب يكثر من الممدوح الصواب.

وتجنب الاستفزاز في معاتبتك والتعنيف والتوبيخ؛ لأنّ ذلك قد يدفع الطرف الآخر لردّ فعل سلبي، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «الْإِفْراطُ فِي الْمَلامَةِ يَشُبُّ نارَ اللَّجاجَةِ»[٢]، وعنه عليه السلام: «إذا عاتَبْتَ فَاسْتَبْقِ».[٣]

ومن الخطأ تكرار العتاب في ذات الموضوع؛ لأنه قد يثير في نفس من تعاتبه روح التحدّي، فيستمر على خطئه، مما يفقد العتاب تأثيره، حيث ورد عن الإمام علي عليه السلام: «إيّاكَ أن تُكَرِّرَ العَتبَ؛ فَإِنَّ ذلكَ يُغري بِالذَّنبِ، ويُهَوِّنُ العَتبَ».[٤]

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، جار الله الزمخشري، ج٣، ص٣٥٠.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٢.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٦٠، حكمة ١٤٠.
(٤) عيون الحكم والمواعظ، ص ١٦٤.

العيد ومضامينه الروحية والاجتماعية

عن أنس، قالَ: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر»[1].

في كُلِّ مجتمعٍ وأُمّة، هناك أيامٌ ومناسباتٌ يتبانى الناسُ على الاحتفاءِ بها، وإظهار البَهجةِ والسُّرورِ فيها، وتَعزيزِ تماسُكِهِم وتواصُلِهم الاجتماعي، ويُطلَق على تلك الأيام اسمَ «الأعياد».

قد تَنبَثِقُ الأعياد مِن فكرة دينية، أو مناسبةٍ قوميّة، أو تفاعُلٍ مع تَحَوُّلٍ من تَحوّلاتِ الطبيعة، كَفَصلِ الربيع.

وفي الإسلام، هناك عيدان تَتّفق عليهما الأمة، هما عيد الفطر وعيد الأضحى، وحسب الحديث فإنه كان عند أهل المدينة قبل الإسلام يومان يلعبون فيهما، يعني للبهجة، وللسرور، فهما بمثابة العيد.

(١) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٥ ص٣٤، رقم (٢٠٢١)، وعلق عليه: أخرجه النسائي (١/ ٢٣١) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢١١) وأحمد (٣/ ١٠٣، ١٧٨، ٢٣٥، ٢٥٠).

فاعتمد النبي ﷺ هذَيْن اليومين (الفطر والأضحى)، بدلًا عن اليومين اللذَيْن كانا عيدَيْنِ لِأَهلِ المدينة في الجاهلية.

مضامين العيد

نَلمحُ في هذَيْن العيدَيْن من خلال التعاليمِ والتوجيهاتِ الدينيةِ المضامينَ التالية:

أولًا: الاحتفاء بالإنجاز وأداء الوظائف والمهام.

متى يَحِقُّ للإنسان أن يَشعُر بِالفَخر والبهجة والسّرور؟

حينما يكون قد أنجز وحَقَّقَ شيئًا مُهِمًّا، حينما يَنجَحُ أمامَ تَحَدٍّ كبير، عندئذٍ يحقّ له أن يَشعُر بِالفَخر، وأن يَشعُر بالبهجة والسّرور، هذا على المستوى الفردي.

وكذلك على مستوى الأمم والشعوب، حينما يُحَقّقُ أَيُّ شَعبٍ من الشُّعوبِ إنجازًا قَومِيًّا، أو انتصارًا باهرًا، فَإِنّه يُحَوّل تلك المناسبة إلى عيد، حيث يشعر فيها بالفخر والسّرور.

وقد اعتمد الإسلام هذين العيدين؛ لأنّهما يأتيان عقب إنجازِ مهمّةٍ كبيرة، عيد الفطر يأتي في نهاية الصيام، شهر كامل والإنسان يصوم امتثالًا لِأمر الله، وفي يوم العيد يشعر بالفخر والبهجة والثقة؛ لأنه أنجز، ولأنه نجح في الامتحان.

وكذلك عيد الأضحى، يأتي في غمرة مناسك الحج، فيشعر الإنسان بالفخر والبهجة، حيث أَدّى الوُقوفَيْن، الوقوف بعرفة والوقوف بِمُزدلفة، وهو في طريقه لأداء بقية مناسك الحج، فيشعر بالفخر وتكون معنوياته رفيعة، وبالتالي يحقّ له أن يَحتَفِيَ بهذه المناسبة كَعِيد.

لذلك ورد عن بعض الحكماء إشارة إلى هذا المعنى، أنّ العيد ليس مجرّد مناسبة فلكلورية اجتماعية، فـ(ليس العيد لمن لبس الجديد، وإنّما العيد لمن أَمِن الوعيد)[1]،

(١) الكشكول، البهاء العاملي، ج١، ص١٦٨.

أي انتصر أمام تحدٍّ، أو خطر.

ثانيًا: التذكير بالارتباط بالله سبحانه وتعالى

في أجواء البهجة والسّرور بالعيد، يستحضِرَ الإنسان ذكر ربه سبحانه وتعالى، حتى لا يكون العيد مناسبةَ لَهوٍ صارفة عن التذكير بالقيم والمبادئ، وإنّما يكون مناسبة بهجة وفرح مع استحضار القيم والمبادئ، ومن هنا جاء الأمر بصلاة العيد، وهي ذكرٌ لله، واستحضار للقيم، والمبادئ، والخطبتان بعد صلاة العيد للتذكير والموعظة والتثقيف، وكذلك استحباب التكبير والتهليل، وهي كما أفادت النصوص عقيب أربع صلوات في عيد الفطر، أولها المغرب قبل صلاة العيد، ورابعها بعد صلاة العيد.

وعقيب عشر صلوات في الأضحى إنْ لم يكن بِمِنَىٰ، أولها ظُهر يوم العيد، وعاشرها صبح اليوم الثاني عشر، وإن كان بِمِنَىٰ فعقيب خمس عشرة صلاة، أولها ظُهر يوم العيد، وآخرها صبح اليوم الثالث عشر.

والتكبير الوارد هو: (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ماهدانا ـ وفي الأضحى يضيف «الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام»ـ، والحمد لله على ما أبلانا).

ثالثًا: العطاء للمحتاجين

شرع الإسلام في يوم عيد الفطر زكاة الفطر، وهي عطاء للفقراء المحتاجين.

وفي يوم الأضحى تكون الأُضحية واجبة على الحاج، وبالنسبة لغير الحاج مستحبّ مؤكّد.

إخواننا أهل السنة في الغالب يهتمّون بهذا الاستحباب، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يهتمّون بالأضحية في عيد الأضحى، لكن في مجتمعاتنا الشيعية نرى الاهتمام بهذه السنة قليل ومحدود، مع أنّ الروايات المُؤكِّدة على الأضحية في عيد

الأضحى واردة في مصادرنا الحديثية والفقهية، كما هي واردة عند إخواننا أهل السنة.

يروي الصدوق عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْأَضْحَى لِتَشْبَعَ مَسَاكِينُكُمْ مِنَ اللَّحْمِ فَأَطْعِمُوهُمْ)[١].

وأورد الكليني بسنده أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام سُئِلَ عَنِ الْأَضْحى: أَوَاجِبٌ عَلى مَنْ وَجَدَ لِنَفْسِهِ وَعِيَالِهِ؟ فَقَالَ: «أَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَا يَدَعْهُ، وَأَمَّا لِعِيَالِهِ إِنْ شَاءَ تَرَكَهُ»[٢].

السائل يسأل الإمام: هل الأضحية واجبة؟، فيجيب عليه السلام: (أما لنفسه فلا يدعه) وهذا إمّا يدلّ على الوجوب، وإمّا يدلّ على الاستحباب المؤكّد، وهو ما أخذ به الفقهاء.

من الناحية الفقهية يستحبّ للإنسان أن يضحي عن نفسه وأهل بيته، ويجوز له أن يضحي بإضحية واحدة عن الجميع، ولا سيّما إذا عَزّت الأضاحي وارتفع ثمنها.

وإذا كانت لديه إمكانية فيضحّي عن كلّ واحدٍ من أهل بيته بأضحية، والهدف من ذلك ممارسة العطاء؛ لأنّ الإنسان الذي يضحّي يُخصّص ثلثًا لنفسه ويُهدِي ثلثًا لمن يحبّ، وثلثًا يعطيه للفقراء والمحتاجين.

رابعاً: التواصل الاجتماعي

ويتحقّق عَبْرَ حضور صلاة العيد، واستحباب التزاور وتبادل التهاني، وخاصة مع الأرحام والأقارب، وعلى الأخصّ من ليس هناك تواصل معه، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ)[٣].

أقرباؤك الذين يتواصلون معك، إذا تواصلت معهم في العيد وأمثاله لك ثواب، لكن ثوابك أكبر إذا بادرت للتواصل مع من لا يتواصل معك، وحتى مع بقية أفراد

(١) من لا يحضره الفقيه. الشيخ الصدوق، ج٢، ص٢٠٠، حديث٢١٣٦.
(٢) الكافي. طبعة الإسلامية، الشيخ الكليني، ج٤، ص٤٨٧، حديث٢.
(٣) بحار الأنوار. ٧٤ / ١٧٣، وذكره الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢، ص٥٥٢، برقم ٨٩١.

المجتمع، مَن يأتيك تذهبُ إليه، هذا فيه ثواب، لكن الثواب الأكبر أن تذهبَ إلى مَن لا يأتيك، وذلك كي تُحَفّزَهُ وتُشَجِّعَهُ على وَضْعِ حَدٍّ لِقَطِيعَتِه، وأَن تُشعِرَهُ بأهمية التواصل.

خامسًا: نشر البهجة والسّرور، وتحدّي الأحزان والمصائب

لا تخلو الحياة مما يُنَغّصُ على الإنسان، الحياة فيها مشاكل وتَحَدّيات، قد تكون هذه المشاكل فردية، وقد تكون على المستوى الاجتماعي أو الوطني أو العالمي، لكِنْ على الإنسان ألّا يستسلم للمآسي، والأحزان، ينبغي أن يُجَدّد الأمل في نفسه؛ لأنّ تجديد الأمل مفيد على الصّعيد الذاتي والاجتماعي.

ورد عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (السُّرُورُ يَبْسُطُ النَّفْسَ وَيُثيرُ النَّشاطَ، والغَمُّ يَقْبِضُ النَّفْسَ وَيَطْوِي الانبِساطَ)[1]، فلا ينبغي للإنسان أن يعيش الكآبة والحزن، الثقافة التي تُعَيِّشُ الناسَ في حُزنٍ دائم، وكآبةٍ دائمة هذه ثقافة خطأ.

الأعياد تأتي لكي تكسر ما قد يسود أجواء الإنسان وأجواء المجتمع مِن مصائب وأحزان، فيتفاعل مع العيد تفاعُلًا إيجابيًّا.

وأساسًا، فإنّ الدين يشجّع على نشر البهجة والسّرور في أوساط المجتمع، ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّ في الجَنَّةِ دارًا يقالُ لَها دارُ الفَرَحِ، لا يَدخُلُها إلّا مَن فَرَّحَ الصِّبيانَ)[2]، وذلك تشجيع للاهتمام بالطفولة، وأن يهتمّ المجتمع بتوفير أجواء البهجة والسّرور لأطفاله، فإنه كلّما عاش الأطفال حالة من البهجة واللعب والسّرور، توفّروا على النموّ النفسي السّليم، مما يسهم في تهذيب وتصحيح مشاعرهم وأحاسيسهم، وهناك حثٌّ على نشر البهجة والسّرور على المستويين الفردي والاجتماعي.

حيث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى وصاياه: «فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ

(١) عيون الحكم والمواعظ، ج١، ص٦٢.
(٢) كنز العمّال. ج٣، ص١٧٠، ح٦٠٠٩.

الْأَصْوَاتَ؛ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُورًا إِلاَّ وَخَلَقَ اللّهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ، حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ»[١].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام فيما رُويَ عنه: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ لَقِيَ مُسْلِماً فَسَرَّهُ، سَرَّهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

إنّ نشر السّرور والبهجة في المجتمع أمرٌ مطلوب؛ لأنّ آثاره النفسية، والجسمية الصحية، والاجتماعية العامة آثارٌ كبيرة.

صحيحٌ أننا لا نستطيع أن نتجاهل المصائب والمآسي التي تحيط بمجتمعات الأمة، وبالبشرية جمعاء، لكن من أجل أن نَتَقَوّى على مواجهة هذه التحدّيات، يجب أن تكون نفوسنا مفعمة بالأمل والحيوية، وليس باليأس والضّجر.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك لنا ولكم ولجميع المسلمين في عيد الأضحى المبارك، وأن يوفّق الحجاج لأداء مناسك حجّهم وإتمامها في يُسرٍ وأمنٍ وعافيةٍ وسلام، وأن يعودوا إلى أوطانهم سالمين، وأن يُشرِكَنا في صالح دعواتهم وأعمالهم إنه لطيف كريم.

(١) نهج البلاغة، كلمة رقم ٢٥٧.

(٢) الكافي. طبعة الإسلامية: الشيخ الكليني، ج٢، ص١٩٢، حديث٥١.

درس في التضحية بالحقوق لحفظ المصلحة العامة

جاء فيما أورده الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد من خطبة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب خطبها (بذي قار) قال عليه السلام: «قَد جَرَت اُمورٌ صَبَرنا عَلَيها - وفي أعيُنِنَا القَذى - تَسليما لِأَمرِ اللّه تَعالى فيمَا امتَحَنَنا بِهِ رَجاءَ الثَّوابِ عَلى ذلِكَ، وكانَ الصَّبرُ عَلَيها أمثَلَ مِن أن يَتَفَرَّقَ المُسلِمونَ وتُسفَكَ دِماؤُهُم»[1].

ونحن نستقبل يوم الغدير المبارك، نسأل الله أن يجعله علينا وعلى جميع المؤمنين والمسلمين وأبناء البشرية جمعاء، يوم خير وبركة وعزّة وانتصار.

نتحدث شيئاً وجيزاً مما يتعلق بهذه الواقعة العظيمة، التي رواها عشرات الصحابة، وتناقلها التابعون، ودوّنها المحدّثون والمؤرخون بمختلف توجّهاتهم، بأسانيد صحيحة معتبرة، ولم يختلف أحدٌ من المسلمين في وقوعها وحدوثها، وإنّما اختلفوا في دلالتها ومضمونها.

هذه الحادثة التي تتلخص في استيقاف رسول الله صلى الله عليه وآله لجموع الحجيج من

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، ج١، ص٢٤٩.

المسلمين بعد حجة الوداع، عند منصرفهم من أداء مناسك الحج، استوقفهم في منطقة يقال لها (غدير خم)، وخطب فيهم، وفي خطبته رفع يَدَ عليّ بن أبي طالب بيده، وقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللَّهمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»(١).

يرى الشيعة أنّ هذا الموقف يُشكّل إعلانًا من رسول الله ﷺ بتنصيب عليٍّ إمامًا وقائدًا للأمة بعد رسول الله ﷺ، وذلك بأمر من الله تعالى، في أعقاب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾، وهذه الواقعة جاءت تتويجًا لعددٍ من المواقف التي اتخذها رسول الله ﷺ، لتبيين الدور القيادي لعليٍّ بن أبي طالب، بدءًا من حادثة الإنذار، حينما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وجمع رجال بني هاشم وقال: مَنْ منكم يبايعني فيكون أخي ووصي وخليفتي ووارثي من بعدي(٢)، ...إلى آخر الحادثة التي روتها المصادر الإسلامية فقام عليّ بن أبي طالب في عدّة مرات بشكل تفصيلي ذكرتها الروايات، وكذلك حديث المنزلة وقوله ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(٣) وعشرات الأحاديث والروايات الواردة في المصادر الإسلامية بأسانيد صحيحة معتبرة.

لماذا لم يدافع عليٌّ عن حقّه؟

ما يهمّنا الآن فيما يرتبط بقضية الغدير، الإجابة عن تساؤل مُلِحٍّ يفرض نفسه، هذا التساؤل حول موقف الإمام عليّ عليه السلام من عدم الدفاع عن حقّه بعد رسول الله ﷺ، هذا الحقّ الذي تمسّك به الإمام عليّ وتحدّث عنه مرارًا، لكنه لم يتّخذ إجراءً عمليًّا حقّه في الخلافة بعد رسول الله ﷺ، زوي عنه هذا الحقّ، فلم يقم بإجراءات وخطوات

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤، ص٣٣٠، حديث١٧٥٠.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أو قريب منه: تفسير الطبري: ج١١، ج١٩، ص١٢١، تاريخ الطبري ج٢، ص٣١٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٢، ص٦٢.

(٣) صحيح مسلم. كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

عملية للدفاع عن هذا الحقّ، بل دخل فيما دخل فيه الناس، وعاش في ظلّ الخلفاء، وشاركهم برأيه وجهده في خدمة مصالح الدين والأمة.

بالتأكيد لم يكن شاكًّا أو متردّدًا في حقّه، ولم تكن تنقصه الشّجاعة والبطولة، وهو الذي نقل عنه أنه قال: «لَو تَظاهَرَتِ العَرَبُ عَلى قِتالي لَما وَلَّيتُ عَنها»[1].

وهو القائل لما قبض رسول الله ﷺ ـ وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب ـ في أن يبايعا له بالخلافة، وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة، وفي إطار ردّه على من فسّر سكوته بالخوف من الموت متعجّباً من ذلك وهو الذي ثبت حين نكصت الأبطال في بدرٍ وأحدٍ وحنين والأحزاب وخيبر التي أثبتت مدى ولهه وشغفه بالشّهادة ولَهَ الرضيع بثدي أمّه، قال عليه السلام: «وإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ - هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي واللَّه لَابْنُ أَبي طَالِبٍ آنَسُ بالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْي أُمِّهِ»[2].

لماذا لم يتحرّك إذاً؟! لماذا لم يدافع عن حقّه؟!

هذا السؤال كان مطروحًا على عليٍّ عليه السلام وقد أجاب عنه، ليس في موقف واحد، ولا مرة واحدة، بل إنّ الأحاديث والمصادر تنقل عدة مواقف أجاب فيها الإمام عن هذا التساؤل، ومضمون إجابة الإمام كما سننقل بعض الشواهد منها، أنه راعى المصلحة العامة للدين والأمة؛ لأنه رأى أنّ دفاعه عن حقّه في ذلك الوقت، والأمة ناشئة حديثة التكون، وقد فقدت للتوِّ نبيها وقائدها رسول الله ﷺ، وهناك ثارات، وهناك أعداء يتربصون بالأمة الدوائر، وقد بدأت بعض الفئات ترتدّ عن الدين، وتشيع حالة الارتداد، رأى الإمام عليٌّ أنه إذا دافع عن حقّه واستخدم القوة، ونهض وثار، فسيحدث انقسام في الأمة، وستكون هناك حرب أهلية، تسفك فيها الدماء، ويتحيّن الأعداء فيها الفرصة، ويصبح دليلًا عند المرتدين والمشككين بأنّ المسألة نزاع على

(١) نهج البلاغة. الكتاب ٤٥. ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة.
(٢) نهج البلاغة. خطبة ٥.

السّلطة، وليس هناك دين، وليس هناك حقيقة، وإنّما هو صراع قبلي سلطوي، رأى نفسه أمام هذا الموقف، له حقّ لكن الدفاع عن هذا الحقّ سيؤدي إلى انهيار الكيان الإسلامي، وإلى احتراب ومشاكل كبيرة تواجه الدين والأمة، لو أنّ شخصا آخر غير عليٍّ لعله ما كان يهمّه ماذا ستكون النتائج، بل يهمّه أن يجد طريقًا للوصول إلى السلطة والحكم، لكن عليًّا كان يعيش هَمَّ الدين، ويفكر في مصلحة الأمة، لذلك لم يتحرك دفاعًا عن حقّه، بما يؤدي إلى تخريب مصلحة الأمة، وضياع مصلحة الدين، وهذا ما يظهر من نصوص كثيرة نقلتها المصادر التاريخية وكتب الحديث.

عليٌّ يتحدّث عن موقفه:

جاء في الشافي أنّ بريدة، وكان من الصحابة الأجلاء، وقد سمع مباشرة من رسول الله ﷺ أنه قال له: يا بريدة، عليٌّ وليّكم من بعدي، لذلك جاء حتى ركز رايته في وسط قبيلته (أسلم) ثم قال: لا أبايع حتى يبايع عليّ، قال عليّ عليه السلام له: «يا بريدة، ادخل فيما دخل فيه الناس، فإنّ اجتماعهم أحبَّ إليَّ من اختلافهم اليوم»[1].

وخطبته عليه السلام في (ذي قار) التي قال فيها: «قَد جَرَت اُمورٌ صَبَرنا فيها، وفي أعيُنِنَا القَذى؛ تَسليما لِأَمرِ اللّه تَعالى فيمَا امتَحَنَنا بِهِ؛ رَجاءَ الثَّوابِ عَلى ذلِكَ، وكانَ الصَّبرُ عَلَيها أمثَلَ مِن أن يَتَفَرَّقَ المُسلِمونَ، وتُسفَكَ دِماؤُهُم»[2] لاحظوا.. الإمام يقول الصبر على ضياع هذا الحقّ أمثل، أي أولى وأفضل من أن يتفرّق المسلمون وتسفك دماؤهم، هذا يقوله من يهتمّ بوحدة المسلمين، وحماية دمائهم، أمّا أصحاب النزعات السّلطوية والمطامع الدنيوية فلا يهمّهم ذلك، تفرّق المسلمون أو اتّحدوا، لا يهمّهم، سفكت الدماء أو صينت لا يهمهم، لكن عليًّا يهمّه ذلك.

وعنه عليه السلام من خطبة له قبل حرب الجمل: «إنَّ النَّبِيَّ ﷺ حينَ قُبِضَ كُنّا نَحنُ أهلَ

(١) الشافي في الإمامة. الشريف المرتضى، ج ٣، ص ٢٤٣.
(٢) الإرشاد. ج١، ص٢٤٩.

بَيتِهِ، وعُصبَتَهُ، ووَرَثَتَهُ، وأولِياءَهُ، وأحَقَّ خَلقِ اللّهِ بِهِ، لا نُنازِعُ في ذلِكَ . . . إلى أن قال: فَانتَزَعوا سُلطانَ نَبِيِّنا مِنّا، ووَلَّوهُ غَيرَنا، وَايمُ اللّه فَلَولا مَخافَةُ الفُرقَة بَينَ المُسلِمينَ أن يَعودوا إلَى الكُفرِ لَكُنّا غَيَّرنا ذلِكَ مَا استَطَعنا»[١].

وفي كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر: «تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّد ﷺ فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ»[٢].

وفي تاريخ الطبري ومصادر أخرى:

لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ، أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى عَجَاجَةً لا يُطْفِئُهَا إِلا دَمٌ يَا آلَ عَبْدِ مَنَافٍ، فِيمَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ أُمُورِكُمْ؟ أَيْنَ الْمُسْتَضْعَفَانِ؟ أَيْنَ الأَذَلانِ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ؟ وَقَالَ: أَبَا حَسَنٍ ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أُبَايِعَكَ، فَأَبَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ الْمُتَلَمِّسِ:

وَلَـنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُـرَادُ بِهِ ... إِلا الأَذَلانِ عِيرُ الْحَيِّ وَالْوَتَدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فَلا يَبْكِي لَـهُ أَحَـدُ

قَالَ: فَزَجَرَهُ عَلِيٌّ، وَقَالَ: إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَرَدْتَ بِهَذَا إِلا الْفِتْنَةَ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ طَالَمَا بَغَيْتَ الإِسْلامَ شَرًّا، لا حَاجَةَ لَنَا فِي نَصِيحَتِكَ)[٣].

---

(١) الأمالي للمفيد. ج١، ص١٥٥، حديث٦.
(٢) نهج البلاغة، ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها، رقم (٦٢).
(٣) تاريخ الطبري. ابن جرير الطبري، ج ٢، ص ٤٤٩.

الدرس العظيم

إنه درسٌ عظيم يقدّمه الإمام عليّ صلوات الله وسلامه عليه للأمة، أنّ الأولوية يجب أن تكون لحفظ المصلحة العامة، مع أنه مطلوب من الإنسان، أن يدافع عن حقوقه، وكذلك الجماعات الفئات والشعوب مطلوب منها أن تطالب بحقوقها، فهو أمر مشروع، لكن يجب أن يكون ذلك تحت سقف حفظ المصلحة العامة، أمّا إذا كان الدفاع عن بعض الحقوق يؤدي إلى ضياع مصالح الشعوب والأوطان، فإنّ الشرع والعقل يتوقف في ذلك؛ لأنّ هناك أولويات، وهذا هو ما فعله عليّ بن أبي طالب.

ما نراه الآن في عددٍ من بلاد المسلمين من دمار وتخريب، وفقدان للأمن، وسفك للدماء، وانتهاك للأعراض، وتسليط للأجانب على الأوطان والشعوب، يوجب علينا التأمّل في هذا الدرس العلويّ.

ماذا يحدث في الصومال؟!

ماذا يحدث في أفغانستان؟!

ماذا يحدث في سوريا؟!

ماذا يحدث في ليبيا؟!

ماذا يحدث في العراق؟!

ماذا يحدث في بلدان كثيرة بدرجات متفاوتة؟!

أطراف متناحرة، كلُّ طرفٍ يرى أنّ له حقًّا فيتشبث بموقفه، دفاعًا عن حقّه، والنتيجة هذا الدمار، وهذا الخراب الذي نراه، لو كان هناك وعي عليّ بن أبي طالب، لو كان هناك إخلاص عليّ بن أبي طالب، الذي يجعل المصلحة العامة نصب الأعين والأفكار، ويجعلها حاكمة على المواقف والتصرفات، لما آلت الأمور إلى ما تعيشه بلداننا الإسلامية في هذا العصر.

صحيح أنّ هناك حقوقًا مشروعة، حكومات تدافع عن سلطاتها وما تعتقد أنه شرعية لها، شعوب تدافع عن حرياتها وكرامتها وحقوقها، أحزاب وجماعات، كلّ جماعة ترى أنّ منهجها وأن طريقتها هي الأحقّ وهي الأصوب، وأنّ لها حصة وأنّ لها دورًا، وقد يكون الحقّ مع هذا الطرف أو ذاك، أو متوزّعًا بين الأطراف، ولكن هل يبرّر لهم ذلك ما يحدث في بلدانهم من دمار وخراب؟!!

أصبحنا فرجة لكلّ العالم!!

أصبح العالم يتفرّج على خلافاتنا ونزاعاتنا وحروبنا، وأصبحت القوى المختلفة تستثمر في هذه الحروب والخلافات، تنشط مصانع أسلحتها، وتعزّز وجودها ونفوذها، وتنسف ما حصل من تنمية في هذه البلدان، فإلى متى تستمر هذه الحالة في بلاد المسلمين؟!!

إننا في حاجة إلى وقفة تعقّل وتأمّل، على كلّ إنسانٍ أن يدرس موقف عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأن يكون التضحية بالحقوق الخاصة من أجل حماية الحقوق العامة، وهذا هو ما يمليه علينا موقف عليّ بن أبي طالب، وهذا ما يجب أن يعمل ويدعو له جميع الواعين المخلصين، ونسأل الله تعالى أن يحقق ذلك وأن يكشف هذه الغمّة عن هذه الأمّة.

كيف نُشوّق أبناءنا للدراسة والتعليم

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:
«تَعَلَّمُوا العِلمَ صِغاراً، تَسودوا بِهِ كِباراً»[1].

بداية عام جديد

بعد إجازة طويلة (زادت على مئة يوم) يعود أبناؤنا مطلع الأسبوع القادم إلى مدراسهم، ويعود المعلّمون إلى ممارسة أقدس مهنة وأفضل دور، وهو التعليم، وقسمٌ من أبنائنا يبدأ هذا العام مشوار حياته التعليمية في الصف الأول الابتدائي.

نسأل الله تعالى لأبنائنا التوفيق والنجاح، والجدّ والاجتهاد في دراستهم.

من الطبيعي أن تشكّل بداية السنة الدراسية حدثاً اجتماعيًّا، يسترعي انتباه كلّ أبناء المجتمع، فكلّهم معنيّون بمسألة التعليم، بشكل مباشر أو غير مباشر، حتى مَنْ ليس لديه أبناء في المراحل الدراسية، قد يكون لديه أحفاد أو أسباط، كما أنّ دراسة أبناء المجتمع تهمّ الجميع، ذلك أنّ مستقبل المجتمع يرتبط بمستوى تعليم أبنائه، إذا تقدّم المستوى التعليمي لدى أبناء المجتمع، فإنّ ذلك يصبّ في صالح رقيّ المجتمع ككل، وعلى العكس من ذلك إذا تأخّر أو تقهقر!!

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢٠، ص٢٦٧، رقم ٩٨.

دور المنابر الدينية

من هنا يجب أن يكون لمنابرنا الدينية، وأجوائنا الشعائرية الروحية، دورٌ في الاهتمام بالتعليم، فهي ليست قضية منفصلة عن الدّين والتديّن.

نحن نرى تفاعل منابرنا مع المواسم الدينية، حينما يقبل شهر رمضان المبارك، يقوم العلماء والخطباء بتهيئة الناس للصيام، بالحديث عن فضله وعن مسائله الشرعية، وكذلك قبيل الحج، يتحدّث الدّعاة والموجّهون عن مسائل الحج والترغيب فيه، وكذلك يجري الحديث قبيل عاشوراء، أو زيارة الأربعين، فهي مواضيع حاضرة في أحاديث الخطباء ومحاضراتهم، في مقابل ذلك ينبغي ألّا تغيب مسألة التعليم وبداية السنة الدراسية عن الخطاب الديني، ينبغي للخطباء أن يتناولوا في أحاديثهم هذه المسألة المهمّة، وما يرتبط بها من مسائل فقهية وتربوية، تتعلق بالمعلم ووظيفته، وتعامله مع الطلاب، إضافة إلى الآداب والأخلاقيات الخاصّة بالمعلّم والمتعلّم، وفي تراثنا مئات الأحاديث حول العلم والتعلم والتعليم، هذا التراث الكبير ينبغي أن يُفعّل في مجال الإرشاد الثقافي الديني.

كتاب (منية المريد)

أحدُ أعاظم علمائنا، وهو الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي (٩١١ – ٩٦٥هـ) صنّف كتاباً مهمًّا، من أروع كتب التراث في التربية والتعليم، وأهمية العلم والمعرفة، وعنوانه (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد)، وهو كتاب جميل رائع، حول أهمية تحصيل العلم، ووظيفة المعلم وأخلاقه وآدابه، وكذلك حول طالب العلم وواجباته وحقوقه.

ينبغي لكلّ من له ارتباط بالعملية التربوية التعليمية من معلّمين وإداريين وآباء، أن يقرؤوا هذا الكتاب، وأن يطّلعوا عليه، ومن المفيد أن يتبنّى بعض المحسنين نشر الكتاب وإيصاله إلى المعلّمين، بحيث يحصل كلّ معلّم على نسخة منه، حتى يطّلع

على دوره ومسؤولياته تجاه أبنائه الطلبة.

معظم المعلّمين اليوم من أبناء المجتمع، وعلى عاتقهم مسؤولية كبيرة تجاه التلاميذ والطلاب، ونظرة المعلم ينبغي أن تتجاوز حدود الوظيفة كمصدر رزق فقط، فالتعليم مهمّة لها مكانتها العظيمة من الناحية الدينية، والمعلّم يقوم بعمل له مسحة دينية، يقوم بعمل عبادي له أجرٌ وثواب إنْ هو أحسن القيام بدوره عنه، وكتاب (منية المريد) يشير إلى هذا الجانب ويُعزّزه.

ونجد أنّ عددًا من الأدعية المأثورة واضحة في الحثّ على العلم، والدعاء للعلماء والمتعلمين كالفقرة التي في الدعاء المروي عن رسول اللّه ﷺ: «اللّهُمَّ انفَعني بِما عَلَّمتَني، وعَلِّمني ما يَنفَعُني، وزِدني عِلمًا»[١]، وورد أيضًا في دُعائِهِ ﷺ: «اللّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ عِلمًا نافِعًا»[٢].

وفي الدعاء المروي عن الإمام المهدي عجل الله فرجه: «وَتَفَضَّلْ عَلى عُلَمائِنا بِالزُّهْدِ وَالنَّصيحَةِ، وَعَلَى الْمُتَعَلِّمينَ بِالْجُهْدِ وَالرَّغْبَة»[٣]، وهناك كثير من النصوص والأحاديث والأدعية التي تؤكّد أهمية التعليم، وترفع من شأن طالب العلم.

التكامل بين التعليم والمناسبات الدينية

ينبغي أن تكون برامجنا الدينية متكاملة مع التعليم، وليست متصادمة، البعض يظنّ أنّ هناك نوعاً من التزاحم، ويرى أنّ حضور المناسبات الدينية مقدّم على الدراسة، لكن المتأمّل لجوهر المناسبات الدينية وحقيقتها يجد أنّها حثّ على العلم والمعرفة.

وحتى يتحقّق التكامل فإنّ إحياءنا للمناسبات الدينية يجب أن يأخذ بعين الاعتبار توقيت المدارس وأنظمتها والتزاماتها، ولا بُدّ من وضع حدٍّ لاتخاذ كلّ مناسبة دينية

(١) سنن الترمذي. ج٥، ص٥٧٨، حديث ٣٥٩٩.
(٢) الكافي. ج٤، ص٢٥٠، حديث ٧.
(٣) مصباح الكفعمي، ج١، ص٢٨٠، من دعاء الإمام الحجة عجل الله فرجه: اللهم ارزقنا توفيق الطاعة.

مبررًا للغياب عن المدرسة، وكذلك السهر إلى وقت متأخر في مواكب العزاء في أوقات الدراسة.

ويهمنّي بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد أن أؤكّد على قضية مهمة تطرح في مجال التعليم، وهي تحفيز الرغبة في التعليم عند الطلاب، وخلق حالة الشّوق والمحبّة في نفوس الطلاب والطالبات للدراسة والمعرفة، لأننا نلحظ ـ وخاّصة في مجتمعاتنا ـ أنّ التعليم بدأ يصبح وكأنّه شيءٌ ثقيل، الطالب يذهب إلى المدرسة متثاقلاً، بل حتى العائلة تعتبر أيام الدراسة أياماً ثقيلة عليها، تنتظر الإجازة، بل تتمنّى أنّ أغلب أيام السنة إجازة، وكذلك المعلّمون!!

وهذه مشكلة كبيرة، إذا كنّا نتعامل مع العلم والتعليم ـ مع أهميته وخطورته ودوره ـ باستثقال، وننظر له باعتباره عبئاً، فكيف نريد لأبنائنا أن يجدّوا ويجتهدوا ويتفوقوا؟!

القضية المهمّة: كيف نؤكّد مسألة الشّوق للمدرسة والدراسة؟

كيف يذهب الطالب إلى المدرسة بلهفة وشوق لا أن يُجرّ إليها جرًّا؟!

وكذلك المعلم، كيف يذهب إلى المدرسة برغبة واهتمام، وليس باستثقال؟.

هذه الحالة العامة التي نجدها من الحرص على الإجازات، أو تعطيل الدراسة بسبب شيءٍ من الأمطار أو سوء الأحوال الجوية!!

لماذا هذه الحالة؟!، ينبغي أن نحرص على أن يذهب أبناؤنا للمدارس.

هناك بلدان عديدة في العالم تكثر فيها الأمطار، لكنّ الدراسة لا تعطّل، فهم رتّبوا حياتهم بحيث لا تفوتهم أيام دراسة، بينما نجد في مدارسنا أنّ عدد أيام الدراسة قليلة، بسبب هذه الحالة!

النتيجة ماذا ستكون ؟!

النتيجة هي تدنّي المستوى التعليمي، انخفاض الرغبة في العلم والمعرفة، وهذا

ليس في مصلحة المجتمع، من هنا نحن معنيون جميعاً بخلق حالة التحفيز للدراسة لدى أبنائنا ومعلّمينا، ويتحمّل هذه المسؤولية أطراف عديدة:

أولاً: دور العائلة

يمكن للعائلة أن تقوم بدور كبير في رفد العملية التعليمية، وذلك من خلال:

١/ التشويق

ينبغي أن تهتمّ العائلة بخلق حالة الشوق والمحبة في نفوس أبنائها وبناتها للدراسة، بعض الكلمات لها أثر سلبي في نفس الطالب، فحينما يتحدّث الأب بعبارات، مثل: «ستنتهي الإجازة.. الله يساعدنا»، فإنّ هذه العبارة وأمثالها تُشعِر الابن بثقل الدراسة، ويستقرّ في (عقله الباطن) أنّ الدراسة والتعليم شيءٌ ثقيل، بينما ينبغي أن تُشعر العائلة الأبناء بالرغبة في العلم والتعلم، من خلال عبارات لها إيحاءات إيجابية من قبيل: «الحمد لله المدرسة ستفتح أبوابها، ونرتاح بالمدرسة» لإشعارهم بالشوق والمحبّة للدراسة، العائلة معنية بهذا الأمر، عبر الحديث مع الأبناء حول أهمية الدراسة، وأهمية التعلّم، وذكر القصص، والحقائق.

٢/ عدم تَضخيم الأُمور السّلبية

لا تَخلُو العملية التعليمية في أيّ بلدٍ من بعض السّلبيات، فقد تكون في المدارس نواقص من ناحية المبنى، أو قصور أو تقصير لدى بعض أعضاء هيئة التدريس أو الإدارة، وكذلك المناهج فيها جوانب من النقص أو الضعف، لكن لا ينبغي تضخيمها أمام الأبناء، الطالب قد يلاحظ جوانب النقص، وينقلها لعائلته، وهنا يأتي دور الأب في اختيار الكلمات المناسبة التي لا تترك آثاراً سلبية لدى الأبناء تجاه المدرسة.

بالطبع ينبغي السّعي لمعالجة المشاكل وجوانب القصور والتقصير، لكن يجب أن يكون ذلك في إطار الحكمة التي تلحظ آثار العبارات على نفس الطالب وفكره.

فبعض الكلمات تدفع الطالب إلى النفور من المدرسة، والاتّكاء على ما سمعه من عبارات والديه تجاه المدرسة.

٣/ التواصل مع المدرسة

ينبغي ألا يكون الولد في المدرسة في عالَم مفصول عن عائلته، على العائلة أن تتواصل مع المدرسة بشكل إيجابي، فكثيرًا ما تشكو إدارات المدارس من ضَعف تواصُل أولياء الأمور، الأب غير مُهتمّ بالتواصل، وفي بعض الأحيان يترك المسؤولية على الأم، وقد لا تكون الأم قادرة على أن تتفقد أبناءها، أو تتواصل مع إدارة المدرسة.

ذات مرة سألت عدداً من الآباء عن التواصل مع المدرسة، فالبعض أجاب بأنه لم يذهب إلى المدرسة منذ أن سجّل ابنه فيها!

والبعض أجاب: لم أذهب إلى مدرسة ابني منذ عدة شهور!!

ابنك يقضي شطرًا كبيرًا من أيّامه في المدرسة، ألا تكلّف نفسك أن تتعرف على وضع هذه المنشأة التعليمية؟ ووضع الإدارة فيها؟!

بعض أولياء الأمور تحدّثوا عن إيجابيات كثيرة من خلال تواصلهم مع إدارة المدارس، سواء من الناحية التربوية أو التعليمية.

٤/ القدوة الصالحة

أن يكون الوالدان قدوة أمام الأولاد في الاهتمام بالعلم والمعرفة، بعض الآباء والأمّهات يضغطون على أبنائهم، بالعبارات والكلمات المجرّدة:

«لماذا لا تذاكر؟!»، «قم راجع دروسك «...إلخ

بينما الابن لم يَرَ أباه يوماً يقرأ كتاباً!

لم يَرَ أمّه تفكّر في موضوع علمي!

فكيف نخلق عندهم هذا الحافز، ونحن نفتقد ممارسة الاطّلاع والقراءة؟!!

الأبناء الذين يرون عوائلهم، آباءهم، أمّهاتهم، لديهم اهتمام بالعلم والمعرفة، بطبيعة الحال سيتأثرون بهم.

بعض العوائل يتفاعلون مع أبنائهم في دروسهم، ويسألونهم في مواضيع علمية تخصّ دراستهم، وهم بذلك يبدون اهتمامًا مؤثّرًا مشجّعًا، وكأنّ الابن يعلّم أباه أو أمّه، يشرح لهم بعض المسائل العلمية، وهو يشعر بأهمية ما درس، هذا يخلُق حافزًا عند الأبناء، حينما يرون اهتمامًا عند العائلة بالمعرفة والعلم.

٥/ برمجة حياة العائلة بما يخدم الاهتمام التعليمي

مجتمعاتنا تعوّدت بعض العادات السّلبية التي ليست في صالح الجدّية في التعليم ولا في العمل.

ومنها عادة السّهر، حينما تسهر العائلة على مشاهدة المسلسلات والأفلام، أو الخروج للتمشية والزيارات، ويطلب من الابن المبادرة للنوم المبكر، يشعر بأنه محروم من شيءٍ يعيشه بقية أفراد العائلة، فهو يحبّ أن يجلس معهم ويشاركهم السّهر.

بينما لو كانت العائلة كلّها تُوقّت نومها، ويقظتها، وأوقات طعامها بما يخدم حالة التعليم ووضع الأبناء في التعليم، سيكون ذلك مفيدًا جدًّا.

فحين يسهر الأبناء إلى وقت متأخّر من الليل، يكون استيقاظهم بمشقّة، واستعدادهم للخروج إلى المدرسة يحتاج إلى كلفة.

فكيف يكون لديه نشاط وحيويّة؟!.

الأبناء في مرحلة الدراسة ينبغي أن تحيطهم العائلة بأجواء الجِدّ والحيويّة والنشاط، حتى يكون الأولاد أكثر رغبة وأكثر نشاطًا.

ثانيًا: دور المعلم

المعلم ينبغي أن يعرف أنه يقوم بِعَملٍ عِبَادِيّ اجتماعي.

وأن يتعامل مع الطلاب باعتبارهم أبناءه، وغدًا سيرى نتاج عمله ماثلاً أمامه، طبيبًا يعالجه، أو موظّفًا في دائرة حكومية يخدمه، أو زوجًا لابنته، أو معلّمًا لأبنائه، وهكذا يقطف المعلم في المستقبل ثمار ما غرس في الماضي.

مِن هُنا ينبغي للمُعَلّمين أن يجتهدوا، وأن يُخلِصوا، وألّا يتعاملوا مع التعليم كمجرّد مِهنةٍ أو مصدر رِزقٍ، وإنّما بالفعل يتقرّبون إلى الله سبحانه وتعالى لقيامهم بهذا الدور.

ثالثًا: الأجواء الاجتماعية العامة

ينبغي أن تكون الأجواء الاجتماعية مُشجّعة على التعليم، فالمجتمع ينبغي أن يَخلُق أجواء التنافس للرقيّ بمستوى أبنائه، وقد حصلت بعض المبادرات الإيجابية في هذا الإطار، كإقامة احتفالات تكريم المتفوقين سنويًّا، وهو أمر مهمٌّ للغاية، ينبغي أن ينتشر في جميع مدن وقرى المنطقة.

وقبل ذلك نحتاج إلى صنع الأجواء التي تُنتِج المتفوقين.

كيف نصنع متفوقين؟

أن نهتمّ بالمنشآت التعليمية، نعم.. هي مسؤولية الدولة في المقام الأول، لكن بعض القضايا تحتاج متابعة من أبناء المجتمع، تحتاج اهتمامًا من الناس.

اِعتَبِر نفسَك مَعنِيًّا بِأَوضاعِ المدرسة الموجودة في منطقتك، وينبغي أن تهتم فئة من أبناء المجتمع بأَوضاع المدارس، بتوفير النواقص فيها، بالمتابعة مع المسؤولين. في بعض الأحيان البيئة التعليمية لا تُشجّع الطالب على الرغبة في الدّراسة.

بحمد الله تقلّصت المباني المـُستأجرة في منطقتنا، وهذا أمرٌ طيّب وتُشكَر عليه

إدارة التعليم في المنطقة، ووزارة التعليم بشكل عام، ونتمنّى أن يكون ذلك على مستوى الوطن، بتأهيل كلّ منشآت التعليم والدراسة، لتكون بيئة تعليمية صالحة. وإذا كان هناك نقصٌ في بيئات التعليم فعلينا أن نهتمّ بهذا الأمر على الصّعيد الأهلي.

نسأل الله أن يُوفّق أبناءنا في مختلف مراحل الدراسة للجِدّ والاجتهاد، وأن يتوفّقوا للنجاح، وأن نرى فيهم كفاءاتٍ وطاقاتٍ يعمُرون البلد، ويقودون المجتمع، ويزيدون في رصيد مجتمعهم من الاحترام والتقدير.

كتابات

٧

سالم النويدري.. وقار الشخصية ونهج الاعتدال*

يزخر الوسط الديني بكفاءات في مختلف المجالات، فهناك المتفوق في علمه وفقهه، وهناك البارع في خطابته وكتابته، وهناك المتميز في نشاطه وأدائه السياسي، وهناك المقدام في نضاله وجهاده، وهناك الناجح في دوره الاجتماعي وإدارته المؤسّساتية.

لكن من يشدّك أكثر، وتكنُّ له احترامًا أكبر، في هذا الوسط الديني، هو صاحب الكفاءة الذي ينعكس تديّنه على سلوكه وتعامله مع الآخرين؛ لأنّ من يكون سيئًا في أخلاقه، أو انتهازياً في تعاطيه، أو غير متورع عن حقوق الآخرين المادية والمعنوية .. فإنك لن تمحضه المحبة، ولن تخلص له الودّ والتقدير، مهما كان مستوى علمه وفضله وقدراته، وإن كنتَ مضطرًا للتعامل معه أو إظهار احترامه.

ومن النماذج المشرقة التي سعدت بالتعرف عليها في الوسط الديني: شخصية الأستاذ العالم الباحث الأديب الشيخ سالم النويدري، فقد تعرفت عليه مطلع الثمانينيات من القرن المنصرم أثناء مجاورتي لمقام السيدة زينب ﵂ في ريف دمشق الشام، فرأيته شخصًا وقورًا، صادقًا في تديّنه، ناضجًا في وعيه.

وجدته منصرفًا لاهتماماته العلمية والتربوية، لا يضيع وقته بحضور المجالس المجاملاتية (البروتوكولية) والجلسات الفارغة التي لا تخلو من الأحاديث السلبية،

* كتبت للمشاركة في ملف حول شخصية الأستاذ سالم النويدري بمناسبة تكريمه.

وكانت سائدة منتشرة في الوسط الديني.

كما لم أجد له صوتًا ولا ذكرًا في الصراعات والخلافات الفئوية، التي كانت تملأ الأجواء، وتعصف بالساحة آنذاك.

وحين يشارك في حديث لمناقشة موضوع فكري أو سياسي، تسمع منه كلامًا ناضجًا رزينًا، لا يستفزُّ أحدًا، ولا يأخذ منحى المبالغة والتهويل.

ولأنّ هذا السّلوك ينطلق من خلفية دينية صادقة، فهو حاضر في نتاجه المعرفي وكتاباته القيمة. لذلك ترى الالتزام القيمي الأخلاقي، والورع الديني، حاكمًا على كتاباته وعباراته، فمنهجه في الكتابة والتأليف هو تقديم الفكرة والمعلومة بتركيز ووضوح، دون اللجوء إلى أسلوب الإنشاء والحشو، وتنميق الجمل، ورصّ المصطلحات.

ففي كتابه الموسوعي (أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال أربعة عشر قرنًا) ابتعد عمّا دأبت عليه كتب التراجم من أسلوب (المبالغة والمغالاة في وصف الأعلام المترجم لهم)[١].

وحدة الأمة والنسيج الوطني

وكان منهجه في إيراد تراجم الشخصيات منسجمًا مع عنوان الكتاب، حيث لم يقتصر على أعلام طائفة أو مذهب، بل ذكر أعلام (الطائفة السنية في البحرين إلى جانب إخوتهم في العقيدة من الطائفة الشيعية)[٢] ملمّحًا إلى نقده للاتجاه الذي يتجاهل أعلام الطائفة الأخرى (وقد دأبت كتب التراجم وغيرها على ذكر الأعلام من طائفة معينة ـ حسب انتماء المؤلف المذهبي ـ وإهمال ما عدا ذلك)[٣] .

(١) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال أربعة عشر قرناً، ج١، ص١٩.
(٢) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال أربعة عشر قرناً، ج١، ص١٩.
(٣) المصدر نفسه. ج١، ص ١٩.

وهذا النقد وارد على من يختار عنوانًا عامًّا شموليًّا لكتابه، ثم يستثني شريحة ممن ينطبق عليهم ذلك العنوان العام، بسبب انتمائهم المذهبي، كما لو كان العنوان أعلام البحرين، أو أعلام هجر، أو أعلام القطيف، ثم اقتصرت التراجم فيه على أعلام طائفة السنة أو طائفة الشيعة فقط.

أما لو قرّر المؤلف أن تكون ساحة بحثه وكتابته محصورة في شريحة معينة، وكان العنوان في هذا الإطار فهذا لا يرد عليه الإشكال، كما لو كان العنوان (أعلام الشيعة أو أعلام السنة في البحرين) ـ مثلاً ـ فهذا مما لا يشمله النقد المذكور.

ويعترف الأستاذ سالم النويدري بالفضل لأهله، ولا يدّعي لنفسه السبق لهذا المنهج حين يقول: (وقد اقتدينا في ذلك بالمرحوم الأستاذ (التاجر) في كتابه الموسوعي (منتظم الدرين) الذي لم يهمل ذكر الأعلام الخليجيين والبحرانيين لاختلاف مذاهبهم، كما فعل الكثير سواه)[1]. وكان بإمكان الأستاذ النويدري الاكتفاء بذكر هذه الميزة لكتابه، دون الإشارة إلى سبق الأستاذ التاجر في كتابه إليها، خصوصًا وأنه كتاب مخطوط لم يطبع ولم ينشر بعد، لكن التزامه القيمي الأخلاقي هو الدافع لاعترافه بالفضل.

وبهذه المنهجية يعلن المؤلف انحيازه إلى مبدأ الوحدة الإسلامية، ووحدة النسيج الاجتماعي الوطني، في مقابل دعاة الفرقة وسياسات التمييز الطائفي.

وفي تجاوز واضح للتحفّظات السائدة في مجتمعه الشيعي تجاه رموز أهل السنة والجماعة، فإنه يسمّيهم (الخلفاء الراشدين) ويردف أسماءهم بإشارة الترضي عنهم رضي الله عنهم[2].

وفي متابعته للحركة الثقافية الحديثة في البحرين، يتحدّث عن علمائها بمختلف

(١) المصدر نفسه، ص١٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٧٦.

مذاهبهم، وعلى اختلاف توجّهاتهم الفكرية والسياسية في المذهب الواحد، ضمن منهجية الاعتدال والإنصاف، فلا يغمط حقّ أحد، أو يقلّل من شانه؛ لأنه ينتمي لهذا الاتجاه أو ذاك، كما لا يميّز أحدهم بالإشادة والمدح أكثر من الآخر في حدود شخصيته وسيرته.

تجد ذلك في حديثه عن علماء السنة والشيعة، وعن العلماء الحركيين والتقليديين، والمتقمّصين لوظائف في الدولة والمعارضين[١].

ويلتزم هذا النهج الموضوعي في تناوله للشعراء المعاصرين، فلا يقتصر على من يُصنّفون ضمن الحالة الدينية، أو التقليدية، بل يذكر إلى جانبهم الشعراء الحداثيين وبعضهم محسوب على الاتجاهات القومية واليسارية[٢].

الاعتدال السياسي

ومع أنّ تأليف الكتاب ونشره كان في وقت تأجج فيه الصراع السياسي في المنطقة، إلّا أنّ الأستاذ النويدري فضّل ألّا يكون كتابه ساحة تنعكس عليها آثار ذلك الصراع، فأبقى كتابه ضمن منهجية البحث العلمي، بعيدًا عن الإثارات السياسية، وذلك ينبثق من سمة الاعتدال والوقار التي تتصف بها شخصيته.

فهو صاحب رأي سياسي، ويتبنّى المواقف التي يقتنع بها، لكنه يتحكّم في توقيت وظرف طرحه لرأيه وقناعته.

ففي معرض نقده لانتشار كتابات ظهرت في فترات متأخرة، تتعمد إهمال تاريخ وتراث هذه المنطقة، وأنّ ذلك مما دفعه لكتابة موسوعته، يشير إلى وجود أغراض خلف الترويج لهذه الكتابات، وهذا الإهمال والإغفال، لكنه يقول: (لأسباب ليس

(١) المصدر نفسه، ص١٠٢-١٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٠-١١٦.

هذا مجال ذكرها)[١] ويبدو أنها أسباب ذات بعد سياسي طائفي.

وحين يبحث النسبة العربية الفصيحة إلى البحرين يقول: (بحراني، وهي نسبة سماعية ذكرتها أغلب المعاجم اللغوية المعتمدة، كالقاموس المحيط وغيره (٦٣: مادة بحرين) وأكّدها الجغرافيون القدماء كما مرّ .. أما غيرها من النسب فقد وضعت في فترة متأخرة جدًّا مجاراة لبعض التصورات، أو خضوعًا لمؤثرات غير موضوعية)[٢] هكذا يثبّت رأيه، ويسجّل اعتراضه بعبارة خاطفة هادئة.

وفي تعقيبه على حلّ (المجلس الوطني) في البحرين سنة ١٩٧٥م يقول: (وتلت ذلك أحداث وقضايا كان لها تأثيرات متباينة في مسيرة البلاد المعاصرة رغبت في إرجاء بحثها.. كما أوجزت ما سبقها من أحداث خضوعًا لظروف البحث وملابساته .. آملين أن تُتاح الظروف للتفصيل والاستيعاب في مجال أرحب)[٣].

وحين يناقش مقولة الدكتور محمد الرميحي: (أنّ الشيعة في البحرين يرجعون إلى أصول عربية جاءت من العراق؛ لأنّ اللهجة التي يتكلمون بها تقارب اللهجة العربية السائدة في جنوب العراق) يردّ هذه المقولة بكلّ أدبٍ وموضوعية قائلًا: (ولو كلّف الدكتور الرميحي نفسه ـ وهو الباحث الدؤوب ـ الرجوع إلى المصادر التي تتحدث عن منازل القبائل العربية، لوجد أنّ (عبد القيس) وهم سكّان البحرين الأصليون كما في (الروض المعطار) ص٨٢ (والتحفة النبهانية) ص٣٠، وكان من معاقلهم (سماهيج) بالمحرق قد هاجروا من بلادهم البحرين بعد بزوغ فجر الإسلام، واستقرّ بعضهم في البصرة جنوب العراق كما في المرجع السابق.

أقول: لو تيسّر للدكتور الرميحي ذلك لقلب مقولته ـ وهو الصحيح ـ إلى أنّ سكان جنوب العراق (البصرة) يرجعون في غالبيتهم إلى (عبد القيس) سكان البحرين

(١) المصدر نفسه، ص١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٨.

الأصليين، فلا عجب أن تتقارب لهجة أبناء القبيلة الواحدة، في قطرين عربيين متجاورين... وأخيرًا أربأ بالدكتور الرميحي وأمثاله من باحثينا الجادّين أن يغضّوا الطرف عن مصادر الدراسة الأساسية في هذا الموضوع)[1].

النقد الاجتماعي

ويبدو أنّ الأستاذ النويدري لا يوافق على الفكرة السّائدة في أوساط شيعية عريضة بالتسامح في نسبة المقامات والمراقد إلى الأنبياء والأولياء، حيث أصبحت موردًا للارتزاق وظهرت في مختلف البقاع قبور تنسب لبعض الأنبياء أو أولاد الأئمة، في أوساط عامة الناس يقدسونها ويزورونها ويتبركون بها، ويقدمون لها النذورات، دون أن يكون هناك دلائل علمية على صحة انتساب القبر لتلك الشخصية، بل قد تكون هناك دلائل مخالفة.

وتكمن المشكلة في سكوت العلماء والباحثين عن ذلك، بل وتأييد بعضهم لهذا التوجه، من منطلق قاعدة التسامح في أدلة السنن التي ـ على فرض ثبوتها ـ لا تشمل بالتأكيد هذه القضايا التاريخية.

ويبرّرون ذلك بأنه فرصه لتعظيم الشعائر، وانجذاب الناس للدين، والتفافهم حول أهل البيت ﷺ، لكن ذلك ليس مبررًا كافيًا لتعزيز الجهل، وإتاحة المجال للمتاجرة بعواطف الناس الدينية، والدين ليس بحاجة للاستعانة بالكذب والزيف.

في هذا السياق يتناول الأستاذ النويدري المسجد المنسوب للنبي صالح في البحرين فيقول: (وفيه قبر يُزعم أنه لنبي الله صالح، وبالقرب منه كهف يقال: أن فصيل ناقة صالح دخل فيه، والمظنون أن صاحب القبر أحد علماء البحرين الذين خفيت علينا أخبارهم، وقد يكون اسمه صالحاً، ثم أضافت إليه العوام لفظ النبي، وسمّاه صاحب (التحفة) بـــ (النبيه صالح) وجارته في ذلك التسمية الرسمية لهذا المقام

(١) المصدر نفسه، ص٤٧-٤٨.

اليوم. أما القصة التي أوردها (الناصري) في كرّاس له مستقلّ حول هذا المقام، فقد اعتمد فيها أقوال العوام، ولم تسعفه الدلائل العلمية مع الأسف الشديد)[١].

وفي معرض حديثه عن إقامة العزاء لمصاب آل البيت في (عاشوراء) بالبحرين تلمح رأيه الناقد لبعض الممارسات ضمن الشعائر الحسينية، يقول: (وقد تعتري ذلك الاحتفال بعض المظاهر التي نهى عنها بعض فقهاء الإمامية، كالتطبير وغيره)[٢].

ويُلامس الأستاذ النويدري مسالة ثنائية الانتماء الفقهي في المجتمع الشيعي إلى المدرستين الإخبارية والأصولية برفق، فيسجل أنّ (المشرب الفقهي السّائد بين العلماء السابقين في هذه الديار كان الاتجاه الإخباري الذي يحصر الأدلة الشرعية في أصلين هما الكتاب والسنة، في مقابل الاتجاه الأصولي الذي يضمّ إليهما الإجماع والعقل، أمّا الاجتهاد والتقليد فمشترك بينهما)[٣].

مشيرًا إلى أنّ الرجوع في التقليد للفقهاء السّابقين ـ كما هو السّائد في وسط الإخباريين ـ قد جمّد دور الفقهاء المعاصرين في الإفتاء، حيث يقول: (ففي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ظهر في البحرين العديد من مراجع التقليد ذوي الشهرة الفقهية في المنطقة الخليجية عامة كأصحاب (الحدائق) و(السداد) و (المعتمد). أمّا في القرن الرابع عشر فلا نعدم الفقهاء أمثال... غير أنه من النادر الرجوع إلى فتاواهم الفقهية؛ لاستغناء المقلدين بفتاوى المراجع المتقدمين، لكونهم لا يرون بأسًا في تقليد الأموات ابتداء)[٤].

مقرّرًا أنّ من أسباب تضاؤل الحركة الفقهية المعاصرة في البحرين: (التقديس غير المحدود لآراء المراجع البحرانيين المتقدمين)[٥].

(١) المصدر نفسه، ص٤١.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣٣.
(٤) المصدر نفسه، ص١٣٤.
(٥) المصدر نفسه، ص١٣٤.

ويشير إلى حصول تحوّل عند قسم كبير من المجتمع الشيعي البحراني إلى المدرسة الأصولية، معلّلا ذلك بأنه (نتيجة لندرة الفقهاء الأحياء في هذا المشرب الفقهي ـ الإخباري ـ اليوم، وتوافرهم في المدرسة الأخرى ـ الأصولية ـ مع إلحاح الحاجة إلى الرجوع في مستجدّات الحياة لفقهاء من المعاصرين... لذلك بادر كثير من شباب البلاد إلى تغيير مشربهم الفقهي، والرجوع إلى المجتهدين من مراجع التقليد المعروفين في العالم الشيعي اليوم)[١].

ولا تفوته إدانة مظاهر الخلاف والنزاع بين بعض أتباع الاتجاهين الإخباري والأصولي، مُرجعًا ذلك إلى (أنّ فئة من أصحاب النوايا المشبوهة حاولت الصيد في الماء العكر، بحجة الدفاع عن مدرسة فقهية معيّنة، أو الانتصار لمدرسة أخرى.. واستغلّ في ذلك بعض البسطاء الذين لا ينقصهم الإخلاص للعقيدة والمبدأ، وإنّما بنقصهم الوعي العام)[٢].

الالتزام القيمي والأخلاقي

ولأنّ الأستاذ النويدري يحمل هَمّ الالتزام القيمي الأخلاقي، ويدرك أهميته وضرورته في سلوك وسيرة العلماء الممثلين للدين، فقد وقف عند هذه المسألة، عارضًا لصور مشرقة من أخلاق العلماء الربانيين: في نكران الذات، والحكم بموضوعية على الآخرين وإنْ كان موقفهم سلبيًّا تجاه الإنسان، وفي التواضع العلمي والكرم والسّخاء، والأكل من كدّ اليمين حفظًا للاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي، حيث أورد في سيرة عدد من الفقهاء والعلماء احترافهم للزراعة والتجارة والصناعة اليدوية، ونسخ الكتب[٣]، وذلك بغرض أن تكون هذه الصور أنموذجًا للاقتداء والتأسّي.

والتزامًا بالموضوعية يشير الأستاذ النويدري إلى وجود بعض السّلوكيات المنافية

(١) المصدر نفسه، ص١٣٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣٦-١٤٠.

لمكارم الأخلاق عند بعض العلماء، مما لا يتناسب مع موقعهم القيادي كحدّة المزاج والتسّرع في اتخاذ المواقف السّلبية تجاه الآخرين، ذاكرًا بعض النماذج من تراجمهم.

كما يقارب الأستاذ النويدري المسألة الشائكة المتعلقة بالدور السّياسي لعلماء الدين ضمن أسلوبه المعتدل الهادئ، بالإشارة إلى تنوّع أساليب هذا الدور عند العلماء البحرانيين من الكتابة إلى سلاطين البلاد الإسلامية المجاورة طلبًا لنصرتهم (حينما تنزل بالبحرين نكبة أو تتعرض لغزو خارجي استثارة لحميتهم الإسلامية كي يساهموا في إنقاذ هذا البلد الإسلامي الصغير)[١]، والوفادة على أولئك السلاطين والملوك لذات الأغراض، إلى القيام بمهمة تسديد الحكّام المحليين ونصحهم، إلى تولّي السلطة التنفيذية في البلاد، وصولاً إلى الدور السياسي المعارض: بالإعراب عن عدم شرعية الحكّام المتسلّطين على رقاب الأمة واتخاذ مواقف في نصرة قضايا الأمة والوطن[٢].

وكأنّ الأستاذ النويدري يريد التأكيد على تحمل عالم الدين لمسؤوليته على الصّعيد السياسي، حينما تقتضي الظروف ذلك، وأنّ الدور السياسي لعالم الدين لا يتحدّد في أسلوب معيّن، بل إنّ طبيعة الظروف وتشخيص المصلحة قد يؤدّي إلى تنوع الأساليب والأدوار، مع وحدة المنطلق والغرض وهو خدمة مصالح الأمة والوطن.

وأكتفي بهذا القدر من التجوال في أفكار ومنهجية الأستاذ النويدري ضمن مدخل موسوعته القيّمة (أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين) بغرض التأكيد على ما أراه متجلّيًا في شخصيته الكريمة، من وقارٍ ونضج وعي واعتدال، وهو شخصية متميزة في الوسط الديني تستحق الدراسة والتقدير والإكبار، أطال الله عمره ومتّعه بموصول الصحة والعافية والنشاط، ووفّقه للمزيد من الإنتاج والعطاء في خدمة الدين والمجتمع، والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

٥ اكتوبر ٢٠١٦م

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ١٤٦.

اختزان التجربة ومواصلة النهج*

كان الأستاذ فؤاد الفضلي رحمه الله مَعْقِدَ أمل كبير للاضطلاع بدور ثقافي رسالي في المجتمع والوطن، فقد تربى في أحضان والده الفقيه الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي رضوان الله عليه، والذي أولاه رعاية مميزة، وقام بتدريسه علوم اللغة العربية، والمنطق والفقه وأصوله، وعلم الكلام وأصول الحديث، وأصول علم الرجال، منذ أن كان طالباً في الثانوية والجامعة، واعتمد عليه في إدارة كثير من نشاطه العلمي والاجتماعي، فكان حضوره بارزاً في استقبال ضيوف مجلس أبيه، الذين كانوا يمثلون النخبة الواعية من أبناء المجتمع من مختلف المناطق، وقد وجدوا في الشيخ الفضلي ملاذاً روحياً ومرجعاً فكرياً، يستقون منه معارفهم، ويناقشون معه هموم مجتمعهم، يصغي لهم باهتمام بالغ، ويستقبل أسئلتهم بصدر رحب، ويحدثهم بشفافية ووضوح، إنه أنموذج للعالم الرباني العارف بزمانه والذي لا تهجم عليه اللوابس كما جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «الْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ».

وكان للشيخ الفضلي انشغال دائم بالبحث العلمي، لم يتوقف عنه حتى في سنوات مرضه، وكتاباته العلمية في مختلف جوانب المعرفة شاهد على ذلك.

---

* محمد فؤاد الفضلي، بوح الجنان (كلمات صادقة في تأبين الأديب الراحل فؤاد الفضلي)، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ، ص١٣٣.

وفي المجالين العلمي والاجتماعي كان (فؤاد) محوراً أساساً في حركة والده، فقد أوكل إليه مراجعة كتبه، والإشراف على تصحيحها قبل خروجها للطباعة، وحمّله مسؤولية كتابة مقدمات مجموعة من تلك المؤلفات، وباهتمامه ومتابعته تكونت لجنة تشرف على طباعة ونشر النتاج العلمي للشيخ الفضلي، بمشاركة مجموعة من تلامذته، كما تأسس بإدارته موقع الكتروني على الشبكة العنكبوتية يُعنى بتراث الشيخ ونشر كتاباته، وبث محاضراته، ويتلقى الأسئلة لتسجيل إجابات الشيخ عليها.

في الجانب الاجتماعي كان فؤاد منفتحاً على تلامذة أبيه، ورواد مجلسه، يعرف كل فردٍ منهم بخصائصه واهتماماته، ويتواصل معهم، وحينما ألمّ المرض بالشيخ الفضلي وتعذر استقباله لزائريه، كان فؤاد حلقة الوصل بين والده وبين تلامذته ومريديه. ينقل إليه أسئلتهم وطلباتهم، ويبلغهم آراءه وإجاباته.

وهناك جانب مهم توجه إليه فؤاد، وكان الأقدر على القيام به، وهو توثيق ذكريات والده عن نشأته وتجاربه، والأحداث التي عاصرها، والانطباعات التي استقرت في ذهنه عن محيطه وبيئته.

وقد وظف هذا التوثيق فيما كتبه عن والده من مقالات وبحوث متعددة، مثل: (معالم مشروع الفضلي الحضاري)، و(دور الشيخ الفضلي في إحياء زيارة مرقدي الصحابيين الشهيدين جعفر الطيار وعمار بن ياسر)، و(صور وعبر في سيرة الشيخ المحسن الفضلي)، وكذلك بحثه الجميل الذي نشرته مجلة الكلمة (العدد ٥٥) بعنوان (المسيرة والركب).

هذه الأدوار والمهام التي قام بها فؤاد في إطار حركة والده العلمية والاجتماعية، اكسبته نضجاً في الشخصية، وعمقاً في الإدراك والتفكير، وسعة في المعرفة والثقافة، كما أكسبته محبة وتقدير كل من التقاه وتعامل معه.

زارني مرة بمعية الدكتور باقر العلي وعرض عليّ مشروعاً يرتبط بمعالجة المشكل الطائفي، وتعزيز الوحدة الوطنية، عبر إقرار الاعتراف بالتعددية المذهبية التي تشمل

مذهب أهل البيت عليهم السلام، وانعقدت على اثر تلك الزيارة جلسة في منزل الدكتور باقر العلي، ضمت مجموعة من المثقفين المهتمين بالشأن العام لمناقشة الفكرة، وتبين لي من خلال المناقشة اعتداله وموضوعيته في تناول هذا الموضوع، الذي تحيط به ظروف شائكة.

وقد كتب فيما بعد مقالين عن هذا المشروع أحدهما بعنوان: (أطروحة لحل مشكلة الأقليات في بلادنا العزيزة) والآخر بعنوان: (مطلب واحد ووحيد لشيعة المملكة العربية السعودية).

وتناوله لهذا الموضوع يُظهر أنه لم يكن بعيداً عن الهموم السياسية، رغم استغراقه في الاهتمام العلمي والثقافي، وله كتابات أخرى تؤكد هذا التوجه، مثل مقالته بعنوان: (معادلة الوعي السياسي بين الجماهير والقادة) ومقاله الآخر بعنوان: (مأزق الدستور بين التجربتين العراقية واليمنية).

لقد استفاد كثيراً من تربية أبيه، ومن قربه منه، واستلهم منه حب العلم والمعرفة، فكان منفتح الذهن، عاشقاً للقراءة والمطالعة، يقتنص الأفكار العميقة، ويستحضرها في تقعيد المفاهيم وترتيب المواقف.

والمقدمات التي كتبها لبعض مؤلفات والده ومنها: (دروس في أصول فقه الإمامية)، و(الوسيط في قواعد فهم النصوص الشرعية)، و(الاجتهاد والتقليد)، و(خلاصة علم الكلام)، و(أصول الحديث)، وغيرها. هذه المقدمات تدل على استيعابه لمادة تلك المؤلفات، وإحاطته بموضوعاتها، حيث لم تكن مجرد تقديم تمجيدي إنشائي.

وقد أخذني مرة إلى جولة ممتعة على مكتبة والده المرحوم، ولفت نظري اهتمامه بمجموعات من الكتب كان لوالده الفقيه الراحل علقة كبيرة بها، كمصادر في بحوثه، أو كنماذج رائدة يشيد بقيمتها العلمية والأدبية، أو لما تشير له من علقة مع مؤلفيها.

حقًا لقد اختزن فؤاد تجربة أبيه العلمية والاجتماعية، بمقدار ما منحه الله من قدرة فهم وإدراك، وسعى لمواصلة نهج أبيه بأقصى ما أُوتي من طاقة وجهد.

وقد كرس جهوده بعد وفاة والده لخدمة انتاجه وتراثه العلمي بوتيرة أسرع، وبهمته وإشرافه أعيدت طباعة معظم المؤلفات بتنقيح وإخراج جديد، يتلافى بعض الثغرات والأخطاء في الطبعات السابقة، ويتضمن بعض الاضافات بقلم المؤلف.

وحين أقرأ كتاباته تعجبني رشاقة قلمه، وحسن أسلوب عرضه، وتركيزه على الفكرة دون إسهاب وتطويل، لقد استقى من والده منهجية الطرح والمعالجة الهادئة، حتى للمواضيع الحساسة الملتهبة. وهذا ما ظهر جلياً في بحثه الذي قدمه لمؤتمر الوحدة الإسلامية في طهران سنة ٢٠١١م بعنوان (خطوات عملية في طريق الوحدة الإسلامية في جانبيها السياسي والثقافي).

لكل هذه السمات والخصائص كانت ساحة المجتمع الثقافية تعقد عليه الآمال، ليكون في الطليعة من رواد الفكر والمعرفة، المتصدين لإنتاج ونشر ثقافة الوعي والتجديد، كان أملاً واعداً في بواكير عطائه ونشاطه الفكري، لكن القدر كان لهذا الأمل بالمرصاد، فاختطفته يد المنون وهو في أوج تطلعاته وطموحاته، ليلحق بوالده بعد سنوات قليلة من رحيله، مخلفاً الأسى واللوعة في قلوب ذويه وعارفيه ومحبيه، تاركاً خلفه سيرة عطرة، وذكراً جميلاً، وعطاءً ثرياً.

وحين التقيت ولده الشاب المهذب محمد، وأخبرني باهتمامه بسيرة وتراث والده فؤاد، تذكرت الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «بِرُّوا آباءَكُمْ تَبَرَّكُم أَبْناؤُكُمْ» فكما برّ فؤاد بوالده واهتم بتراثه، رزقه الله ولداً يبرّ به على نفس المعدل والمنوال.

رحم الله شيخنا الفقيه الفضلي وأعلى مقامه، ورحم الله ولده فؤاد، وألحقه به في جوار محمد وآله الطاهرين، ونرجو لابنه محمد مستقبلاً زاهراً في خدمة المعرفة والدين، جعله الله قرة عين لوالديه في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٤/ ٣/ ١٤٣٨هـ

١٣/ ١٢/ ٢٠١٦م

الشيخ الصفار يستنكر اختطاف قاضي دائرة الاوقاف والمواريث*

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن متوقعًا أن يواجه مجتمعنا مثل هذه الحوادث المرعبة، فالإعتداء على قاضي دائرة الأوقاف والمواريث فضيلة الشيخ محمد الجيراني، واختطافه من أمام منزله، يعتبر تحولًا خطيرًا في ممارسات عصابات الإجرام، وإذ نستنكر هذا العمل الإرهابي المشين، نطالب الجهات الأمنية ببذل جهودها المكثفة لإنقاذ حياته، ووضع حدٍّ لهذه الممارسات الإجرامية، كما نرجو أن يتعاون جميع الأهالي مع الجهات الأمنية في متابعة هذا الموضوع فالأمر في منتهى الخطورة، وعواقبه سيئة على الجميع.

حسن الصفار

١٤/ ٣/ ١٤٣٨هـ

١٣/ ١٢/ ٢٠١٦م

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٤ / ١٢ / ٢٠١٦م

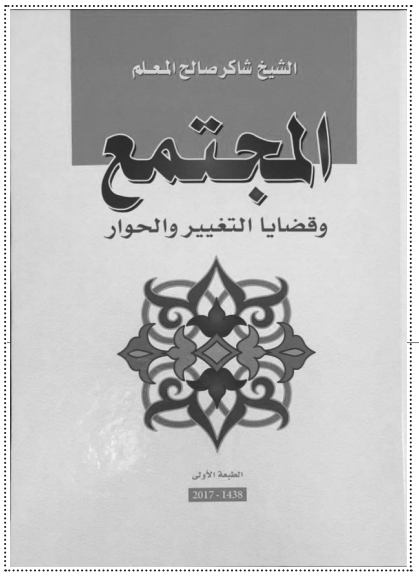

تقديم لكتاب:

المجتمع وقضايا التغيير والحوار*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

يتيح المنبر الحسيني فرصاً كبيرة هائلة لتوجيه المجتمع وإصلاحه، وبث الوعي والثقافة في أرجائه، لأن الناس ينجذبون إليه ويلتفون حوله باندفاع ذاتي، انطلاقاً من ولائهم لأهل البيت عليهم السلام، وحبهم وعشقهم للإمام الحسين عليه السلام، مما يجعل نفوسهم مهيأة لقبول تأثيراته.

ولأن المنبر الحسيني يتخاطب مع جميع شرائح المجتمع، كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً، أغنياء وفقراء، متعلمين وأميين.

وهو منبر مفتوح على الزمان والمكان، ينصب في كل وقت، وفي مختلف المناسبات، ولا تخلو منه أرض يقيم فيها موالون لأهل البيت عليهم السلام.

لكن مستوى تأثير هذا المنبر على نفوس جمهوره، وانعكاسه على أفكارهم وسلوكهم، يرتبط بمستوى الفارس الذي يعتلي ذروته وهو الخطيب.

---

* للشيخ شاكر صالح المعلم.

فكلما كان الخطيب أكثر كفاءة في العلم والثقافة، وكلما اجتهد أكثر في إعداد مادة خطابه، كان أقدر على التأثير في نفوس وعقول مستمعيه.

وخاصة في هذا العصر الذي انتشر فيه التعليم، واتسعت رقعته، وانخفضت إلى حدّ الانحسار نسبة الأمية، وتوفرت للناس وسائل العلم والمعرفة، فإن الخطابة الحسينية أصبحت أمام تحدٍّ كبير، قد يجتمع الناس تحت المنبر الحسيني، ويستمعون للخطيب كبرنامج عبادي يتقربون به إلى الله تعالى، أو كعادة اجتماعية ألفوها في المناسبات، لكن تأثرهم بالخطاب وتفاعلهم معه، يعتمد على مستوى ذلك الخطاب، وتوفره على عناصر الإقناع ومقومات التأثير.

وذلك هو ما يقدم التفسير لمحدودية تأثير المنابر قياساً إلى كثرتها وانتشارها.

إن بعض الخطباء يبخلون ببذل الجهد وصرف الوقت في تحضير موضوعات خطابهم، ويكتفون بمؤهلاتهم الصوتية لإثارة العواطف الولائية للجمهور، وهو أمر مطلوب في المنبر الحسيني، لكن لا يصح الاكتفاء به والتعويل عليه، بالانصراف عن طرح ما يفيد الناس في أمور دينهم ودنياهم، فهو منبر مناط به إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وأمرهم وقضيتهم هي أمر الدين ومصلحة الأمة.

وقد يستهين بعض الخطباء بقدر الجمهور، فيكتفي بتكرار محفوظاته عليهم، وتمضية وقت المنبر في إلقاء العبارات الإنشائية، أو القصص التاريخية المتداولة في كل مناسبة، وقد لا يواجه اعتراضاً من الجمهور على ذلك، ولا مطالبة بغيره، لكنه يجب أن يشعر بالمسؤولية أمام الله تعالى، وأمام صاحب المنبر سيد الشهداء عليه السلام الذي كرس وجوده، وضحى بحياته، من أجل إصلاح الأمة، وقال كلمته المشهورة: «إنَّما خَرَجتُ لِطَلَبِ الإِصلاحِ في أُمَّةِ جَدّي أُريدُ أن آمُرَ بِالمَعروفِ وأنهى عَنِ المُنكَرِ»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

وليس هناك ـ اليوم ـ أي عذر مقبول أمام الخطيب في تقصيره في الإعداد الجيد لخطابه، فقد توفرت مصادر المعرفة، وأصبح المجال ميسراً لتحصيل المعلومات والأفكار والدراسات حول أي موضوع ديني ثقافي، وأي قضية اجتماعية.

بيد أن المحور الأساس الذي يحرك الخطيب هو الشعور بالمسؤولية، وإدراك الوظيفة والواجب الملقى على عاتقه، من خلال تسنمه لهذا الموقع المقدس.

فإذا كان الهدف هو مجرد الارتزاق بذكر أهل البيت عليهم السلام، وامتهان الخطابة كحرفة ومصدر دخل، فإن من الطبيعي أن يقتصر اهتمامه على ما يحقق هذا الهدف فقط.

وهنا أذكر نفسي وأخواني الخطباء بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ومُستَأكِلٌ بِنَا الناسَ ، و مَنِ استَأكَلَ بِنَا افتَقَرَ»[1]، والافتقار قد يكون في الجانب المعنوي الروحي، كما يكون في الجانب المادي.

إن مجتمعاتنا تواجه تحديات كبيرة في الحفاظ على هويتها، والالتزام بقيم دينها، وتعاني من مشكلات مختلفة في واقعها الاجتماعي، وبإمكان المنبر الحسيني أن يقوم بدور كبير على هذا الصعيد.

كما أن ما تبذله مجتمعاتنا من عطاء غير محدود، من وقتها ومالها وجهدها في سبيل إقامة هذه المنابر الحسينية، لا يجوز أن يفرّط فيه، وأن يكون مردوده على المجتمع في الحدّ الأدنى من النتائج والآثار.

وبين يدي القارئ الكريم تجربة لجهد في الإعداد الخطابي تستحق الشكر والثناء ، تستهدف الإسهام في إصلاح المجتمع، وتبصيره بمفاهيم الدين، يقدمها أحد المتشرفين بخدمة المنبر الحسيني في مجتمعنا، وهو سماحة الشيخ شاكر المعلم، الذي عرفته من نعومة أظفاره بالرغبة في العلم والمعرفة، والمبادرة لخدمة

(١) بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٥٣.

الدين والمجتمع، والتحلي بمكارم الأخلاق، وقد أحسن صنعًا بتوثيق المحاضرات وكتابتها، أسأل الله تعالى له دوام التوفيق، وبذل المزيد من الجهد للارتقاء بخطاب المنبر الحسيني إلى أفضل المستويات.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٩ ربيع الأول ١٤٣٨هـ

٢٨/ ١٢/ ٢٠١٦م

مبادرة للتبرع بالأعضاء*

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس غريبًا على مجتمعنا الكريم أن يتجاوب مع هذه الدعوة الإنسانية المباركة للتبرع بالأعضاء، فذلك مصداق لقيمة الإيثار التي وصف الله تعالى بها عباده الصالحين ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

إن التبرع بالأعضاء يمثل الدرجة العليا من العطاء والإحسان، فهنيئًا لمن يتوفق إليه.

وجزى الله تعالى القائمين على الحملة خير الجزاء والدال على الخير كفاعله.

والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

٧ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ

٥ يناير ٢٠١٧م

---

* تضامنًا مع حملة تنشيط التبرع بالأعضاء «نعمات»، التي تنظمها جمعية سيهات الخيرية للخدمات الاجتماعية بالتعاون مع جمعية إيثار لتنشيط التبرع بالأعضاء، والمركز السعودي لزراعة الأعضاء، وجمعية السكر والغدد الصماء، ومستشفى الملك فهد التخصصي.

٧

الشيخ العمري قيادة حكيمة في ظروف صعبة*

حين يتصدى عالم الدين لمهماته ووظائفه الحقيقية في أي مجتمع، فسيواجه الصعوبات والعقبات، ذلك أن من أولى مهماته مقاومة الجهل، ونشر المعرفة والعلم، ومن أهم وظائفه إصلاح المجتمع، ومواجهة عوامل الظلم والفساد، إنه يحمل رسالة الدين المتمثلة في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحقيق العدل، ليقوم الناس بالقسط.

فمن الطبيعي أن يجد نفسه أمام تحديات يثيرها الجاهلون بهذه الرسالة، أو الذين تتضرر مصالحهم من تطبيقها، وتتفاوت قوة هذه التحديات والصعوبات من مجتمع لآخر، تبعاً لاختلاف الظروف السياسية والاجتماعية.

وليس كل عالم دين ينبري للقيام بوظيفته، فهناك من يغفل عنها، أو ينقصه الوعي بها، فيرى أن مهمته تقتصر على تبيين المسائل الشرعية الفردية، وأداء الطقوس والمراسيم الدينية المألوفة، كإمامة الجماعة، واستلام الأخماس، وإجراء عقود الزواج والطلاق.. لكنه غير معني بالشأن السياسي والاجتماعي العام.

وهناك من يؤثر الراحة والدعة، فيتجنب ما قد يعرّضه للمشاكل، ويجعله أمام أي نوع من التحديات.

---

* افتتاحية لمجلة المرشد ـ عدد خاص عن حياة الشيخ العمري.

لكن عالم الدين الذي يعي رسالته، ويعمر قلبه الصدق والإخلاص، لا يسعه التخلي عن النهوض بشؤون مجتمعه، وحمل همومه، والعمل على إصلاحه، والارتقاء به، مهما كانت شدة التحديات، وضخامة العراقيل والعقبات.

وتمثل شخصية آية الله الشيخ محمد علي العمري وسيرته أنموذجاً مشرقاً على هذا الصعيد، فقد عاش في بيئة تكتنفها ظروف بالغة الصعوبة، لكنه عاهد ربه ومجتمعه على الثبات والصمود، وتحمّل مسؤوليته الدينية والاجتماعية بعزم لا يلين، ولا تنال منه مدلهمات الخطوب.

قام بدور التوجيه، ونشر المعارف الدينية في مجتمع حُرم من العلم والثقافة ردحاً كبيراً من الزمن، فقد كانت الأمية سائدة، وأدوات المعرفة مفقودة – حين بدأ الشيخ العمري حركته – بينما يحيط بمجتمعه تحدٍ عقدي ثقافي خطير، يتمثل في المدرسة السلفية المناوئة لما عداها من المدارس والمذاهب بتطرف وشدة.

فكان على الشيخ العمري أن يحافظ على الهوية المذهبية، والانتماء العقدي لمجتمعه، وأن يرسخه بالثقافة والوعي، وأن يحصّن أبناء مجتمعه بالمعرفة الدينية التي تمكنهم من مواجهة الشكوك والشبهات التي تثار على مذهبهم وعقيدتهم، وتحاصرهم في كل مكان، حينما يذهبون للصلاة ولزيارة رسول الله ﷺ في المسجد النبوي الشريف، وحينما يقصدون البقيع لزيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام. وفي مناهج التعليم الرسمي التي تدرّس لأبنائهم، وعبر وسائل الإعلام، وخطب المنابر، وفتاوى المشايخ.

فكيف يمكن للشيخ العمري أن يحصّن مجتمعه تجاه كل هذا الضجيج والتعبئة والتهريج، وهو لا يمتلك الإمكانات اللازمة، والوسائل المطلوبة، والحرية المطلقة؟

من ناحية أخرى فإن الشيخ العمري ما كان يريد لمجتمعه أن يستجيب للاستفزازات الطائفية، ولا أن ينزلق إلى متاهات الصراعات المذهبية، التي لن تؤدي إلا إلى المزيد

من المشاكل والأضرار، عليهم وعلى كل الوطن.

ولأنه يدرك أن هناك جهات مغرضة تعمل لاستدراج أبناء مجتمعه لإيذائهم والايقاع بهم، مما يستلزم التأكيد عليهم بضرورة الاحتياط والحذر، وتوجيههم للاقتداء بأخلاق أئمة أهل البيت عليهم السلام والأخذ بتعاليمهم في مواجهة هذه الابتلاءات.

وهنا تكمن صعوبة المهمة التي اضطلع بها الشيخ العمري في مجتمعه، فهو يجب أن يرسّخ عقيدتهم، ويرفع معنوياتهم، ويفنّد الاتهامات الباطلة ضدهم، في ذات الوقت عليه أن يروّض نفوسهم، ويهدئ أعصابهم، ويكبح أي اندفاع نحو الجدل العقيم، والخلاف المصطنع.

لذلك كان خطابه الديني يتسم بالاعتدال، ولغة الحوار بالتي هي أحسن، ويتكئ على منطق الأدلة والبراهين، ويركّز على التزام أخلاق المداراة، وحسن المعاشرة والتعامل، هذا هو المنهج الذي سار عليه الشيخ العمري في دروسه وخطاباته وأحاديثه، وكان يوصي به تلاميذه والخطباء في مجلسه الحاشد، خصوصاً في المناسبات الدينية المعروفة، وكان ينبّه ويحذّر من يتجاوز هذا المنهج من أبناء مجتمعه وخطباء مجلسه.

لقد كانت الرؤية واضحة لدى الشيخ العمري، أنه لا بد من تنمية المجتمع، ليكون أقدر على مواجهة التحديات التي تحيط به، وذلك عبر الاهتمام بتعليم الأبناء، وتشجيعهم على مواصلة الدراسة، وامتلاك الكفاءة العلمية، والتوجيه نحو اكتساب الخبرات المهنية والعملية، والاستفادة من فرص الاستثمار والتقدم الاقتصادي.

وضمن مشروعه لتنمية المجتمع وتعزيز موقعيته الوطنية، كان حريصاً على إخراجه من حالة التقوقع والانكفاء، ودفعه نحو الانفتاح والتواصل مع محيطه العام، لأن العزلة تكرس ضعف الثقة بالذات، وتعطي الفرصة لرسم الصورة المشوّهة عن المجتمع، فكان سماحته يتواصل مع المسؤولين الرسميين، ورجالات الدولة، حينما تتاح له الفرصة، ويصحب معه عدداً من الشخصيات الاجتماعية، ويشجعهم على

طرق كل الأبواب لمعالجة ما يواجهونه من مشاكل.

كما سعى للانفتاح على علماء المؤسسة السلفية، فزار مفتي المملكة الراحل الشيخ عبدالعزيز بن باز، يوم كان رئيساً للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وألحّ عليه في الدعوة لضيافته، لكنه لم يقبل الدعوة.

وقد صنع الشيخ العمري علاقات طيبة مع عدد من الشخصيات من أهل السنة في المدينة المنورة، وكان يشجع جماعته على التواصل مع مجاوريهم من أهل السنة، ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم.

وحين أعلن الملك الراحل عبد الله بن عبدالعزيز برنامجه للحوار الوطني كان الشيخ العمري من الفرحين جداً بهذا البرنامج، والمرحبين به، وحثّ من استشاره في المشاركة على اغتنام الفرصة، وعدم التردد في الاستجابة لهذا البرنامج الوطني، وقد شارك بالفعل بعض المقربين منه في هذه اللقاءات، ومنهم الشيخ طاهر الهاجوج، والشيخ فهد ابو العصاري، وابنه الشيخ كاظم العمري.

من جانب آخر فقد اهتم الشيخ العمري بالانفتاح على الشخصيات الشيعية التي تزور المدينة المنورة من مختلف انحاء العالم خاصة في موسمي الحج والعمرة، لتعريف مجتمعه عليهم وتوثيق الصلة بهم، وليعرف المجتمع عمقه وامتداده الديني على مستوى العالم.

فكان مجلسه مقصداً للزائرين الشيعة من مختلف البلدان والأعراق والقوميات، من علماء، وخطباء، وأدباء، وكفاءات، ورجال أعمال، واناس عاديين، بل أصبح مجلسه أحد المعالم والمزارات التي يقصدها من يزور المدينة المنورة من الشيعة، حيث تُقام صلاة الجماعة بإمامته، وتُلقى الخطب والمحاضرات، وتُحيى المناسبات الدينية.

وقد تحمل الشيخ العمري أعباءً كثيرة لاستمرار مجلسه وانفتاحه، حيث توالت

عليه الضغوط، وخاصة حينما تشتد الظروف الأمنية والسياسية، ويزداد نشاط المحرضين الطائفيين، فيرفعون عن مجلسه تقارير مغرضة، ويستدعى الشيخ على إثرها للتعهد بعدم استقبال الزائرين من خارج البلاد، فيعتذر الشيخ بأنه لا يستطيع طرد أحد من الزائرين في بلد يرحب بضيوف الرحمن، ويتنافس أبناؤه في خدمتهم، وقد اعتقل بسبب ذلك لمدة ستة أشهر سنة ١٤٠٣هـ وهو يقارب الثمانين من العمر.

تلك كانت لمحات وإشارات عن تجربة قيادية رائدة، قدمها هذا الرجل الصالح، في ظروف بالغة الصعوبة، لتكون نبراساً وأنموذجاً تستلهم منها الأجيال الصاعدة، وخاصة القادة الدينيون الذين يتصدون لأداء وظيفتهم بصدق وإخلاص، تجاه دينهم ومجتمعاتهم.

وقد بارك الله تعالى لهذا الشيخ في عمله ومسعاه، ومنحه الكثير من التوفيق والنجاح، في تنمية مجتمعه ورعايته، حيث تربّت على يديه أجيال من المؤمنين المتمسكين بعقيدتهم، المتخلّقين بأخلاق أئمتهم الهداة عليهم السلام، كما تحققت بجهوده وتوجيهاته إنجازات كبيرة لمجتمعه على الصعيد المعرفي والثقافي، وفي مجال التلاحم والتضامن الاجتماعي، وتحسين المستوى الاقتصادي.

ولإخلاصه وانقطاعه لله، وتفانيه في خدمة عباد الله، قذف الله محبته في القلوب، فعاش عزيزاً محبوباً محترماً، يعشقه كل من اقترب منه وتعرّف إليه، وتنجذب نحوه الأفئدة والنفوس ، وحين اختاره الله تعالى إلى جواره، حزن عليه وبكاه الملايين من المؤمنين في مختلف أقطار العالم، كما كان يوم تشييعه إلى مرقده في البقيع الغرقد، يوماً مشهوداً لم تر له المدينة المنورة في هذه العصور نظيراً.

فهنيئاً له ما انجز وقدم، وتغمده الله بواسع الرحمة، وأعلى مقامه، وحشره مع النبيين والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

وحفظ الله نجله الفاضل الكريم سماحة الشيخ كاظم العمري لمواصلة مسيرته،

وتطوير مشروعه وتجربته، ووفق أبناء مجتمعه للحفاظ على المكاسب والانجازات وتنميتها.

وشكراً للأخ العزيز فضيلة الشيخ حسين الفاضلي على تخصيصه هذا العدد من مجلته القيمة (المرشد) لتناول سيرة وشخصية هذا الرجل العظيم.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

٧ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ

٥ يناير ٢٠١٧م

الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي .. توثيق ببليوجرافي بآثاره المخطوطة والمطبوعة*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

الشيخ محمد آل عبد الجبار، قامة دينية شامخة، ووجه علمي مشرق في تاريخ المنطقة الخليجية، فهو من أغزر علمائها إنتاجاً وتصنيفاً، حيث يربو عدد مؤلفاته على (١٢٨) كتاباً ورسالة، منها ما يقع في عدة مجلدات، كشرحه لأصول الكافي، (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) خمسة عشر مجلداً، وكتاب (البارقة الحسينية) في العقائد يقع في مجلدين، وكذلك كتابه (الرد على النصارى) مجلدان.

ويبدو أن الكتابة والتأليف كانت جزءاً أساساً من برنامجه اليومي، لا يقطعه سفر ولا حضر، حيث يشير في بعض مؤلفاته إلى أنه كتبها في طريق سفره براً أو بحراً، أو في بعض المناطق التي سافر إليها، بعيداً عن مكتبته ومصادر بحثه، وكان كثير الترحال والسفر.

وكما رصد باحثنا العزيز الأستاذ نزار آل عبد الجبار، تواريخ إنجاز بعض مؤلفاته، ملفتًا إلى أنه ربما ألّف عدة كتب ورسائل في شهر واحد، بل وفي أسبوع واحد، فقد

* المؤلف نزار آل عبد الجبار، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

أرخ إنهاء كتابه (الشهب الثواقب لرجم شياطين النواصب) بتاريخ ١٠/ ٢/ ١٢٤٦هـ، وإنهاء كتابه (الشوارق الحسينية) بتاريخ ١٢/ ٢/ ١٢٤٦هـ، وإنهاء تصنيفه رسالة (العمدة في استنباط الحلال والحرام) بتاريخ ١٥/ ٢/ ١٢٤٦هـ.

إن إنجاز ثلاث كتب ذات مادة علمية، في مجالي علم الكلام وعلم أصول الفقه، في زمن قصير، وفي حال السفر، يدل على تمتعه بدرجة عالية من النشاط، ومستوى متقدم من استحضار المطالب العلمية، حتى لو افترضنا أن تلك التواريخ كانت لإتمامها، وأن البدء فيها كان قبل ذلك.

وقد شملت اهتماماته وكتاباته العلمية مختلف مجالات المعرفة الدينية، وما يرتبط بها من علوم القرآن، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والعرفان، والمنطق، والفلسفة، والفلك، والحساب..

ويلفت النظر انشغاله واهتمامه الكبير بالنص الديني، قرآناً وحديثاً، لجهة التأمل في مضامين النصوص، واستنباط المعاني الكامنة فيها، وايراد مختلف الاحتمالات لمدلولاتها، ومعالجة الاختلاف فيما بينها، وخاصة فيما يرتبط منها بالقضايا العقدية والعرفانية.

ففي قائمة مؤلفاته نجد (تفسير سورة الفاتحة) و (تفسير سورة القدر) وعدداً من الرسائل تختص كل واحدة منها بتفسير آية من القرآن الكريم، كرسالته في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، ورسالته في تفسير الآية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ورسالته في تفسير الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ورسالته في تفسير الآية: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾. وكتابات في تفسير آيات أخرى.

أما الحديث فكانت له المساحة الأوسع في مؤلفاته وكتاباته، وفي طليعتها شرحه الكبير لأحاديث أصول الكافي (هدي العقول إلى أحاديث الأصول) ١٥ مجلداً وهو

من أوسع شروح الكافي وأعمقها.

وله عشرات الكتب والرسائل التي أفرد كل واحدة منها لشرح حديث من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كرسالته في (شرح حديث الثقلين)، ورسالته (خلسة الأنس في معرفة حديث النفس، من عرف نفسه فقد عرف ربه) ورسائل كثيرة أخرى.

وقد لا تتفق معه في بعض استنتاجاته من النصوص أو في تسامحه في قبول الأحاديث والروايات، لكنه يبهرك بالغوص في المعاني، والاجتهاد في التأويل.

وبعض كتاباته ورسائله كانت للإجابة على أسئلة وجّهها إليه بعض العلماء والفضلاء، من بلدان مختلفة، مما يدل على تبوئه لمكانة مرموقة في الوسط العلمي، بحيث يُرجع إليه في فهم مرادات النصوص، ومعالجة إشكالاتها واختلافاتها.

وهو من الفقهاء القلائل في منطقته الذين امتدت مرجعيتهم الدينية إلى مناطق أخرى، فله مقلدون في عدد من مدن: إيران، والعراق، والبحرين، ومسقط، والأحساء، والقطيف.

ويظهر من كتاباته ومؤلفاته اهتمامه بقراءة الفكر الآخر والرأي الآخر، ومناقشته والرد عليه في موارد الخلاف، نجد ذلك ضمن دائرته المذهبية التي ينتمي إليها، حيث جادل مخالفيه في الداخل الشيعي حول بعض المعتقدات والآراء الفقهية والأصولية، كما في انتصاره لآراء السيد الرشتي ـ مثلاً ـ، وفي رده على صاحب القوانين حول حجية الظنون، وله أكثر من رسالة في مسألة تقليد الميت، والجمع بين الفاطميتين، ووجوب الاخفات بالتسبيح في الأخيرتين للمصلي سواء قرأ أو سبح، ومسألة تقليد الأفضل.

وضمن الدائرة الإسلامية، له كتاب في الردّ على الصوفية، وآخر في الردّ على الزيدية، وكتاب في الردّ على ابن تيمية.

وضمن دائرة الأديان له كتابان في الردّ على النصارى، أحدهما يقع في مجلدين، ذكر في مقدمته أنه اطّلع على الأناجيل الأربعة، وكتب العهد القديم والجديد.

هكذا نجد له حضوراً علمياً برسائله وكتاباته في مختلف ميادين الخلاف والصراع العقدي والأصولي والفقهي. مما يدل على سعة معرفته واطلاعه، واهتمامه بالآراء والتيارات القائمة في عصره، ويحكي خوضه لتلك المعارك الفكرية عن ثقة متجذرة بما يتبناه من رأي وموقف، وعن جرأة في المنازلة والمواجهة، متسلحًا بمنطق الدليل والبرهان.

ويبدو من مجمل كتاباته التي يردّ فيها على مخالفيه، في الدين أو المذهب أو الرأي، أن شدة حماسه لمتبنياته كانت تنعكس في كثير من الأحيان على عباراته وألفاظه لتأتي قاسية عنيفة تجاه الآخر المخالف.

لقد خلّف الشيخ آل عبد الجبار ثروة علمية كبيرة، وتراثًا معرفيًا قيّمًا، لكنه لا يزال مبعثرًا، في بلدان ومكتبات وأيدٍ مختلفة، لم يجمع شتاته بعد، ولم ينشر إلا قسم منه بمبادرات مشكورة من بعض الفضلاء الباحثين، جزاهم الله عن العلم والدين خير الجزاء، وأخصّ بالذكر هنا جهود الأخ الفاضل الشيخ مصطفى الشيخ عبد الحميد آل مرهون والإخوة العاملين معه في دار المصطفى لإحياء التراث، على قيامهم بتحقيق ونشر أهم كتب الشيخ آل عبد الجبار وهو (هدي العقول إلى أحاديث الأصول).

ونأمل أن يوفق الله الباحثين والمهتمين بالتراث، وخاصة من أهل المنطقة، لجمع تراث هذا العالم المعطاء، وتحقيقه ونشره ضمن موسوعة تضم أعماله الكاملة.

ويأتي الجهد المشكور الذي بذله الباحث المخلص نزار آل عبد الجبار، في إعداد هذا التوثيق البيبلوغرافي، لكل آثار الشيخ آل عبد الجبار المخطوطة والمطبوعة، خطوة مهمة على طريق تحقيق تلك الأمنية المنشودة التي طال انتظارها.

والأستاذ نزار ـ كما عرفته ـ باحث صبور جادّ في جمع مادة بحثه، واستقصاء

أطرافها، يتابع المعلومة التراثية ويقتنصها من مظانّها ومصادرها المختلفة، ثم يُجيد تقديمها للمهتمين بمنهجية سليمة، وأسلوب شائق، وهذا ما يلحظه القارئ في هذا الكتاب القيّم، حيث استوفى في ترجمة الشيخ آل عبدالجبار أهم ما ورد في المصادر عن حياته، بتنظيم منهجي للمعلومات، وتدقيق في بعض تفاصيلها، من خلال متابعته وبحثه، مستفيداً من الوثائق التي أطّلع عليها بجده واجتهاده، وبذلك قدّم لنا أوضح صورة عن حياة الشيخ وسيرته، تتضمن جداول بيانية، ورصداً وثائقياً قلّ أن تجده فيما يُكتب من تراجم العلماء.

وفي رصده لآثار الشيخ ومؤلفاته، يظهر مدى الجهد الذي بذله لجمع أكبر قدر من المعلومات عن كل كتاب ورسالة، تشمل بيان موضوع الكتاب، وتاريخ تأليفه، وأماكن نسخه، وأشخاص الناسخين، وتواريخ نسخهم، وأنه مطبوع أو مخطوط، ونصّ الوقفية المكتوبة على الكتاب إذا كان موقوفاً، وبعض الأسطر من بداية الكتاب.

حقًّا إنه جهد توثيقي رائع، يقدم شهادة جديدة على الكفاءة المتميزة للأستاذ نزار آل عبد الجبار في خدمة تراث وطنه ومجتمعه.

فجزاه الله خير الجزاء ووفقه للمزيد من العطاء، والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

١٦ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

١٣ فبراير ٢٠١٧م

كلمة في تكريم محافظ الطائف فهد بن معمر

بسم الله الرحمن الرحيم

تشرفت بلقاء معالي محافظ الطائف السابق الأستاذ فهد بن عبدالعزيز بن معمر، حينما زرت محافظة الطائف، بدعوة كريمة من الصديقين العزيزين الأديب عبدالرحمن بن معمر، والأستاذ حماد السالمي، بتاريخ ١١ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ الموافق ٩ مايو ٢٠٠٦م.

ورغم أنّ وقت اللقاء مع معالي المحافظ كان قصيرًا، إلّا أنّه ترك في نفسي أجمل الانطباعات عن معاليه، فقد استقبلني والإخوة الكرام معي عند مدخل مبنى المحافظة، وغمرنا بلطفه وتواضعه، فشعرنا وكأننا نلتقي مع صديق حميم تربطنا به صداقة قديمة، لا مع شخصية رسمية نلتقيها للمرة الأولى، بالطبع لم نستغرب هذا الخُلق الكريم منه، فهو ابن أسرة عريقة في المجد والفضل، لها دور مشرق في تاريخ الوطن.

حدّثنا عن الطائف حديث العاشق لبلده، المغرم بجماله، الفخور بأهله وأبنائه، وحينما تجوّلنا في الطائف واستمتعنا بروعة مشاهد جمالها الآسر، أدركنا مدى الصدق والموضوعية في كلام معاليه، وبُعده عن أيّ مبالغة أو تنميق.

ودار الحديث مع معاليه حول حبّ الوطن، وتعزيز الوحدة بين مكوناته وشرائحه، فسمعنا منه ما يدلّ على وعي عميق بالتحدّيات التي تواجه الوطن، وتستهدف النيل من وحدة شعبه، بدوافع تعصّبية لا تمتّ إلى الدين بِصِلة.

حدثنا معاليه عن طبيعة الانفتاح في مجتمع المحافظة، واستقبالهم السّائحين من شتّى أرجاء المملكة وخارجها؛ لأنّ الطائف من أبرز مصايف المملكة التي تتمتع بطبيعة خلّابة

ساحرة. إضافة إلى بعض الحجيج والمعتمرين وزوار المساجد والمواقع التاريخية الأثرية.

قضينا في الطائف نهارًا ممتعًا، وأمسية جميلة، في مكتبة الأستاذ حماد السّالمي، بحضور نخبة من أدباء الطائف وشخصيّاتها، كان في طليعتهم الدكتور الشيخ عاتق بن غيث البلادي رحمه الله، والشريف محمد بن منصور آل عبدالله، والشيخ إسماعيل قاضي وآخرون.

ومع أنّ الحديث في رحاب مجلس الأستاذ حماد تمحور حول نشر ثقافة الحوار والانفتاح، وتحصين الجيل الجديد من نزعات التعصب المذهبي، والتشدّد الديني، والتأكيد على أهمية التواصل الاجتماعي، إلّا أنّ قسمًا من الحديث دار حول جهود معالي المحافظ الأستاذ فهد بن معمر، وسمعنا ثناءً عاطرًا من الحاضرين من أعيان الطائف، على دوره في إنجاز المشاريع التنموية، وخدمة الأهالي، وتشجيع مختلف الأنشطة الخيرية والثقافية.

لذلك يستحقّ هذا الرجل من أهالي محافظته، بل ومن كلّ أبناء الوطن، أن يُحتفى به كمسؤول أخلص الولاء لقيادته ولوطنه، وعمل جاهدًا طيلة ثلاثة عقود من الزمن، لخدمة دينه ومجتمعه. وليكون تكريمه بمنزلة تقديم لسيرته كنموذج مشرق يقتدي به كلّ مسؤول يتبوأ مثل موقعه ومنصبه.

جزى الله المبادرين لأداء واجب التكريم خير الجزاء، وحفظ الله معاليه، ومتّعه بموفور الصحة والنشاط.

وحمى الله وطننا الغالي من كلّ مكروه، وأدام عليه نعمة الأمن والأمان في ظلّ قيادته الرشيدة.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

٢٢ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

١٩ فبراير ٢٠١٧م

كلمة الشيخ الصفار ممثلاً لضيوف ملتقى الوقف الجعفري السادس في الجلسة الختامية*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

أصحاب السعادة والفضيلة والسماحة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان، أصالة عن نفسي ونيابة عن إخوتي العلماء والباحثين ضيوف الملتقى، إلى دولة الكويت الشقيقة قيادة وحكومة وشعباً، وخاصة إدارة الوقف الجعفري، على كرم الضيافة، وحسن الاستقبال الذي غمرونا به طوال إقامتنا في هذا الملتقى المبارك.

لقد كانت جلسات الملتقى ثرية بالطروحات العلمية، والحوار البنّاء المفيد، الذي

* ملتقى الوقف الجعفري السادس نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت تحت شعار «الوقف الاقتصادي حياة ونماء» في الفترة من ٥ -٧ مارس ٢٠١٧م في فندق كراون بلازا، شارك فيه علماء وباحثون من العراق ولبنان وإيران والسعودية وسلطنة عمان والهند وجنوب افريقيا.

يستهدف معالجة المسائل المستجدة في قضايا الوقف، لتعزيز هذه السُنّة الحسنة، وتفعيل دور الثروة الوقفية العظيمة في خدمة القيم والمجتمعات والأوطان.

إننا نفخر بتراثنا الفقهي الأصيل، حيث بذل علماؤنا الأعلام كل ما يمتلكون من جهد وطاقة ، في سبيل فهم مرادات النصوص الشرعية، وتطبيقها على المصاديق الخارجية.

لكننا نؤمن باستمرار مسيرة الاجتهاد والبحث العلمي، فباب الاجتهاد لم ولا يغلق، وتطورات الحياة تحتاج إلى مواكبة فقهية تشريعية، فما استنبطه الفقهاء السابقون من مسائل وأحكام، يعبّر عن فهومهم، ويستجيب لحاجات أزمنتهم وبيئاتهم، ومن حق الفقهاء المعاصرين، بل من الواجب عليهم إعادة القراءة والنظر في كل الأحكام والمسائل، ليتأكدوا من مطابقتها لمرادات الشارع المقدس، ولاستنباط أحكام ما يستجد من نوازل وقضايا معاصرة.

لكن الساحة العلمية الفقهية قد تعاني في بعض الفترات حالة من الركود والجمود، والوقوف عندما رآه الأسلاف وقرروه.

وقد تسود الأجواء حالة من الرهبة والمعارضة للآراء الجديدة المخالفة للسائد والمشهور، وهذا ما يعوّق مسيرة الاجتهاد، ويمنع تطوير التشريعات، بما يتناسب مع حاجات وظروف الحاضر.

إن رسالة هذه المؤتمرات والملتقيات تشجيع العلماء والباحثين على طرح آرائهم، وعرضها للدراسة والنقاش، بعيداً عن التزمت والإرهاب الفكري.

ونأمل أن تضاعف أمانة الوقف الجعفري جهودها لدعم مساعي البحث العلمي، عبر المزيد من المؤتمرات والملتقيات، وعبر طبع ونشر البحوث المرتبطة بقضايا الوقف، ضمن مجلة علمية محكمة، أسوة بنشاط الأمانة العامة للأوقاف في الكويت.

واغتنم هذه الفرصة لأهنيء الشعب الكويتي بتلاحمه الوطني، وحفاظه على

وحدته وأمنه الاجتماعي في وقت تعاني فيه شعوب وأوطان عديدة من حالات الانقسام والاحتراب والفتن الطائفية المدمرة.

إخوتي الأعزاء:

قد تتطلع كل طائفة وكل مكوّن إلى مزيد من الحقوق والمكاسب، لكن ما يجب الحذر منه هو الوقوع في فخ الفتنة وفقدان الأمن والاستقرار.

إن في تراثنا الشيعي والسني ما قد يؤجج الأضغان والأحقاد، وحولنا مناطق مشتعلة نخشى أن يصلنا لهيبها لا سمح الله. ويوجد جهّال حمقى في هذا الطرف وذلك الطرف من السُنّة والشيعة، وهناك أعداء يريدون لنا الاحتراب لتشغيل مصانع أسلحتهم، ولخدمة مصالحهم وأطماعهم.

لكن الرهان هو على حكمة القيادة وعقلاء المجتمع وهذا هو النموذج المشرق الذي تقدمه دولة الكويت، حفظ الله الكويت وأهلها من كل مكروه، وأدام عليهم نعمة الأمن والأمان. وحفظ كل بلاد المسلمين وأوطانهم. والشكر لكم جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

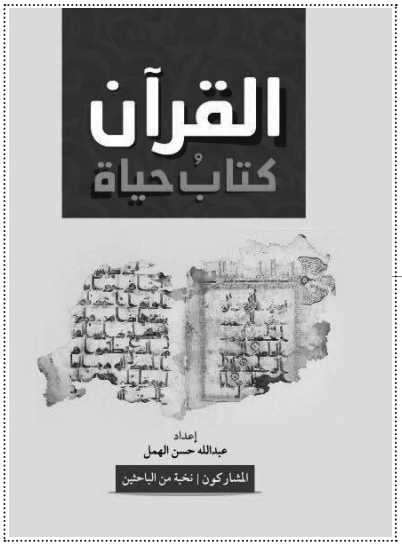

مبادئ التعايش رؤية قرآنية*

تعيش الأمة الإسلامية في هذا العصر أزمة حادّة في العلاقة مع الآخر المختلف دينيًا، بسبب ترعرع تيار في وسط الأمة يتبنى الصدام مع الآخر، ويمارس أشد ألوان العنف والإرهاب تجاهه، من الخطف والقتل والسبي، وتدمير المنشآت، واستهداف التجمعات المدنية بالتفجير والقتل والإرعاب، وكل ذلك يتم باسم الإسلام، وتحت رايات ترفع شعاره.

وقد طالت هذه الهجمات مختلف بلدان العالم، وسقط ضحاياها آلاف المدنيين الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال.

صحيح أن المسلمين قد عانوا في الماضي ويلات الاستعمار الأجنبي، وعنف الحملات الصليبية، ولا زالوا يواجهون سياسات الهيمنة الأجنبية على بلدانهم، والدعم المفتوح لعدوهم الرئيس (إسرائيل)، التي تحتل أرض فلسطين، وتمعن في إذلال الشعب الفلسطيني، وتمارس الغطرسة في المنطقة العربية والإسلامية بدعم غربي.

* نشر المقال ضمن كتاب (القرآن كتاب حياة) من اعداد عبدالله الهمل واصدار لجنة أنوار القرآن بسيهات، الطبعة الأولى ٢٠١٧م، الصفحات: ٤٩ - ٦٤.

لكن ذلك لا يبرر أبدًا ممارسة الإرهاب واستهداف الأبرياء، وافتعال معركة دينية وصدام حضاري، فالسياسات الدولية لا تنطلق من منطلق ديني، ولا ترفع شعارات أيديولوجية، وإنما تدفعها وتحركها المصالح والمطامع.

كما تحتضن المجتمعات الأخرى جاليات إسلامية كبيرة، أصبحت جزءًا من تلك الأوطان، وتتمتع بكامل حقوق المواطنة، وتتاح لها فرص الحياة الكريمة، وممارسة شعائرها الدينية، وقد تكون أوضاع تلك الجاليات أفضل من أوضاع بعض المجتمعات الإسلامية في أوطانها الأصلية.

لذلك أصبحت البلدان الغربية مأوىً لكثير من المشردين واللاجئين من البلدان الإسلامية، ومهوىً للباحثين عن حياة كريمة لائقة، ومن أجل الوصول إلى شواطئ تلك البلدان يستهينون بالمخاطر والمصاعب، ويركبون أمواج البحر ويتحملون أهواله، حتى قضى الألوف منهم غرقًا وهم في طريق الهجرة إلى الضفة الأخرى.

وكان لا بدّ وأن تؤدي هذه الممارسات الإرهابية إلى تشويه سمعة الإسلام في أوساط المجتمعات الغربية، وأن يصبح وجود المسلمين مصدر قلق وخوف لتلك الشعوب. مما أعطى الفرصة لنمو توجهات يمينية متطرفة تتبنى التضييق على المسلمين، وتشويه صورة الإسلام وإهانة مقدساته، فهناك من أعلن القيام بحرق القرآن وهناك من رسم كاريكاتورات السخرية والاستهزاء بالنبي محمد ﷺ، وهناك من أنتج أفلامًا للتخويف من الإسلام والمسلمين، وهناك من طالب بطرد المسلمين أو منع دخولهم إلى أمريكا وأوروبا، ضمن الموجة التي يطلق عليها (إسلام فوبيا).

وهكذا تأزمت العلاقة بين الأمة وهذه المجتمعات، ولم يقتصر الأمر على المجتمعات الغربية المسيحية، بل امتد إلى بلدان آسيا وأفريقيا، من المجتمعات الهندوسية والبوذية وغيرها.

في الجانب الآخر فإن العلاقات داخل الأمة وبين مكوناتها الدينية ليست أقل

تأزمًا من العلاقة مع الخارج، بل هي أشدّ وأخطر، حيث انفجر الصراع الطائفي بين السنة والشيعة في أكثر من قطر إسلامي، وأدى ذلك إلى حروب ومعارك، وتهجير واغتيالات وتفجيرات انتحارية إرهابية، استهدفت المساجد والحسينيات والأماكن المقدسة والتجمعات الشعبية المختلفة. وتلبدت كل سماء العالم الإسلامي بغيوم هذا الصراع المقيت.

إن الخطير في تأزم العلاقة مع الآخر الخارجي والداخلي، اتكاء هذه الحالة على تنظير ديني، حيث يروّج التيار المتطرّف لثقافة تقوم على المفاصلة والصدام مع الآخر، المختلف في الدين أو المذهب أو حتى في بعض الآراء والأفكار ضمن المذهب الواحد، كما رأينا في اقتتال الفصائل (الجهادية) في أفغانستان والصومال وسورية.

هذه الثقافة المتطرفة التي تشرعن الإرهاب والعنف تدعي الانتساب للدين، وتستدل وتستشهد بنصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، وأفعال صحابة، وأقوال فقهاء.

وبعض ما يستشهد به هؤلاء المتطرفون نصوص مختلقة، قد تكون من وضع وعاظ السلاطين، والرواة المرتزقة للحكام المستبدين، من أجل تبرير بطشهم وديكتاتوريتهم.

وبعض النصوص صحيحة لكن يُساء فهمها وتفسيرها، بما يخدم توجهات التشدد والتطرف.

وقد تكون بعض النصوص موجهة لظروف وزمن محدد، لكنهم يتعاملون معها على أساس الإطلاق الزماني والمكاني، دون أخذ بيئة وملابسات صدور النص بعين الاعتبار.

من هنا تبدو الحاجة ماسة في ظل هذا الوضع الحساس الذي تعيشه الأمة، على صعيد تأزم العلاقات الخارجية والداخلية، إلى ترسيم المبادئ ووضع القواعد التي تنظم العلاقة مع الآخر، والتعايش بين أبناء البشر وإن اختلفت أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم.

فلا بدّ من الرجوع إلى القرآن الكريم، وهو المصدر الأساس للعقيدة والتشريع الإسلامي، لمعرفة الرؤية الدينية، والمنهج التشريعي للتعامل مع الآخر الديني.

وتُعنى هذه الورقة المتواضعة باستكشاف الرؤية القرآنية بلغة بينة واضحة، عسى أن تسهم في تحصين وعي جمهور الأمة من التأثر بثقافة التطرف والتشدد.

1/ الشراكة الإنسانية

ما يجب أن يستحضره المؤمن هو أن الآخر مهما كان دينه ومذهبه وعقيدته فهو شريك له في هذه الحياة، ولا بدّ من التعامل معه على هذا الأساس، ذلك أن الله تعالى هو خالق الكون والحياة، وهو مالك كل شيء من ثرواتها وخيراتها، وقد أعطى حق الحياة والاستمتاع بخيراتها لجميع أبناء البشر، من آمن به ومن كفر، فجميع البشر شركاء على نحو التساوي في فرص الاستفادة من إمكانات الوجود.

ولا يحق لمن يدعي الإيمان بالله تعالى أن يصادر حق أحد من عباده ولو كان كافرًا، في التمتع بشيء من خيرات الحياة، لأنه بذلك يكون قد خالف إرادة الله، ومارس الظلم والجور.

كان يمكن لله تعالى أن لا يخلق من لا يؤمن به، أو أن يسلب نعمة الوجود من الكافرين والعصاة، أو يحرمهم من بعض قدرات الحياة وامتيازاتها، لكن حكمته تعالى شاءت أن تتسع الحياة للجميع، وأن يغمر فضله ونعمه الجميع.

ولنتأمل نماذج من الآيات الكريمة التي تؤكد هذه الحقيقة:

يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة الآيتان: ٢٨-٢٩].

والخطاب في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ موجه إلى البشر

مؤمنهم وكافرهم، بدليل سياق الآية مع التي قبلها والتي تخاطب الكافرين.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [سورة لقمان:٢٠].

وتشير جملة من الآيات الكريمة إلى أن الله تعالى قد منح الإنسان فرصة الجمع بين متع الدنيا وثواب الآخرة، عن طريق الإيمان به والالتزام بدينه، لكن من يريد حرمان نفسه من ثواب الآخرة، بالكفر بخالقه، والصدّ عن دينه، فإن فرصته في التمتع بملذات الدنيا محفوظة له، يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ [هود، الآية:١٥].

ويقول تعالى: ﴿كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [الاسراء، الآية:٢٠].

فنعم الله تغمر هؤلاء المؤمنين وهؤلاء الكافرين، ولا يحظر على الكافرين شيء من عطاء الله في هذه الحياة.

هذه الآيات الكريمة وأمثالها كثير في القرآن الكريم، تؤكد على تكافؤ الفرص بين أبناء البشر في هذه الحياة، وأنه لا يحق لأحد أن يصادر حق أحد في الاستمتاع بخيرات الدنيا مهما كان دينه أو عقيدته، مؤمنًا كان أو كافرًا، لأن ذلك منحة وعطاء إلهي للخلق.

ويمكننا أن نستشهد بقاعدة في الفقه الإسلامي تنبثق من هذه الرؤية وهي قاعدة الإحياء، فمن بادر لأرض مهملة غير مملوكة فأحياها بجهده ونشاطه، ببناء أو زرع أو ما أشبه من طرق الاستفادة، فإنه يتملكها.

يقول الفقهاء: «يجوز لكل أحد إحياء الموات بالأصل، والظاهر أنه يملك به من

دون فرق بين كون المحيي مسلمًا أو كافرًا»[١].

ولا يشترط عند الجمهور (الحنفية والمالكية والحنابلة) كون المحيي مسلمًا. فلا فرق بين المسلم والذمي في الإحياء، لعموم قول النبي ﷺ: «من أحيا أرضًا ميتة فهي له» ولأن الإحياء أحد أسباب التمليك فاشترك فيه المسلم والذمي كسائر أسباب الملكية[٢].

وهناك قاعدة: «من حاز ملك» فمن استولى على شيء غير مملوك لأحد من خيرات الكون، يصبح ملكًا له، مسلمًا كان أو غير مسلم.

2/ الاعتراف والإقرار بوجود الآخر

كما أنك موجود فكذلك الآخر موجود، حيث لا يستطيع أحد إلغاء أحد، وكما لا يرضيك أن يتنكَّر الآخر لوجودك، فإنه لا يقبل أن تنكر وجوده.

وهنا يجب أن نفرق بين مشروعية الوجود، وحقانية الوجود، فكل صاحب دين أو مذهب يرى الحقانية في عقيدته، وأن المعتقدات الأخرى باطلة.

لكنه لا يملك حق إلغاء المعتقدات الأخرى، فلها وجودها وأتباعها، ومن حقهم أن يعبّروا عن ذاتهم الدينية والمذهبية.

وقد حاول بعض من أتباع مختلف الديانات والمذاهب أن يصادروا الوجودات الدينية والمذهبية المخالفة لهم، لكن هذه المحاولات غالبًا ما تبوء بالفشل، ولا تنتج إلا الحروب القذرة، والعنف المتبادل باسم الدين.

إن الدين والمعتقد قد يصبح هويّة وجودية للمجتمع، لا يتخلى عنها تحت ضغط التهديد، ولا الخضوع لمنطق الأدلة والبراهين.

---

(١) منهاج الصالحين، السيد محمد الروحاني، مسألة ٦٧٣، الطبعة الثانية، بيروت – دار الزهراء.

(٢) الفقه الاسلامي وادلته، د. وهبة الزحيلي، ج ٥، ص ٥٥٩، الطبعة الثانية، دار الفكر – دمشق.

وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة، الآية:١٤٥].

ويروّض القرآن الكريم نفوس المؤمنين ليتعايشوا مع واقع التنوع الديني فهو قدر البشرية إلى يوم القيامة، فلا يتوهمن أحد إمكانية الفصل والحسم بين الديانات في هذه الحياة الدنيا، إذ أنها مهمة مؤجلة إلى يوم القيامة. وتتم بين يدي الله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية:٢٥]، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٨].

وتكريسًا لهذا المبدأ يعترف القرآن بوجود أتباع الديانات الأخرى، إلى جانب وجود أتباعه المؤمنين، في إطار هوياتهم الدينية يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة الحج، الآية:١٧].

3/حرية الرأي والمعتقد

غالبًا ما يندفع الإنسان للتبشير برأيه وعقيدته بدافع وجداني، لأنه يؤمن بصحة رأيه، ويرغب أن يشاركه الآخرون الإيمان به، ويكسب المزيد من الثقة والاطمئنان برأيه حين تتسع رقعه المقتنعين به.

وقد يكون الدافع للتبشير بالرأي والمعتقد دافعًا مصلحيًا، حين يكون وسيلة لاستتباع الآخرين، وأخذ موقع التأثير عليهم، والقيادة لهم، بما يحقق أطماع الهيمنة والسيطرة.

وتشجع معظم الديانات أتباعها على التبشير بها ونشر معتقداتها، انطلاقًا من حقانيتها، ولأن ذلك يجلب رضا الرب سبحانه.

وقد يؤدي التبشير بالرأي والمعتقد إلى حالة من الصدام والصراع بين أتباع

الديانات والمذاهب والأفكار، وخاصة حين يأخذ منحى الفرض والإكراه.

وهنا يؤكد القرآن الكريم على احترام حرية الرأي والمعتقد، ويرفض أي محاولة لإكراه الآخرين على تبني معتقد أو قبول رأي. يقول تعالى ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦] ويقول تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٩٩].

إن الأنبياء الذين بعثهم الله برسالاته وشرائعه، تنحصر مهمتهم في تبيين الدين وتبليغه، ولا يحق لهم أبدًا فرض الدين أو إجبار الناس على اعتناقه. يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [سورة الغاشية، الآيتان:٢١-٢٢] ويقول تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [سورة النساء، الآية:٨٠].

ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران، الآية:٢٠].

لقد شاءت إرادة الله وحكمته أن يكون الإنسان في هذه الدنيا حرًّا في قناعاته وأفكاره، حتى في مبدأ الإيمان بالله تعالى، حيث لم يفرض الله على خلقه الإيمان به إجبارًا وإكراهًا، ولم يمنح لأحد حق هذه الوصاية والممارسة.

يقول تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٩].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس، الآية:٩٩].

هكذا يؤكد القرآن الكريم احترام حرية الرأي والمعتقد، ولا يسمح للمؤمنين به استخدام العنف والقوة في الدعوة إليه، حتى عنف اللفظ والكلام غير مقبول عند الله كأسلوب للدعوة إلى دينه، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥] ويقول تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا

أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

4/سيادة العدل وحفظ الحقوق

إن التمايز الديني والمذهبي لا يعطي لأحد الحق في الاستعلاء على الآخر، ومصادرة شيء من حقوقه الإنسانية، أو النيل من كرامته. فاعتقادك بأحقية دينك وبطلان دين الآخر، لا يمنحك مبررًا للتسلط عليه أو امتهان كرامته، ذلك أن الإنسان بما هو إنسان وقبل أي عنوان آخر ديني أو عرقي أو طبقي، له قيمته وكرامته التي يجب أن تحفظ وتحترم في هذه الحياة، أما في الآخرة فحسابه عند ربه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥-٢٦]

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١٧].

ولتأكيد هذه القيمة الإنسانية تحدثت آيات القرآن الكريم عن مكانة الإنسان وخصائصه الفريدة، فهو الذي جعله الله خليفته في الأرض، وجعل تحت تصرفه كل موجودات الكون والحياة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٠] وقد خلقه في أحسن تقويم، وأسجد له ملائكته، ومنحه الكرامة والقيمة العالية، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الاسراء، الآية: ٧٠].

كل هذه المكانة والامتيازات للإنسان بما هو إنسان، دون النظر إلى عرقه أو دينه أو عقيدته، كما هو مفاد الإطلاق في الآيات الكريمة، وصحة العقيدة والدين، والالتزام القيمي يضيف إلى صاحبه في المكانة والاعتبار عند الله، وفي ثواب الآخرة، أما في الحياة الدنيا فأبناء البشر يتساوون في تلك الميزات الأساس.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره للآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾: «يظهر أن المراد بالآية بيان حال لعامة البشر مع الغض عما يختص به بعضهم من الكرامة الخاصة الإلهية، والقرب والفضيلة الروحية المحضة، فالكلام يعم المشركين والكفار والفساق»[١].

وقال الآلوسي البغدادي: «﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أي جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوي كرم، أي شرف ومحاسن لا يحيط بها نطاق الحصر»[٢].

إن القرآن الكريم يقرر مبدأ كرامة الإنسان لإنسانيته أولًا وقبل كل شيء، فمن أي عرق انحدر، وإلى أي دين وعقيدة انتمى، فهو إنسان له كرامته الذاتية، ويجب أن يتمتع بحقوقه الإنسانية الكاملة.

وانطلاقًا من هذا المبدأ يقرر القرآن الكريم سيادة شرعه: العدل واحترام حقوق الإنسان، كمنهج ونظام للعلاقة بين بني البشر في هذه الحياة. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٠] ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٨].

والأنبياء إنما بعثهم الله برسالاته وشرائعه ليقيموا العدل بين الناس: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٥].

والعدل شرعة عامة لبني البشر، دون نظر لأعراقهم وأديانهم، هكذا يأمر الله رسوله ﷺ أن يخاطب غير المؤمنين به، يقول تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٥].

إن وجود عداوة أو خصومة مع الطرف الآخر لا يبرر الجور عليه، وتخطي حدود العدل في التعامل معه، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٥٢.

(٢) السيد محمد شكري الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن، ج ٥، ص ١١٧.

بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨].

إنه لا يجوز النيل من أي حق من حقوق أحد من الناس المادية أو المعنوية يقول تعالى: ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[سورة الأعراف، الآية: ٨٥] وقد تكررت هذه الجملة في ثلاثة موارد من القرآن الكريم.

هذه مبادئ أساسية يقررها القرآن الكريم لتوطيد السلم العالمي، ولتحقيق التعايش بين بني البشر، لكن المؤسف تجاهل هذه المبادئ في أوساط أبناء الأمة الإسلامية، بل سيادة توجهات على النقيض منها تحت عنوان الجهاد، أو الولاء والبراء، أو مواجهة أهل البدع.

وما أحوج ساحة الأمة إلى خطاب ديني واع يبين حقيقة هذه المفاهيم، ومصاديق تطبيقاتها التي يجب أن لا تتنافى مع تلك المبادئ الأساسية التي يقررها القرآن الكريم كقواعد حاكمة على سائر التشريعات والأحكام.

٧

علماء المنطقة يدعون مسلحي العوامية إلى إلقاء السلاح.. ويدينون التجييش الطائفي*

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد: سبق أن بيّن علماء المنطقة في خطبهم وبياناتهم المتعددة رأيهم في إدانة العنف، وتجريم إشهار السلاح في وجه الدولة أو المواطنين؛ لأن العنف والإرهاب ليس طريقًا مشروعًا ولا مجديًا لحل المشاكل بل يزيدها تعقيداً، ويهدد مصالح البلاد والعباد، ويؤدي إلى سفك الدماء المحرّمة، ويزعزع الأمن والاستقرار.

وعليه نؤكد أن أمن البلاد وإدارة شؤونها هي من مسؤولية الدولة وحدها، ومن هنا ندعو الشباب إلى ترك العنف، واللجوء إلى السلم، ومطالبة الحقوق إن كانت عن طريق الاتصال بالمسؤولين الذين فتحوا أبوابهم لتفهم قضايا المواطن، وتنفيذ ما يرونه صالحاً لتسيير أمور المواطنين، ولا سيما الأبرياء من أهالي العوامية الذين هم موضع اهتمام المسؤولين، ويتم التمكين من تطوير حي المسورة في بلدة العوامية بعد أن تمت إجراءات الإفراغ من قبل ملّاك المنازل فيه واستلموا تعويضاتهم، وإننا لعلى ثقة بأن أي مشكلة طارئة فإن صدر الدولة يتسع لوجهات نظر مواطنيها؛ لأن سياستها قائمة على الصفح والعفو ضمن توجيهات الدين الحنيف.

---

* جهينة الإخبارية، ٢٣ / ٥ / ٢٠١٧م.

ونؤكد على أهمية تفعيل التواصل بين رجالات العوامية والجهات الرسمية لتيسير حياة الناس وحركتهم هناك، حيث يسكن البلدة آلاف من المواطنين، والدولة معنية بحمايتهم، ورعاية مصالحهم، فلا يتضرر أحد من المواطنين الأبرياء، ونهيب برجالات العوامية ونخبها أن يقوموا بدور فاعل لوضع حدٍّ لهذه المعاناة التي يعيشها المجتمع.

ومن جهة أخرى، ندين التجييش الإعلامي الطائفي الذي تمارسه بعض وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي ونطالب تطبيق نظام الجرائم الإلكترونية تجاه من يستغل الأحداث للتعبئة الطائفية.

ونتوجه أخيرًا لأهلنا في العوامية متعاطفين معهم في معاناتهم ومحنتهم التي سببتها الأحداث لهم، فنحن نعيش ألمهم ومعاناتهم، والعوامية بتاريخها الوطني المشرق، وأهلها بطيبهم، وكفاءات أبنائهم المميزة، جديرون بكل حب وتقدير، ونسأل الله تعالى لهم الفرج، وأن يخلصهم من هذه المحنة سريعاً عاجلاً، كما نسأله تعالى أن يحفظ بلادنا وكافة بلاد المسلمين من كل سوء ومكروه.

والحمد لله رب العالمين.

٢١ شعبان ١٤٣٨هـ

الموقعون:

الشيخ عبدالله الخنيزي

السيد علي الناصر

الشيخ منصور السلمان

الشيخ حسن الصفار

الشيخ عبدالكريم الحبيل

الشيخ يوسف المهدي

الشيخ غالب آل حماد

الشيخ حسن الخويلدي

كلمة عن الشهيد أمين آل هاني*

حقًّا لقد كان الشهيد السعيد أمين آل هاني جديرًا بالانتساب للقرآن الكريم.

فهو لم يكن عاشقًا للقرآن فحسب يترنم بتلاوته، ويطرب لترتيله، وينتشي بالتدبر في آياته وإدراك شيء من معانيه.

ولا كان مجرد ناشط يهب أعز أوقاته، وخالص جهده لخدمة المؤسسات القرآنية، والبرامج المرتبطة بها.

بل كان ارتباطه الأهم بالقرآن يتمثل في حرصه على التخلق بأخلاق القرآن، وصياغة فكره وتوجيه مشاعره وسلوكه على هدي القرآن.

كان حذراً من تسلل العقد والأضغان إلى قلبه ليأتي ربه بقلب سليم.

وكان منفتحًا بعيدًا عن التعصب والتحجر يستمع القول فيتبع أحسنه.

وكان عفيف اللسان يستقبل الآخرين بابتسامته الجميلة ويقول للناس حسنًا.

كان يدعو إلى الله ضمن مشروعه القرآني على بصيرة معتمدًا أفضل أساليب التخطيط وبرامج الإدارة.

* نشر ضمن كتاب شهيد القرآن الصادر من المجلس القرآني المشترك بمناسبة أربعينيةالشهيد الأستاذ أمين محمد آل هاني، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ، القطيف.

كان متميزًا في أخلاقه وسلوكه لاهتدائه بالقرآن الذي يهدي للتي هي أقوم. فاستحق الانتساب للقرآن بجدارة كعنوان لدوره الاجتماعي، ولتختم حياته بالشهادة في ليلة من أواخر ليالي شهر القرآن، وبعد أدائه لبرنامج قرآني، فيكون شهيد القرآن.

حسن الصفار

١٥ شوال ١٤٣٨هـ

٩ يوليو ٢٠١٧م

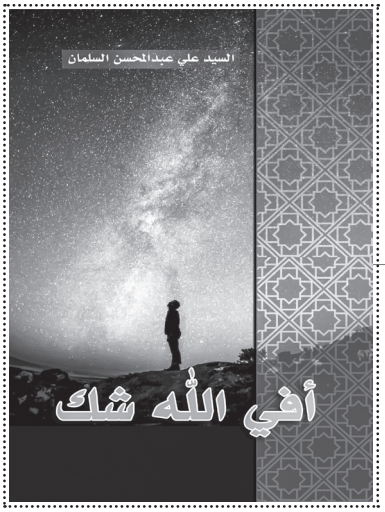

تقديم لكتاب:

أفي الله شك*

الإيمان درجات، ومن أرقى درجاته أن ينطلق من المعرفة والعلم، وأن يقترن بالعمل الصالح والسلوك القويم.

أما إذا اكتفى الإنسان بإيمانه الفطري، وما نشأ عليه في أسرته وبيئته من معتقدات دينية، ولم يحرّك عقله للبحث والتفكير واكتساب الثقافة والمعرفة، فسيكون إيمانه سطحياً يفتقد العمق، ولا يقوى على مواجهة الشكوك والشبهات، والثبات أمام التحديات الفكرية للتوجهات الأخرى المناوئة والمخالفة للدين.

كما أن قيمة الإيمان تظهر في انعكاسه على سيرة الإنسان وسلوكه، بالتزامه جادة الخير والصلاح، وتحليه بمكارم الأخلاق، واجتناب الرذائل والموبقات، إذ لا قيمة لإيمان نظري لا يدفع الإنسان إلى خير ولا يردعه عن شر.

من هنا أكدت النصوص الدينية على أهمية اقتران الإيمان بالعلم والعمل الصالح كقوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

* للسيد علي عبدالمحسن السلمان.

الصَّالِحَاتِ﴾. وما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا»[١]، وما ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحد»[٢]، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «الإيمان عمل كله»[٣].

وبحمد الله فقد أصبحت فرص المعرفة وكسب العلم سانحة موفورة في هذا العصر، حيث انتشر التعليم، وامتلك معظم الناس القدرة على القراءة والكتابة، كما أن وسائل وأدوات الثقافة متاحة وفي متناول الجميع، فلا عذر لأحد في التقاعس عن تحصيل المعرفة، وكسب الوعي، وتثقيف ذاته، ليكون إيمانه أكثر صلابة ، وعقيدته أكثر رسوخاً.

ويسعدني أن أقدم مؤلف هذا الكتاب الأخ المهذب السيد علي عبدالمحسن السلمان كأنموذج للتطلع والسعي نحو الثقافة والمعرفة، فقد نشأ في بيئة دينية وأسرة كريمة، وتربى على الالتزام الديني عقيدةً وسلوكاً، وأراد أن يعمّق إيمانه ويحصّن التزامه بالانتهال من روافد الثقافة والمعرفة،، وكنت أراه يتردد على المكتبة التي وفقنا الله لتأسيسها في القطيف منذ سنوات، كلما سنحت له الفرصة صباحاً أو مساءاً ليستغرق في المطالعة والكتابة رغم بعد سكنه عن المكتبة حيث يقيم في الدمام، ورغم انشغالاته العائلية والوظيفية.

وكان يصطحب معه أولاده الرائعين في بعض زياراته للمكتبة وحضوره في المجلس لاستماع المحاضرات والمناقشات الفكرية.

وقد فرحت كثيرًا حين قدّم إليَّ كتابه هذا كثمرة يانعة من ثمار جهوده في كسب الثقافة والمعرفة، كما فرحت أكثر بالتحاق ولده العزيز السيد ناصر بالحوزة العلمية ليكون من حملة العلم وقادة الدين. وقد توسمت فيه النباهة، والذكاء، وحسن الأدب،

(١) بحار الأنوار، ج١٠٠، ص ٢٢٦، حديث١٥.
(٢) تحف العقول، ص٢٨.
(٣) الكافي، ج٢، ص ٣٩، حديث٧.

من خلال طرحه للأسئلة واهتمامه بما يسمع من معلومات وأفكار، أسأل الله تعالى أن يقرّ به عيني والديه وأن يحقق به الآمال ويوفقه للجد والاجتهاد.

كما أرجو أن يكون هذا الكتاب نافعاً للقراء في تثبيت إيمانهم بالله تعالى، وردّ شكوك وشبهات الملحدين، جزى الله مؤلفه الكريم خير الجزاء ووفقه للمزيد من العطاء في خدمة الثقافة والمجتمع.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٤ شوال ١٤٣٨هـ

١٨ يوليو ٢٠١٧م

تقديم لكتاب:

للخطوبة أسرارها*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

حين تريد إقامة مبنى أو عمارة، فإنك بحاجة إلى تصميم خريطة يقام المبنى على أساسها، ويبدأ البناء بإرساء القاعدة التي يقوم عليها، وكلما كانت الخريطة متقنة التصميم، وكانت القاعدة صلبة راسخة، كان البناء أكثر قوة وجمالاً، واستيفاءً للأغراض التي أقيم من أجلها.

وحين يشبّه الحديث النبوي الشريف الزواج بالبناء في قوله ﷺ: «ما بني في الإسلام بناء أحب إلى الله عزّ وجلّ، وأعز من التزويج»، فإن بإمكاننا أن نستوحي من هذا التشبيه، الحاجة إلى رسم خارطة علاقات واضحة بين من يرغبان في الاقتران والزواج، تحدّد شكل ومعالم الصرح الإنساني الذي يريدان إقامته من خلال زواجهما.

كما أن عليهما أن يهتمّا أولاً بإرساء قاعدة راسخة من الحب والتفاهم، يقوم عليها بناء علاقتهما الزوجية المستقبلية.

وإذا ما رأينا الضعف والاهتزاز في بعض الكيانات الزوجية، فإن من المحتمل جداً، وجود خلل في التصميم الهندسي للخريطة التي قام الزواج على أساسها، أو في

* نعيمة عبد الأمير آل حسين.

القاعدة التي بُني عليها.

من هنا تظهر أهمية الوعي والمعرفة بأسس واستهدافات الحياة الزوجية، لمن يريد الإقدام عليها، ولا يكفي الدافع الغريزي العاطفي لبناء كيان اجتماعي راسخ.

ومع تطورات الحياة الاجتماعية، وتأثيرات الانفتاح الثقافي، وهيمنة الإثارات العاطفية، يصبح التحدي كبيراً أمام توفير ضمانات النجاح لإنشاء حياة زوجية سعيدة قويمة.

ويبقى الرهان قائماً في المجتمع، على مدى توفر برامج التوعية والتأهيل، للمقبلين على الزواج من الفتيان والفتيات.

إن قيام مؤسسات تُعنى بعقد دورات للتأهيل للحياة الزوجية، ووجود وسائل للتوعية والتثقيف بطبيعة الحقوق المتبادلة بين الزوجين، وأساليب الفهم والتفاهم المشترك. كل ذلك يساعد على تحقيق ضمانات أكبر لنجاح الكيانات الزوجية، وحمايتها من أسباب الاهتزاز والاضطراب.

ومن هنا تأتي أهمية تقديم البحوث والمعالجات التي تتناول شؤون الزواج، وقضايا تكوين الأسرة، لتكون رافداً لتشكيل الوعي السليم بمقتضيات الحياة الزوجية.

وبين يدي القارئ الكريم جهد موفّق بذلته الأخت الفاضلة نعيمة عبد الأمير آل حسين، يتناول المرحلة التأسيسية للحياة الزوجية، وهي مرحلة الخطوبة، والمقصود منها هي المدة الفاصلة بين اتمام عقد الزواج الشرعي، وبين الدخول وتحقق الحياة الزوجية الفعلية. حيث تشكل هذه المرحلة، وخاصة في الظروف الاجتماعية الحاضرة، حالة مفصلية تكتنفها احتمالات متعددة، تتراوح بين تحقق الانسجام الكامل، والعزم الراسخ، لدى الطرفين على إكمال مشوار السعادة والنجاح، وبين الاخفاق في التوافق، والسير باتجاه الفسخ والطلاق. وما بين هاتين الحالتين من تعثّر في العلاقة، وحدوث بعض المشاكل والخلافات، التي قد تترك آثاراً سلبية على مستقبل الحياة الزوجية.

لقد تناولت الأخت نعيمة هذا الموضوع بلغة واضحة، وأسلوب جميل، وعزّزت طرحها بقصص من أرض الواقع، ليكون أكثر حيوية وتأثيراً.

فجزى الله الأخت الكريمة خير الجزاء، ووفقها للمزيد من الإنتاج والعطاء، في خدمة الدين والمجتمع، ونأمل أن يشق الكتاب طريقه للانتشار والتداول، في أوساط الشباب والشابات، ليستفيدوا من الأفكار والتجارب والتوصيات التي تضمنها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٢٨/ ٦/ ١٤٣٨هـ

٢٧/ ٧/ ٢٠١٧م

متابعات

الرياض

الرئيسية / محليات

الأحد غرة محرم 1438 هـ - 02 أكتوبر 2016م

دعا إلى اليقظة والانتباه ورصد أي تحرك مشبوه ضد الوطن

الصفار: المواطنون كتلة واحدة مع رجال الأمن منذ عهد المؤسس

القطيف - منير النمر

شدد الشيخ حسن الصفار على حفظ الأمن، وأن الأمن في المملكة خط أحمر، وأن الإجراءات الأمنية تختص بها الأجهزة الأمنية، داعياً المواطنين لليقظة والانتباه لرصد أي تحرك مشبوه يمكن أن يقوم به الإرهابيون ضد الوطن، وأن يتكامل دورهم مع الأجهزة الأمنية.

وأضاف: "حين يرى المواطنون شخصًا يشكّون في وضعه، عليهم الابلاغ عنه وتسليمه للجهات الامنية".

وتابع "نحن نعتقد بالشراكة الوطنية فكل مواطن شريك في كل ذرة من تراب الوطن، والمواطنون على اختلاف مناطقهم ومذاهبهم يشكّلون كتلة واحدة وصفًا واحدًا مع رجال الأمن، وهذه من النعم الكبيرة التي نعيشها منذ توحيد البلاد على يد الملك المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله"، مضيفًا "كل مواطن هو محل ترحيب في أي بقعة من بقاع الوطن، كما نرى بالفعل تواجد أبناء هذه المنطقة في المناطق الأخرى من البلاد للدراسة أو العمل، وكذلك تواجد أعداد كبيرة من أبناء المناطق الأخرى في هذه المنطقة".

وزاد "هذا مما نفخر به ويجب أن نحافظ عليه، طبقًا لتعاليم ديننا وتجسيدًا للوحدة الوطنية، وإذا ما حدث تصرف من أحد خارج هذا السياق فهو خطأ يحاسب عليه وحده ولا يصح أن يكون مبررًا لترويج النزعات العنصرية الطائفية أو القبلية".

دعا إلى اليقظة والانتباه ورصد أي تحرك مشبوه ضد الوطن

الصفار: المواطنون كتلة واحدة مع رجال الأمن منذ عهد المؤسس*

القطيف ـ منير النمر

شـدد الشـيخ حسـن الصفار على حفظ الأمن، وأن الأمن في المملكة خط أحمر، وأن الإجـراءات الأمنيـة تختص بها الأجهزة الأمنية، داعيـاً المواطنين لليقظة والانتباه لرصد أي تحرك مشـبوه يمكن أن يقوم به الإرهابيون ضد الوطن، وأن يتكامل دورهم مع الأجهزة الأمنية.

وأضـاف: «حين يرى المواطنون شـخصًا يشـكّون في وضعه، عليهـم الابلاغ عنه وتسليمه للجهات الامنية».

وتابـع «نحـن نعتقد بالشـراكة الوطنيـة فكل مواطن شـريك فـي كل ذرة من تراب الوطـن، والمواطنون على اختـلاف مناطقهم ومذاهبهم يشـكلون كتلة واحدة، وصفًا واحـدًا مع رجال الأمن، وهذه من النعم الكبيرة التي نعيشـها منذ توحيد البلاد على يد الملك المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله»، مضيفًا: «كل مواطن هو محل ترحيب فـي أي بقعـة من بقاع الوطـن، كما نرى بالفعـل تواجد أبناء هذه المنطقـة في المناطق الأخـرى من البلاد للدراسـة أو العمل، وكذلـك تواجد أعداد كبيرة مـن أبناء المناطق الأخرى في هذه المنطقة».

* جريدة الرياض الصادرة يوم الاثنين ١ محرم ١٤٣٨هـ الموافق ٢ اكتوبر ٢٠١٦م.

وزاد «هذا مما نفخر به ويجب أن نحافظ عليه، طبقًا لتعاليم ديننا وتجسيدًا للوحدة الوطنية، وإذا ما حدث تصرف من أحد خارج هذا السياق فهو خطأ يحاسب عليه وحده ولا يصح أن يكون مبررًا لترويج النزعات العنصرية الطائفية أو القبلية».

الشيخ الصفار: المجال الديني ليس مستثنى من النقد والمراجعة*

- **ويرفض اعتبار ممارسة النقد الذاتي شكلًا من أشكال نشر الغسيل.**
- **ويقول «ما عاد ممكنًا أن تقول للجمهور إنّ الشيوخ أبخص».**
- **ويتحفظ على ضرورة اقتصار ممارسة النقد الديني على الأروقة الدينية.**

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار على أهمية مراجعة التراث ونقد الذات، ضمن الخطاب الديني في عاشوراء، إلى جانب ترسيخ الولاء الديني، وتعزيز القيم السامية في النفوس.

وقال الشيخ الصفار في ندوة نظمها الطلبة المبتعثون والمقيمون في نيوزلندا لبحث هذا الموضوع: إنّ موضوع النقد والمراجعة ينبغي ألّا يغيب عن الخطاب الديني لعاشوراء.

وأرجع ذلك إلى أنّ موضوع النقد والمراجعة «يلامس ضرورة، ويلبّي حاجة، ويعالج إشكاليات في أذهان وسلوكيات شريحة كبيرة من أبناء المجتمع».

وأضاف سماحته خلال مشاركته الهاتفية في المنتدى الأسبوعي للطلبة: إنّ ممارسة النقد الذاتي أمر ضروري في كلّ المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية» والمجال الديني ليس مستثنى من مسألة النقد والمراجعة».

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨ / ١٠ / ٢٠١٦م.

وأوضح: إنّ الدين ليس كلّه مساحة ثابتة، وإنّما يحتلّ الثابت الديني مساحة محدودة جدًّا «لكن المساحة الأكبر متحركة وقابلة للتغيير»، مستدلّاً بتعدّد المذاهب الإسلامية، واختلاف المدارس الدينية، حتى ضمن المذهب الواحد.

وحدّد الشيخ الصفار أربعة أبعاد يمكن أن يشملها النقد، وهي: بُعْدُ الفكر والثقافة، والبعد السلوكي والممارسات الدينية، وبُعْدُ المؤسّسات والرموز الدينية، وأخيرًا المواقف التي يتّخذها المجتمع الديني.

وعلّل ذلك بالقول: إنّ الناس بشر قد يصيبون وقد يخطئون في أفكارهم، والثقافة الدينية اجتهاد بشري، فيما عدا النص الثابت البيّن الدلالة، والسلوكيات والممارسات أداء بشري معرض للخطأ.

ومضى يقول «إنّ الرموز الدينية من علماء ووكلاء وشخصيات، ليسوا معصومين، وبالتالي فإنّ الغفلة والخطأ أمر وارد، فلا مانع من النقد ولا مانع من المراجعة».

وتحفّظ الشيخ الصفار على ضرورة أن تقتصر ممارسة النقد الديني على الأروقة الدينية الخاصة، كالحوزات العلمية فقط.

وأرجع ذلك إلى «عدم وجود منهجية وآلية تقوم بهذا الدور، فهذا يعني تعطيل النقد».

وتابع «نحن نعيش في زمن أصبحت فيه الشفافية شعارًا وقيمة عليا، فما عاد ممكنًا أن تقول للجمهور إنّ الشيوخ أبخص، وأنّ عليكم أن تتبعوا هذه الأفكار والآراء والتوجّهات دون تساؤل ونقد واعتراض».

وقال سماحته «نحن واثقون من أصول ديننا، والمراجعة هي في التفاصيل، وهذا لا يؤثر على أصل الدين، وعلى قوة الدين».

وتساءل الشيخ الصفار «ما الذي يجعلنا نتردّد تجاه النقد والمراجعة.. لو اتضح أنّ هذه الفتوى ما عادت صالحة لهذا العصر، أو أنّ تلك الفكرة ليست صحيحة بالكامل،

أو أنّ فلانًا من الناس الذي يمثل الحالة الدينية أخطأ أو اشتبه أو انحرف».

ورفض سماحته اعتبار ممارسة النقد الذاتي شكلًا من أشكال نشر الغسيل، وإضعاف المذهب أمام الآخرين المناوئين.

ومضى يقول «ما عاد هناك شيءٌ مستور، كلّ التراث، وكلّ الآراء، وكلّ المواقف أصبحت معروفة أمام الجميع.. الكتب موجودة على الشبكة العنكبوتية.. الشعائر والمناسبات الدينية أصبحت تبث على الفضائيات».

وحول مشروعية النقد أوضح الشيخ الصفار: بأنّ القرآن الكريم كان يعرض النقد تجاه رسول الله ﷺ والمجتمع الديني في العصر النبوي، وكان الإمام عليّ عليه السلام يقول: «لَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي».

وخلص إلى القول «لا مشكلة في أن يكون النقد (الديني) واضحًا ومفتوحًا أمام الرأي العام».

وأشار الشيخ الصفار إلى مبادرات عديدة «أكثر جرأة وأكثر انتشارًا من قبل علماء قاموا بالنقد للتراث» ومنهم السيد محسن الأمين العاملي، والشيخ محمد جواد مغنية، والشهيد مرتضى مطهري، والسيد محمد حسين فضل الله.

وقال: إنّ من العلماء المعاصرين الذين قاموا بدور مهم في السنوات الأخيرة الشيخ محمد آصف محسني، الذي راجع كلّ الروايات وكلّ التراث الوارد عن أهل البيت عليهم السلام، وقام بعملية غربلة وتصفية حسب رؤيته، وأصدر موسوعة مهمة تحت عنوان (معجم الأحاديث المعتبرة) تقع في ثمانية مجلدات.

وأضاف: إنّ من العلماء المعاصرين كذلك الشيخ حيدر حب الله الذي يقوم الآن بدور كبير على صعيد مراجعة التراث الديني.

الشيخ الصفار يدين أي استخدام للعنف في وجه الدولة أو المجتمع*

- **ويؤكد بأن لا أحد من المرجعيات الدينية أو علماء المنطقة يعطى شرعية للعنف.**
- **ولم يستبعد تورط عصابات إجرامية في حوادث استهداف رجال الأمن والمواطنين.**
- **وينوه بأن من المزعج بشدة الحديث عن وجود إرهاب وإرهابيين في مجتمعنا.**
- **ويقول إن من يريد الدفاع عن حقوق الطائفة لا يستخدم الوسيلة التي ينبذها أئمة أهل البيت.**

حذّر سماحة الشيخ حسن الصفار شباب المنطقة من الانجراف خلف توجهات العنف والتطرف قائلًا: إن ذلك «لا يحل مشكلة ولا يحقق مطلبًا، بل يزيد المشاكل تعقيدًا ويحقق مآرب الاعداء الطامعين».

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٠ محرم ١٤٣٨هـ الموافق ٢١ أكتوبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن أي استخدام للسلاح والعنف في وجه الدولة أو المجتمع «هو مدان ومرفوض من قبل علماء المذهب وعموم المجتمع ولا يحظى بأي غطاء ديني أو سياسي».

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢١ / ١٠ / ٢٠١٦م.

هذا ولم يستبعد الشيخ الصفار تورط عصابات إجرامية في بعض الحوادث التي استهدفت رجال الأمن والمواطنين المناوئين لهم. وأضاف القول: «من المحتمل أن تسعى بعض هذه العصابات لحماية نفسها وتضليل أبناء المجتمع مستفيدة من الأجواء السياسية التي سادت المنطقة فترفع شعارات سياسية مذهبية».

واستدرك قائلًا: إن من يريد الدفاع عن حقوق الطائفة والانتصار للمذهب لا يجوز أن يستخدم الوسيلة التي ينبذها أئمة أهل البيت عليهم السلام ويضر بالطائفة ويتهدد وجودها ومستقبلها.

وأوضح أن من المشروع أن يكون للإنسان رأي فكري أو سياسي يبشر به وأن يطالب بحقوقه، رافضاً أن تكون الوسيلة مخالفة للعقل والشرع كاستخدام العنف.

وتابع سماحته بأن المجتمعات الشيعية الخليجية ظلت تشكو من حالة تهميش وتمييز بسبب هيمنة التوجهات التعصبية إلا أنها استمرت في تواصلها مع حكوماتها ومحيطها الوطني لمعالجة المشكلات واكتفى الناشطون بالعمل السلمي.

وأكد سماحته القول «لا أعرف أحدًا من علماء المنطقة ولا المرجعيات الدينية أعطى شرعية للعنف حتى من كان متصديًا منهم لمعارضة السلطة».

وأعرب عن الخشية من تسلل التوجهات العنفية تأثرًا بما يجري في ساحات عربية أخرى.

وأشار إلى أن أبناء مجتمعنا «كسائر الشباب في هذا العصر لديهم فائض وقت وطاقة وبعضهم لديه نزوع للمغامرة والمخاطرة».

وتابع هناك تجاذب سياسي إقليمي يأخذ العنوان الطائفي ويفرز تعبئة سياسية ومذهبية قد يتفاعل معها بعض أبنائنا فتخلق لديهم أرضية واستعدادًا لقبول توجهات العنف.

ودعا الشيخ الصفار العلماء والموجهين وذوي الرأي إلى تحصين المجتمع

مـن خطر توسـع مثل هذه التوجهـات «وإن كانت قليلة ومحـدودة لكن المرض إذا لم يحاصر ينتشر بالعدوى».

وشـدد سـماحته القول «يجب أن نعلن بصراحة الموقف تجاه هذا الخطر حتى لا يتسلل إلى مجتمعنا».

وأشـار إلـى عديد مـن البيانات الصـادرة عن علمـاء المنطقة في السـنوات القليلة الماضية التي نبذت علانية استخدام العنف ورفع السلاح.

وقـال سـماحته إن منطلق الدعوة لنبذ العنف هو حمايـة مجتمعنا المحلي أكثر من الاستجابة لانتقادات أو مطالبة من خارج مجتمعنا.

وأرجـع أهميـة تحصيـن شـباب المنطقة مـن التأثر بتوجهـات العنف إلـى «حفظ مجتمعنا وحماية وجوده وضمان مسـتقبله ومن أجل سـمعة مذهبنـا وطائفتنا وحماية الأمن في بلادنا».

وتابـع أن من المزعج بشـدة الحديث عـن وجود إرهاب وإرهابييـن في مجتمعنا، قائلًا هذا لا يتناسب مع سمعة مجتمعنا ولا نود أن تكون هذه صفة أحد من مجتمعاتنا.

الشيخ الصفار: خيار الانكفاء والعزلة السياسية ليس واردا عند أئمة أهل البيت*

- **ويقول إن آراء بعض الكتاب حول استسلام الإمام السجاد لخيار الانكفاء والعزلة «غير دقيق».**
- **ويضيف أن أهل البيت اختاروا بث الوعي وإعادة تشكيل الفكر وتربية القيادات الصالحة في الأمة.**
- **ويقول إن الإمام السجاد اتخذ أسلوب الدعاء لأنه كان الأسلوب الممكن آنذاك.**

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إن خيار الانكفاء والعزلة السياسية لم يكن واردًا في القاموس السياسي لأئمة أهل البيت عليهم السلام حتى في أحلك الظروف التي مرت بالأمة.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٧ محرم ١٤٣٨هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وبمناسبة ذكرى وفاة الإمام زين العابدين علي بن الحسين فنّد الشيخ الصفار آراء بعض الكتّاب والباحثين حول استسلام الإمام لخيار الانكفاء والعزلة تأثرًا بواقعة كربلاء التي شهد وقائعها.

وأضاف إن خيار العزلة والانكفاء لم يكن مطروحًا عند الإمام زين العابدين، واصفًا آراء أولئك الكتاب بأنها «كلام غير دقيق».

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ٢٠١٦م.

وخلص سماحته إلى القول «الإمام زين العابدين لم يكن مع خيار العزلة والانكفاء بعد واقعة عاشوراء، فذلك خلاف تحمل المسؤولية التي يستشعرها المؤمن العادي فكيف بالإمام».

وبخلاف ذلك، قال الشيخ الصفار إن الإمام زين العابدين وجد نفسه بعد واقعة كربلاء أمام خيارين آخرين فإما التصعيد والثورة ضد السلطة الأموية أو تفعيل الدور القيادي لأهل البيت، وقد اختار الأخير.

ولاحظ سماحته أن الإمام زين العابدين لم يتبن أو يشارك في أي من الثورات ضد السلطة الأموية كما لم يصدر عنه دعم وتأييد ودفع باتجاهها «بل تحفظ على بعضها، وأبدى رضاه عن نتائج بعضها الآخر كثورة المختار».

وعوضًا عن ذلك، رأى الشيخ الصفار أن الإمام زين العابدين اختار تفعيل الدور القيادي لأهل البيت في ساحة الأمة.

وتابع بأن أهل البيت اختاروا بث المعرفة والفكر وإعادة تشكيل الوعي السياسي في أذهان أبناء الأمة وتربية القيادات الصالحة وتنمية التوجه المبدئي في صفوفها إلى جانب تبني هموم الناس ودعم الفقراء.

وأرجع الشيخ الصفار توجه الإمام السجاد إلى إعادة التكوين الثقافي للأمة إلى الانحرافات الفكرية التي سادت جرّاء فعل السلطة وفقهائها والتيار المؤيد لها.

وذهب سماحته إلى القول أن الصحيفة السجادية التي جمعت أدعية الإمام زين العابدين حملت مضامين غرضها إعادة تشكيل العقل الجمعي والنهج الفكري عند أبناء الأمة.

ومضى يقول «اتخذ الإمام أسلوب الدعاء لأنه كان الأسلوب الممكن آنذاك والذي أراد من خلاله ايصال الرسائل إلى الأمة، بما في الدعاء من إيقاظ للروح والوجدان، مدعومًا بفكر وثقافة صحيحة».

مع الشيخ الصفار في كتاب ثقافة التنمية والإصلاح*

محمد المحسن

- **الكتاب: مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح (ج٦)**
- **المؤلف: الشيخ حسن الصفار**
- **الناشر: دار المحجة البيضاء ـ بيروت، لبنان**
- **الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م**
- **عدد الصفحات: ٧٤٧**

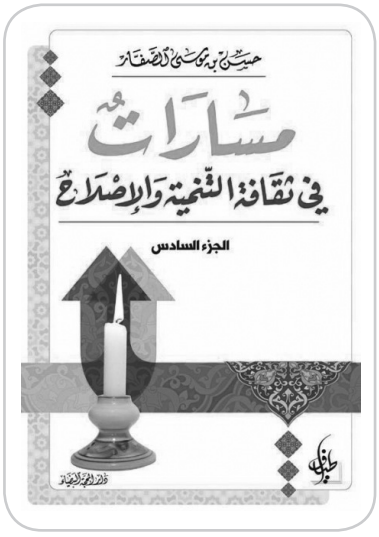

(١)

من يعرف الشيخ حسن الصفار، يعلم تمامًا التصاقه بالكتاب منذ سنيه الأولى، فهو ألف عددًا من الكتب والكتيبات في مقتبل عمره، وسنواته الأولى في الدراسة الدينية وذلك عام ١٣٩٤هـ من خلال كتيب عن شهر رمضان المبارك، وأضحت مؤلفاته اليوم تتجاوز المئة والثلاثين، بين كتيب وكتاب. هذا بالإضافة لمواظبته على القراءة،

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٤ / ١١ / ٢٠١٦م.

ومتابعته لكلّ جديد يصدر من الكتب والدوريات، حتى أصبحت القراءة هي همّه اليومي.

ذاك الرصيد الكبير من القراءة والكتابة، جعلت الشيخ «وهو الخطيب المفوّه» يجهد على تدوين وتوثيق كلّ ما يطرحه منبريًّا وخطابيًّا في كتاب سنوي، يؤرخ فيه لمسار ذلك العام، فكان كتاب «مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح» ككتاب سنوي يصدره الشيخ، يحتوي على خطب الجمعة، بالإضافة إلى الحوارات التي أجريت مع سماحته خلال العام نفسه، والمقالات المنشورة في الصحف، ومشاركاته في الندوات العامة، وتقديمه لبعض الكتب.

وكانت فكرة «السلسلة» قد بدأت عام «١٤٢٠هـ» من خلال كتاب (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع) وصدر منه ١٠ مجلدات حتى عام ١٤٢٩هـ. ثم بدأ في العام التالي «١٤٣٠هـ» في «السلسلة» الجديدة التي سمّاها لأسباب الطباعة والنشر «مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح»، الذي يصدر منه اليوم الجزء السادس، ويؤرخ لعام «١٤٣٥».

(٢)

يقول الشيخ الصفار في مقدمة الجزء السّادس من الكتاب: إنّ الأمة بعد أن كسبت معركة التمسّك بهويتها وانتمائها الديني، في مواجهة من أرادوا سلخها من تلك الهوية والانتماء، بفرض أنظمة استبدادية متطرفة، وقدّمت قوافل من الشّهداء، وتحمّلت آلام التضحيات لعقود من الزمن، حتى تكسب هذه المعركة المصيرية؛ لأنّها رأت في الدين ملاذًا وملجأً لحفظ عزّتها واستقلالها المستهدف من قبل الغزاة المستعمرين، والطغاة المستبدّين.

لكن الآن، يضيف الصفار: تجد الأمة نفسها أمام معركة أخرى أشدّ خطورة وأكثر شراسة، وهي معركة الوعي والفهم لقيم وتعاليم الدين، الذي عقدت عليه آمال الخلاص والنجاة، من واقعها المتخلّف الفاسد.

الموروث الديني وما حاط به من إضافات وزيادات هو مشكلة المشاكل التي تعاني منها الأمة، وهو ما يشير إليه الشيخ الصفار بالقول: «ما ورثته الأمة من دينها يتمثل أساسًا في نصوص الكتاب والسنة، وآراء العلماء والفقهاء السّالفين، ولا شك أنّه إرث عظيم، لكنه بحاجة إلى إعادة قراءة وتمحيص، تخلّصه من الشوائب التي لحقت به وأضيفت إليه من قبل الوضّاعين والمدلّسين، حيث أجمعت الأمة على حصول الكذب والافتراء على رسول الله ﷺ وعلى الأئمة من آل بيته وخيار صحابته».

ويلفت الشيخ الصفار النظر على رغم الجهود التي بذلها علماء الحديث لتنقية السّنة مما لحق بها من أكاذيب وإضافات، عبر وضع معايير ومقاييس لتصحيح وتخريج الأحاديث، إلّا أنّ ذلك لا يعني اكتمال هذه المهمة، وانتهاء دور علمي الدراية والرواية، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يمكن أن توفره الخبرة المتراكمة، والتطور في وسائل البحث ومناهج التحقيق في التراث والآثار.

ويشير إلى أنّ قسمًا من النصوص الدينية، وخاصة فيما يتعلق بشؤون الحياة وإدارة المجتمع، قد تكون محدودة ومحكومة بزمن وبيئة صدورها، ولا يقصد الشارع منها الإطلاق والشّمول لكلّ الأزمنة والأوضاع الاجتماعية المختلفة، فهي تشريعات تدبيرية، وضعها الرسول ﷺ أو الأئمة والخلفاء، بحكم الممارسة لموقع الإدارة والقيادة.

وبالنسبة للشيخ الصفار، فإنّ آراء العلماء والفقهاء السّابقين غير ملزمة لأجيال الأمة، وليست سقفًا يمنع العلماء والفقهاء اللاحقين من إعادة القراءة والفهم للنص الديني، فكما اجتهد أولئك يحقّ لهؤلاء الاجتهاد وإبداء النظر، وذلك هو مبرّر وجوب الاجتهاد في المعرفة الدينية، وضرورة وجود الفقهاء المجتهدين في كلّ عصر وجيل.

وتابع القول في مقدمة كتابه: «مع تقدّم العلم وتطور الحياة في مختلف المجالات، فإنّ هناك تحدّيات وأوضاعًا مستجدة، وأسئلة حادثة، تتطلب الإجابة والمعالجة».

مشدّدًا أنّ هذا هو ميدان المعركة الجديدة التي تواجهها الأمة اليوم، بعد تجاوزها

لمعركـة الحفـاظ على الهويـة والانتماء. فما هي صـورة الدين الذي تتطلـع الأمة إلى تطبيقه في هذا العصر؟

مؤكّـدًا أنّ مواجهة فكر التطرف، وثقافة التشـدّد، تقتضي تضافر جهود الواعين من قيادات الأمة، لتنقية التراث الديني، وإزالة الشوائب التي لحقت به في عصور التخلف والاسـتبداد، وإعـادة قراءتـه بعقلية عصريـة منفتحة، تتجـاوز أفهام الماضيـن، وتتجه صوب القيم الأساس في الدين، والمقاصد الرئيسة للشريعة.

كما تسـتدعي مواجهة فكر التطرف، حشـد كلّ القدرات والطاقات، للتبشير بثقافة التسـامح والمحبّة والعدل والإحسـان وحقوق الإنسـان، كمبادئ راسـخة في الدين، وتفنيد كلّ التبريرات المفتعلة لتجاوزها، بشرعنة سلوك التوحّش والإرهاب.

(٣)

الكتاب ضمّ بين دفتيه (٨٠) خطبة ألقاها سـماحته خلال العام ١٤٣٥هـ، وتناول فيها عدة أمور من أبرزها:

الثقافـة المهدوية وسـوء التوظيف، احتـكار الجنة بين الطوائـف الدينية، الطوائف الدينيـة والاحتـرام المتبـادل، الاحتـراب والقتـل العبثي في بـلاد المسـلمين، التديّن الموروث والبعد الأخلاقـي، مخرجات الازدراء والتعبئة الطائفية، الانتماءات الفئوية ورعايـة القيم، لماذا تضطهد المرأة في المجتمعات الإسـلامية؟، الخصومة في الدين انقلاب على الدين، التشـيّع بين المظاهر والالتزام، العنصرية حين تنسـب إلى الدين، المزايدة في الدين، التديّن والنزعة الإنسانيّة، المشاعر الدينيّة بين الوعي والاستغلال، التحدّي الأكبر مواجهة التطرف الديني، مفهوم الوحدة والتطبيقات المعاصرة، التطرف وارتداداته الداخلية.

كذلـك ضمّ الكتاب عدداً من كتابات الشـيخ، منها تقديم لعـدة كتب، منها: عمرو الأطـرف بن علي بـن أبي طالـب، الدكتور الرفاعي دعـوة التجديد ورسـالة الانفتاح،

تقديـم لكتاب: العلم والعقـل ومرادفاتهما في القرآن الكريم، وتقديم لكتاب: رسـالة سلام مذهبي للشيخ حيدر حبّ الله.

وشـمل قسـم المتابعات في الكتاب خبرًا عن ندوة للشـيخ في قم عن العلاقة مع السـلفيين، ونـصّ حـوار برنامج المنصة علـى قناة الكـوت. كما ضم عـددًا من أخبار الشيخ في استقبال عدد من اللجان والمبادرات الأهلية، واستقبال عدد من الشخصيات الوطنية والعلمائية.

الشيخ الصفار يدين الإعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف*

- **ويشدد القول «إذا حملت جماعة السلاح فيا ويل المجتمع، فهذا خطر ونذير سوء».**
- **ويقول: «لا نريد لمجتمعنا أن يخسر المكاسب وتتشوه سمعته ببعض التصرفات الإرهابية».**
- **ويضيف أن على المتحمسين لخيار العنف أن يقرأوا تجارب الحركات العنفية التي قادت بلدانها للخراب.**

أدان سماحة الشيخ حسن الصفار الإعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي مؤكدًا «أن هذه التصرفات البغيضة لا تعبّر عن أخلاق أهل المنطقة».

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٤ صفر ١٤٣٨هـ الموافق ٤ نوفمبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن من يظن بأنه سيسجل من خلال العنف حضورًا سياسيًا وإعلاميًا لقضيته وإزعاجًا للسلطة فليعلم بأن تجارب العنف لا جدوى من وراها ولم تنته إلى تحقيق النجاح في أي بلد.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٤ / ١١ / ٢٠١٦م.

وشدد القول «إذا حملت جماعة السلاح فيا ويل المجتمع، فهذا خطر ونذير سوء».

وتساءل سماحته «لماذا يتحمل المجتمع الخسائر ويتضرر الوطن من أجل مكاسب موهومة يمكن الحصول على أفضل منها بأساليب وطرق أخرى؟».

وقال الشيخ الصفار إن «أي جهة تمارس العنف فإنها تشوّه سمعتها وتسئ إلى المجتمع الذي تنتمي إليه وتضر بالفكر الذي تتظاهر برفع لواءه وحمل شعاراته».

وتابع القول إن من أسوأ نتائج العنف هو «تشويه السمعة والسقوط المعنوي» على مستوى الرأي العام العالمي الذي لا يقبل العنف ويرفض الإرهاب.

وأضاف سماحته أن مجتمعنا المحلي راكم سمعة حسنة على المستوى الوطني، بمشاركته في بناء الوطن، ومسيرة التنمية، وبروز كفاءات علمية وأدبية وسياسية احتلت مكانة مرموقة على المستوى الوطني والعالمي، إلى جانب اشتهاره بالتسامح وقبول الآخر، وما عرف عن أبناءه من الأمانة وحسن الخلق.

ومضى يقول إن ذلك تحقق بالرغم من محاولات أطراف متشددة متعصبة تهميش هذا المجتمع ومحاصرته بأساليب مختلفة.

وقال الشيخ الصفار إننا لا نريد لمجتمعنا أن يخسر هذه المكاسب وتتشوه سمعته ببعض التصرفات العنفية الإرهابية.

وأضاف أن الأعمال العنفية المخالفة للعقل والدين تعود بالضرر على المجتمع وتضر بسمعة المنهج الذي يؤمن به.

وأدان سماحته الإعتداء الإرهابي على رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي مؤكدًا «أن هذه التصرفات لا تعبّر عن أخلاق أهل المنطقة.. وعلينا جميعا أن نتعاون في سبيل أن لا تتمدد هذه التصرفات والأعمال البغيضة».

ودعا إلى تحذير الشباب ونشر الوعي في صفوفهم حتى لا ينخدعوا بهذه التوجهات.

لا جدوى من ممارسة العنف

وقال الشيخ الصفار إن على المتحمسين لخيار العنف أن يقرأوا تجارب الحركات العنفية التي حملت السلاح في وجه الحكومات وقادت بلدانها للدمار والخراب.

وتابع أن بعض رموز الجماعات الإسلامية كما في الجزائر ومصر وسوريا أجروا مراجعات منشورة لمسار العنف الذي انتهجوه فيما سبق وخلصوا إلى خطأ هذا المسار بعدما قتل وشرّد الآلاف نتيجة أعمال العنف التي خاضوها.

وقال سماحته إن أبرز النتائج «المؤلمة والمؤسفة» لحركات العنف هو فقدان الأمن والاستقرار وإرهاق كاهل المجتمع نتيجة دوامة العنف وسفك الدماء وانتهاك الحرمات.

ومضى يقول إن التورط في العنف ليس فقط لم يحقق مطالب الشعوب وإنما أضاف إلى مشاكلهم مشاكل جديدة.

وأوضح الشيخ الصفار بأن مآلات العنف لن تقتصر على المتورطين وحدهم وإنما ينعكس ذلك على أوضاع المجتمع برمته والذي يجد نفسه وسط صراع مرعب بين السلطة والمجموعات العنفية.

وحذر سماحته من تفشي حالة الغرور والشعور بالقوة لدى أرباب العنف وحملة السلاح على نحو يجعل المجتمع نفسه ضحية لنزوات هذه الفئة ومسرحًا لصراعاتهم البينية كما يجري في أفغانستان وسوريا والصومال وغيرها.

٧

السناب شات الحسيني يكّرم الفائزين والمشاركين*

حكيمة الجنوبي

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار، على أنه بالرغم من أنّ المنبر الحسيني التقليدي لـه جمهوره مـن جميع الأعمار، إلّا أنّ هناك مسـاحات قد لا يسـتطيع المنبر الوصول لهـا، ولأنّ الحديـث عن الحسـين حقٌّ للجميـع، فقد توجّـه بدعوته للشـباب ليكونوا منتجين للمعرفة وليسـوا مسـتهلكين لها فقط، كما أعلن عن اسـتعداده لدعم مثل تلك المبادرات الشبابية. جاء ذلك خلال حفل تكريم المشاركين في مسابقة «السناب شات الحسـيني» التي انطلقت في شـهر محرم، حيث تم تكريمهم في مكتب سماحة الشيخ الصفار، يوم الجمعة ٤ صفر ١٤٣٨، بحضور منظمي المسابقة وعدد من الشخصيات الثقافيـة والاجتماعية. وذكر القائم على المسـابقة مصطفى الشـعلة لـ «القطيف اليوم» أنّ المسـابقة مبـادرة انطلقـت من فكـرة القناعة بأنّ منصّـات المواقـع الإلكترونية لها جمهورها الكبير، مشيرًا إلى محاولة الاستفادة منها في تعزيز الإعلام الحسيني الهادف لمتابعيها من الأجيال الشابة.

وجاءت نتائج المسـابقة بتصدر إيمان البناي، وعلي الشـعلة، بترشـيحٍ من الشـيخ الصفـار، فيما رشّـح محمـد الكوّاي مـن الجمهور، وختـم اللقاء بتكريم المشـاركين الفائزيـن، بعـد توضيـح آليات الفـوز والتصويت سـواء كانت عن طريق الفيسـبوك أو

* نشر على موقع القطيف اليوم ٦/ ١١ / ٢٠١٦م.

السنابشـات. يجدر بالذكر أنّ المسـابقة انطلقت في شهر محرم، وهي عبارة عن تقديم تسـجيل سـناب شـات، يقوم فيه المتسـابق بتقديم فكرة أو معالجة قضية ضمن منظور حسـيني، دعـا لها الإمام الحسـين خلال مسـيرته الإصلاحيـة في كربـلاء، ليتم بعدها اختياره من قبل اللجنة المنظمة، وعرضها على السناب شات ثم تترشح للفوز بناء على عدد الإعجابات، وقد تنافس في المسـابقة كلٌّ من: إيمان البناي، سـلمى بو خمسـين، علي الشـعلة، عامر الرمضان، مهدي آل هزيم، ماجد الشـعلة، محمد الكوّاي وعدنان الشعلة.

محليات سياسة اقتصاد مقالات ثقافة رياضة أحوال الناس محطة أخيرة تحقيقات وملاحق English

أحوال الناس

الصفار: لا غطاء دينيا أو سياسيا لحمل السلاح ضد الدولة

الاثنين / 30 / محرم / 1438 هـ الاثنين 31 أكتوبر 2016 21:17

«عكاظ» (القطيف)

حذر الشيخ حسن الصفار من الانجراف خلف توجهات العنف والتطرف، مؤكدا أن ذلك يحقق مآرب الأعداء الطامعين. مشددا على أن استخدام السلاح والعنف في وجه الدولة أو المجتمع مدان ومرفوض من العلماء وعموم المجتمع. ولا يحظى بأي غطاء ديني أو سياسي. ووصف مرتكبي الحوادث التي استهدفت رجال أمن ومواطنين بأنهم عصابات إجرامية. مستنكرا وجود الإرهاب والإرهابيين في المجتمع السعودي. وقال: «هذا لا يتناسب مع سمعة مجتمعنا. ولا نود أن تكون هذه صفة أحد من المجتمع». ودعا الشيخ العلماء والموجهين وذوي الرأي إلى تحصين المجتمع من خطر توسع مثل هذه التوجهات وقال: «وإن كانت قليلة ومحدودة لكن المرض إذا لم يحاصر ينتشر بالعدوى».

وأشار إلى بيانات عدة صادرة عن علماء المنطقة في السنوات القليلة الماضية التي نبذت استخدام العنف ورفع السلاح.

الصفار: لا غطاءَ دينيّا أو سياسيّا لحمل السلاح ضدّ الدولة*

«عكاظ» (القطيف)

حذّر الشيخ حسن الصفار من الانجراف خلف توجّهات العنف والتطرف، مؤكّدًا أنّ ذلك يحقّق مآرب الأعداء الطامعين، مشدّدًا على أنّ استخدام السلاح والعنف في وجه الدولة أو المجتمع مدان ومرفوض من العلماء وعموم المجتمع، ولا يحظى بأيّ غطاء ديني أو سياسي.

ووصف مرتكبي الحوادث التي استهدفت رجال أمن ومواطنين بأنّهم عصابات إجرامية، مستنكرًا وجود الإرهاب والإرهابيين في المجتمع السعودي، وقال: «هذا لا يتناسب مع سمعة مجتمعنا، ولا نودّ أن تكون هذه صفة أحدٍ من المجتمع».

ودعا الشيخ الصفار العلماء والموجهين وذوي الرأي إلى تحصين المجتمع من خطر توسّع مثل هذه التوجّهات وقال: «وإن كانت قليلة ومحدودة لكن المرض إذا لم يحاصر ينتشر بالعدوى».

وأشار إلى بيانات عدة صادرة عن علماء المنطقة في السنوات القليلة الماضية التي نبذت استخدام العنف ورفع السّلاح.

* جريدة عكاظ، الثلاثاء، ١ صفر ١٤٣٨هـ، ٠١ نوفمبر ٢٠١٦م.

السبت 05 صفر 1438 هـ - 05 نوفمبر 2016م

الشيخ الصفار يدين الاعتداء على رجال الأمن بالقطيف

الشيخ الصفار مخاطباً المصلين

القطيف - منير النمر

أدان الشيخ حسن الصفار الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي، مؤكداً في مسجد البسالة بمدينة القطيف ظهر أمس الجمعة، أن هذه التصرفات البغيضة لا تعبر عن أخلاق أهل المنطقة.

وأضاف الشيخ الصفار، أمام حشد من المصلين: "علينا جميعاً أن نتعاون في سبيل ألّا تتمدّد هذه التصرفات والأعمال البغيضة"، داعياً إلى تحذير الشباب ونشر الوعي في صفوفهم حتى لا ينخدعوا بهذه التوجهات.

تويتر فيس بوك تكبير طباعة

الشيخ الصفار يدين الاعتداء على رجال الأمن بالقطيف*

أدان الشيخ حسن الصفار الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي، مؤكّدًا في مسجد الرسالة بمدينة القطيف ظهر أمس الجمعة، أنّ هذه التصرفات البغيضة لا تعبّر عن أخلاق أهل المنطقة.

وأضاف الشيخ الصفار، أمام حشد من المصلين: «علينا جميعًا أن نتعاون في سبيل ألّا تتمدّد هذه التصرفات والأعمال البغيضة»، داعيًا إلى تحذير الشباب ونشر الوعي في صفوفهم حتى لا ينخدعوا بهذه التوجهات.

* جريدة الرياض السبت ٠٥ صفر ١٤٣٨ هـ - ٠٥ نوفمبر ٢٠١٦م.

٧

الشيخ الصفار يدين استهداف رجلي أمن في القطيف*

دان الشيخ حسن الصفار الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي، مؤكّدًا «أنّ هذه التصرفات البغيضة لا تعبّر عن أخلاق أهل المنطقة».

وأضاف: «علينا جميعًا أن نتعاون في سبيل ألّا تتمدّد هذه التصرفات والأعمال البغيضة».

ودعا إلى تحذير الشباب ونشر الوعي في صفوفهم، حتى لا ينخدعوا بهذه التوجهات جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٤ صفر ١٤٣٨هـ الموافق ٤ نوفمبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إنّ من يظن أنه سيسجل من خلال العنف حضورًا سياسيًّا وإعلاميًّا لقضيته وإزعاجًا للسلطة فليعلم أنّ تجارب العنف لا جدوى من ورائها، ولم تنتهِ إلى تحقيق النجاح في أيّ بلد.

وأضاف أنّ «أيّ جهة تمارس العنف فإنها تشوّه سمعتها وتسيء إلى المجتمع الذي تنتمي إليه وتضرّ بالفكر الذي تتظاهر برفع لوائه وحمل شعاراته».

وتابع القول إنّ من أسوأ نتائج العنف هو «تشويه السمعة والسقوط المعنوي» على مستوى الرأي العام العالمي الذي لا يقبل العنف ويرفض الإرهاب.

---

* موقع العربية نت السبت ٥ صفر ١٤٣٨هـ - ٥ نوفمبر ٢٠١٦م.

«مجتمعنا المحلي اشتهر بالتسامح»

وأضاف أنّ مجتمعنا المحلي راكم سمعة حسنة على المستوى الوطني، بمشاركته في بناء الوطن، ومسيرة التنمية، وبروز كفاءات علمية وأدبية وسياسية احتلت مكانة مرموقة على المستوى الوطني والعالمي، إلى جانب اشتهاره بالتسامح وقبول الآخر، وما عرف عن أبنائه من الأمانة وحسن الخلق.

ومضى يقول إنّ ذلك تحقق بالرغم من محاولات أطراف متشدّدة متعصّبة تهميش هذا المجتمع ومحاصرته بأساليب مختلفة. إلى ذلك، قال الصفار: «إننا لا نريد لمجتمعنا أن يخسر هذه المكاسب وتتشّوه سمعته ببعض التصرفات العنيفة الإرهابية.

وأضاف أنّ الأعمال العنيفة المخالفة للعقل والدين تعود بالضرر على المجتمع وتضرّ بسمعة المنهج الذي يؤمن به.

الشرق الأوسط

الرئيسية أولى الأخبار ▾ الرأي الاقتصاد الثقافة الرياضة المجتمع ▾ الفيديو ملفات الشرق الأخيرة

الخليج

الصفار يدين الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف

قال إن حمل السلاح خطر ونذير سوء

الأحد - 6 صفر 1438 هـ - 06 نوفمبر 2016 م رقم العدد [13858]

الشيخ حسن الصفار

القطيف: «الشرق الأوسط»

أدان الشيخ حسن الصفار الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي، مؤكدًا أن «هذه التصرفات البغيضة لا تعبر عن أخلاق أهل المنطقة».

وفي خطاب له أثناء صلاة الجمعة في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية، قال الصفار إن «من يظن أنه سيسجل من خلال العنف حضورًا سياسيًا وإعلاميًا لقضيته وإزعاجًا للسلطة، فليعلم أن تجارب العنف لا جدوى من ورائها ولم تنته إلى تحقيق النجاح في أي بلد».

وشدد بالقول: «إذا حملت جماعة السلاح، فيا ويل المجتمع، فهذا خطر ونذير سوء».

وتساءل: «لماذا يتحمل المجتمع الخسائر ويتضرر الوطن من أجل مكاسب موهومة يمكن الحصول على أفضل منها بأساليب وطرق أخرى؟».

وقال الصفار إن «أي جهة تمارس العنف فإنها تشوه سمعتها وتسيء إلى المجتمع الذي تنتمي إليه، وتضر بالفكر الذي تتظاهر برفع لوائه وحمل شعاراته».

وتابع القول إن من أسوأ نتائج العنف هو «تشويه السمعة والسقوط المعنوي» على مستوى الرأي العالمي، الذي لا يقبل العنف

قال إنّ حمل السلاح خطر ونذير سوء

الصفار يدين الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف*

أدان الشيخ حسن الصفار الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي، مؤكّدًا أنّ «هذه التصرفات البغيضة لا تعبّر عن أخلاق أهل المنطقة». وفي خطاب له أثناء صلاة الجمعة في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية، قال الصفار إنّ «من يظنّ أنه سيسجل من خلال العنف حضورًا سياسيًّا وإعلاميًّا لقضيته وإزعاجًا للسلطة، فليعلم أنّ تجارب العنف لا جدوى من ورائها ولم تنتهِ إلى تحقيق النجاح في أيّ بلد». وشدّد بالقول: «إذا حملت جماعة السلاح، فيا ويل المجتمع، فهذا خطر ونذير سوء».

وتساءل: «لماذا يتحمّل المجتمع الخسائر ويتضرّر الوطن من أجل مكاسب موهومة يمكن الحصول على أفضل منها بأساليب وطرق أخرى؟». وقال الصفار إنّ «أيّ جهة تمارس العنف فإنّها تشوّه سمعتها وتسيء إلى المجتمع الذي تنتمي إليه، وتضرّ بالفكر الذي تتظاهر برفع لوائه وحمل شعاراته». وتابع القول إنّ من أسوأ نتائج العنف هو «تشويه السمعة والسقوط المعنوي» على مستوى الرأي العام العالمي، الذي لا يقبل العنف ويرفض الإرهاب.

وأضاف أنّ «مجتمعنا المحلي راكم سمعة حسنة على المستوى الوطني، بمشاركته في بناء الوطن، ومسيرة التنمية، وبروز كفاءات علمية وأدبية وسياسية احتلت مكانة

* صحيفة الشرق الأوسط الأحد ٦ صفر ١٤٣٨ هـ ٠٦ نوفمبر ٢٠١٦ م ـ العدد ١٣٨٥٨.

مرموقة على المستوى الوطني والعالمي، إلى جانب اشتهاره بالتسامح وقبول الآخر، وما عرف عن أبنائه من الأمانة وحسن الخلق».

وقال الشيخ الصفار: «إننا لا نريد لمجتمعنا أن يخسر هذه المكاسب وتتشوه سمعته ببعض التصرفات العنفية الإرهابية». وأضاف أنّ «الأعمال العنفية المخالفة للعقل والدين تعود بالضرّر على المجتمع وتضرّ بسمعة المنهج الذي يؤمن به».

وأدان الصفار الاعتداء الإرهابي على رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي، مؤكّدًا أنّ «هذه التصرفات لا تعبّر عن أخلاق أهل المنطقة.. وعلينا جميعًا أن نتعاون في سبيل ألّا تتمدّد هذه التصرفات والأعمال البغيضة».

ودعا إلى تحذير الشباب ونشر الوعي في صفوفهم حتى لا ينخدعوا بهذه التوجهات. وقال الصفار إنّ على المتحمّسين لخيار العنف أن يقرأوا تجارب الحركات العنفية التي حملت السلاح في وجه الحكومات وقادت بلدانها للدمار والخراب.

وتابع أنّ بعض رموز الجماعات الإسلامية كما في الجزائر ومصر وسوريا أجروا مراجعات منشورة لمسار العنف الذي انتهجوه فيما سبق، وخلصوا إلى خطأ هذا المسار بعدما قتل وشرّد الآلاف نتيجة أعمال العنف التي خاضوها.

وقال إنّ أبرز النتائج «المؤلمة والمؤسفة» لحركات العنف هو فقدان الأمن والاستقرار وإرهاق كاهل المجتمع نتيجة دوامة العنف وسفك الدماء وانتهاك الحرمات. ومضى يقول إنّ التورط في العنف لم يحقق مطالب الشعوب فقط، وإنّما أضاف إلى مشكلاتهم مشكلات جديدة. وحذّر من تفشّي حالة الغرور والشعور بالقوة لدى أرباب العنف وحملة السلاح على نحو يجعل المجتمع نفسه ضحية لنزوات هذه الفئة، ومسرحًا لصراعاتهم البينية، كما يجري في أفغانستان وسوريا والصومال وغيرها.

أكدوا أنّ الأعمال الإجرامية من أكبر الموبقات

علماء القطيف: لن نسمح بالعنف واستهداف رجال الأمن*

اعتبر علماء القطيف أنّ استهداف رجال الأمن تصرّف بغيض يحمل في طيّاته أثامًا كبيرة، وأكّدوا أنّ الأعمال الإجرامية من أكبر الموبقات، وأوضح الشيخ حسن الصفار أنّ الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف الأسبوع الماضي لا يعبّر عن أخلاق أهل المنطقة، وأشار إلى أنّ حمل السلاح خطر ونذير سوء. وأوضح أنّ «أيّ جهة تمارس العنف فإنّها تشوّه سمعتها وتسيء إلى المجتمع الذي تنتمي إليه»، لافتًا إلى أنّ الأعمال العنيفة المخالفة للعقل والدين تعود بالضرّر على المجتمع، محذّرًا الشباب من الانخداع تجاه العنف،

* جريدة عكاظ الاثنين ٧ صفر ١٤٣٨ هـ٠٧ نوفمبر ٢٠١٦م العدد ١٨٣٣٥.

الشيخ الصفار ينتقد الأوساط الدينية «الموبوئة والملوثة بالصراعات والخلافات»*

- **ويقول بأن لا أصل دينيًا لتسويغ البعض حالة الإساءة للآخرين وإنما هو تبرير شيطاني.**
- **ويشدد بأن المنهج القرآني يرفض السب والإساءة لرموز الآخرين حتى لو كانوا على باطل.**
- **ويقول إن على من يتعرضون لرموز الآخرين بالإساءة أن يتوقعوا أن يأتيهم الردّ.**

انتقد سماحة الشيخ الصفار بشدة بعض الأوساط الدينية «الموبوئة والمشوهة والملوثة بالصراعات والخلافات»، داعيًا إلى تعزيز ثقافة الإحترام المتبادل بين الأفراد والجماعات والنأي عن التعدي على رموز ومقدسات الآخرين.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١١ صفر ١٤٣٨هـ الموافق ١١ نوفمبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار «إذا أرادت أي جماعة الإحترام لذاتها ورموزها ومقدساتها فإن عليها أن تحترم الآخرين ومقدساتهم ورموزهم». ودعا سماحته إلى تعزيز ثقافة الإحترام المتبادل بين الأفراد والجماعات والنأي عن التعدي على شخصيات ورموز

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠١٦م.

ومقدسات الآخرين درءا لردود الفعل المماثلة.

وتابع أن على من يطلقون لسانهم في التعريض برموز الآخرين والإساءة لمرجعياتهم أن يتوقعوا أن يأتيهم الردّ على ذات الوتيرة السيئة. ومضى يقول إن مختلف طرق الردّ والدفاع عن الذات باتت متاحة للجميع من فضائيات ومواقع إنترنت ووسائل تواصل اجتماعي.

وشدد الشيخ الصفار بأن المنهج القرآني يقوم على رفض السب والإساءة لرموز الآخرين ومقدساتهم حتى لو كانوا على باطل، حفظًا لإحترام الذات ودرءًا لردود الفعل المقابلة.

وأضاف بأن مواثيق حقوق الإنسان في العصر الحديث جاءت متقاطعة مع التعاليم الدينية لجهة مراعاة الحقوق المادية والمعنوية للأفراد والجماعات. واعتبر سماحته التعريض بسمعة الآخرين والإساءة لكرامتهم وجرح مشاعرهم اعتداءًا صريحًا على حقوق الإنسان علاوة على كونه مخالفة دينية.

وأشاد سماحته بالقرار الصادر مؤخرًا عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «يونيسكو» القاضي بالتأسيس لثقافة الإحترام بين الأفراد والجماعات والشعوب والحضارات والديانات.

وجاء القرار الذي اتخذ استجابة لاقتراح مندوب المملكة زياد الدريس في مقابل مبالغة الغرب في منح حرية التعبير عن الرأي حتى لو كانت على حساب احترام الآخرين كما جرى مع الإساءات التي طالت نبينا الأكرم .

وتابع أن هذا القرار يؤسس لحالة التوازن بين كفالة حرية التعبير عن الرأي وانضباطها ضمن حدود احترام الآخرين.

الأوساط الدينية الموبوئة

وانتقد الشيخ الصفار الأوساط الدينية «الموبوئة والمشوهة والملوثة بالصراعات

والخلافات». وفي حين اعتبر سماحته التعددية الفكرية مسألة طبيعية وحقًّا مشروعًا في جميع الأوساط إلا أنه رفض في الوقت عينه التجريح والطعن والإساءة لرموز ومقدسات الآخرين.

وأرجع مسألة تجاوز الوسط الديني لمبدأ الاحترام المتبادل، لاعتقاد كل فئة بأنها تمثل الحق المطلق في مقابل الباطل المحض عند غيرها، ليترتب على إثر ذلك التصور بأن دينهم يأمرهم بالإساءة لأهل الباطل.

وتابع أن نتيجة هذا التصور هي الغرق في النزاعات مع أتباع الديانات الأخرى من النصارى واليهود والمجوس وغيرهم وإعلان الحرب على المذاهب الدينية المغايرة داخل الإسلام ثم مهاجمة الإتجاهات الفكرية الأخرى داخل المذهب نفسه.

وقال الشيخ الصفار بأن لا أصل دينيًا لتسويغ بعض المتدينين لحالة الإساءة للآخرين وإنما هو تبرير شيطاني للأخطاء والإنحرافات الذاتية وخدمة للمصالح والنزعات الخاصة.

وأضاف سماحته بأن لو سلّمنا جدلا بأن الآخرين على باطل فإن ذلك لا يخرجهم عن إطار الحقوق والكرامة الإنسانية. وأوضح بأن غاية ما ينبغي بين مختلف الأطراف هو تبادل النقاش في سلامة الأفكار وصحتها لا الطعن والإساءة للناس والحط من كرامتهم فذلك خلاف قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

وأضاف بأن اعتقاد أي جهة بأن الحق المطلق إلى جانبها لا يسوغ لها الحط من كرامة الآخرين، معللًا بأن ذلك يمثل أكبر إساءة للدين نفسه الذي يحض على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقال سماحته بأن الدعوة للدين مشروطة بالقدرة على ممارسة الجدل بالتي هي أحسن فعلى من لا يمتلك القدرة العلمية وضبط النفس أن لا يتورط في الجدل العقدي لأنه سيسيء بذلك للدين.

الشيخ الصفار يرفض الشروط المسبقة للحوار مع الآخرين*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ الحوار مع الآخرين لا ينبغي أن توضع له شروط ومواصفات مسبقة، بل ينبغي أن يكون مفتوحًا مع الكلّ ومع أيّ جهة تقبل الحوار، كما أنّ الحوار لا ينبغي أن يكون مشروطًا بما يترتب عليه هل يؤدي إلى نتيجة أم لا.

مضيفًا أنّ البعض يضع مواصفات بحيث لا يتحاور إلّا مع جهات معينة، وإلّا مع أشخاص ضمن مواصفات معينة وهذا ما يعرقل مساعي الحوار.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال مداخلة له في منتدى الثلاثاء الثقافي بالقطيف في ندوة بعنوان: «المثقف: رسالته ودوره الاجتماعي» التي حاضر فيها الكاتب حسين محمد بافقيه مساء الثلاثاء الماضي ٨ صفر ١٤٣٨هـ وركز على شخصية الأستاذ محمد سعيد طيب كأنموذج للمثقف المسؤول.

وأشاد سماحته في هذا الجانب بتجربة الأستاذ محمد سعيد الطيب الذي تحاور مع الجميع، حيث تحاور مع السّلطة، وتحاور مع من يختلفون معه في الرأي، ومن ضمن المشاهد الجميلة جدًّا حواره مع مجموعة من المشايخ والإخوة السّلفيين في لقاء مسجّل.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠١٦م.

لافتًا: أنّ الطيّب لم يَرَ مانعًا أن يجلس معهم، وأن يتحاور معهم، واعتقد أنّه ما كان يتوقع أنّهم سيغيّرون مواقفهم وقناعتهم من خلال الحوار، لكنه كان يرى أنّ مجرّد استعدادهم للقاء هو بحدّ ذاته تطور إيجابي، ومكسب يمكن البناء عليه.

وأكّد الصفار: أنّ هذا هو الطريق الصحيح أنْ نتحاور مع الجميع، سواء كانوا في السّلطة، أو في موقع التشدّد والتعصّب، أو في موقع مخالف لنا في التوجه الديني والسّياسي.

ومضى يقول: من الواضح أنّنا نعيش أزمة في الحوار بين المختلفين في مذاهبهم وفي توجّهاتهم، وبشقّ الأنفس يمكن أن يكون هناك تلاقٍ وتحاور. متسائلًا: هل يجب أنْ يترتب على الحوار نتيجة؟.

وأوضح سماحته «نحن نعيش هذه المشكلة، كثيرًا ما نتلقى هذا السّؤال: وماذا استفدتم من الحوار مع السّلطة مثلًا؟ وماذا استفدتم مع الحوار مع السّلفيين؟ وماذا استفدتم من الحوار مع هذه الجهة أو تلك الجهة؟».

وتابع: ينبغي أن يعرف الناس أن الحوار لا تشترط فيه مواصفات معينة للطرف الآخر الذي نحاوره، ولا يشترط فيه ضمانات للنتائج التي يمكن أن يصل إليه الحوار.

مضيفًا أنّ هذا ما قرأه في تجربة الأستاذ محمد سعيد طيب، داعيًا الله أن يمتّعه بالصحة والعافية، ومواصلة طريق الإصلاح، شاكرًا للأستاذ حسين بافقيه طرحه ودراسته لهذا النموذج، حتى تستفيد منه الأجيال المقبلة وتستلهم تجربته.

وكان الأستاذ بافقيه زار الشيخ الصفار في منزله، واطّلع على مكتبته، مبديًا تقديره لاهتمام الشيخ الصفار بالتواصل الوطني، وتقديمه للطروحات التنويرية المعتدلة.

الشيخ الصفار

الشيخ الخنيزي

علماء في القطيف يجدّدون إدانتهم لاستهداف رجال الأمن

السِّلم الأهلي مسؤولية يتشاطرها الجميع.. وعلى النُّخب التصدي للعنف*

القطيف ـ ماجد الشبركة

- **الاستخفاف بالحرمات والإخلال بأمن المجتمع من أعظم الجرائم.**
- **بعض العصابات تحاول حماية نفسها وتضليل المجتمع سياسياً.**
- **لا أحد من علماء المنطقة ولا المرجعيات أعطى شرعية للعنف.**
- **وطننا آمن ومستقر والاعتداءات سلوكيات منحرفة.**

جـدّد علماء في محافظة القطيف موقفهم الرافـض كلّياً، لأيّ نوع من أنواع العنف واسـتهداف رجال الأمـن والمواطنين وجميـع الآمنين تحت ظلّ الدولـة والمجتمع. وأكّد العلماء تضامنهم مع الدولة في إجراءاتها العادلة، وصولاً إلى محاكمتهم ومعاقبة المدانين منهم.

وقفة مسؤولة

وأصـدر القاضـي السـابق الشـيخ عبدالله الخنيـزي بياناُ اسـتنكر فيـح حدوادث الاعتـداء والعنـف التي تشـهدها المحافظة، داعياُ إلى وقفة مسـؤولة مـن كل الواعين من النخـب الثقافية والمراكـز المتخصصة والمؤسسـات التربوية لتحمل المسـؤولية

* صحيفة الشرق العدد رقم (١٨٠٦) الصادر بتاريخ ١٣-١١-٢٠١٦م.

للحفاظ على مكتسبات الوطن ورعاية الأمن. وبدأ الخنيزي بيانه بالآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقال: «مما يبعث على الأسى والحزن ومما يدمى له القلب ما يواجهه المجتمع وما نراه بين الفينة والأخرى من حوادث الإعتداء وتنامي حالات العنف التى تطال الأنفس والأرواح المحترمة التى عصم الله دماءها وعظم حرماتها فقد جاء في الأثر (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً). وإنَّ قطرةَ دمٍ تراقُ لمؤمن بغيرِ حق يهتزُ لها عرشُ الرحمن».

وأكد أن الاستخفاف بهذه الحرمات والإخلال بأمن واستقرار المجتمع من أعظم الموبقات والجرائم التى توجب الخذلان وتجلب الخزي وتفضي بمقترفيها إلى الخسران في الدنيا قبل الآخرة .

وشدد على أن هذا الوطن ينعم بحمد الله باستتباب أمنه واستقراره وكل هذهِ المظاهر المستنكرة من اعتداءات على رجال الأمن أو ممارسة العنف الأسري وغيرها من السلوكيات المنحرفة التي تربك السلم الأهلي تحتاج منا جميعاً إلي التصدي لكل الأسباب التى تقف وراء ظهورها من ضعف للوازع الديني عند بعض أصحاب هذه الممارسات الشاذة والتخلي عن القيم الفضلى والمبادئ العليا التى جاءت بها الشريعة الغراء عند فئة أخرى.

ولفت إلى أن تراجع دور الأسرة في الإرشاد والتوجيه من جهة ثالثة والاستغراق في وسائل اللهو والتواصل الإلكترونية دون مراعاة للظوابط والحدود الشرعية لدى آخرين وعدم التنبه واليقظة من الاختراقات والدسائس من الجهات الأجنبية التى تروج للمنكر ولكل مظاهر الانحلال ، فكل كل هذه الأمور تحتاج لوقفة مسؤولة من كل الواعين من النخب الثقافية والمراكز المتخصصةَ والمؤسسات التربوية والنهوض بالمسؤولية واستفراغ ما بالوسع كلٌ من موقعه وحسب إ مكاناته.

وأكـد أن المسـؤولية يجـب أن يتشـاطرها الجميـع دون اسـتثناء بالكلمـة الهادفة وبالموقف الشجاع وبالمساندة الفاعلة والقيام بما يمليه الواجب والوعي والمسؤولية حفاظـاً على مكتسـبات هـذا الوطـن ورعاية لأمنـه وأمانه واسـتقراره في ظـل قيادتنا الحكيمة التى لا تذخر وسعاً في سبيل إشاعة كل مافي شأنه صيانة ونماء هذا الوطن.

وأشار إلى أن ما تبذله الأجهزة الأمنية من تضحيات وماتقوم به من أدوار في حفظ الأمـن والحد من هـذه المظاهر الدخيلة علـى هذا المجتمع الأصيـل لهو محل تقدير وإجلال من كل المواطنين نسأل الله أن يحفظ علينا هذه النعمة وأن يلهمنا سبل الرشاد ويسدد خطا القيادة لما فيه الخير والصلاح.

عنف وتطرف

وفي السـياق ذاته؛ حذر الشيخ حسن الصفار شـباب المنطقة من الانجراف خلف توجهـات العنـف والتطرف قائلًا إن ذلك «لا يحل مشـكلة ولا يحقـق مطلباً، بل يزيد المشـاكل تعقيـدًا ويحقق مـآرب الاعـداء الطامعين». وقـال الصفار إن أي اسـتخدام للسـلاح والعنـف فـي وجـه الدولـة او المجتمع «هو مـدان ومرفوض من قبـل علماء المذهـب وعمـوم المجتمع ولا يحظى بأي غطاء ديني او سياسـي». هذا ولم يسـتبعد الشـيخ الصفـار تـورط عصابات إجراميـة في بعض الحـوادث التي اسـتهدفت رجال الأمـن والمواطنين المناوئين لهم. وأضاف القول «من المحتمل أن تسـعى بعض هذه العصابات لحماية نفسـها وتضليل أبناء المجتمع مسـتفيدة من الأجواء السياسـية التي سادت المنطقة فترفع شعارات سياسية مذهبية». واستدرك قائلًا إن من يريد الدفاع عن حقوق الطائفة والانتصار للمذهب لا يجوز أن يسـتخدم الوسيلة التي ينبذها أئمة أهل البيت ويضر بالطائفة ويتهدد وجودها ومستقبلها.

وأوضـح أن من المشـروع أن يكون للإنسـان رأي فكري أو سياسـي يبشـر به وأن يطالب بحقوقه، رافضاً أن تكون الوسيلة مخالفة للعقل والشرع كاستخدام العنف.

وتابع بأن المجتمعات الشيعية الخليجية ظلت تشكو من حالة تهميش وتمييز بسبب هيمنة التوجهات التعصبية إلا أنها استمرت في تواصلها مع حكوماتها ومحيطها الوطني لمعالجة المشكلات واكتفى الناشطون بالعمل السلمي.

وأكد القول «لا أعرف أحدًا من علماء المنطقة ولا المرجعيات الدينية أعطى شرعية للعنف حتى من كان متصديًا منهم لمعارضة السلطة». وأعرب عن الخشية من تسلل التوجهات العنفية تأثرًا بما يجري في ساحات عربية أخرى.

وأشار إلى أن أبناء مجتمعنا «كسائر الشباب في هذا العصر لديهم فائض وقت وطاقة وبعضهم لديه نزوع للمغامرة والمخاطرة». وتابع هناك تجاذب سياسي إقليمي يأخذ العنوان الطائفي ويفرز تعبئة سياسية ومذهبية قد يتفاعل معها بعض أبنائنا فتخلق لديهم أرضية واستعدادًا لقبول توجهات العنف.

ودعا الشيخ الصفار العلماء والموجهين وذوي الرأي إلى تحصين المجتمع من خطر توسع مثل هذه التوجهات «وإن كانت قليلة ومحدودة لكن المرض إذا لم يحاصر ينتشر بالعدوى». وشدد «يجب أن نعلن بصراحة الموقف تجاه هذا الخطر حتى لا يتسلل إلى مجتمعنا».

وأشار إلى عديد من البيانات الصادرة عن علماء المنطقة في السنوات القليلة الماضية التي نبذت علانية استخدام العنف ورفع السلاح. وقال إن منطلق الدعوة لنبذ العنف هو حماية مجتمعنا المحلي أكثر من الاستجابة لانتقادات أو مطالبة من خارج مجتمعنا.

وتابع أن من المزعج بشدة الحديث عن وجود إرهاب وإرهابيين في مجتمعنا، قائلًا هذا لا يتناسب مع سمعة مجتمعنا ولا نود أن تكون هذه صفة أحد من مجتمعاتنا.

الشيخ الصفار: التطرف والغلو مشاريع مصلحية بغطاء ديني*

- **ويقول إن هناك توجهات لا تتردد في افتعال آراء دينية والاستدلال عليها بأدلة مصطنعة.**
- **ويشير إلى أن أئمة أهل البيت طالما حذروا من أعدائهم والغلاة من أتباعهم على حدٍّ سواء.**
- **ويرفض افتعال الأكاذيب لدغدغة المشاعر والعواطف الدينية.**

حذر سماحة الشيخ حسن الصفار من الإنسياق خلف التوجهات المصلحية التي تستغل الدين لأغراض سياسية واجتماعية وتستميل الجمهور عبر دغدغة عواطفه ومشاعره الدينية.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية بتاريخ ١٨ صفر ١٤٣٨هـ الموافق ١٨ نوفمبر ٢٠١٦م.

وقال الشيخ الصفار إن ثمة جهات لا تتردد في افتعال آراء دينية والاستدلال عليها بأدلة مصطنعة أو متكلفة لإستخدامها «غطاءا لبلوغ مصلحة.. وتبريرا لتوجه مصلحي».

ودعا جموع المؤمنين إلى اليقظة والتزام الحذر وعدم الإنسياق خلف كل قول

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٨ / ١١ / ٢٠١٦م

ينسب للدين أو ممارسة تنسب للمذهب.

وبمناسبة ذكرى وفاة الإمام الرضا تناول سماحته في السياق انحراف بعض كبار أصحاب الأئمة الذين زعموا عدم وفاة الإمام الكاظم وقالوا عنه أنه الإمام الغائب، تحت ضغط الأطماع في الحقوق الشرعية التي كانت بايديهم.

وأضاف أن هؤلاء الأصحاب الذين وصموا فيما بعد بالواقفية تورطوا في افتعال أفكار وآراء نسبوها إلى الدين بغرض تحقيق مصالح مالية خاصة.

خط الغلو

وقال الشيخ الصفار إن «خط الغلو» عند السنة والشيعة ذهب بعيدًا في استغلال حب المسلمين لرسول الله وأهل بيته وأصحابه الأخيار وراح يصطنع الروايات ويحرف الأفكار لغرض استمالة الجمهور وكسبهم إلى صفه.

وأشار في السياق إلى نهج الإختلاق في الروايات المكذوبة في العهد الأموي حول فضل الصحابة في مقابل مناقب الإمام علي بن أبي طالب طمعًا في مكاسب اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية. مضيفًا أن للصحابة قدرهم ومكانتهم دون هذا الأكاذيب.

ومضى يقول إن هناك في الوسط الشيعي أيضًا من الغلاة الذين يستغلون محبة الشيعة لأهل البيت «من أجل نشر ثقافة الغلو وافتعال بعض الممارسات والتوجهات».

وفي السياق ذاته رفض الشيخ الصفار افتعال الأكاذيب لاستدرار بكاء الناس خلال المجالس الحسينية معتبرًا ذلك استغلالًا للدين من أجل كسب الجمهور.

وتابع القول إن البكاء على مصاب سيد الشهداء فيه أجر وثواب وأن في وقائع عاشوراء المروية بطرق معتبرة ما يكفي لإثارة التألم والتفجع ويغني عن المبالغة وافتعال الأكاذيب.

وحـثّ الشـيخ الصفار خطباء المنبر الحسـيني وعموم الجمهور علـى قراءة كتاب «اللؤلـؤ والمرجان» للمحدث النوري الذي سـبق للشـهيد المطهري أن وصفه بالقول «أنا لا أتصور أن هناك كتابًا فصّل القول حول الكذب وأنواعه كما نرى في هذا الكتاب وربما لا يوجد نظير لهذا الكتاب في العالم».

وأوضح سـماحته بأن النبي كان أول من تصدى للغلاة الذين حاولوا ربط كسـوف الشـمس بوفـاة ولده ابراهيم. مرسـيًا مبـدءًا مهمًّا يرفض التوسـل بالكذب والاختلاق طريقًـا للإشـادة بالأنبياء والأئمـة والأولياء «لأن ما عندهم مـن مقومات حقيقية يكفي لبيان فضلهم ومكانتهم».

وأضـاف أن أئمة أهـل البيت طالما حذروا من أعدائهم والغـلاة من أتباعهم الذين دسوا الروايات المكذوبة والمغالية فيهم.

الشيخ الصفار ينتقد بشدة إساءة «الشرق الأوسط» للمسلمين الشيعة*

- **ويقول إن الخطاب الإعلامي في ساحتنا العربية «يعاني من الهشاشة والخفة».**
- **ويعتبر لجوء بعض الأطراف المتخاصمة إلى الكذب والتزييف «علامة على الضعف والافلاس».**
- **ويحض على التحلي بالموضوعية في توصيف الخصوم ضمن إدارة الخلافات البينية.**

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار بشدة إساءة صحيفة الشرق الأوسط لملايين الزائرين الشيعة لكربلاء بزعمها وجود حالات حمل غير شرعي بينهم واصفًا سلوك الصحيفة بالوقاحة والتهريج.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٥ صفر ١٤٣٨هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن لجوء الصحيفة إلى كيل الأكاذيب غير الأخلاقية للزائرين الشيعة ونسبتها إلى مصادر في منظمة الصحة العالمية ينم عن «وقاحة وتهريج».

وكانت الصحيفة نسبت كذبًا إلى منظمة الصحة قولها بوجود حالات حمل غير شرعي بين ملايين الزائرين الشيعة الوافدين على كربلاء بمناسبة أربعين الإمام الحسين،

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٥ / ١١ / ٢٠١٦م.

ما دفع المنظمة إلى الرد في بيان رسمي ونفي مزاعم الصحيفة جملةً وتفصيلًا.

وقال سماحته بأن لجوء الأطراف المتخاصمة إلى الكذب والزيف يمثل «علامة على الضعف والافلاس».

وأضاف أمام حشد من المصلين أن الخطاب الإعلامي في ساحتنا العربية «يعاني من الهشاشة والخفة حيث يكيل كل طرف للآخر الاتهامات الكاذبة والتوصيفات الزائفة وخاصة على الصعيد الديني».

ودعا الشيخ الصفار إلى التحلي بالموضوعية في توصيف الخصوم ضمن إدارة الخلافات السياسية والعقدية أو الاجتماعية بين الأفرقاء داخل الأمة. وقال سماحته إن «الأساليب التهريجية القذرة» ليست حكرًا على طرف مذهبي أو فئوي دون آخر.

واستعرض من ذلك وصف متشددي السُنة للمسلمين الشيعة بالمجوس، واتهام رجل دين شيعي في خطاب عام مرجعاً دينياً وزعيم مدرسة شيعية أخرى بأنه قسيس مسيحي تلبس بالإسلام.

وحثّ سماحته الأطراف المتخاصمة على السير وفق النهج الموضوعي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي رفض بشدة توصيف خصومه والمحاربين له بأنهم مشركون أو منافقون، مكتفيًا بوصفهم «إخواننا بغوا علينا».

وقال إن المرجعيات الدينية الشيعية الأبرز سارت على نهج الإمام علي في النأي عن وصم أعتى الإرهابيين الطائفيين في العراق بالشرك أو النصب حتى مع ارتكابهم أفظع الجرائم والتفجيرات.

وأضاف سماحته أن تناول الخصوم في الخلافات البينية ينبغي أن يكون منضبطًا بالضوابط الشرعية. معربًا في هذا الصدد عن الأسف من الحالة القائمة في الأوساط الدينية المتخاصمة.

على هامش محاضرة الدكتور النملة في منتدى الثلاثاء الثقافي

الشيخ الصفار يدعو لإنشاء مؤسّسات أهلية تهدف الى تعميق الانسجام والتآلف الاجتماعي*

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار لإنشاء مؤسّسات فكرية وثقافية تهدف إلى تعميق الانسجام والتآلف الاجتماعي، عبر مبادرات أهلية متنوعة، كي تتبنّى نشر الأفكار والمفاهيم الإيجابية في المجتمع، وإقامة المؤسّسات الحقوقية، والتربوية.

جاء ذلك خلال مداخلته على ندوة «المؤسّسات الأهلية وتحدّيات العمل الاجتماعي» التي ألقاها وزير العمل والشؤون الاجتماعية السّابق الدكتور علي بن إبراهيم النملة في منتدى الثلاثاء الثقافي مساء الثلاثاء ٢٢ صفر ١٤٣٨هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ٢٠١٦م، وأشاد بالضيف واهتماماته المتعدّدة في مجال الفكر والعمل الاجتماعي، وتصدّيه لدعم المؤسّسات الاجتماعية إبّان فترة وزارته.

وقال سماحته: ينبغي أن نتوجّه إلى نوع آخر من العمل الخيري، يكون مواكبًا لمساعدة الفقراء والمحتاجين، منطلقًا من الحديث الشريف: (الكلمة الطيبة صدقة)، وقوله ﷺ: «ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة، يزيده الله تعالى بها هدى، أو يرده بها عن ردى».

وتابع: نحن في حاجة إلى مؤسّسات وجهات تتبنّى نشر الأفكار والمفاهيم الإيجابية التنموية في المجتمع، ففي المجتمعات الأخرى نجد مثل هذه المؤسّسات

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١ / ١٢ / ٢٠١٦م.

بكثرة، وفي مختلف الشؤون. وأضاف: نحن نعيش في عصر تشعّبت فيه اهتمامات الناس، ونحتاج إلى أن يكون هناك عمل أهلي خيري يهتم بنشر الأفكار والمفاهيم.

وأعطى الشيخ الصفار مثالًا بفكرة «التسامح»، وقال: نحن بحاجة الى مؤسّسة أو هيئة تتفرّع في كلّ أنحاء الوطن لتنشر هذا المفهوم، وتربّي الناس عليه، وكذلك مسألة حقوق الإنسان، وحماية البيئة، والتآلف، والتقارب بين الناس.

وتحدّث سماحته عن ملتقى يعقد في سويسرا في جنيف هذه الأيام مخصّص لبحث العلاقات البينية في الشرق الأوسط على ضوء الصراعات، والاحتراب القائم، وقد دُعي له شخصيات من مختلف الأطياف حتى تلتقي وتتحدّث عن تنقية الأجواء البينية داخل المملكة.

وأشار إلى أنّ أبناء بلدنا أولى بالاهتمام بهذه الأمور، «خاصة وأننا نجد ما حولنا من حالات الاحتراب، والنزاع»، مؤكّدًا على أنّ مجتمعنا «مجتمع بشريّ يتأثر بالإعلام، وبالأحداث التي تحصل في المحيط، وفي العالم».

وقال الشيخ الصفار: نحن بحاجة إلى مؤسّسات تُعنى بهذا الجانب، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، فالإصلاح مهمة أساس، والأمر متوجّه إلى الأمة، (أَصْلِحُوا).

واستدرك سماحته مشيرًا إلى مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الذي يُعَدّ نموذجًا طيّبًا ينبغي أن نتعاون معه لتطوير أدائه، ولتكثيف نشاطه. مشيرًا إلى الحاجة لأنشطة ومؤسّسات أكثر في مختلف هذه المجالات.

وقد انعقدت الندوة في مجلس الحاج سعيد المقابي، وحضرها حشْد من إدارات الجمعيات الخيرية، ورجال الأعمال والمثقفين، وقام الدكتور النملة بعدها بجولة في مكتبة الشيخ الصفار، ثم حضر مأدبة العشاء التي أقامها الشيخ الصفار على شرف معاليه بحضور عدد من المدعوين.

الشيخ الصفار: المنامات والأحلام باتت «سوقا رائجة للوضع والاختلاق» على النبي وآله*

- **ويقول أن مروجي الأحاديث المختلقة في عصرنا الراهن هم امتداد لخط الوضّاعين للأحاديث والروايات.**
- **ويضيف أن مما يزيد المشكلة تعقيدًا هو انتماء هؤلاء الوضّاعين إلى السلك الديني.**
- **ويقول إنه لا يصح الأخذ بالرؤى والأحلام لاستحالة التحقق من مصداقيتها وافتقادها الحجة الشرعية.**

رفض سماحة الشيخ حسن الصفار ترويج بعض المحسوبين على السلك الديني بعض الأقوال والممارسات استنادًا إلى أحاديث وروايات غير معتبرة وإلى الأحلام والأطياف «التي أصبحت سوقًا رائجة».

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٣ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ٢ ديسمبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

ورفض سماحته الأخذ بأقاويل الزاعمين برؤية النبي وآله في أحلامهم لاستحالة التحقق من مصداقيتها وانعدام الحجة الشرعية في اعتبار الأحلام مصدرا للمعارف الدينية.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢ / ١٢ / ٢٠١٦م

واعتبر سماحته ذلك «تشويها للدين وإرباكًا لمسيرة المتدينين المسلمين».

وأوضح الشيخ الصفار في السياق أن هناك من يصر على ترويج الروايات الضعيفة والمختلقة متجاهلًا جهود العلماء المجتهدين في علم الحديث تصحيحًا وتضعيفًا. مرجعًا ذلك إلى تشبث أولئك بها لغايات خاصة.

وتابع أن تنقية التراث تعدّ مهمة شاقة وباهظة الثمن نظرًا إلى أُلفة الناس أغلب ما فيه «وكم من العلماء دفع الثمن من شخصيته واعتباره وقيمته الاجتماعية لأنه شكّك في رواية أو صحة حديث».

وقال سماحته إن الرهان على انحياز الواعين من أبناء الأمة إلى جهود الإصلاح وتنقية التراث.

وأوضح أن الوضع للحديث النبوي كان لأسباب سياسية أو جهل أو صراع مذهبي.

وأضاف أن مما يزيد المشكلة تعقيدًا هو انتماء هؤلاء الوضّاعين إلى السلك الديني فينطلي بذلك كذبهم على العامة.

وقال سماحته أن أئمة أهل البيت طالما اشتكوا من الكذّابين والمتقولين عليهم الذين بلغوا حدّ «الوَلَع» في ممارسة الكذب والاختلاق وفقًا لتعبير الإمام الصادق .

ومضى يقول إن هناك «سوقًا رائجة» لوضع الأحاديث المكذوبة تشكلت في أوساط المسلمين سنة وشيعة بلغت مئات الآلاف من الأحاديث. مضيفًا «أن بعض تجار الحديث بلغت موضوعاته عشرة آلاف حديث».

الشيخ الصفار يفتتح المتحف التراثي والمعرض التشكيلي بالقطيف*

سناء آل حسين

افتتح سماحة الشيخ حسن الصفار أمس الجمعة المتحف التراثي والمعرض التشكيلي، الذي نظمه الخطاط حسن السنان بمقرّ منزله بالقطيف، بحضور رئيس المجلس البلدي المهندس شفيق آل سيف، وعدد من المهتمين بالجانب التراثي والفنّ التشكيلي.

وذكر منظم المعرض والمشرف العام الخطاط حسن السنان، أنّ المتحف تضمن عددًا من القطع الفنية والأثرية يعود تاريخها لأكثر من ٣٠٠ عام، مشيرًا إلى أنّ عددًا من المقتنيات ورثها من والده الحاج أحمد السنان.

وحول إقامة المتحف قال السّنان: «بدأت بوضع التصور المتكامل كي يكون البيت مُتحفًا تتزين جدرانه بتراث الآباء والأجداد ويعرف الجيل الناشئ بتاريخ وحضارة القطيف».

وعبر السنان عن أمله في أن يكون المتحف إضافة جديدة للمهتمين بالتراث، وأن يستقطب الباحثين لإبراز حضارة القطيف.

وصاحب المتحف جناحٌ للمخطوطات وآخر تشكيلي للمرحوم ابنه بسّام السنان،

* نشر على موقع القطيف اليوم، الجمعة ٣/ ٣/ ١٤٣٨هـ الموافق ٢/ ١٢/ ٢٠١٦م.

الذي اعتبر موهبة في الرسم لكونه من ذوي الاحتياجات الخاصة.

ونوّه السنان إلى أنّ المعرض سيكون مفتوحًا كلّ يوم جمعة من الساعة ٦ حتى الساعة ٨ مساءً، كما سيخصّص وقت لطلاب المدارس ليتعرّفوا على تراث أجدادهم.

من جانبه أشاد رئيس المجلس البلدي المهندس شفيق آل سيف بالمعرض والجهود التي بذلت لإقامته، داعيًا الهيئة العامة للسياحة والآثار بأن يقام متحف دائم في محافظة القطيف، مشيرًا إلى أنّ ذلك سيدعم توجّه المملكة لتنشيط المسار السّياحي بالمنطقة.

الشيخ الصفار: القيادة الدينية مسئولة عن حماية مصالح المجتمع*

- **ويأسف إلى غياب التقدير المناسب وبروز المزايدات الدينية من بعض الأطراف.**
- **ويقول إن البعض لا يرجع لفتاوى المرجعيات الدينية وإنما يرجع إلى عناده الداخلي.**
- **ويضيف أن أئمة أهل البيت ليسو مع إظهار شيعتهم المظاهر الدينية الخاصة بأي ثمن.**

قال سماحة الشيخ حسن الصفار أن القيادة الدينية تتحمل المسؤولية عن حماية مصالح المجتمع من خلال ضبط العلاقة بالمحيط العام، داعيًا الجمهور إلى تفهم الأمر ورفض المزايدة على توجيهات المراجع الدينية.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١٠ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ٩ ديسمبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن القيادات الدينية في المجتمع منوط بها إصدار التوجيهات المناسبة لحماية مصالح مجتمعها «حتى لو اقتضى ذلك التنازل عن بعض الممارسات الدينية».

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ١٢ / ٢٠١٦م.

وشدد القول «أن الدين مهتم بشدة بحماية مصالح الجماعة المؤمنة وأن لا تتضرر ولا تصاب بأذى وسوء».

وقال إن أئمة أهل البيت ليسو مع إظهار شيعتهم مختلف المظاهر الدينية الخاصة بأي ثمن.

وعلى النقيض من ذلك قال سماحته أمام حشد من المصلين إن الأئمة شددوا على شيعتهم باستمرار التزام الاندماج الاجتماعي في المحيط العام وتجنب العزلة والحصار والنبذ الإجتماعي.

وقال الشيخ الصفار إذا كان هناك خطر من إظهار الرأي الديني أو ممارسة الشعيرة الدينية فالشريعة تجيز ترك هذا الأمر من أجل الحفاظ على المصلحة وحماية الحياة ودفع الضرر.

ومضى يقول إن الشريعة تزخر بالقواعد التي تستهدف التيسير وتجنيب المؤمنين الحرج إلى حدّ التحذير من أداء الواجبات الدينية من قبل المكلفين في حال تسبب أداؤها في الأذى والضرر ومن ذلك الصوم والصلاة والحج.

ويحذر من المزايدين في الدين

وأسف الشيخ الصفار إلى غياب التقدير المناسب وبروز المزايدات الدينية من بعض الأطراف والتي يعزز منها تفاقم الحالة الإنفعالية عند الجمهور.

وأضاف بأن هناك من وصل بهم الحال حدّ المزايدة على المرجعيات الكبيرة والقيادات الدينية المحلية «وكأنه أحرص على الدين وعلى المذهب منهم». معربًا عن الأسف من استجابة البعض لهذه المزايدات.

وتابع أنه ونتيجة لذلك لا يجد البعض أنفسهم معنيين باتباع ما تراه القيادات الدينية في شأن حماية مصالح المجتمع العامة.

واستعرض في السياق تشديد كبار المراجع الدينية على ضرورة الالتحاق بصلاة الجماعة في الحرمين الشريفين في مكة والمدينة والنأي عن الخروج وقت الصلاة لإقامتها في مكان آخر.

وأضاف بأن التوجيه المرجعي نفسه ينسحب على ضرورة الالتحاق بصلاة الجماعة مع اخواننا السنة متى ما أقيمت الصلاة.

وقال سماحته ان البعض لا يرجع لفتاوى المرجعيات الدينية في هذا الشأن وإنما «يرجع إلى عناده الداخلي وحالة التشنج الموجودة في مجتمعه».

وشدد سماحته على واجب القيادة الدينية في اصدار التوجيهات القاضية بحماية المجتمع وواجب الجمهور في تفهم هذه التوجيهات ومقاصد القيادة من وراءها.

تحذيرات القطيفي الشيخ حسن الصفار*

فريد أحمد حسن

الوطن
البحرين أخبار رياضة extra sport إقتصاد لايف ستايل انفوغرافكس المزيد
الأرشيف أعلن معنا بحث متقدم
الرئيسية › الرأي
الثلاثاء ١٣ ديسمبر ٢٠١٦
تحذيرات القطيفي الشيخ حسن الصفار
فريد أحمد حسن

«حـركات العنـف تجارب فاشـلة»، هـذا هـو العنـوان الـذي اختـاره السّـعودي القطيفي الشـيخ حسـن الصفار المعـروف بوسـطيته وواقعيتـه وعقلـه النيّـر، لخطبـة الجمعـة الأسبوع الماضي بأحد مساجد القطيـف، وأوضـح أنّ «الرغبة الملحّـة والانفعـال الشّـديد قـد يدفعـان الإنسـان لعمـل أو ممارسـة تضرّه وتؤذيه»، منتقدًا بذلك وبشـكل مباشر «مسـتخدمي العنف في العمل السّياسي وممارسيه في مواجهة الحكومات والسّلطات مـن أجـل تحقيق هـدف أو مطلـب»، وكلّ من أغرته مثـل هذه الأفعال والممارسـات لكونهـا «تشـفي له غيظًا وحنقًـا بالانتقام من خصم أو تظهره بمظهر القوي الشّـجاع»، وداعيًا إلى «استحضار العقل والتفكير في نتائج ومآلات أيّ عمل يريد الإنسان الإقدام عليه».

* صحيفة الوطن البحرينية الصادرة يوم الثلاثاء ١٣ ديسمبر ٢٠١٦م العدد ٤٠٢١.

وبوضوح أكبر، قال الشيخ الصفار «تسعى بعض الحركات والجماعات السّياسية للضغط على السّلطات في بلادها عن طريق العنف لإجبارها على التراجع وتقديم التنازلات والاستجابة للمطالب الشعبية، وذلك بالقيام بعمليات الاغتيال والتصفية، لمسؤولي الدولة، ورجالات الأمن، أو الهجوم على المراكز الحكومية، أو التفجيرات وتخريب المصالح العامة»، مبيّنًا أنّ هذا حوّل الحياة في أوطان أولئك إلى جحيم لا يطاق، ومتسائلًا عمّا إذا استطاعت تلك الحركات «نقل أوطانها ومجتمعاتها لواقع أفضل، أم زادتها سوءًا ودمارًا ؟»، وداعيًا من يتحمّس لهذا الخيار أنْ يقرأ تجارب حركات العنف في العالمين العربي والإسلامي ليرى هل كانت تجارب ناجحة أم فاشلة على الصّعيد السّياسي؟ ساخراً من انتباه بعض قائدي تلك الحركات واعترافهم متأخرين «بخطأ الطريق الذي سلكوه وسوء الخيار الذي أخذوا به».

الشيخ الصفار وفّر في خطبته العديد من الأمثلة عن الدول التي تضرّرت من مثل هذا السلوك، كأفغانستان والصومال والعراق وسوريا وليبيا وتساءل «هل يتمنّى عاقل مثل هذه النتائج الفظيعة لبلده»؟ واختصر نتائج حركات العنف بالقول إنّها «لم تحقق مكسبًا يوازي الخسائر التي لحقت بها وبأوطانها ومجتمعاتها»، واصفًا هذه الأعمال بالانتحار السّياسي ومتّهمًا القائمين بها بأنّهم ألحقوا بأنفسهم وبأوطانهم ومجتمعاتهم أفدح الخسائر والأضرار، وشارحًا بأنّ عنف هذه الحركات تقابله إجراءات من قبل الدولة كوضع حواجز التفتيش والمطاردات والاعتقال وإصدار الأحكام بالسجن لسنين طويلة والإعدام، منبّهًا إلى أنّ «كلّ هذا يدخل المجتمع في دوّامة العنف ويصيب شرره المواطنين الأبرياء فتضيع مكاسب الأوطان».

الشيخ الصفار خلص إلى القول بأنّ «أيّ معارضة تحمل السّلاح وتمارس العنف تفقد القبول والتأييد من الرأي العام العالمي والمحلي، ومن خارج مجتمعها وداخله، حتى وإن كانت القضية التي تحملها عادلة مشروعة، وأنّها تعين على نفسها وتعطي الفرصة للنظام الذي تعارضه بمحاصرتها والعمل على استئصالها»، وأكّد

أن «منهجية العمل السّلمي لتحقيق الأهداف السياسية ونيل المطالب الحقوقية هي المنهجية الأفضل والأسلم عقلًا وشرعًا، حتى وإن استلزمت وقتًا أطول، وكلّفت خسائر وتضحيات، لكنّ خسائرها لا تقاس بالخسائر الجسيمة لتوجّهات العنف على ممارسيه وعلى المجتمع والوطن».

ولم يَنْسَ الشيخ حسن الصفار التنبيه إلى أنّ هذه الممارسات تفتح الباب على مصراعيه أمام التدخلات الأجنبية «فيصبح الوطن ساحة للصّراع والنفوذ الدولي والإقليمي على حساب سيادته واستقلاله ومصالحه التنموية»، خاتماً خطبته بالقول بأنّ «هذا ليس مجرّد تحليل أو افتراض، بل هو واقع يتجسّد أمامنا في عدد من الدول المحيطة بنا»، وأنه «صحيح أنّ العنف يزعج أيّ سلطة ونظام، وقد يحقّق مكسبًا إعلاميًّا آنيًّا، لكن ذلك لا يساوي ولا يوازي كلفته من الأثمان الباهظة، والخسائر الفادحة»، وكذلك قوله «لا نريد لمجتمعنا أن يخسر المكاسب وتتشوّه سمعته ببعض الممارسات العنفية الإرهابية التي قد يقوم بها أفراد ضلّوا الطريق ولعب بعقولهم الشيطان»، معلّقًا بذلك على حادث اعتداء على رجلي أمن شهدته القطيف مؤخّرًا.

الشيخ الصفار: هناك فئات متمصلحة من نشوء تيار التزمت الديني في الأمة*

- **ويقول إن التيارات المتزمتة تعتاش على الروايات المختلقة والأحلام والقصص.**
- **ويضيف أن المتزمتين ركنوا الاهتمامات الكبرى للدين جانبًا واستعاضوا عنها بالمظاهر الدينية.**
- **ويقول إن التيارات المتزمتة توسعت في رقعة التحريم حتى بات الناس محاصرين بالمحرمات من كل جانب.**

أرجع سماحة الشيخ حسن الصفار نشوء حالة التزمت الديني في الأمة الإسلامية إلى وجود فئات متطرفة ربطت مصالحها المادية والاجتماعية بانتشار الطقوس الدينية المغالية فذهبت بعيدًا في هذا المنحى.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١٧ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ١٦ ديسمبر ٢٠١٦م، في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وبمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف دعا الشيخ الصفار إلى اليسر في الدين والنهي عن الغلو، في سبيل الحد من تصاعد حالات التطرف والتزمت والإعراض عن إعمار الحياة في العصر الراهن.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٦ / ١٢ / ٢٠١٦م

وأضاف القول «إن هذه الفئات المتزمتة تعتاش على الروايات المختلقة فإن أعيتهم لجأوا إلى الاستعانة بالأحلام والأطياف والقصص».

وأضاف سماحته أن من أبرز أسباب نشوء حالة التزمت الديني غياب الاهتمامات الكبرى في حياة الناس لتحل محلها الجزئيات التفصيلية.

وأوضح أن من أعظم الأهداف والاهتمامات الكبرى للدين؛ تحقيق العدل وعمارة الأرض والبحث في أسرار الكون وسيادة شرعة حقوق الإنسان.

ومضى يقول أن التيارات المتزمتة ركنت جميع هذه الإهتمامات الكبرى جانبًا لتستعيض عنها بالإستغراق في المظاهر الدينية على نحو مبالغ فيه.

وقال سماحته إن التيارات المتزمتة ذهبت بعيدًا في المبالغة في الشعائر والعبادات على نحو جعل منها قيدًا واستهلاكًا لحياة الإنسان على خلاف نهي النبي عن التشدد في العبادة.

وأضاف بأن النبي كان حريصًا على أن يجنب الإسلام ما واجه الأديان الأخرى «من تحول الدين إلى حالة من التزمت والتشدد والمبالغة والعنت في حياة الإنسان».

وقال سماحته أن النبي محمد إنما جاء ليحرر الإنسان ويطلق العنان للعقل وحرية التفكير والعمل «من أجل أن يحقق إنسانيته».

وأضاف بأن الدين جاء للتوجيه والترشيد لا ليكون أسرًا ولا تقييدًا لحرية الإنسان ومنع حركته وانطلاقته كما في الآية الكريمة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

وتابع بأن الدين «ما جاء ليكتم أنفاس الإنسان ويضيق عليه حياته».

ومضى سماحته في القول أنه على النقيض من ذلك برز في أوساط المسلمين تيار متزمت يدعو للتشدد الديني والغلو والمبالغة.

وأوضح بأن هذا التيار «هو ما أقعد بالمسلمين عن تحقيق أهداف دينهم وتطلعاتهم الحضارية».

وقال سماحته إن السبب الثالث لبروز التيارات المتزمتة هي المزايدة في الدين بزعم الحفاظ على الهوية خاصة في أجواء الصراعات.

وقال إن أبرز ما يميز هذه التيارات هو الاستغراق في الجزئيات العقدية والمسائل النظرية ويرتب على ذلك مواقف تشتت صفوف الأمة.

وأضاف بأن هذه التيارات توسعت كثيرًا في رقعة التحريم أخذًا بقاعدة سد باب الذرائع على اطلاقاتها «حتى بات الناس محاصرين بالمحرمات من كل جانب».

وتناول في السياق قول أحد الباحثين الذي رصد الذنوب التي عدتها الشريعة من الكبائر وقدّرها بثلاثة عشر كبيرة فقط في سنة ٣٠١ هجرية في حين بلغ عددها في القرن الثامن ١٧١ كبيرة ليتصاعد العدد في القرن العاشر إلى ٤٦٦ كبيرة.

بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف

الشيخ الصفار يرجع قسوة الصّراعات بين المتدينين إلى استخدام الدين سلاحًا في معاركهم*

- **ويقول إنّ المتدينين المتطرفين باتوا يتفنّنون في استثارة بعضهم بعضًا.**
- **ويتساءل: هل تكون فرحة الزهراء بتمزيق الأمّة؟**
- **ويحذّر من المبالغة في استفزاز الآخرين وصبّ الزيت على نار الفتنة.**

أعرب سماحة الشيخ حسن الصفار عن الأسف حيال المجتمعات المتديّنة «التي باتت الصّراعات داخلها أشدّ وأقسى منها في المجتمعات الأخرى» مرجعًا سبب ذلك إلى التغطي خلف غطاء الدين والمبرّرات الشرعية. واستخدام الدين سلاحًا في معاركهم البينية.

وقال سماحته في خطاب ألقاه مساء الخميس ١٦ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ١٥ ديسمبر ٢٠١٦م في احتفال بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف في مسجد الرسالة في القطيف: إنّ بعض المجتمعات المتدينة أصبحت مثلًا سيّئًا للتنافر، بدلًا من أن تكون نموذجًا للتقارب والتآلف والمحبّة.

ومضى يقول: إنّ المتدينين المتطرفين في داخل الأمة باتوا يتفننون في استثارة بعضهم بعضًا «فكلّ جهة تبحث عمّا يغيظ الجهة الأخرى» ومن ذلك تمثيل بعضهم مشاهد بشعة في الاحتفال بفرحة الزهراء بزعمهم.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٨ / ١٢ / ٢٠١٦م.

وتساءل سماحته: «وهل تفرح الزهراء بتفريق أمّة أبيها.. والتحريض على شيعتها».

وأضاف: إنّ هذه الممارسات السّيئة تأتي على خلاف تعاليم أهل البيت، التي جاء فيها «حبّبونا إلى الناس وحبّبوا الناس إلينا»، و «رحم الله من اجترّ مودّة الناس إلى نفسه وإلينا».

وحذّر الشيخ الصفار من هذه الممارسات التي اعتبرها مبالغة في استفزاز الآخرين، وتصبّ الزيت على نار الفتنة «وكأنّه لا ينقص الأمة والمنطقة شيء إلّا مثل هذه المشاهد والأعمال السيئة».

ومضى يقول إنّ التشريعات والقيم الدينية تؤكّد تأكيدًا مشدّدًا على العلاقات السليمة بين الناس، التي تُحترم فيها الحقوق المتبادلة بينهم في أيّ مستوًى أو مرتبة كانوا.

وقال سماحته: إنّه على غرار الأفراد يمكن للمجتمعات أيضًا أن تعكس صورة بشعة ومنفرة عن الإسلام، كما يفعل المتطرفون الإرهابيون، باستهدافهم الأبرياء بعمليات التفجير، وسفك الدماء، وترويع الآمنين.

الشريعة ترفض العنصرية

وأرجع الشيخ الصفار أسباب التباعد بين البشر، إلى أسباب نفسية، ومنها تضخم غريزة حبّ الذات، التي تقود إلى مواقف عدوانية تنفّر الناس عن بعضهم، وأسباب فكرية، متمثلة في الثقافة العنصرية، التي توهم بالتفوق على الآخرين، من أعراق وطوائف وقوميات.

وأضاف سماحته القول: «حينما يعيش الإنسان حالة التعالي على الآخرين، ويرى نفسه أفضل ممن هم حوله، هنا تصبح أرضية التنافر قائمة، وتغيب الألفة والوئام والانسجام».

وتابع: إنّ من أسباب التباعد أيضًا اختلال البيئة الاجتماعية، التي تقود إلى التنافر

والعداء والكراهية، بدءًا من العيش في أسـرة مفككة، ووصولًا إلى العيش تحت نظام يمارس سياسات الفرقة والتباعد والنفور.

وقـال: إنّ الرسـالات السـماوية انبرت إلى تشـذيب الغرائـز البشـرية، والحدّ من تضخّمها، وإعادة الإنسان إلى الحالة السوية.

ورأى أنّ النبـي محمدًا ﷺ اسـتطاع أن يؤلّف بين قلوب الناس، من خلال معالجة المشاكل النفسية، وإصلاح الفكر، وتصويب القوانين والأنظمة السّائدة في المجتمع.

شخصيّات دينيّة واجتماعيّة تدعو لنبذ الأفكار والثقافات التي تعزّز الاختلاف والعنصرية*

علي آل ثاني

دعت شخصيات دينيّة واجتماعيّة إلى ضرورة التعايش المجتمعي الذي يصبّ ضمن أطرٍ إسلامية تربوية منبثقة من قيم ومبادئ النبي والأئمة الأطهار، والذي يقوم على الألفة والمحبّة بين أفراد المجتمع، ونبذ عن الأفكار والثقافات التي تعزّز الاختلاف والعنصرية.

جاء ذلك خلال إحياء مسجد الرسالة بمحافظة القطيف ذكرى مولد النبي الأكرم محمد ﷺ مساء يوم الخميس، وتحت عنوان «رسول الله يوحّدنا».

وتعدّدت خلال الأمسية الفقرات الثقافيّة والدينيّة بمشاركة نخبة من رجال الدين والكتاب والمنشدين، قدّمها هاني الدار استهلّت بآيات من الذكر الحكيم للقارئ الدولي بدر الحجي.

وأكّد الكاتب بدر الشبيب على ضرورة الاعتصام بهدي الله وكتابه وما بثّ فيهما من منهج وحدة الأمة.

وقال إنّ الدين جاء لرفع الاختلاف، حيث كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، ومن هنا كان تركيز الخطاب القرآني الذي بلّغه المصطفى محمد ﷺ

* نشر على موقع جهينة الإخبارية ١٨ / ١٢ / ٢٠١٦م.

شديدًا على الدعوة للاجتماع ونبذ الفرقة.

وأضاف: «نعم رسول الله يوحّدنا ولكن بشرطها وشروطها، ولعلّ من أهمّ الشروط الأرضية الصالحة للوحدة بنشر ثقافة الوحدة القرآنية والنبوية ونبذ الفرقة والكراهية».

وحثّ الشيخ حسين المصطفى على مبدأ التسامح والتعايش بين أطياف الأمة الواحدة التي جاء بها النبي محمد ﷺ منذ قدومه مهاجرًا إلى المدينة المنورة، ووضعه بنوداً أساسية في الوثيقة النبوية التي ركزت على الأمن الاجتماعي والتعايش السلمي بين الجميع وضمان حرية الاعتقاد والتعبّد لكافة الطوائف.

وقال إنّ «هذا إعلان صريح للوحدة الوطنية بين أفراد وطوائف المجتمع، مع التركيز على ترسيخ مبدأ المسؤولية الفردية».

وتضمن الحفل تقديم قصائد شعرية ولائية، منها إلقاء الشاعر ياسر آل غريب قصيدة «رسالة مسك»، وأنشدت فرقة سيّد الشهداء أوبريت بعنوان «طفل عليين».

وشدّد الشيخ حسن الصفار على أهمية إشاعة روح الألفة والمحبّة بين أبناء المجتمع، متأسّفًا على الحالة التي وصل لها المجتمع من حالة التنافر والتباعد.

وذكر عددًا من الأسباب، أولها: السبب النفسي وتضخّم الغرائز الإنسانية وعلى رأسها غريزة حبّ الذات، وسيطرة الثقافات والعنصرية وتسرّبها بحيث يشعر الفرد أنه أفضل من غيره، بالإضافة إلى الخلل في العلاقات الاجتماعية التي تسبب العداء والكراهية بين الأفراد.

وأكّد على دور الرسالات الإلهية التي تعيد الإنسان إلى حالته السّوية وتعالج هذه الأسباب السّالفة الذكر، وفق التشريعات والقيم الدينية، وتدعو للعلاقات السليمة التي تعظم الحقوق بين الإنسان وأبناء مجتمعه.

واستشهد بالدور الرسالي الذي بذله النبي ﷺ واستطاعته في إنهاء حالة النزاع وإشاعة الألفة والمحبّة بين قلوب الناس.

وتأسّف على الممارسات التي تدعو إلى التنافر بين التجمعات الدينية، واتخاذها الدين كغطاء لتعطي نفسها مبرّرات دينية من خلال الفهم الخطأ للدين، وإجازة التعامل مع المؤمنين بالهجران والحقد والكراهية بسبب تضارب المصالح، وأصبح التلاقي شكليًّا.

وطالب الشيخ الصفار: ونحن نحتفل بميلاد الرسول ﷺ علينا أن نضع مبادئه وتعاليمه نُصبَ أعيننا، وأن ندخل السّرور والفرح عليه وعلى أهل بيته بتطبيق هذه المبادئ والتعاليم.

وصاحب الحفل فعاليات معرض الكتاب، حيث شاركت المكتبة القطيفية للباحث عباس الشبركة بمعرض للكتاب القطيفي، بعرض مؤلفات عن السيرة النبوية لكتاب قطيفين، وكذلك جماعة الخط العربي بمعرض للمخطوطات الإسلامية.

يوحدنا
محمد رسول الله
كل عام وانتم بخير

أطياف للنشر والتوزيع

الشيخ الصفار يدعو إلى الانطلاق من المشتركات بين اتباع الديانات والمذاهب*

- **ويقول إن هناك مساحة من الاتفاق بين المسيحية والإسلام وهي بين السُنة والشيعة أكبر من مساحة الاختلاف.**
- **ويضيف إن العقلاء يبحثون عن مناطق الاشتراك فيما يركز الحمقى على مناطق الاختلاف.**
- **ويقول أن «معركة الوعي» هي بين منهج الحوار في المشتركات ومنهج الجدل في الخلافات.**

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى الانطلاق من القواسم المشتركة في العلاقة بين اتباع الديانات والمذاهب بعيدا عن سيطرة الجهل والانفعالات الناتجة عن التجاذبات السياسية.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٤ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ٢٣ ديسمبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية، حيث تحدث عن ذكرى ميلاد السيد المسيح الذي يحتفل به المسيحيون والعالم.

وقال الشيخ الصفار ان هناك مساحة من الاتفاق بين المسيحية والإسلام وفي الداخل الإسلامي بين السُنة والشيعة «هي اوسع وأكبر» من مساحة الاختلاف بين الفريقين.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ٢٠١٦م

ورأى سماحته ان الظروف باتت ملائمة اكثر لتطوير العلاقات بين المسلمين والمسيحيين نتيجة تجاوز الطرفين تأثيرات عصر الفتوحات الاسلامية وحقبة الاستعمار والتبشير المسيحي.

وأضاف بأن المجتمعات المسيحية احتضنت جاليات اسلامية كبيرة، وساد الانفتاح أجواء كثير من الاوساط الاسلامية تجاه الكنيسة المسيحية.

وأرجع التوترات بين المسيحيين والمسلمين في الوقت الراهن إلى العامل الصهيوني والحركات الارهابية المتطرفة على حد سواء، معتبرا العامل الأخير هو الاخطر.

وتابع الشيخ الصفار أمام حشد من المصلين بأن هذه الحركات المتطرفة المنبثقة في الوسط الإسلامي راحت تستهدف الأبرياء في مختلف أنحاء العالم لاعتبارات دينية متطرفة.

واستعرض في السياق سلسلة من الاعتداءات الإرهابية الأخيرة التي طالت الكنائس ورجال الدين والمصلين والمتسوقين وراح ضحيتها العشرات في فرنسا ومصر وألمانيا.

وقال سماحته «لقد اصبح للإرهابيين موسمان اساسيان لاستهداف الابرياء تحت عنوان ديني؛ موسم عاشوراء وموسم أعياد ميلاد المسيح».

وأضاف بأن ذلك ترك أجواءً غير ايجابية تجاه المسلمين وقاد إلى صعود وتزايد شعبية الأحزاب اليمينية المناوئة للوجود الإسلامي في الغرب.

المنهج العقلاني

وقال الشيخ الصفار ان القرآن الكريم يضع منهجا عقلانيا صالحا لتنظيم العلاقة بين البشر كأفراد وجماعات من مختلف الديانات والمذاهب وهو المنهج القائم على البحث عن المشتركات بين الأطراف المختلفة ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾.

وأوضح سماحته بأن العقلاء يبحثون دائما عن مناطق الاشتراك والانطلاق منها في العلاقة مع الآخر، فيما يركز الجهلاء والحمقى باستمرار على مناطق الاختلاف مع الآخرين.

وتابع انه وبصرف النظر عن التفاصيل فإن نقاط الاتفاق بين المسيحيين والمسلمين كثيرة، من أهمها الإيمان بالله واليوم الآخر والأنبياء والرسل وكرامة الإنسان وأهمية البعد الروحي والأخلاق والعفة وقدسية الأسرة.

وأضاف الشيخ الصفار ان هناك حاجة لتفعيل ذات المنهج العقلاني في العلاقات المذهبية بين السنة والشيعة خاصة في ظل الاجواء المشحونة التي تعيشها المنطقة.

وتابع انه برغم التباين إلا ان مساحة الاتفاق بين السنة والشيعة أكبر من مساحة الاختلاف خاصة في اصول العقيدة من التوحيد والنبوة والمعاد ومرجعية الكتاب والسنة والفرائض العبادية وأصول المعاملات والقضاء اضافة إلى التحديات والأخطار.

وقال سماحته ان منشأ المشكلة هو التركيز على المسائل الفرعية المختلف بشأنها ليغدو حينها التعايش متعذرا عوضا عن التركيز على نقاط الاشتراك الكثيرة بين الفريقين.

وشدد بأن «معركة الوعي» في الأمة متركزة اليوم بين منهجين ينطلق أحدهما من ضرورة الحوار في المشتركات ونقاط الاتفاق، فيما ينزع الآخر الى الانطلاق من أرضية الجدل والنزاع.

وقال ان الواعين المخلصين يدركون جيدا أهمية التركيز على مواقع الاتفاق مع قبول التعددية في الآراء في مواضع الاختلاف.

وفي السياق نعى الشيخ الصفار أحد أبرز علماء الدين الذين حملوا هم الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية وهو آية الله الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني

الذي توفي في مشهد يوم الاحد الماضي.

وأضاف بأن الراحل الخراساني كان في طليعة العلماء الوحدويين «ليس على مستوى الدعوة والشعار فقط بل على مستوى المقاربة الفكرية العقدية والتأصيل الشرعي الفقهي».

مؤبنًا الشيخ واعظ زاده الخراساني

الشيخ الصفار: خدم القرآن وحمل همّ الوحدة والتقريب*

وصف الشيخ حسن الصفار شخصيّة الفقيه الراحل الأستاذ الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني بأنه كان صادقًا مخلصًا في تبنّيه لمشروع وحدة الأمة والتقريب بين المذاهب الإسلامية، وأنه كان ينطلق من وعي عميق بمبادئ الدين ومقاصده، ورؤية واضحة للتحديات التي تواجه الإسلام والأمة.

جاء ذلك في حديث للشيخ الصفار ضمن الندوة الأسبوعية بمجلسه في القطيف مساء الخميس ليلة الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦م، التي خصّصها لتأبين الشيخ واعظ زاده الخراساني الذي توفي يوم الأحد ١٨ ربيع الأول ١٤٣٨هـ في مدينة مشهد بإيران.

حيث سلّط الأضواء على حياته متناولًا نشأته العلمية واهتمامه العميق بقضية الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وأشار الشيخ الصفار إلى انتهال الشيخ «رحمه الله» من مدرسة السيد البروجردي (ت/ ١٣٨٠هـ) المرجع الأعلى وزعيم حوزة قم العلمية في عصره، حيث لازم درسه أكثر من عشر سنوات، وساعده في تأليف موسوعته الحديثية (جامع أحاديث الشيعية) في ٢٦ مجلّدًا، وكذلك تنظيم طبقات الرواة ضمن لجنة تشكلت لهذه المهام.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ٢٠١٦م.

وقال: إنّ الشيخ واعظ زاده الخراساني الذي توفي يوم الأحد الماضي تفاعل كثيرًا مع منهج أستاذه السيد البروجردي في دقة التعاطي مع الأحاديث والروايات الواردة في مختلف المصادر السنية والشيعية، والاهتمام بدراسة أحوال الرواة وتنظيم طبقاتهم، وفي الحرص على الاطّلاع على فتاوى وآراء مذاهب أهل السنة، كطريق لمعرفة مرامي ومعاني روايات أهل البيت عليهم السلام.

وأضاف: كما أخذ من أستاذه البروجردي توجّهات الوحدة والتقريب، ونذر حياته لخدمة هذه التوجّهات متجاوزًا الطرح الشّعاراتي إلى المقاربة الفكرية والفقهية، حيث تبنّى آراء متقدّمة على هذا الصّعيد، ناقدًا المبالغة والتضخيم في الفروقات العقدية والفقهية بين المذاهب الإسلامية، مؤكّدًا على المساحة الأوسع للاشتراك والاتفاق.

وتابع: إنّ الشيخ واعظ زاده كان يؤمن بالوحدة والتقريب كمبدأ لا تصحّ المساومة عليه، ولا التراجع عنه، فكما لا يمكن التساهل في مبدأ توحيد الله تعالى، كذلك لا يمكن التساهل في مبدأ وحدة الأمة، فهما مبدآن متلازمان حسب إيمانه ورؤيته.

وأبان سماحته: إنّ الفقيد الراحل كتب عدة مؤلفات حول موضوع الوحدة والتقريب، كما كان ذلك مادة حديثه في كلّ المجالس والملتقيات العلمية التي شارك فيها، وحين تأسّس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران كان أمينه العام لسنين عديدة.

كما تناول الشيخ الصفار جهود الشيخ واعظ زاده في خدمة القرآن الكريم، حيث أدار قسم القرآن التابع لمجمع البحوث الإسلامية في مشهد، وأشرف على إصدار أهمّ إنجاز علمي في التاريخ الإسلامي في مجال فقه لغة القرآن، بعنوان (المعجم في فقه لغة القرآن وسرّ بلاغته).

وأضاف: هذا المعجم يتناول ألفاظ القرآن، من حيث اشتقاق كلّ لفظ ومعناه ومضمونه البلاغي، واستخداماته في جميع الآيات القرآنية، مع نقل كلّ النصوص اللغوية والتفسيرية.

وأبان سماحته: أنّ هذا المعجم طبع منه أكثر من ثلاثين مجلّدًا ضخمًا، وما يزال العمل جاريًا في إكمال المشروع، الذي يقدّر له أن يصل إلى أكثر من خمسين مجلّدًا.

وأوضح: أنّ الشيخ الخراساني صرف جلّ وقته واهتمامه إلى ما قبل وفاته بأيام في البحث والتدقيق والمتابعة لخدمة هذا المشروع القرآني العظيم.

وطالب الشيخ الصفار الحوزات العلمية والأوساط الدينية، بالاحتفاء بشخصية هذا العالم الرّباني، وتقدير الجهود الواعية التي بذلها في خدمة القرآن الكريم، وفي سبيل وحدة الأمة.

كما دعا سماحته إلى نشر الأفكار والآراء الوحدوية التي بشّر بها الراحل، لحاجة الأمة إليها، في مواجهة أمواج الفتن الطائفية، وتيّارات التعصّب المذهبي.

وتقدّم الشيخ الصفار لأسرة الفقيد وذويه ومحبّيه بأحرّ التعازي، سائلًا الله تعالى أن يتغمّده بواسع رحمته وأن يلحقه بالنبي وآله الطاهرين.

الشيخ الصفار يحيي المولد النبوي الشريف مع جماعة الصّم والبكم*

أحيا الشيخ حسن الصفار ذكرى المولد النبوي الشريف مساء يوم السبت ليلة الأحد ١٨ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ١٨ / ١٢ / ٢٠١٦م مع مجموعة من ذوي الاحتياجات الخاصة (الصم والبكم)، حيث لبّى دعوتهم، وتحدّث إليهم عبر مترجم بلغة الإشارة هو فضيلة السيد نجيب العلي.

وقد أقيم الاحتفال في حسينية الإمام الصادق بأمّ الحمام، وحضره جمع من شريحة الصّم والبكم من منطقة القطيف والدمام.

وبعد أن افتتح الحفل السيّد نجيب العلي، ألقى الشيخ الصفار كلمته حول أخلاق رسول الله، انطلاقًا من إشادة الله سبحانه وتعالى بها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وتحدّث عن أهمية الأخلاق في حياة الإنسان، وأنّها «تجلب له راحة النفس، وتكسبه محبّة الناس، وتهيئ له أسباب النجاح، وتقرّبه من الله سبحانه».

وأوضح مدى تأثير أخلاق رسول الله ﷺ في جذب الناس لدعوته، وإيمانهم برسالته، مستشهدًا بعدد من المواقف والقصص التي سجّلتها السيرة النبوية الشريفة.

وأعرب الشيخ الصفار عن سروره وسعادته بالمشاركة في نشاط مجموعة الصّم

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ٢٠١٦م.

والبكـم، مبديًا اسـتعداده للوقوف معهم، في تلبية احتياجاتهـم، لتوفير الأجواء الدينية والثقافية التي تحقّق تواصلهم مع المجتمع، وانفتاحهم على المعارف الدينية.

وفي ختام الحفل كرّم الشيخ الصفار مجموعة منهم توفقوا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في ذكرى الأربعين، وقد تحدّث أحدهم بلغة الإشـارة عـن انطباعاته عن زيارة كربلاء بأسلوب مؤثّر حرّك مشاعر الحاضرين.

الطرح الهادئ والكلمة السّمحة.. الشيخ حسن الصفار نموذجًا*

مهدي المحاري

سماحة الشيخ حسن الصفار من النماذج الجميلة التي تشرّفت بقراءة مقالاتهم في مقتبل شبابي وذلك في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي وذلك في مجلة «صوت الخليج» الكويتية التي كان يمتلكها ويرأس تحريرها «أبناء خريبط» وكان يزامله ويشاركه في الكتابة فيها السيد محمد تقي المدرسي والسيد هادي المدرسي «حفظهما الله تعالى».

وقتذاك كُنّا أنظف مما نحنُ عليه اليوم...فما كان يعنينا إلى أيّ تيّارٍ ينتموا ولا أيّ مرجع يقلّدوا، الذي يهمّنا ماذا يقدّموا ويعرضوا

بل كنت وقتها حقًّا ما كنتُ أعرف.. ولم أفكر في أن أعرف.....

التقيته أول مرة في بيروت في يوم مشاركتنا بتشييع السيد فضل الله (رضوان الله عليه) وقد زرناه وبمعية الأخ الغالي «أبي نبيل» وفي وقت متأخّر من الليل وقد استقبلنا بابتسامته الهادئة وبأدبه الجمّ.. وقد سمعت على لسانه إطراءً لـ «فضل الله» لم أسمعه من غيره.

من العلماء العقلانيين الذين يملكون الطرح الهادئ والكلمة السّمحة الجاذبة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٩ / ١٢ / ٢٠١٦م.

المُوحدة التي تحتاجها الأمة..

رجلٌ رسالـيّ بحقّ ..منهجه الاعتدال وأسلوبه الحوار والعمل على تقارب أبناء الأمة.. ويملك الجرأة والثقة والمقدرة في أن يواجههم متى تطلّب الأمر حتى لو في عقر دارهم.. لا ليستفزّهم أو لينفّرهم بل ليقرّبهم .. ويفهمونه ويفهمهم وحينما يجادلهم.. يجادلهم بالتي هي أحسن ومن باب....

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾

﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

ومن باب....

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾

﴿أَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

وما يقوم به سماحة الشيخ حسن الصفار «حفظه الله» هو خطّ القرآن، وخطّ أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام في تعاملهم مع المسلمين المختلفين معهم أو غير المسلمين

وهو اللفظ الحسن.. والكلام الحسن ..والتعامل الحسن

هذا هو الأسلوب القويم في تكوين المجتمع السليم

أما اللعن والسب فلا يخلق إلّا المجتمع السقيم.

مع محبّتي ودعائي.

الشيخ الصفار يشدد على مبدأ المسؤولية الفردية في أفعال البشر*

- **ويقول إن مبدأ المسؤولية الفردية هدفه تعزيز الاستقلالية في شخصية الإنسان.**
- **ويدعو إلى النأي عن النزعة الجاهلية في تحميل الناس المسئولية عن خطأ فرد منهم.**
- **ويقول إنه لا ينبغي أخذ الروايات حول تأثير الوراثة والتربية على الأفراد على اطلاقها.**

شدد سماحة الشيخ حسن الصفار على مبدأ المسئولية الفردية في أفعال البشر حيال خالقهم أو الآخرين معتبرا ذلك مبدأ قرآنيًا غرضه تعزيز الاستقلالية في شخصية الإنسان.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد على مبدأ المسؤولية الفردية هدفها تعزيز الاستقلالية في شخصية الإنسان، فلا يقع تحت تأثير هذه الجهة أو تلك فيما يخالف الضمير والقيم الدينية.

وقال سماحته إن الإنسان بمفرده هو من سيدفع ثمن ارتكاباته فيما لو جاءت

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣٠ / ١٢ / ٢٠١٦م

استجابة لرغبة أحد آخر يحبه أو يحترمه كائنا من كان سواءً أبًا أو أمًا أو زوجة أو شيخًا أو جماعةً أو حزبًا.

ومضى يقول إن من يستجيب لمن يدعوه لعمل سيئ تحت مبررات مختلفة سيجد نفسه بمواجهة عمله السيئ وقد تبرأ المحرضون منه في يوم الحساب.

وأضاف القول «لا ينبغي أن يدفعك التجاوب مع أحد للانزلاق إلى الذنب والخطأ حيث لا أحد يفيدك يوم القيامة».

نزعة جاهلية

في مقابل ذلك دعا الشيخ الصفار إلى النأي عن النزعة الجاهلية في تحميل فئة كبيرة من الناس المسؤولية عن خطأ فردي قد يكون ارتكبه أحدهم.

وحثّ سماحته على عدم مؤاخذة أحد بما فعل غيره «فلا يؤاخذ البريء بجرم المذنب.. هذا ما تلتزم به القوانين العادلة».

وشدد أمام حشد من المصلين على رفض الإسلام مسلك العقوبات الجماعية على الناس واصفًا ذلك بالسلوك الجاهلي.

وعلى الصعيد الاجتماعي قال الشيخ الصفار إن ذلك ينسحب على الخلافات العائلية التي يتاورثها ويدفع ثمنها أحيانًا أولاد المتخاصمين وهم لا ذنب لهم فيها ولا صلة لهم بها.

وانتقد سماحته في السياق تحميل البنات وزر بعض ذويهن وجعل ذلك عقبة أمام التقدم لخطبتهن وطلب الزواج منهن. قائلًا إن ذلك ينسحب على بعض الشباب أيضًا إزاء عرقلة الموافقة على تزويجهم لذات السبب.

وأوضح الشيخ الصفار أنه لا ينبغي أخذ الروايات حول تأثير الوراثة على الأفراد على إطلاقها وإنما يقيم الأفراد كل على حده.

وتابـع ان الوراثـة والتربية عاملان مؤثران لكنهما ليسـا حتميين. مشـيرًا إلى وجود أمثلـة كثيـرة على خروج منحرفين من بيئات صالحة كبيـوت الأنبياء والأئمة في مقابل خروج صلحاء من بيئات منحرفة.

وانطلاقًا من المسؤولية الفردية أيضًا قال سماحته إن الإنسان المؤمن معني بهداية الآخريـن والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكـر لكن ليس عليه اتخاذ موقف متشـنج تجاه عدم استجابتهم له فهم المسؤولون عن أعمالهم في نهاية المطاف.

خلال ندوة الجمعة الأسبوعية في مجلس سماحته

الشيخ الصفار: الناس بحاجة إلى الأحكام التي تيسّر حياتهم في هذا العصر*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ الناس في هذه المرحلة المهمة من الحياة بحاجة للأخذ بالأحكام الشرعية التي تسهّل عليهم واقعهم المعيش.

وأضاف: إننا نعيش في بيئة مفتوحة، والضغوط تتكالب على الإنسان المسلم من كلّ الاتجاهات، وهذا ما يدعونا أن ننحوَ نحو التيسير والتسهيل على الناس؛ حتى يعيشوا منسجمين مع ذواتهم لا يشعرون بوخز ضمير أو تجرٍّ على الدين بسبب الأحكام المتشددة.

جاء ذلك خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الجمعة ٣٠ ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ٣٠ ديسمبر ٢٠١٦. وجاءت تحت عنوان: «الالتزام الديني بين التشدّد والتمييع».

وأكّد سماحته أنّ تمييع الالتزام بالأحكام الشرعية خطأ كبير ولا يجوز، وهو لا يقتصر على الأحكام الدينية، بل ويشمل القوانين العامة. لكنه أشار إلى أنّ الالتزام بالدين ينبغي أن يكون كما يأمر الدين، والدين لم يأمر بالتشدّد، بل بالعكس من ذلك، فهو ينهى عن التشدّد، ويأمر باليسر كما يقول تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٤ / ١ / ٢٠١٧م.

مضيفًا أنّ التشدّد في الالتزام الديني خارج المنهج الديني، وخارج أحكام الدين أمر غير صحيح.

وعن انعكاس شخصية الفقيه في موضوع إصدار الفتوى نحو التيسير أو التشدّد أوضح الشيخ الصفار: أنّ الفقهاء جزءٌ من البيئة التي يعيشون فيها، لذلك هم يتأثّرون بها، وبمستواهم العلمي، سواء كان على صعيد العلم بالأدلة أو كان بتشخيص الموضوعات.

وتابع القول: لذلك نجد بعض الفقهاء تنحوا فتاواهم نحو التشدّد، والبعض الآخر فتاواهم نحو التيسير والتسهيل، وهذا راجع لعدة أسباب منها الاختلاف في المباني، واختلاف البيئات، فالفقيه الذي يعيش في بيئة يرى فيها المشاكل والضغوط والحرج على الناس تتأثر آراؤه الفقهية.

مستشهدًا بما نُقل في حياة المرجع الراحل السيد محسن الحكيم أنّه كان لا يرى طهارة أهل الكتاب، ولكن عندما سافر إلى لبنان للعلاج وعاش فترة من الزمن هناك، ورأى معاناة الناس أمام هذه المسالة، دفعه ذلك لدراسة الأدلة من جديد في هذه المسألة، وحكم بطهارة أهل الكتاب.

وفي موضوع الحرج الذي قد تسبّبه بعض المسائل الشرعية على المكلّفين، وهل يجوّز الشرع لهم التبعيض والرجوع لفقيه آخر؟. بيَّن سماحته أنّ هذا الموضوع يناقش من زاوية التقليد الذي هو قائم على أساس واجب تقليد الأعلم عند مشهور العلماء، وبناءً على ذلك فالمكلّف الذي يرجع لمرجع وله في المسألة رأي واضح، فيجب الالتزام بذلك، أما لو كان لديه احتياط وجوبي، أي ليس لدى الفقيه قطع في مسألة ما، فهنا بإمكان المكلّف تقليد فقيه آخر بناء على ذلك الاحتياط.

وتناول الشيخ الصفار علاقة الشباب مع الأحكام الشرعية بين من يرى التسهيل عليهم في بعض الأحكام وبين من يرى التشدّد في ذلك، مشيرًا إلى أنّ العلماء المنفتحون على الشباب في هذا العصر يميلون في الغالب إلى التسيير والتسهيل.

مشيرًا إلى أنّ هذا راجع إلى أنّ الدين يدعو إلى التيسير والتسهيل، وهذا ما ورد عن الرسول ﷺ قوله: «إنّ خير دينكم أيسره»، وعنه ﷺ: «أحبّ الدين إلى الله الحنيفية السّمحة»، وهذا ما يؤكّد عليه القرآن الكريم: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ».

وعلّق سماحته على وجهة النظر المقابلة التي تؤكّد على أهمية التشدّد في الأحكام الشرعية، حتى تكون نفسية الشّباب أقوى في الالتزام الديني، لافتًا إلى أنّ هذا الاحتمال قد يسبّب النفور ولو آجلًا عن الدين. وهذا ما يشير إليه النبي ﷺ حيث ورد عنه: «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق.. ولا تكرّهوا عبادة الله إلى عباد الله».

واستغرب الصفار التشدّد الكبير في موضوع أكل الطعام من سوق المسلمين، خصوصًا وأنّ سوق المسلمين محكوم عند كلّ الفقهاء بالإباحة والحلّية ما لم يعلم المكلف أنّ اللحم غير مذكّى فتبني على حليته وإباحته، وهذا ما يقوله الفقهاء بعدم وجوب السؤال والفحص.

مضيفاً أنّ البعض يتشدّد من خلال التأكيد على السؤال وأنه قد يسبب آثاراً واقعية على النفس، وهو منحى لا داعي له ويسبب حرجًا ومشاكل للناس.

وبيّن سماحته أنّ الالتزام في الاحتياط في مجال التطبيق ليس شيئًا ملزمًا، ولكن إذا ما أراد شخصٌ أن يلتزم فهو حرٌّ بذلك.

مضيفًا أنّ هناك مشكلة لدى بعض من يريد أن يحتاط، فيقوم بإعطاء عنوان شرعي بحرمة اللحوم من المطاعم وفقًا لما يراه هو، فيمنع الناس من هذا الأكل بحجة أنه حرام، وهذا افتراء لا يصحّ.

فحتى الفقهاء إذا كان الدليل غير واضح عندهم فهم لا يقولون بالحرمة، بل يقولون الأحوط لزومًا الاجتناب، فكيف يجيز البعض لأنفسهم أن يمنعوا للناس ويقولون إنّ هذا حرام؟

وتناول الشيخ الصفار قاعدة سدّ الذرائع المشهورة، مشيرًا إلى أنّ جمهور علماء

أهل السـنة يرون أنّ أيّ أمرٍ قد يقود للحرام هو حرام. أمّا علماء الشـيعة فيرون أنّ ما لا ينفـكّ عن الوقـوع في الحرام يكون حرامًا، أمّا مجرّد الاحتمـال في الوقوع في الحرام فهذا لا يكون حرامًا.

وفي معرض إجاباته، تناول الشـيخ الصفار ما يسـمّى الآثـار التي تكون على نفس الإنسـان بسبب الأكل الحرام واقعًا وإنْ كان حلالًا بحسب الظاهر، حيث أشار إلى أنّ الكثير من العلماء يناقشون في هذا الموضوع.

ومضى سـماحته في القول إنّ الشّـرع يقول إنّ الأصل الإباحـة والطهارة، فإذا كان الشرع يعلم أنّ هذا الأمر يضرّ الإنسان، فكيف يقول بجوازه؟

وختـم سـماحته بروايـة عن رسـول ﷺ حينمـا وقف في حجـة الوداع تبّيـن ما هو موجود من تيسـير وتسـهيل في الأحكام الشـرعية، فجعلوا يسـألونه ﷺ، «فقال رجل: لـم أشـعر فحلقت قبل أن أذبـح؟ قال ﷺ: اِذبـح ولا حرج، فجاء آخر فقال: لم أشـعر فنحرت قبل أن أرمي؟ قال ﷺ: اِرْم ولا حرج، فما سـئل يومئذٍ عن شـيءٍ قدّم ولا أخّر إلّا قـال اِفعل ولا حـرج». مؤكّدًا أنّ هذا المنهج هو المنهج العام الموجود في روايات أهل البيت عليهم السلام.

الصفار وآل محسن يعتزّان بمساندة المجتمع لحملة نعمات*

تضامنًا مع حملة نعمات التي أطلقتها جمعية سيهات للخدمات الاجتماعية وإيمانًا بالدور البطولي للمجتمع ومبادرتهم للتبرع لنعمات والكثير من أمثال نعمات، أثنى سماحة الشيخ حسن الصفار على المجتمع بقوله «ليس غريبًا على مجتمعنا الكريم أن يتجاوب مع هذه الدعوة الإنسانية المباركة للتبرع بالأعضاء، فذلك مصداق لقيمة الإيثار التي وصف الله تعالى بها عباده الصالحين ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وأكّد أنّ التبرع بالأعضاء يمثل الدرجة العليا من العطاء والإحسان، مضيفًا إنه هنيئًا لمن توفق لذلك.

وقدّم سماحته شكره للقائمين على حملة نعمات، مشيرًا إلى أنّ الدال على الخير كفاعله.

وفي نفس السّياق قال سماحة الشيخ علي آلِ محسن «إنّه من دواعي الفخر والاعتزاز أن أسمع أن ٣٥ شخصًا من أبناء منطقتنا على استعداد لبذل كلّ واحد منهم إحدى كليتيه قربة إلى الله تعالى، لتخفيف معاناة الذين يعانون من الفشل الكلوي ممن لا يعرفونهم ولا يمتون إليهم بصلة القرابة.

* نشر على موقع خليج سيهات ٧ / ١ / ٢٠١٧م.

وأضـاف: إننـي في الوقت الـذي أكبر هـؤلاء المتميزين الخمسـة والثلاثين جدًّا، وأعتـزّ بهم كثيـرًا، وأدعو اللـه لهم دائمًـا بالقبول والتوفيـق والتسـديد، وأن يعوّضهم عـن عملهـم الصالح هذا بسـعادة الدنيا والآخرة، فإنني لا أسـتغرب صدور أمثال هذه التضحيات التي تدعو للإعجاب والفخر من أبناء هذا المجتمع الذي نشـأ على العمل بالمُثُل الإسلامية الرائعة التي قلّ من يتخلّق بها في هذا الزمان.

الشيخ الصفار: الإمتحان الحقيقي للمتدينين يتجلى في إنصافهم الخصوم*

- **ويقول «ليس صادقًا من يعتدي على عباد الله مهما كانت عقيدته وعبادته».**
- **ويقول بأن مورد الفخر والتقوى ليس في التعامل مع من تحب وإنما في إنصاف من تكره.**

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار بشدة انزلاق بعض المتدينين إلى النيل من الآخرين وتشويه سمعتهم والتشكيك في نياتهم ونبزهم بأقذع الألفاظ لمجرد اختلاف نسبي في الرأي.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٨ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ٦ يناير ٢٠١٧م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن «الإمتحان الحقيقي» أمام المتديني يتجلى في انصافهم الخصوم والمنافسين ومن يكنون لهم الكراهية «فليس صادقا من يعتدي على عباد الله مهما كانت عقيدته».

وأسف إلى ترصد بعض المتدينين لخصومهم أو منافسيهم بالنبش عن عثرة هنا أو سقطة هناك ليشهروا بهم على رؤوس الأشهاد.

وأضاف أن غاية ما ينبغي عند الإختلاف أن يفصح المختلفون عن آرائهم المغايرة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧ / ١ / ٢٠١٧م

وكفى، دون اساءة أو استنقاص أو نيل من الآخرين.

وقال سماحته أمام حشد من المصلين أن التعامل مع عباد الله يكشف عن مدى صدق العلاقة مع الله.

وأضاف ان من أكثر الموارد حساسية في العلاقات بين الناس التعامل مع الخصوم «فهي المؤشر على التقوى وليس مجرد الإلتزام بالصلاة والصوم والحج وسائر العبادات».

وشدد سماحته بأن مورد الفخر والتقوى لا يتجلي في التعامل مع من تحبهم وإنما يتجلى ذلك في إنصاف الخصوم والإنضباط بالشرع في التعامل مع من تكرههم.

وقال سماحته ان الإنحياز المنافي للتقوى قد ينسحب أيضا على موارد عديدة منها مهمة القضاء، مشددا على التزام العدل والنأي عن الإنحياز في الأحكام نتيجة الميل لطرف على حساب طرف آخر، ومنها تقديم الشهادة بين الخصوم واختيار العاملين وتقييمهم وحفظ كرامة المختلفين في الرأي وتقوييم المعلمين لطلابهم أو تجريد الخصوم من حسناتهم.

وقال سماحته ان النصوص الدينية تشير بوضوح إلى تشديد الحساب يوم القيامة على ما يرتبط بحقوق الناس والتعامل معهم أكثر مما يرتبط بحقوق الله تعالى فيما عدا الشرك به سبحانه.

خلال ندوة الجمعة الأسبوعية في مجلس سماحته

٧

الشيخ الصفار: حرية الرأي حقٌّ مقدّس ويجب التفريق بينها وبين الإساءة للآخرين*

رفض سماحة الشيخ حسن الصفار تحميل أيّ دينٍ أو مذهبٍ أو جماعة مسؤولية رأيًا صادرًا من أحد أفرادها، مشيرًا إلى أنّنا كما نرفض اتّهام وتعميم الغرب لكافة المسلمين، مسؤولية عمل بعض الجماعات الإرهابية، يجب رفض مثل هذا التعميم على المذاهب والجماعات.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الجمعة ٨ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ٦ يناير ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «حرية الرأي بين النقد والتجريح».

وقال الشيخ الصفار إنّ حرية الرأي مطلب وشعار يطرحه الجميع، لكن في المقابل نرى أنّ المجتمع لا يتقبّل طرح رأي آخر يخالف ما هو سائد، أو يخالف ما يعتقده هذا الشخص أو ذاك، بل نرى غالبًا مواقف سلبية تجاه أصحاب الرأي.

لافتًا إلى أنّ هناك حالة ازدواجية بين ما يقوله البعض وبين ما يطبّقونه، وهذا ما نراه في مجتمعاتنا بالمطالبة بحرية الرأي وفي نفس الوقت لا يتحمّلون الرأي الآخر، وهذا يكشف الخلل في الإيمان بحرية الرأي، ويكشف وجود مشكلة أخلاقية، وهي الازدواجية في الممارسة والتطبيق.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ١ / ٢٠١٧م.

مضيفًا أنه إذا كنّا مقتنعين بحرية الرأي كما كان الأنبياء والأئمة، الذين كانوا يبشّرون بالإيمان بالله وبالعودة إلى توحيد الله، ولكنهم في الوقت ذاته يسمعون آراء الكفار والمشركين ويناقشونهم ويردون عليهم، وكان الأنبياء يقولون «لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» و «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ».

وأشار الشيخ الصفار لمشكلة مهمة وهي الشخصنة في التعامل، لافتًا النظر إلى أنّ البعض يركّز على شخص مطلق الفكرة، ومنها يحدّد موقفه منه إمّا سلبًا أو إيجابًا.

مطالبًا بالتعامل مع الفكرة كفكرة بعيدًا عمّن صدرت منه كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال).

وأسف سماحته لمشكلة تفسير الآراء، والقول بأنّ مطلقيها هم إمّا مدعومون من قبل هذا الطرف أو ذاك أو لهم غرض ومصلحة، وهذا راجع إلى الجوّ العام يعيش على أحادية الرأي ويعتقد أنّ من يطرح رأيًا يخالف السّائد فهو إما مدعوم أو مطلوب منه ذلك، وليس من بنات أفكاره وعقله.

مضيفًا «أنّ محاسبة نيّات الآخرين من الأمور السلبية التي تواجه مطلقي الأفكار والآراء، فلا يحقّ لأحدٍ أن يحاسب الناس على نيّاتهم التي هو يقرّرها لهم».

وتطرق الصفار إلى الفرق بين حرية الرأي وحرية التعبير، مشيرًا إلى أنّ حرية الرأي هي أنّ الإنسان يُعمل عقله فيتوصل إلى الاقتناع برأي معيَّن. وهذا حقٌّ للإنسان بل يجب عليه أن يكوّن الرأي ولا يكون إمّعة أو تبعًا للآخرين.

مشيرًا إلى أنّ الجهر بالفكرة والتعبير عن الرأي يعود للشخص وللظروف التي تحيط به.

وأكّد أنّ الضابط الأساس في حرية الرأي هي عدم التعدّي والإساءة للآخرين (حريتك تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين).

وأشار سماحته إلى أنّ البعض لا يفرّقون بين الأمرين، فيقوم بشتيمة الآخرين ومن

ثم يبرّر ذلك بأنّ هذا حرية رأي، وفي الواقع هذا يسمّى تجريحًا وإساءةً وعدوانًا على الآخرين.

وأكّد الصفار على الحاجة للتفكيك بين الرأي وبين صاحب الرأي، وهذا ما يؤكّد عليه الدين أيضًا، الذي يشير إلى أنّ الاختلاف في الآراء لا يبرّر العدوان أو الخصومة.

ومضى يقول: إننا لا نقول بعدم الردّ على من يطرح آراءه ومواقفه، خصوصًا إذا كانت في مواقف تخصّ الناس وترتبط بقضاياهم الدينية والدنيوية المهمة، «لكن ما نخالفه هو تجريح صاحب الرأي أو اتّهامه في نيّاته أو الإساءة له دون تمحيص لفكرته».

وتطرّق الصفار لمسألة تعامل البعض مع بعض الآراء بأنّها بدعة، مشيرًا إلى أنّ الموقف من البدعة يجب أن يكون كما قال النبي: (إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُظْهِرَ عِلْمَهُ). وهذا ما يجب أن يكون فرصة لتبيين الخلل في تلك الفكرة بالردّ العلمي عليها. مضيفًا أنّ الموضوع «هو سوء تنافس يُعطى صبغة دينية».

استقبل لجنة الإمام الحسن بالقطيف

الشيخ الصفار: نحتاج لغةً معاصرةً لعرض القضية الحسينية*

حثّ سماحة الشيخ حسن الصفار على استخدام لغة معاصرة لبيان قضية الإمام الحسين تناسب هذا العصر، ومتطلباته.

وأبان سماحته: أنّ المنبر الحسيني مصدرٌ من مصادر التعريف بالقضية الحسينية، مؤكّدًا أنّ المسرح اليوم يمكن أن يؤدي نفس الدور، لما لهذه الفنون من لغة يفهمها ويتأثر بها أبناء الجيل الجديد.

وأضاف: إنّ للمسرح والسينما وباقي الفنون تأثيرًا على الشباب، وعلينا الإفادة منها لمخاطبتهم باللغة التي يتفاعلون معها، ويستجيبون لها.

جاء ذلك خلال استقبال الشيخ الصفار للجنة الإمام الحسن بالقطيف في مكتبه مساء يوم الخميس ليلة الجمعة ٧ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ٥ يناير ٢٠١٧م.

وأوضح سماحته أنه توسّم في وجوه أعضاء اللجنة الخير والنجاح من بداية انطلاقهم، آملًا للجنة مستقبلًا زاهرًا.

وأبان سماحته أنّ المقارن بين الوضع اليوم وما كان عليه المجتمع قبل ثلاثة عقود يجد الفرق الشاسع من مستوى النشاط والعطاء في مختلف المجالات.

وأضاف: يمتلك أبناء مجتمعنا طاقات وكفاءات لا تحتاج إلّا لفتح المجال أمامها

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ١ / ٢٠١٧م.

لتنطلق وتعمل من أجل التقدم والارتقاء.

وقال الشيخ الصفار إنّ هذه الكفاءات والطاقات تحتاج إلى تشجيع ودعم من الجميع. واستشهد سماحته بما تقدّمه لجنة الإمام الحسن من أعمال إبداعية متطورة، مشيدًا بمسرحية (مهر الشيطان) وما سبقه من أعمال متميّزة. وأبان سماحته أنّ الجهد المبذول في هذا العمل وأشباهه ينبئ عمّا يملكه أبناء مجتمعنا من كفاءة وتمّيز.

وعن عدد الحضور وتكرار العروض قال سماحته: إنّ تفاعل المجتمع مع ما تقدّمه اللجنة دليل نجاحها وإبداعها، مطالبًا اللجنة بالاستمرار والتطوير.

وطالب الشيخ الصفار المجتمع أن يأخذ دوره أكثر في دعم مثل هذه الأعمال وهذه الكفاءات كما يتم الاهتمام بباقي الأعمال الدينية والاجتماعية.

وفي الختام تمنّى سماحته قيام مؤسّسات تحمل هَمّ إيصال المفاهيم الدينية والأخلاقية بلغة معاصرة مؤثرة.

هذا وقد تحدّث أيمن التاروتي عن اللجنة مبيّنًا بعض جوانب تاريخها وما أنتجته من أعمال على مدى السنوات الماضية. ثم قُدّم درعٌ تذكاريٌّ باسم اللجنة للشيخ الصفار تقديرًا لدعمه للجنة ورعايته لها من بداية تأسيسها.

لدى استقباله عضوات «نساندكم»

الشيخ الصفار: للمرأة دور أساس في نهوض المجتمع ومواجهة التحدّيات*

قال الشيخ حسن الصفار: إنّ المجتمع يعيش مرحلة تحوّل تواجهه فيها تحدّيات كبيرة، وأنّ كلّ الطاقات الواعية في المجتمع يجب أن تتحمّل مسؤوليتها في مواجهة هذه التحدّيات.

وركز سماحته على دور المرأة في إنجاز عملية النهوض الاجتماعي، ودفع الأبناء نحو الاهتمام الدراسي والتفوق العلمي، وحماية الأسرة من التأثيرات السلبية لما يرافق الانفتاح الثقافي.

جاء ذلك في كلمة ألقاها في استقباله لعضوات اللجنة النسائية المساندة للخدمات التربوية والتعليمية بمدينة سيهات (نساندكم) بمكتب سماحته مساء الاثنين ليلة الثلاثاء ١١ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ٩ يناير ٢٠١٧م.

وأبان الشيخ الصفار أنّ مكانة الإنسان في المجتمع وقيمته في الحياة تتحدّد من خلال مستوى الطموحات والتطلّعات التي يحملها ويسعى لإنجازها، مستشهدًا بمقولة الإمام عليّ: «من شرفت همّته عظمت قيمته».

وأضاف: إنّ التطلّع والطموح نابع من فطرة الإنسان بما أودع الله فيه من إرادة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠ / ١ / ٢٠١٧م.

وعقل، لكن البيئة التي يعيشها والثقافة التي يتلقاها، قد تنمّي حالة الطموح عنده، وقد تكبحها.

وعن عوامل وأسباب علوّ الهمة وارتفاع مستوى الطموح، قال سماحته إنّ أهمّ هذه العوامل هي: «الثقة بالنفس، واكتشاف القدرات، والاستعداد النفسي لمواجهة التحدّيات والصّعوبات».

وتابع: «وكذلك الانتماء إلى عالم المنجزين والمؤثرين في الحياة، وبقراءة سير المبدعين والقادة والمصلحين، والاهتمام بالتأمل في منعطفات حياتهم».

وانتقد الشيخ الصفار بعض ألوان الخطاب الديني التي تصوّر أئمة أهل البيت وكأنّهم أشخاص تتلخّص حياتهم في المصائب والظلامات، دون تسليط الأضواء على إنجازاتهم العظيمة التي قدّموها للأمة وللبشرية جمعاء.

وتابع: هذه الصورة المبتورة هي التي تؤدي إلى حالة الاستكانة والانكفاء والشّعور بلاجدوائية السّعي والفاعلية.

وأشاد سماحته بمبادرات لجنة «نساندكم» معربًا عن سعادته بانطلاقتها، ومشيدًا «بالجهود المشكورة التي تبذلها المؤسّسات الأخرى التي انبثقت في الوسط النسائي بالمنطقة، كجمعية العطاء، وملكة جمال الأخلاق، واللجان القرآنية النسائية، إلى جانب الشخصيات النسائية الرائدة كالأستاذة غالية المحروس».

وبعد كلمة سماحة الشيخ الصفار بدأت مداخلات وأسئلة عدد من الحاضرات، منهنّ: منى الشافعي، وعروبة النصر، ورجاء البوعلي، وحكيمة الجنوبي، وحورية المسلم، وفاطمة السيهاتي، وكان اللقاء بإدارة الأستاذ صلاح آل مطر، وكان لمشرفة اللغة العربية بمكتب التعليم بالقطيف كفاح بنت حسن المطر مشاركة بقصيدة مهداة للشيخ الصفار، بعنوان (موائد وطنية) جاء فيها:

حلّت بواديك القلوب فأزهرت غاياتها وتعزّزت برهانا

جاءتك تنسج وعيها وقرارها ومسارها وخيارها اطمئنانا
اغـدق عليها مـن رؤاك خميلة واسـرج لها من مقلتيك أمانا

وتقول:

مـدّت (نساندكم) جسور مـودةٍ أخـويـة تـتـوسّـم الإحـسـانـا
فاجزل إليها من رشـادك حكمة ترعى الوصال وتسعد الإنسانا

وفي ختام اللقاء قامت الأخوات المشـاركات بزيارة لمكتبة الشـيخ حسن الصفار وتجوّلن بين أرجائها متعرّفات على محتوياتها ونشاطها.

٧

موائد وطنية

قصيدة للشاعرة الأستاذة كفاح بنت حسن علي المطر، مشرفة اللغة العربية بمكتب التعليم بالقطيف بمناسبة زيارة وفد لجنة (نساندكم) لمكتب فضيلة الشيخ حسن بن موسى الصفار بالقطيف ليلة الثلاثاء ١١/ ٤/ ١٤٣٨هـ.

لاح النهى في خافقيك بيانا ... وتنفسّت أغصانه تحنانا
تشدو الحوار موائدًا وطنية ... فيها الفنون تعدّدت ألوانا
راحت تبلور للتواصل رؤية ... وقضية ومروءة وضمانا
حلّت بواديك القلوب فأزهرت ... غاياتها وتعزّزت برهانا
جاءتك تنسج وعيها وقرارها ... ومسارها وخيارها اطمئنانا
اغدق عليها من رؤاك خميلة ... واسرج لها من مقلتيك أمانا
كفّ الهدى ما صافحتك سماحةً ... إلّا ارتضتك إلى الرؤى ميزانا
تاقت زوارقها الولو جَ إلى مدى ... بالصّالحات يعطّر الشّطآنا
ما إن تكاثفت الشجون وألهبت ... نبض العزيمة وانتشت خفقانا
وتسارع الإمعان في تسويقها ... سحرًا يخضب زيفُه الأجفانا
حتى إذا اكتظّ الشّعور بأسرها ... وتداخلت أفكارها عنوانا
طرزت ميثاق التواصل قيمة ... ونسجت مشروع الوفاق حنانا
وافت شواطيك الرحيبةُ منهلًا ... ورعت شروق سعائها وجدانا

يـا مـوئـلًا رفـع الـحـوار لـواءه ... فـي خـافـقـيـه مـنـهـجًـا ريّـانـا
وترسّخت فيه الـجـذور ريـادة ... وتـفـرّعـت أهـدافـهـا أغصانا
ما انساب ينبوع التطلّع فكرة ... إلّا تـوالـى يـنـعـه هـتـانـا
وإذا الضفاف تنافرت آراؤهـا ... ألّـفـت بـيـن قـلـوبـهـا أركـانـا
أمـلًا يناجيها، يبلسم وجدها ... ويحيل جـدب رياضها أفنانا
وظّـفـتَ طيف جفونها أنشودة ... ونثرت طـوق ودادهـا ريحـانا
عـرف التواصل ضفتين حميدة ... وذمـيـمـة تـتـهـدّد الـبـنـيـانـا
فـإذا تلاقى فيهما حلم الفتى ... تـداعـى بـوح جـنـانـه كتمانا
وافـيـت منه للضياع رسـائـلا ... ووجـدتـه فـي وصلها هيمانا
أضحت لديه الأمسيات مفاوزًا ... وغـدت تباشير المنى كثبانا
بـاع الـرفـاق الصالحين بنزوة ... حتى اصطفى ذوبـانـهـا خلانا
ضلّ الطّريق إلى المكارم كلما ... حـارت بـه أوهـامـه خـذلانـا
سـرقـت أمـانـيـه البريئة خلسة ... الشّائعات إذ ارتضاها رهـانا
الـزائـفـون تـنـاوشـوا أشـالاءه ... ترنيمة واسـتـعـذبـوا الألحانا
صـارت محطات التواصل فرقة ... وبدت صحائف وصلها هجرانا
أسفي على الجيل المدلّل قـدره ... أن يـسـتـبـاح كـرامـة وكيانا
جئناك نجترّ الهموم حقائبًا ... فاضت ضمائرها بما أشجانا
مـدّت (نساندكم) جسور مـودَّةٍ ... أخـويـة تـتـوسّـم الإحـسـانـا
فاجزل إليها من رشـادك حكمة ... ترعى الوصال وتسعد الإنسانا

12 ألف عنوان مقصد للباحثين في مكتبة الشيخ الصفار*

حكيمة الجنوبي

ارتأى فضيلة الشيخ حسن الصفار تحويل مكتبته الشخصية مكتبة عامة ومرجعًا للباحثين من أبناء محافظة القطيف، كأحد المصادر للبحث العلمي والقراءة والاطّلاع على عالم الثقافة بأنواعها.

كشف المشرف على المكتبة عبد الباري الدخيل عن احتواء المكتبة على ١٢ ألف عنوان للكتب التي بين رفوفها، بشتّى الثقافات والاتجاهات العلمية، صنّفت وفق فهرسة علمية بالاستعانة بالمكتبة العامة بالقطيف، وبعض الكُتّاب والباحثين في القطيف ومنهم الكاتب السيد عدنان السيد محمد العوامي.

وأفاد الدخيل بأنّ هذه المكتبة ليست المكتبة الوليدة التي أسّسها سماحة الشيخ منذ عام ١٤١٥هـ، إنّما امتداد لمكتبات على مستوى العالم خلال رحلاته لطلب العلم أولها؛ مكتبة الإمام الصادق في مسقط بسلطنة عمان، ومكتبة بمدينة طهران الإيرانية، وكذلك مكتبة أبو البحر الخطي في دمشق بسوريا، ويسبقهم مكتبة في القطيف.

وبيّن أنّ المكتبة تتضمن فيضًا زاخرًا من المؤلفات العربية التي تجمع الثقافات، والاتجاهات الدينية، بجميع فروع العلوم الإنسانية، وإلى مؤلفين من جميع البلدان مع

* نشر على موقع القطيف اليوم ١١ / ١ / ٢٠١٧م.

اختلاف أدبياتهم، مع توفير أمهات الكتب للباحثين.

وأضاف: صنّفت الكتب في المكتبة ضمن فهرسة خاصة، توزعت بين ١٦ مجموعة هي؛ الموسوعات والمؤلفات الكاملة، الثقافة والتراث، علم القرآن والتفسير، وأصول الفقه، الفقه الإسلامي، مذاهب وعقائد، نهج البلاغة/ المنطق والفلسفة، الدعاء والأخلاق، الأحاديث، التربية والأسرة ـ السّياسة، العلوم الطبية، سيرة النبي وأهل البيت، الأدب العربي، علم الرجال ـ التراجم، التاريخ والمجلات والدوريات.

من جانبه.. قال فضيلة الشيخ حسن الصفار لـ «القطيف اليوم»: «مجتمعنا القطيفي معروف باهتمامه بالقراءة والكتاب، وتوجد فيه عشرات المكتبات الشخصية العامرة بالكتب، ومكتبتي واحدة من هذه المكتبات، هي مكتبة شخصية، كوّنتها خلال عقدين من الزمن، لرغبتي في المطالعة، وحاجتي للمصادر في إعداد خطاباتي وكتاباتي، ورأيت أن أفتح المجال لكي يستفيد منها من يرغب في المطالعة، ومن له اهتمامات بحثية ومعرفية».

وذكر الدخيل سعيهم لإبراز الكتاب القطيفي، وإنشاء جانب يعنى به، في حين نجد أنها تضم ما يتجاوز ١١٥ عنوانًا من مؤلفات الشيخ حسن الصفار، ومحاولة توفيرها للزائرين لو دعت حاجتهم شرط وجودها عندهم.

اعتبر الباحث السيد عدنان العوامي وجود هذا المكتبة بهذا الهدف في القطيف حاجة ضرورية، وذلك لفتح المجال أمام الباحثين وتزويدهم بالمراجع التي تكون مغيبة أو يصعب الحصول عليها عند البعض.

وجد الطالبان؛ الجامعي منير الصفار وطالب الثانوية مهند اعليو أجواء المكتبة فرصة للدراسة، بصورة تكون أكثر استيعابًا، مع المساعدة للرجوع للمراجع التي بها كوسيلة للبحث الدراسي، حيث خصص لهما صباح يوم السبت ليكونا فيها.

الشيخ الصفار يقول إن استقلال الشخصية لا يبرر القطيعة مع الآخرين*

- **ويقول إن التعاليم الدينية تريد للإنسان أن يستقل بشخصيته ورأيه وأن يبقى على علاقة حسنة مع محيطه.**
- **ويرفض بشدة إعطاء صبغة دينية للمواقف المتشنجة من الآخرين تبريرًا للقطيعة معهم.**
- **ويأسف إلى انهيار بعض العلاقات الاجتماعية والصداقات نتيجة اختلاف في الرأي أو الموقف.**

أكدّ سماحة الشيخ حسن الصفار على حق الاستقلالية الشخصية للإنسان في الرأي والموقف مشيرًا في الوقت عينه إلى أن ذلك لا ينبغي أن يكون سببا للقطيعة مع الآخرين أسريًا أو اجتماعيًا.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١٥ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ١٣ يناير ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار «إن استقلال الشخصية والرأي لا يعني قطع العلاقة أو سوءها مع من اختلفت عنهم».

وأوضح سماحته بان التأكيد الديني على استقلال شخصية الإنسان أمام أهم

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٣ / ١ / ٢٠١٧م

مؤثر عليه وهما الوالدان «جاء لترسيخ منهجية الاستقلالية عند الانسان تجاه مختلف مصادر التأثير عليه، كالزعامات الاجتماعية والقيادات الدينية والسياسية والأقرباء والأصدقاء».

وأضاف القول إن التعاليم الدينية جاءت لتنبه الإنسان إلى أن يتحمل مسؤولية نفسه ويفكر في قراراته ويختار طريقه بوعي وإدراك وليس على نهج التبعية المطلقة.

وشدد القول أمام حشد من المصلين بأن على الإنسان أن لا يلغي عقله أمام أي أحد، ولا يتجاوز المبادئ والقيم استجابة لأي أحد. منتقدًا مغالاة البعض «فهو إما أن يذوب في الطرف الآخر أو يقاطعه ويحاربه، وهذا افراط أو تفريط».

وقال الشيخ الصفار إن التعاليم الدينية تريد للإنسان أن يستقل بشخصيته ورأيه وأن يبقى على علاقة حسنة مع من يرتبط بهم من قرابة أو صحبة أو معيشة.

وأسف سماحته إلى انهيار بعض العلاقات الاجتماعية والصداقات الشخصية نتيجة بروز اختلاف في الرأي او الانتماء او التوجه الفكري، على خلاف التعاليم الدينية التي ترفض القطيعة مطلقا ما دام المرء آمنا على دينه.

ورفض سماحته بشدة اعطاء صبغة دينية للمواقف المتشنجة من الآخرين تبريرا للقطيعة معهم.

وتابع بأن منهجية القرآن الكريم تقوم على صعيد العلاقات العامة مع الأقربين والأبعدين على مبدأ «المصاحبة بالمعروف» بصرف النظر عن الموافقة أو الرفض لآرائهم ومواقفهم. مشيرا إلى ان التعاليم الدينية تنحو باتجاه خلق شخصية متدينة ودودة مع الناس.

الشيخ الصفار يؤكد على مرجعية العقل والقيم لتقويم الأفكار*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ الإنسان وخاصة في العصر الحالي يستقبل زخمًا من الأفكار والآراء، وهو ما يحتم على كلّ فردٍ أن يبذل مجهودًا أكبر في إعمال عقله لاختيار أو ردّ هذه الموجات من الأفكار.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ١٣ يناير ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «منهجية القبول أو رفض الأفكار» ويحاوره الأستاذ عبدالباري الدخيل.

وأشار الشيخ الصفار إلى إنّ مستوى الإنتاج الفكري والمعرفي والثقافي عند البشرية تضاعف كثيرًا، وكلّ يوم يجد الإنسان نفسه أمام عدد كبير من الآراء والأفكار، وهذا يحتم أن تكون للإنسان ضوابط ومعايير لاختياره لفكرة أو ردّه لها.

وأضاف إنّ الإنسان أمام هذه الحالة يحتاج أن يتأمّل أهمّ الضوابط الأساسية لتقييم الأفكار وهو إعمال العقل، وهو بدوره بحاجة إلى المعلومات. كما يحتاج أن يعرضها على المبادئ والقيم التي يؤمن بها.

لافتًا إلى أنّ هذا ما يؤكّد عليه القرآن الكريم في وجوب أن يتأمّل الإنسان ما يطرح

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٥ / ١ / ٢٠١٧م.

عليـه مـن أفكار وآراء ومن ثم يقرّر ماذا يختار، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

وأكّـد سـماحته ألّا مشـكلة في أن يقتنع الإنسـان بفكرة ويكتشـف لاحقًـا أنّها غير صائبـة. مستشـهدًا في هذا الأمر بالجانـب الاعتقادي، الذي يؤكّد عليـه العلماء في أنّ الإنسان لا يؤثم لو اعتقد بأمر اجتهاداً أو تقليدًا ثم تبيّن خطؤه.

وشـدّد الشيخ الصفار على وجود خطّين أحمرين في موضوع الأفكار «هما أصول الدين، وما يثبت انتسابه للدين».

ومضـى يقـول: «لا بُدّ أن تكون هنـاك مرجعية للمصادر الدينية مـن أجل معرفة أنّ هذا التشريع من الدين أم لا».

في المقابل رفض سماحته تقويم الفكرة على أساس الموقف من قائلها، مؤكّدًا أنّ الديـن يوجّـه بالتعامل مع الفكرة كفكرة بعيدًا عن قائلها، لكـن البعض من الناس ينظر إلى قائل الفكرة حتى يطلق حكمه عليها، ولا يكلّف نفسه النظر للفكرة.

وعن عدم توفر أدوات البحث والمعرفة لتقييم الأفكار لدى كافة الناس، بيّن الشيخ الصفار أنّ الإنسان عقلًا حينما لا يعلم بأمر، يعود لأهل الاختصاص.

وأكّـد الشـيخ الصفار أنّ الموقف تجاه من يحمل أفـكارًا خاطئة لا يعني المقاطعة والخصومـة، مشـيرًا إلى أنّ الدين يشـجّع علـى العلاقة مع الديانـات الأخرى، فكيف بالعلاقة داخل الدين الواحد، بل داخل المذهب الواحد.

وتابع أنّ هناك سـوءَ فهم حول الروايات الدينية التي تتحدّث عن البدع والابتداع. مؤكّـدًا أنّ المشـكلة الأسـاس هي وجود عقد نفسـية وسـوء خلق عنـد البعض، لكنها تعطى لباسًا دينيًّا للتبرير.

الشيخ الصفار يدعو إلى «إعلان طوارئ» اجتماعي ضد التشكيك والإباحية والإرهاب*

- **ويستنكر تكرر حوادث العنف والاعتداء على الأفراد والمصالح العامة في القطيف مؤخرًا.**
- **ويدعو إلى ضرورة القيام بعمل جادّ عوضًا عن الاكتفاء بإظهار الإستياء والألم.**
- **ويشيد بجائزة القطيف للإنجاز باعتبارها أنموذجًا مشرقًا لما يحتاج إليه المجتمع.**

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى تحمّل المسؤولية و«إعلان طوارئ» اجتماعي من أجل التحصين الفكري للشباب واستيعاب طاقاتهم فيما يخدم مجتمعهم ووطنهم في مقابل توجهات التشكيك والإباحية والإرهاب.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠ يناير ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن هناك عدة جهات تتصارع على السيطرة على عقول شبابنا أبرزها توجهات التشكيك في الهوية والإنتماء الديني والتوجهات الإباحية التي تدفع باتجاه التنصل من الأخلاق والقيم وتوجهات العنف والإرهاب.

وأضاف أن هذه التوجهات الخطيرة حولت الشباب إلى معاول هدم وتخريب

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠ / ١ / ٢٠١٧م

وتشويه لسمعة مجتمعهم.

وأشار في السياق إلى الحجم الهائل من المخدرات المضبوطة في البلاد ومئات آلاف المواقع الإباحية التي تستهدف صغار السن والإناث وتيارات الإرهاب التي تستدرج آلاف الشباب إلى ساحات الصراع.

واستنكر الشيخ الصفار في الأثناء تكرر حوادث العنف والإعتداء على الأفراد والمصالح العامة في القطيف مؤخرًا من مواقع الدفاع المدني والصرافات الآلية ومكاتب التحويل المالية.

واستغرب سماحته «كيف انتزعت هذه التوجهات العنفية عناصر من أبناء الوطن والمجتمع ليكونوا معاول هدم وتخريب؟».

وأوضح سماحته أن من غير الكاف الاقتصار على استنكار هذه التوجهات وإدانتها في المجالس المغلقة. مشيرًا إلى ضرورة القيام بعمل جادّ عوضًا عن مجرد إظهار الإستياء والألم.

ويشيد بجائزة القطيف للإنجاز

في مقابل ذلك دعا الشيخ الصفار إلى تحمّل المسؤولية والوقوف أمام هذه التوجهات الخطيرة من خلال التحصين الفكري والنفسي للشباب بدءًا من البيت والمدرسة وانتهاءً بالمجالس والاجتماعات الدينية والمؤسسات الثقافية.

وقال إن المطلوب اجتماعيًا هو «إعلان طوارئ» من أجل التحصين الفكري للشباب واستيعاب طاقاتهم فيما يخدم مجتمعهم ووطنهم.

وتابع بأن مواجهة تلك التوجهات الخطيرة تتطلب احتواء الشباب واستيعابهم ضمن الأطر التي تنمي كفاءاتهم وطاقاتهم.

ومضى سماحته في القول إن أبنائنا يمثلون كنوزًا من القدرات والمواهب

التـي تحتـاج إلى اكتشـاف وتنميـة وتطوير ينبغـي أن تنهض بـه أجهزة الدولـة المعنية والمؤسسات الأهلية الاجتماعية.

وأشـاد في السـياق بجائزة القطيف للإنجـاز التي انطلقت في العـام ٢٠٠٨ معتبرًا الجائزة «أنموذجًا مشرقًا لما يحتاج اليه المجتمع من مؤسسات شبابية».

وتناول سـماحته تكريم الجائزة منذ تأسيسها ٩٣ شابًا وشابة من بين أكثر من ٧٠٠ مرشح ومرشحة نظير أعمالهم في مجالات الدراسات والبحوث، والتقنية والاختراع، ومجالات الأدب والفن.

وقال إن أمثال هذه المؤسسة هي ما يساعدنا على كسب أبناءنا وشبابنا في مواجهة الجهات التي تتصارع على دفعهم نحو اتجاهات الفساد والإنحلال والتخريب.

ونوه إلى الالتفاف الاجتماعي حول الجائزة الذي ظهر من خلال جمعيتها العمومية التي التأمت قبل أيام وجمعت أثناء ذلك مساهمات مالية فوق ما كانت تتوقع.

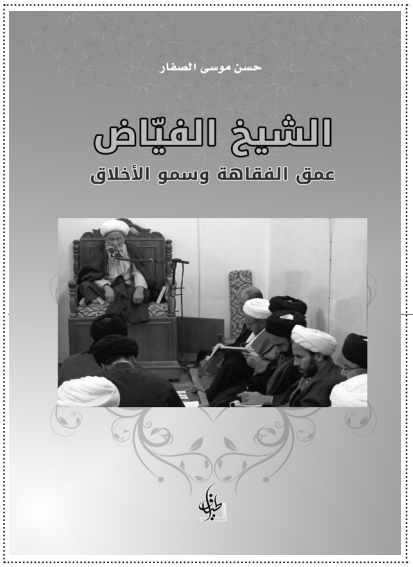

الشيخ الصفار يكتب عن المرجع الفيّاض*

عبدالباري أحمد الدخيل

«الشيخ الفيّاض عمق الفقاهة وسموّ الأخلاق» بهذه الكلمات المختصرة يرسم الشيخ حسن الصفار صورة تعرّف بالمرجع الشيخ إسحاق الفيّاض الفقيه العصامي، الذي ولد سنة ١٩٣٠م لعائلة فقيرة تمتهن الفلاحة في إحدى قرى محافظة (غزني)، وسط أفغانستان، جنوب العاصمة كابل.

وبدأ رحلة العلم والمعرفة في منتصف العقد الأول من عمره، حتى منتصف العقد الثاني من عمره، حيث غادر إلى مدينة مشهد في إيران، ثم عزم على الهجرة إلى النجف الأشرف، وهو في الثامنة عشرة من عمره، وقطع مراحل الدراسة العلمية الحوزوية بجدٍّ وإتقان، حتى أصبح من أبرز الفقهاء المراجع في النجف الأشرف.

التيار الوسط

يؤكّد الشيخ الصفار أنّ الأمة تواجه تحدّيات، أهمها تحدّي التوفيق بين الأصالة والانفتاح.

ويضيف: «ذلك أنّ التخلف العميق الذي تعيشه الأمة في مختلف مجالات الحياة،

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠ / ١ / ٢٠١٧م.

يقابله تقدّم باهر أنجزته الحضارة الغربية».

هـذا التقابل «أدّى إلى وجود تيّارين في أوسـاط أبناء الأمـة، تيّار يتبنّى الانفتاح بلا حـدود علـى الحضارة الغربيـة، دون أيّ تحفّظ علـى ما تحمله من قيـم وثقافات، وما تمارسه مجتمعاتها من تقاليد وسلوكيات».

أمـا التيّار الآخر «فيدعو إلـى الانغلاق على الذات، والقطيعـة الكاملة مع الغرب، برفض جميع منتجاته دون تصنيف أو تمييز».

ويبيّـن الشـيخ الصفـار أنّ «الصّراع بيـن هذين التياريـن كلّف الأمـة باهظ الأثمان والخسائر، وأضعف تماسك مجتمعاتها واستقرار أوطانها».

والتيـار الثالـث هـو تيّار وسـطي متـوازن، «يجمع بيـن الأصالة فـي الانطلاق من قيـم الدين، ومبادئـه الثابتة، وبين الانفتـاح على تطورات العصر ومسـتجدّات الحياة، ويستفيد من تجارب المجتمعات المتقدمة، بدراستها والانتقاء منها».

ومـن هؤلاء الفقهاء العظـام «المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشـيخ محمد إسحاق الفيّاض دام ظلّه».

عمق الفقاهة

يُقرّر الشيخ الصفار أنّ فقه الشيخ الفيّاض «يمثل أنموذجًا رائعًا للتوفيق بين الأصالة والانفتاح، فالممارسـة الفقهية لدى الشـيخ الفيّاض محكومة بالضوابط المقرّرة، وفي إطارهـا العلمي الدقيق، وبـأدوات الصناعة المتداولة في البحـث الأصولي والفقهي، لكنها ممارسة اجتهادية بامتياز».

مؤكـدًا أنّ الشـيخ الفيّاض «يبذل قصارى جهده للتعامل مـع الأدلة، بانفتاح كامل، دون رهبة أو تقيّد بفهم السّـابقين، وإلى جانب تفحّص الدليل، يجتهد الشـيخ الفيّاض في مقاربة موضوع البحث، للوصول إلى التشخيص الواقعي للموضوعات في واقعها المعاصر، وصورتها الحاضرة؛ لأنّ المسـتجدات والمتغيّـرات في الموضوع تؤثر في

تحديد الموقف منه، وتطبيق العنوان عليه.

ويمثل لذلك برؤية الشيخ الفيّاض لموقع المرأة في النظام السّياسي الإسلامي، وكذلك رؤيته لموضوع الانتماء للإسلام والتعايش المذهبي، بالإضافة إلى تأكيده «دام ظله» لأهمية حفظ النظام العام، ورعاية القوانين، وانفتاحه على واقع القضايا الفكرية والاجتماعية.

سموّ الأخلاق

عن تجربة قريبة يتحدث الشيخ الصفار عن سموّ أخلاق المرجع الفيّاض.

فحين تعرف عليه أدهشه «عظيم تواضعه وسموّ أخلاقه، حيث تعلو محيّاه البشاشة، وتتخلل حديثه الابتسامة، ويتعامل مع زائريه وتلامذته بعفوية وبساطة، تجعلك منطلقًا في الحديث معه والانفتاح عليه دون تهيّب أو قلق».

موضّحًا أنه «لا يُشعر جليسه مهما كان مستواه بالتعالي، ولا يقابل أحدًا بغضب أو انفعال، مهما كانت درجة سخونة موضوع النقاش، يُعبّر عن رأيه بهدوء واحترام، ويُصغي للرأي الآخر، فيقبله إن رآه صحيحًا، ويناقشه إنْ رأى فيه خللًا بموضوعية وحكمة.

رغم صغر حجم كتاب (الشيخ الفيّاض.. عمق الفقاهة وسموّ الأخلاق ـ أطياف للنشر والتوزيع ٢٠١٧م، ٥٤ صفحة) إلّا أنه كتاب ممتع يطوف بك بين سيرة الشيخ الفيّاض ونماذج من فقاهته وسموّ أخلاقه برشاقة محببة.

الشيخ الصفار يحثّ على اتخاذ «قرارات صعبة» تهيؤًا للصعوبات الاقتصادية*

- **ويقول إن طرق الكثيرين في الإنفاق والصرف خاطئة ومخالفة للعقل والشرع.**
- **ويضيف أن من المهم تقنين المصروفات الأسرية على نحو مختلف عن السابق.**
- **وينتقد العادات المرتبطة بالزواج، المكلفة ماليًّا والتي تزداد يومًا بعد آخر.**

حثّ سماحة الشيخ حسن الصفار على التهيؤ للصعوبات الاقتصادية الناتجة عن التحولات الجديدة في الواقع الاقتصادي المحلي والدولي من خلال ترشيد الإنفاق واعادة النظر في أولويات الصرف المالي.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٩ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ٢٧ يناير ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار «لا بُدّ من إتخاذ قرارات صعبة.. وأن يعيد الإنسان جدولة مصروفاته». مضيفًا بان طرق الكثيرين في الإنفاق والصرف خاطئة ومخالفة للعقل والشرع.

ومضى يقول بأن المملكة على أعتاب مرحلة تواجه فيها صعوبات اقتصادية وتحولات جديدة في الواقع الاقتصادي.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٧ / ١ / ٢٠١٧م

وأشار إلى جوانب من التطورات الأخيرة التي تقلص خلالها دخل الكثير من الموظفين وتأثر نشاط أصحاب الأعمال الحرة، إلى جانب الزيادة في أسعار الخدمات والضرائب المستجدة.

وأضاف أن من الملاحظ بروز مشكلات من محدودية التوظيف وتسريح الموظفين وتوقف العلاوات ومحدودية المشاريع.

وحثّ سماحته على التزام الترشيد في العادات اليومية من استهلاك الماء والكهرباء والأطعمة الزائدة التي غالبًا ما يكون مصيرها براميل القمامة.

وأشار إلى المعدلات العالمية التي تضع المواطن السعودي في أعلى سلم الاستهلاك الفردي للمياه وإلقاء القمامة التي تشكّل المواد الغذائية نصفها تقريبًا.

وانتقد في السياق العادات المرتبطة بالزواج، المكلّفة ماليًا والتي تزداد يومًا بعد آخر. داعيًا في الوقت عينه إلى إعادة النظر في الكثير من تلك العادات باهظة التكاليف.

وقال الشيخ الصفار إن من المهم تقنين المصروفات الأسرية على نحو مختلف عن السابق بالنظر إلى الظروف الاقتصادية المستجدة.

كما دعا أرباب الأسر إلى توعية أفراد أسرهم ووضعهم في صورة الظروف الاقتصادية الصعبة التي تتطلب تغييرًا في العادات الفردية لدى الجميع.

وحضّ سماحته على صنع أجواء عامة ومساعدة على الترشيد على المستوى الفردي والأسري وعلى صعيد المناسبات الاجتماعية العامة التي يصاحبها تقديم الأطعمة وإقامة الولائم.

خلال ندوة «معالجة الأزمات وإطفاء الحرائق الاجتماعية»

الشيخ الصفار يدعو للاهتمام بإصلاح ذات البين في الخلافات الاجتماعية*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ الاختلافات في وجهات النظر يجب ألّا تؤثر في العلاقات الاجتماعية، مضيفًا أنه ليس مطلوبًا من الناس أن يتوحّدوا في قناعات وأفكار معيّنة، بل في كيفية تنظيم هذه الاختلافات.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الخميس ٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ الموافق ٢٦ يناير ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «معالجة الأزمات وإطفاء الحرائق الاجتماعية» ويحاوره الأستاذ عبد الباري الدخيل.

وطالب الشيخ الصفار بإعادة الاعتبار لمفهوم إصلاح ذات البين، مؤكّدًا على أهمية قيام القيادات الدينية والوجهاء وذوي الرأي بدورها في رأب الصدع أمام الخلافات والتباينات الاجتماعية، خصوصا مع تضخمها في ظلّ وجود شبكات التواصل الاجتماعي حاليًّا.

وأشار إلى إنّ طبيعة المجتمع البشري تنتج نزاعات وصراعات، فكلّ فردٍ من المجتمع يمتلك عقلًا، وعندما يستخدمه فإنّه ينتج قناعة وتوجّهًا، وهذا ما يجعل من الاختلاف أمرًا حتميًّا.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨ / ١ / ٢٠١٧م.

وأضاف أنّ أسباب هذه الاختلافات ناشئة من التفاوت العلمي المعرفي، بالإضافة إلى انطلاق كلّ طرفٍ من زاوية معينة قد تختلف عن الزوايا الأخرى، كما أنّ البيئة والمصالح عندما يعبّر عنها كلّ طرف، فإنّها تسهم في إنتاج الاختلافات.

وبيّن سماحتها أنّ فكرة توحّد الناس واتّفاقهم في كلّ شيءٍ أمرٌ غير ممكن، لكن الممكن هو حصول التوافق والتعايش، بما ينتج التعاون في المشتركات، وهو ما نراه في المجتمعات الأخرى، برغم وجود أحزاب وأديان وتنوعات مختلفة، ومع ذلك فهم يتعايشون مع هذه الحقيقة في التنوع.

ومضى يقول: «ليس المطلوب من التعايش التنازل، بل المطلوب أن يحترم كلّ طرفٍ حقّ الآخر في العيش بما يعتقد».

وأشار الشيخ الصفار إلى أنّ أبناء البشر شركاء في الكون وفي خيرات الطبيعة وهذا يوجب عليهم أن يتعايشوا، ولا يحقّ لأحدٍ أن يحتكر هذه الخيرات ويحرم الآخرين منها.

ولفت إلى أنّ هناك قاعدة جاهلية وحمقاء تقول: إمّا أنا أو هو.. والصحيح أنا وهو.

وأكّد سماحته أنّ اعتقاد الإنسان أنّه على حقٍّ لا يبرّر القطيعة مع الآخر بحجة أنه على باطل، مضيفًا أنّ الآخر أيضًا قد يفكّر بذات الطريقة، وهذا ما يجعل الحوار هو السّبيل والحكم في العلاقة معه.

واستغرب كيف أنّ بعض المتديّنين بعيدون عن توجيهات القرآن الكريم وآياته الواضحة في كيفية العلاقة مع المختلفين، لكنهم في الممارسات الخارجية يغفلون عنها.

وعن كيفية التخفيف من حالة الصراع، أكّد الشيخ الصفار على أهمية نشر ثقافة التسامح وحسن الظن بالآخر. وأهمية سيادة الأخلاق الفاضلة في التعامل مع الآخر.

وشدّد على أنّ وجود قانون ينظم العلاقة مع الآخر أمرٌ ضروري، حتى تتكافأ

الامتيازات والفرص وحتى لا يكون هناك نزاع أو سيطرة لطرف على آخر.

وفي مسألة رأب الصدع على مستوى الخلافات المذهبية، أشار الشيخ الصفار إلى أنّه أقيمت العديد من المبادرات الآن وسابقًا، لكن الأمواج السّياسية العاتية كانت دائمًا أقوى في إفشال هذه المبادرات.

الشيخ الصفار يدعو إلى سياسات صحية تحاصر مرض السرطان*

- **ويقول إن مرض السرطان كأي مرض آخر يمكن مواجهته ومقاومته والتغلب عليه.**
- **ويحث على التحلي بالمعنويات الرفيعة فالإصابة بمرض السرطان لا تعني نهاية الحياة.**
- **ويشيد بالجمعية السعودية للسرطان ـ فرع القطيف ـ داعيًا إلى دعمها والتعاون معها.**

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى سياسات صحية لمواجهة انتشار مرض السرطان في المملكة ومن ذلك الاهتمام بالتوعية بالمرض لجهة التعريف بمسبباته والتوجيه بإجراء الفحص المبكر عنه.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٦ جمادي الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ٣ فبراير ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار «إن مرض السرطان كأي مرض آخر يمكن مواجهته ومقاومته والتغلب عليه والتعايش معه».

وبمناسبة اليوم العالمي للسرطان المصادف للرابع من فبراير دعا سماحته إلى

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣ / ٢ / ٢٠١٧م

الاهتمـام بالتوعية بالمرض لجهة التعريف بمسـبباته والتوجيه بإجراء الفحص المبكر عنه والتجاوب مع العلاجات المقدمة.

وقـال: إن مواجهـة التحديـات، تظهر طاقات الإنسـان وتسـتثير قدراتـه، وتحفزه للتغلب عليها، وبذلك «تتقوى إرادته، وينشط عقله، ويمارس نشاطه، ويبذل جهده».

وأضاف «الأمراض دفعت الإنسـان للتعرف على نظام جسمه وما يناسبه من حياة، ودفعته إلى البحث في الطبيعة للعثور على الدواء وأساليب العلاج».

وتناول في السياق تجربة اليوم الوطني للناجين من السرطان التي يحتفل بها ناجون مـن المـرض في العديد من دول العالم من أمريكا إلى جـزر الكايمن، أنتيغا، ترينيداد، توباغو، إيطاليا، هولندا، الهند، ماليزيا، غوام، أستراليا وأفريقيا الجنوبية.

وقال سماحته إن الفكرة من وراء ذلك هو إيصال رسالة واضحة بأن مرض السرطان الذي بات يسـمى «امبراطور الأمراض» يمكن محاصرته والانتصار عليه، مسـتحضرًا انتصار الإنسان على أمراض كانت خطيرة في وقتها كالحصبة والجدري والكوليرا.

ونسب الشـيخ الصفار إلى إحدى الناجيات السعوديات من مرض السرطان قولها فـي احتفاليـة أمام أكثـر من ١٠٠ شـخصية مجتمعية في جدة: «إن الشـفاء بيـد الله ثم بالعزيمة والإصرار والتحدي، لا شي مستحيل مع الإيمان بالله وقدرته والتوكل عليه».

وحثّ سـماحته علـى التحلي بالمعنويـات الرفيعة وتجاوز حالـة الهلع من مرض السـرطان. رافضًا فكرة اعتبار الكثير من الناس مرض السرطان «بعبع» يخشون التلفظ باسمه.

وأضاف أمام حشد من المصلين أن مرض السرطان كأي مرض آخر يمكن التغلب عليه «شريطة توفر المعنويات الرفيعة عند المريض».

وتابع أن المصاب بمرض السـرطان وعائلته ينبغي أن يواجهوا الحالة بمعنويات رفيعـة انطلاقًا مـن إيمانهم بالله تعالـى. قائلًا: إن الإصابة بمرض السـرطان لا تعني

نهاية الحياة.

وعن مسببات السرطان ذكر الشيخ الصفار أن منها «التدخين وتعاطي الكحول والتعرض للمواد المسرطنة في أماكن العمل»، بالإضافة إلى «زيادة الوزن والسمنة والخمول البدني».

وأشاد في السياق بالجمعية السعودية للسرطان ـ فرع القطيف ـ التي تأسست في عام ١٤٣٠/ ٢٠١٠ والتي تقيم منذ الخميس الماضي مهرجانًا للتوعية بالمرض على أرض مجمع القطيف سيتي مول.

ودعا الجمهور إلى التجاوب مع أنشطة الجمعية والتعاون معها ودعم برامجها من خلال الاشتراكات السنوية والتطوع في صفوف العاملين فيها، والتفاعل مع نشاطاتها.

خلال الندوة الأسبوعية في مجلس سماحته

الشيخ الصفار يؤكّد على أهمية إبراز دور البطولة في حياة السيدة زينب*

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار على أهمية إبراز واستحضار أدوار البطولة في حياة السيدة زينب، بدل التركيز على جانب الحزن والمأساة فقط.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الخميس ٥ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ٣ فبراير ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «العقيلة زينب بين البطولة والحزن» ويحاوره الأستاذ عبد الباري الدخيل.

وقال الشيخ الصفار إنّ حياة أهل البيت لا يجب أن تؤخذ وكأنّها كتلة من الانكسارات والمصائب، وكأنّهم لم يحققوا مكاسب وإنجازات، لافتًا إلى أنّ أهل البيت تحمّلوا المشاكل المصاعب من أجل أن ينجزوا وقد أنجزوا، وكانت مكاسب كبيرة حقّقوها لكننا لا نسلّط الأضواء عليها.

وأضاف إنّ واقع الشيعة في هذا العصر قد اختلف كثيرًا عن واقعهم في الأزمنة الماضية، وهذا يستلزم تغييرًا في الخطاب، لكن التغيير في الخطاب «كأيّ تغيير آخر» يواجه مقاومة؛ لأنّ الناس ألفوا نوعًا ونمطًا من الخطاب، لكن هناك تفاؤلًا في بعض الأصوات والمبادرات التي تستعرض الجوانب الأخرى.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧ / ٢ / ٢٠١٧م.

وأوضح سماحته إنّ السيدة زينب ﷺ تركت لنا تاريخ بطولات وجهاد، فكربلاء كان لها فصلان، الأول جسّده الإمام الحسين ﷺ بشهادته وجهاده، والثاني جسّدته السيدة زينب ببطولتها وصمودها وإدارتها للموقف بعد الواقعة.

وأضاف أنّ ما نقل من حياة السيدة زينب قبل عاشوراء وكربلاء كان شيئًا محدودًا، وهذا أمر مثير؛ لأننا نجد أنّ الكثير من الصّحابة والتابعين رووا عنها، وهذا دليل على أنّها عالمة، وكان لها أدوار قبل كربلاء وبعدها.

وبيّن سماحته أنّ التاريخ لم يسجّل لنا تاريخ الشخصيات الكبيرة كالسيدة زينب، وهذا راجع في جزءٍ منه إلى التدوين الذي لم يهتم إلّا بحياة الحكّام والسّلاطين، أكثر من اهتمامه بما يدور في وسط الأمة.

ومضى يقول: «إنّ جزءًا من تاريخنا وتراثنا ضاع بسبب عدم تدوينه وحفظه، وبسبب خوف الناس من ذكر مآثر أهل البيت ﷺ لما قد يترتب عليهم من أذى.

وفي جانب التركيز على صورة المأساة للسيدة زينب ﷺ وأهل البيت بشكل عام، أكّد الشيخ الصفار أنّ هذا راجع لكون ما عاشه الشيعة في التاريخ من نكبات وظلم، هو ما يجعل الإنسان يميل عادة إلى استحضار ما يمثل سلوة له ومنبع الهام.

وانتقد سماحته بعض الصور الشعرية في ذكر مصائب أهل البيت ﷺ التي لا تليق بعظيم مقامهم.

وتابع أنّ بعض الروايات الواردة عن مصيبة كربلاء بحاجة إلى تنقيح، ومنها رواية ضرب رأس السيدة زينب ﷺ بمقدم المحمل، مشيرًا إلى أنّ هذه الرواية مرسلة، ومن رواها شخص مجهول يدعى مسلم الجصّاص، كما أنها وردت في كتب غير معتبرة.

وأكّد الشيخ الصفار على أهمية إحياء مناسبات أهل البيت ﷺ والشخصيات العظيمة، مضيفًا أنّ الإحياء يجب أن يكون إيجابيًّا، وألّا يكون على حساب حركة الحياة ومصالح الناس إلّا في المناسبات الرئيسة.

وشـدّد على أن شيعة أهل البيت عليهم السلام يجب أن يكونوا حريصين على مصلحة الأمة، لافتًا إلى أنّ ذلك ما تهدف إليه أحكام التقية.

وتطرّق سماحته لأهمية الكتب والمؤلفات التي كتبت عن أهل البيت وعن السيدة زينب من خارج الشيعة، مثل كتاب بنت الشاطئ، «بطلة كربلاء» الذي يعتبر من الكتب الرائعـة، وكذلـك عبقرية الإمام علي وأبو الشّـهداء الحسـين بن علـي لعباس محمود العقاد، رغم الاختلاف في بعض ما نعتقده ونؤمن به، إلّا أنّها تعتبر كتبًا مهمّة مفيدة.

الشيخ الصفار ينتقد بشدة «التعامل غير الإنساني» مع خدم المنازل*

- **ويقول بأن جانبًا من أسباب جرائم الخدم في المملكة يعود لسوء معاملتهن.**
- **ويدعو إلى تحديد ساعات عمل الخادمات وتعويضهن عن ساعات العمل الإضافية.**
- **ويحثّ ربات البيوت على تقاسم العمل مع الخادمات اقتداء بالسيدة الزهراء.**

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار بشدة ما وصفه «التعامل غير الإنساني» مع خدم المنازل في المملكة من التحقير وطول ساعات العمل المرهق معتبرًا ذلك سببًا رئيسًا يدفعهن للجريمة.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١٣ جمادي الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ فبراير ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن سوء المعاملة مع الخادمات الأجنبيات والتعامل معهن بدونية يعود على العائلة بارتدادات سلبية نتيجة ما بات يعرف بجرائم الخادمات.

وأشار سماحته إلى تسجيل الجهات المختصة أكثر من تسعة آلاف جريمة ارتكبتها خادمات المنازل في المملكة في التسعة شهور الماضية من بينها ثلاث جرائم قتل وأكثر من ثلاثين اعتداء عنيف.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠ / ٢ / ٢٠١٧م

وأشار إلى تقارير رسمية تفيد بأن فئة الخدم هن الأكثر ممارسة للعنف ضد الأطفال. وتابع بأن جانبًا من أسباب هذه الجرائم يعود لسوء المعاملة مع الخادمات.

ومضى في القول «إذا كانت هناك مبررات لوجود الخادمة، فإنه لا يصح إلقاء كل المهام عليها بحيث تتنازل ربة المنزل عن دورها التربوي وإدارتها المنزلية وتصبح وكأنها ضيف شرف في المنزل».

وقال سماحته إن بعض العائلات السعودية ترهق الخادمة الأجنبية بالعمل المتواصل دون حدود لساعات العمل «وهذا خلاف التعاليم الدينية وخلاف الأخلاق الإنسانية». وأضاف بأن مسألة التعامل مع خدم المنازل أصبحت مثار اهتمام على الصعيد الإنساني والاجتماعي محليًّا ودوليًّا.

وبمناسبة ذكرى وفاة السيدة فاطمة الزهراء ﷺ الذي تصادف يوم غدٍ تناول سماحته طرفًا من أخلاقيات تعاملها مع خادمتها التي كانت تشاطرها العمل يومًا لها مقابل يوم للخادمة. وأضاف سماحته «ينبغي أن ندرك الالتزام القيمي والأخلاقي عند أهل البيت وأن نعاهد الله بالالتزام بهداهم والإقتداء بسيرتهم».

وأمام حشد من المصلين شدد الشيخ الصفار على ضرورة أن «يستحضر الإنسان إنسانيته وأن يتذكر المسلم قيم دينه» في تعامله مع عباد الله ومنهم خدم المنازل.

وحثّ سماحته على ضرورة احترام إنسانية الخادمة في المنزل ومراعاة حقوقها والنأي عن تشغيلها بلا حدود.

وتابع سماحته أنه لا بُدّ من تحديد ساعات العمل للخادمات وتعويضهن عن ساعات العمل الإضافية إلى جانب اعطائهن يوم عطلة أسبوعية.

كما دعا أفراد العائلات السعودية إلى احترام الخادمات ومراعاة ظروفهن الصحية والنفسية وإعطائهن حقوقهن المالية والإحسان إليهن نظير خدمتهن.

الشيخ الصفار يؤكّد على أهمية النقد «الذاتي المجتمعي» ويطالب باحترام التخصّصات *

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار أنّ ممارسة النقد في قضايا المجتمع تعتبر ضرورة وحاجة ملحّة، حتى في وقت الأزمات، مطالبًا في الوقت نفسه بالتفريق بين حقّ النقد والنقاش وبين اتخاذ القرار واحترام التخصّص في أيّ مجال.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الخميس ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ فبراير ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «النقد الذاتي الاجتماعي» ويحاوره الأستاذ عبد الباري الدخيل.

وقال الشيخ الصفار إنّ المجتمع من واجبه أن يتمسّك بهويته ويفخر بتاريخه وأن يحافظ على ثقافته، لكن النقد الذاتي لا يعني أنّ المجتمع يتخلّى عن هويته أو يستهين بتاريخه أو يهمل ثقافته، وإنّما يعني إزالة الشوائب التي تعلق أو تتراكم على واقعه.

وأضاف «النقد يعني التجديد في الوسائل والأساليب، ويعني التوجه لاختيار الموقف الأفضل تجاه التحدّيات والمشاكل والتطورات التي تحصل».

وتابع «النقد ينبغي أن يكون ممارسة دائمة، يمارسها الفرد أمام نفسه وكذلك يجري على المجتمع النقد والمراجعة والمحاسبة».

ومضى في القول «النقد والمراجعة وقت الأزمات هو أكثر إلحاحًا، خصوصًا

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٢ / ٢ / ٢٠١٧م.

عندما تكون هناك تحدّيات ومشاكل وصراعات».

وأشار في الجانب الديني إلى أنّ الثابت الذي لا نقاش فيه هو النّص الموحى من الله تعالى وقطعي الدلالة، أما فهم النص الذي هو فهم بشري فهو قابل للنقاش والنقد.

وخالف سماحته الذين يرفعون عقيرتهم بالدفاع عن العقيدة وعن الدين أمام أيّ نقد، مضيفًا أنّ أولئك ثقتهم بالدين والعقيدة ليست بالمستوى المطلوب، مشدّدًا على أنّ الدين والعقيدة أقوى من أن يضعفه النقد، فهو يقوي العقيدة، يؤكّدها في النفوس ويزيل عنها الشبهات التي قد تثار.

وأشار إلى أنّ مصطلح «النقد» ليس هو المشكلة، فلا مشاحة في المصطلحات، لكن المسألة أنّ هناك تيّارات وتوجّهات لديها هواجس، فلو تغيّر لديها المصطلح فسيبقى الهاجس موجودًا.

وأكّد سماحته أنّ الناقدين لا يريدون إضعاف الدين، بل يريدون تقوية الدين، مضيفًا أنّ الهوية لا تضعف حينما يكون هناك نقد ونفض للغبار الذي يتراكم عليها بسبب مرور العصور والأزمنة.

وبين أنّ الأئمة كانوا ينتقدون أصحابهم والمقربين منهم عندما يضيفون على كلامهم إضافات لم يوردوها.

وانتقد الشيخ الصفار ترويج البعض بالقول إنّ النقد هو فقط لعلية القوم والعلماء، مؤكّدًا أنّ هذا غير صحيح؛ لأنّ المسؤولية في المجتمع الإسلامي على الجميع، وهذا واضح من خطاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأوضح أنّ انتشار ثقافة النقد في هذا العصر؛ راجعة لارتفاع مستوى المعرفة عن الناس، بسبب انتشار العلم.

وتابع أنّ من حقّ أيّ أحدٍ أن يتحفّظ على النقد ويرفضه، لكن المرفوض هو اتّهام نيّات الآخرين في النقد، وتخوينهم واتّهامهم بالمروق والضلال، فهو أمر غير صحيح

وغير مقبول.

ولفت إلى أنّ إحدى المشكلات التي نعاني منها في المجال السّياسي والديني هي الوصاية على المجتمع وعلى أفكار الناس.

وأشار إلى أنّ الدول الحديثة والديمقراطية تستفيد من النقد، من أجل تصليب المواقف في الصراعات، ومعالجة الخلل، من خلال الانتقادات التي توجّهها البرلمانات والصحافة.

٧

الشيخ الصفار: على الخطباء أن يُعلّموا الناس بسلوكهم قبل كلامهم*

- **قال: كان الشيخ جمال الخبّاز عفيف اللسان قدوة للناس.**
- **وأبان أنّ استغلال المنبر للتنابز والتشهير جريمة كبرى.**
- **وأوضح أنّ حرمة أعراض الناس كحرمة دمائهم وأموالهم.**

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار العلماء والخطباء بأن يجعلوا سلوكهم الحسن قدوة للناس، مؤكّدًا أنّ الناس ينظرون لهم كممثلين للدّين ولأهل البيت عليهم السلام.

جاء ذلك خلال كلمة تأبينية ألقاها سماحته بمناسبة رحيل الشيخ محمد جمال الخبّاز في حسينية كريم أهل البيت بتاروت مساء يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ١٤ فبراير ٢٠١٧م.

وأوضح الشيخ الصفار أنّ الراحل الخبّاز كان قدوة في سلوكه، فقد كان عفّ اللسان، حسن السيرة.

وأبان أنّ من أبرز صفات الشيخ الخبّاز «رحمه الله» أنه كان عفيف اللسان، لا يخوض في أعراض الناس وخصوصياتهم، ويحترم شخصيّاتهم المعنوية.

وتابع: «مُذْ عرفته قبل أكثر من أربعين سنة ما سمعته ذكر أحدًا بسوء، وخاصّة من أبناء صنفه من الخطباء والعلماء، بل كان يغضبه الكلام ضدّ أيٍّ من الجهات الدينية».

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٥ / ٢ / ٢٠١٧م.

وحذّر سماحته من الخوص في أعراض الناس وشخصيّاتهم المعنوية، موضّحًا أنه لا يقلّ عن الاعتداء على أجسامهم أو أموالهم.

وقال: هناك كيان معنويّ للإنسان يتمثّل في سمعته، وهذا الكيان له حرمته كحرمة ماله ودمه، وقد وردت نصوص كثيرة تحذّر من الاعتداء على الأعراض كما تحذّر من الاعتداء على الدماء والأموال.

واستشهد سماحته بقول رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». مؤكّدًا أنّ صفة عفّة اللسان إذا كانت مطلوبة من أيِّ أحدٍ فهي من عالم الدين والخطيب أشدّ ضرورة وإلحاحًا.

واستنكر الشيخ الصفار استخدام البعض للمنبر الحسيني لتصفية الحسابات والشتم والتجريح، موضّحًا أنّ ذلك يعتبر جريمة كبرى؛ لأنّه يمزّق المجتمع ويعطي صورة مشوّهة عن الحالة الدينية.

وقال: أنْ تختلف مع أحدٍ في فكرةٍ أو موقفٍ فهذا أمرٌ طبيعي، ويمكنك طرح رأيك ومعارضة الرأي الآخر، لكن التجريح وانتهاك الحرمات أمر مرفوض.

وحذّر سماحته من استخدام المنبر أو الشعر في المناسبات الدينية لمعالجة الاختلاف بالشتم والسبّ، وقال: هذا الفعل لا يرضي الله ولا صاحب المنبر والحسينية وهو الإمام الحسين عليه السلام.

وتساءل: هل الاختلاف في الموقف أو الرأي يبرّر التهجّم والشتم والتجريح؟ وهل ترضى أن يستخدم الطرف الآخر نفس الأسلوب ضدّك وضدّ رموزك؟

وعن الراحل الخبّاز قال: يجب أن نأخذ عبرة من هذا الخطيب الذي شنّف أسماعنا سنوات بذكر أهل البيت عليهم السلام، ولا شكّ أنّ فقده خسارة لذويه ومجتمعه، فقد كان وقورًا متواضعًا، يحبّ الخير للجميع.

وكان الشيخ محمد جمال الخبّاز قد فارق الحياة صباح يوم الجمعة ١٣ جمادى

الأولى ١٤٣٨هـ عن عمر ناهز ٧٣ عامًا.

ويُعَدّ الشيخ الخبّاز المولود في جزيرة تاروت بمحافظة القطيف عام ١٣٦٥هـ أحد أبرز خطباء المنبر الحسيني في جزيرة تاروت على مدى أكثر من خمسة عقود ومارس الخطابة في مختلف مدن وبلدات المنطقة.

وقد قضى بضع سنوات في دراسة العلوم الدينية في النجف الأشرف، وكان معروفًا بحبّ المطالعة واقتناء الكتب الجديدة، ومكتبته من أوسع المكتبات الشخصية في المنطقة.

وقد نقل بعض أبناء الفقيد ما لاحظ من اعتزاز والدهم بعلاقته مع الشيخ الصفار وتقديره لشخصيته ودوره، يقول ولده موسى: «حتى إنّ الشيخ الفقيد في آخر أيّام حياته المباركة رغم مرضه وألمه يبتهج عندما يذكر له سماحة الشيخ الصفار ويتفاعل مع طرحه الفكري إذ جمعتهم محبّة أهل البيت عليهم السلام مع نشر ثقافة الاعتدال والتسامح والوحدة الإسلامية».

الشيخ الصفار يحثّ على المشاركة الأسرية في إدارة شؤون المنزل*

- **ويقول إن المشاركة الأسرية تنمي المشاعر الإيجابية وروح المسؤولية.**
- **وينتقد التسيب واللامبالاة بين أفراد بعض الأسر حيال شؤون المنزل.**
- **ويرفض الاتكالية المطلقة في الشأن المالي أو الخدمة المنزلية.**

حثّ سماحة الشيخ حسن الصفار على تفعيل المشاركة الأسرية في إدارة شؤون المنزل والعائلة، معتبرًا ذلك سبيلًا لتنمية المشاعر الإيجابية وروح المسؤولية وتعزيز الانتماء العائلي عند أفراد الأسرة.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ١٧ فبراير ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن المنهج الأفضل لإدارة شؤون المنزل هو المشاركة والمنافسة «وذلك بأن يفكر كل فرد في كل شأن من شؤون العائلة ويسعى للمشاركة».

وأوضح بأن المشاركة الأسرية تنمي المشاعر الإيجابية وروح المسؤولية كما تشدّ أفراد الأسرة للانتماء العائلي على نحو أكبر علاوة على تيسير أمور العائلة ونجاح مهماتها.

في مقابل ذلك انتقد سماحته التسيب واللامبالاة بين أفراد بعض الأسر ويتجلى

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٧ / ٢ / ٢٠١٧م

فـي عدم انتظام أوقات النوم والاسـتيقاظ والتفاوت في أوقـات وجبات الطعام إضافة إلى نقص الاحتياجات.

ورفض كذلك ما وصفها بالاتكالية المطلقة في الشـأن المالي أو الخدمة المنزلية وإلقاء المسؤولية على طرف معين في العائلة كالأب أو الأم في ظل تقاعس باقي أفراد الأسرة.

وفي إشـارة إلى مدى أهمية انخراط أفراد الأسـرة في الخدمة المنزلية قال الشـيخ الصفـار أن النبـي الأكرم لم يفتخر بشـيء أكثـر من قوله: « خَيْرُكُـمْ خَيْرُكُـمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

وأمام حشـد من المصلين حثّ سـماحته على وجود نظام لإدارة المهام في الحياة المنزلية. ورأى أن نظام إدارة المهام في الأسرة ربما تضمن مسألة ترتيب الأشياء، بدءًا من ترتيب السـرير بعد النوم، وضع الغسـيل في المكان المخصص، إلى جانب ترتيب الاغراض الشخصية لكل فرد.

وتربويًـا قـال إنه ينبغي توزيع المهام المنزلية على أفراد الأسـرة «ولو بهدف التربية ولو لمرة في الأسبوع أو الشهر».

وتابـع أن مـن تلـك المهام على سـبيل المثـال أن يقوم بعض أفراد الأسـرة بسـقي الحديقة مرة في الأسـبوع أو تنظيف واجهة المنزل، أو تفقد الكراج، أو ترتيب الصالة أو تحديد وقت للعمل الجمعي.

وأسف الشيخ الصفار إلى بلوغ بعض البنات أو الشباب سن الزواج في ظل غياب المؤهلات الكافية لتحمل المسؤولية.

وحثّ سـماحته على مشاركة أفراد الأسرة في اجتماع دوري يجري خلاله تدارس المشاكل وقضايا المنزل ليشارك الجميع بآرائهم.

الشيخ الصفار يسلط الضوء على واقع المرجعية الشيعية وآفاق تطويرها*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ الحديث عن موضوع المرجعية والتقليد لم يعد شأنًا يخصّ طبقة دون أخرى، لافتًا إلى تقدّم مستوى وعي الإنسان المعاصر وزيادة اهتماماته، ويصعب منعه من الحديث والمناقشة في أمر يرتبط به.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الخميس ٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ١٧ فبراير ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «المرجعية الدينية وتطوير أدائها في هذا العصر». ويحاوره الأستاذ عبد الباري الدخيل.

وأكّد الشيخ الصفار أنّه لا يمكن منع الناس في التفكير في أيٍّ موضوع، فحتى في علم الكلام هناك نقاش عن مواضيع مهمة وأساسية من قبيل الصفات والذات الإلهية، وأسئلة عن صفات النبوة وبعض القرارات التي اتخذها النبي ﷺ والأئمة والعلّة منها.

وأشار إلى أنّ التساؤلات التي تخصّ المرجعية وطريقة عملها مطروحة في الوسط الديني، ومنها آراء الإمام الخميني في نقد بعض أدوار الفقهاء وخصوصا في تناول الجوانب السياسية، وكذلك طرح السيد محمد باقر الصدر للمرجعية الرشيدة.

وأضاف سماحته إلى أنّ هناك آراءً مهمّة لعدد من المراجع تهدف لتطوير واقع

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٨ / ٢ / ٢٠١٧م.

المرجعيـة، كآراء السـيد محمد الشـيرازي والسـيد محمد حسـين فضل الله والشـيخ محمد مهدي شمس الدين والشيخ مرتضى مطهري، وهي نقاشات مطروحة وموجهة للجمهور وليست محصورة في داخل الحوزة فقط.

وعـن الدور المناط بالمرجعية في هذا العصر، أشـار الشـيخ الصفـار إلى أنّ هناك عدة آراء منها من يرى المرجعية الشاملة، كما في نظرية ولاية الفقيه العامة، وهناك من يرى اقتصار دور المرجعية في أمور الفتوى في الأحكام الشرعية.

وأكّد سـماحته أنّ هناك دورًا وسـطًا وهو أنّ المرجع معنيٌّ بإرشاد الأمة حتى لو لم يتصدَّ بشكلٍ مباشر للأمور السّياسة بالإضافة إلى دوره في الإفتاء الفقهي.

وأشاد الشيخ الصفار في هذا السياق بالدور الذي يقوم به المرجع السيد السيستاني في العراق، فهو لا يقوم بدور سياسي مباشر، لكنه يقوم بدور الإرشاد والرعاية وتقديم النصيحة.

وتحدّث سـماحته عن دور الوكلاء حاليًّا، لافتًا إلى أنّ الوكيل في السّابق كان يقوم بمهمـة نقل فتاوى المرجـع للناس فقط، مؤكّدًا أنّ الـدور الآن يفترض أن يقوم بمهمة إيصـال آراء النـاس وهموم المجتمـع للمرجع، وأيضًـا ينقل آراء المرجـع وتوجيهاته للناس.

ورأى أنّ المرجعيـة فـي هـذا العصـر تحتـاج إلـى جهـاز لإدارة شـؤون الوكلاء، والإشراف عليهم، مشيرًا لوجود بوادر لذلك، لكنها تحتاج لتطوير.

وحثّ على أهمية الاسـتفادة من وجود شبكات التواصل الاجتماعي والفضائيات في التواصل بين المرجعية وبين الجمهور مباشـرة، مشـيرًا لوجود حالات استفادة من هذه الوسائل، لكنها ليست بالشكل المطلوب.

وتابع إنّ العلاقة المباشـرة بين النـاس ومرجع التقليد تعتبر حالة صحية ومهمة في التقاء المرجع بالناس والاستماع لهمومهم.

وبيّن الشيخ الصفار أنّ مسألة تقليد المرجع يجب ألّا تخضع لمؤثرات عاطفية، أو لعوامل حزبية أو عائلية، بل يجب توفر الشروط الأساسية للتقليد من الاجتهاد والنزاهة والاستقامة لدى الفقيه.

وحول المرجعية المحلّية قال سماحته إنّ المرجعية لها شروط متى توفّرت في أيّ شخص جاز تقليده بغض النظر عن جنسيته وقوميته ومكان تواجده.

وعن التشكيك في ولاء الشيعة بحكم أنّهم يقلّدون مراجع خارج أوطانهم، لفت الشيخ الصفار إلى أنّ كلّ طائفة لها طريقتها في إدارة وضعها الديني، ولا يحقّ لأحدٍ أن يفرض على أحدٍ شيئًا.

وتابع إنّ تلك الاتّهامات هي ضمن حالة الإثارات المذهبية وحالة الاقصاء والتمييز، مؤكّدًا أنّ المرجعية لا تتدخل في شؤون الدول الأخرى، بل تترك التقييم السياسي للعلماء في كلّ بلد بأن يُقرّروا ما يرونهم مناسبًا لهم.

٧

حسن المالكي: بيني وبين الشيخ الصفار تلاق فكري كبير*

قال الشيخ حسن فرحان المالكي إنه لا يشعر بالخلاف مع الشيخ حسن الصفار، لا نفسيًّا ولا ثقافيًّا، مثلما يشعره مع صاحبه السّلفي رغم أنّ مدرستهم واحدة، مؤكّدًا أنّ بينه وبين الشيخ الصفار تلاقيًا فكريًّا كبيرًا.

وقال المالكي في حوار لموقع «ارفع صوتك» إنه قام منذ وقت طويل بحوار مع الإخوة الشيعة، وما يزال.

وتابع: لكنّ شعوري بأنّ الفريق الشيعي مستضعف عندنا في السعودية، يجعلني لا أتحمّس للحوار مع مستضعف، إضافة إلى أنني ممنوع من السّفر خارج السعودية، فلا أستطيع أن أذهب إلى لبنان مثلًا وأقيم حوارًا مع الشيعة.

وعن الحوار مع العلماء الشيعة المعروفين في السعودية، مثل الشيخ حسن الصفار، قال: عندي معرفة بالشيخ حسن الصفار، وبيننا تلاقٍ فكريٍّ كبير. هو لديه حركة نقدية داخل التراث الشيعي، مثلما عندي حركة نقدية داخل التراث السني.

وأوضح أنه يجد أنّ الشيخ حسن الصفار، لو كان هناك تسامح، لكان في هيئة كبار العلماء.

وتابع: المفترض أنّ هيئة كبار العلماء يجب أن تكون من جميع المذاهب الموجودة

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٩ / ٢ / ٢٠١٧م.

في البلد. مؤكّدًا أنّ بينه وبين الشـيخ حسـن معرفة وتبادل زيارات. ولا يشعر بالخلاف معه، لا نفسـيًّا ولا ثقافيًّا، مثلما يشـعر بالخلاف مع صاحبه السّـلفي رغم أنّ مدرستهم واحدة.

وأبان أنّ السّـلفي منغلق على نفسـه ولا يتحاور، بينما الشيخ حسن وأمثاله تجدهم يحفظون الحقوق ويقبلون أن تختلف معهم.

الشيخ الصفار: الاحترام والإكرام ينبغي أن يحكم العلاقة بين أفراد الأسرة*

- **وينتقد إظهار البعض حسن الأخلاق أمام الآخرين وتجاهل أفراد أسرهم.**
- **ويساوي بين واجب الإنفاق على أفراد الأسرة وبين واجب احترامهم.**
- **ويحث على ابداء الاحترام المناسب للأطفال والنأي عن تجاهلهم خاصة أمام الآخرين.**

شدّد سماحة الشيخ حسن الصفار على أولوية التعامل بالأخلاق الحسنة بين أفراد الأسرة باعتبار ذلك سبيلًا لزرع الثقة بالنفس وإشباع العواطف فيما بينهم وطريقًا لاحترام سائر الناس خارج الأسرة.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٧ جمادي الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ٢٤ فبراير ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار أنه كما يجب على ربّ العائلة الإنفاق على أسرته فإن من واجبه أيضًا وبذات القدر احترام أفراد العائلة وإكرامهم وحسن التعامل معهم.

وأضاف سماحته أن على ربّ العائلة أن يعطي الأولوية للتعامل بالأخلاق الحسنة مع عائلته تمامًا كما يعطي الأولوية لإنفاق المال عليهم وذلك بأن يبدي الاحترام لهم وأن يكرمهم قبل غيرهم.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧م

وأوضح بأن البعض قد يجعل الأولوية في إظهار حسن خلقه للآخرين، أما عائلته فلا يهتم كثيرا بإبداء الاحترام والإكرام لهم «لأن له الميانة عليهم، وعلاقتهم مضمونة، ولا يخشى رد فعلهم». معتبرًا سماحته ذلك تصرفًا خاطئًا.

في مقابل ذلك حثّ سماحته على ابداء أفراد العائلة أقصى درجات اللياقة والاحترام فيما بينهم من توقير الكبار واحترام الصغار والتعوّد على إلقاء التحية على بعضهم حال الدخول والخروج.

وانتقد سماحته تساهل البعض في ابداء الاحترام المناسب لأطفالهم وتجاهلهم خاصة أمام الضيوف والغرباء. داعيًا إلى وضع الاعتبار الكامل للطفل أثناء الحديث ووقت الجلوس مع الضيوف أو على المائدة.

وأضاف الشيخ الصفار أمام حشد من المصلين والمصليات أن سيادة أجواء الاحترام داخل المنزل يساهم في تعزيز الثقة بالنفس ويشبع العواطف والمشاعر لجميع أفراد الأسرة.

وتابع سماحته القول إن سيادة أجواء الاحترام في داخل المنزل هو ما يربي أفراد العائلة على التعامل باحترام الآخرين خارج المنزل.

ومضى يقول «حينما يعيش أفراد العائلة أجواء الاحترام والتقدير والكلام الجميل فيما بينهم فإن ألسنتهم تعتاد على ذلك وتتربى عليه في تعاملهم مع جميع الناس».

وقال إن حسن التعامل بين الأبوين والأولاد داخل الأسرة يدخل في صميم الواجب التربوي وهو من أهم موجبات الثواب والرضا الإلهي.

وتناول سماحته جملة من النصوص الدينية التي تشدد على سيادة الأخلاق الحسنة بين أفراد الأسرة سواء بين الزوجين بعضهما لبعض أو بينهما وبين الأبناء.

وحثّ سماحته على جعل العلاقة العائلية بمثابة «مدرسة الاحترام والإكرام».

الشيخ الصفار يؤكّد على أهمية تجديد الفقه والتشريع لمواكبة حركة تطور الحياة*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ حركة التجديد في التشريع الإسلامي تبقى حاجة ضرورية، طالما أنّها مرتبطة بحركة الحياة، وما دامت الحياة متطورة ومتغيّرة.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الجمعة ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ٢٤ فبراير ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «التجديد في الفقه والتشريع الإسلامي». ويحاوره الأستاذ عبد الباري الدخيل.

وأشار الشيخ الصفار إلى أنّ للدين الإلهي ثلاثة أبعاد، منها ما يرتبط بالمعتقدات الدينية، التي لا تتغير، كالإيمان بالله والنبوة والمعاد، معتبرًا أنّها من الأصول الثابتة ولا تتغيّر من نبيٍّ إلى آخر، أو من عصرٍ إلى آخر.

وأضاف أنّ من الثوابت أيضًا القيم الأخلاقية، مثل العدل والحرية والمساواة.

وتابع أنّ البعد الثالث في الدين الإلهي هو التشريعات، مشيرًا إلى أنّ مجال التغيير فيها وارد، وهو ما نلحظه في اختلاف الشرائع السّماوية، بين اليهودية والنصرانية والإسلام، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٦ / ٢ / ٢٠١٧م.

وبيّـن الشـيخ الصفـار أنّ القضايـا العبادية تبقى ثابتـة مثل الصـلاة والصوم.. لكن الأمور المرتبطة بحياة الناس وحركة الحياة، مثل تنظيم الوضع الاقتصادي والسّياسـي للناس، بالإضافة للحياة الأسرية والتربية فمن الطبيعي أن يكون هناك تغيير وتطوير.

وأكّـد أنّ القـرآن الكريم يشـير إلـى إمكانية التغيير في التشـريع، كمـا في موضوع النسـخ، لافتًا أنّ بعض أنواع النسـخ عند علماء المسـلمين مقبول، وبعضه غير مقبول. مستشـهدًا بالآية الكريمة: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِـهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وأوضح سماحته بعض الموارد الواضحة، ومنها تغيير القبلة، حيث كان المسلمون في مكة يصلّون لمدة ثلاث عشـرة سنة من البعثة إلى الهجرة نحو بيت المقدس، وبعد سبعة عشر شهرًا من الهجرة جاء الأمر بتغيير القبلة إلى المسجد الحرام.

وتابع أنّ هناك موارد أيضًا من نسـخ التشريعات في القرآن الكريم كما في موضوع عدد المقاتلين المسـلمين في قتـال الكفار، كما في قوله تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُـوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ثم جاءت آية أخرى تنسـخ تلك الآية وهي قوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّـهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّـهِ وَاللَّـهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وأكّـد الشـيخ الصفـار أنّ هناك العديد مـن العلماء تطرّقوا لموضوع النسـخ، منهم المرجع الراحل السيد الخوئي الذي ناقش أغلب الموارد التي ادّعي فيها نسخ الحكم، لافتًا أنّ النسخ وارد، لكنه يناقش الموارد هل نسخ هذا الحكم أم لا، كما جاء في كتابه (البيان في تفسير القرآن).

وأشـار إلى أنّ السـيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) يفرق فـي الأوامر والأحكام النبويـة بيـن نوعيـن: أحـكام نبوية تشـريعية، وأحـكام نبويـة تدبيرية. حيث للرسـول شـخصيتان، إحداهمـا المبلّـغ للحكم الإلهـي، والأخرى شـخصية الرئيـس والمدبّر

للمجتمع الذي يرعاه ويديره.

وتابع أنّ الأحكام التي تصدر عنه باعتباره رسـولًا مأمورًا من قبل الله بتبليغ حكم، هـي أحكام ثابتة، لكنّ الأحـكام التي تصدر عنه باعتبار إدارتـه للمجتمع، فهي أحكام تدبيرية بما يتناسب مع مصلحة المجتمع آنذاك، فإذا تغيّر الظرف فإنّ النبي يقوم بإلغاء الحكم نفسه.

ومضى في القول إنّ العلماء يتحدثون عن عدة موارد كان النبي قد نهى المسـلمين عنهـا، ومـن ثم أعطى رأيًا آخر، كمـا في موضوع لحوم الأضاحي التي أمر المسـلمين الذين يضحون بألّا يبقى منها في بيوتهم إلّا بمقدار ثلاثة أيام فقط، ثم في السـنة التالية ألغي هذا التحديد بسبب توفر اللحوم حينها.

وأشار سـماحته إلى أنّ الفقهاء يراجعون بعض فتاواهم ويغيّرونها، بناء على إعادة قراءة الدليل، كالرأي المشهور للمرجع الراحل السيد محسن الحكيم في مسألة طهارة أهل الكتاب.

وأضاف أنّ الأحكام الشـرعية التي قد تستوجب حرجًا على الناس، تدعوا الفقهاء لأن يراجعوا قراءة النص والدليل، ومعايشـة الفقيه للواقع كما في مسـألة بعض أحكام الحج كحدود الطواف حول الكعبة ومكان ذبح الهدي.

ولفت الشيخ الصفار إلى رأي للمرجع المعاصر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في مسألة الأضحية، وذلك بعد ذهابه إلى الحج، أعلن أنه تأثر من عدم الاستفادة من هذه الأضاحي والثروة الكبيرة، فأعاد النظر في فتواه، وأفتى بأنّ الحاج بإمكانه أن يذبح في بلده.

وأرجع سـماحته التـردّد والبطء في التجديد الفقهي لعدم وجود مؤسّسـات علمية تساند حركة الاجتهاد الفقهي وتساعد في قراءة البيئة التاريخية لصدور الحكم الشرعي ودراسة الواقع المعاصر لمعرفة إمكانات التطبيق.

وأشـار إلى أحد أهم الأسـباب في التردّد أيضًا الأجواء العامة التي لا تسـاعد على التعبيـر عن الـرأي الجديد، فالناس قد ألفوا أحكامًا توارثوهـا جيلًا بعد جيلٍ، فإذا أتى رأي جديد يواجه ممانعة ورفضًا في الغالب وخاصة من قبل الأوساط المحافظة.

الشيخ الصفار يحض على تعزيز حالة الاحترام ضمن اطار العلاقات الاجتماعية*

- **وينتقد بشدة ملاقاة الناس «بوجوه مكفهرة» عندما يكونون في موضع الحاجة.**
- **وينوّه بالعادات الجديدة الحسنة من حفلات التكريم وأعياد الميلاد العائلية.**
- **ويؤكد على الأهمية المضاعفة الملقاة على عاتق علماء الدين والأطباء والموظفين.**

حثّ سماحة الشيخ حسن الصفار على التحلي بمكارم الأخلاق، وتعزيز حالة الاحترام، ضمن إطار العلاقات الاجتماعية، محذرًا بشدة من تجاهل الآخرين والنظر إليهم بدونية، أو جرح مشاعرهم بقول أو فعل.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٤ جمادي الثاني ١٤٣٨هـ الموافق ٣ مارس ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن التعاليم الدينية تحذّر من تجاهل الآخرين، والنظر إليهم بدونية، كما ويجرّم الإسلام جرح مشاعر الناس بقول أو فعل.

وأكد على الأهمية المضاعفة الملقاة على عاتق علماء الدين والأطباء والموظفين العموميين في استقبال ذوي الحاجات من الناس.

وانتقد بشدة ملاقاة الناس «بوجوه مكفهرة» خاصة عندما يكونون في موضع

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٣ / ٣ / ٢٠١٧م

الحاجة مستفتين في مسائل شرعية أم طالبي علاج أم مراجعين لدوائر عامة.

وأورد سماحته بعضًا من مظاهر الاحترام الواجب تقديمها للآخرين، ومن ذلك إلقاء السلام عليهم صغارًا وكبارًا، واستقبالهم بطلاقة الوجه والإفساح لهم في المجالس وطيب الكلام معهم.

وأضاف القول «لا شيء يسعد الإنسان كشعوره باهتمام الآخرين به، فذلك ما يعزّز ثقته بنفسه ورضاه عن ذاته، ويشده إلى محيطه الاجتماعي».

ومضى يقول «إن فرح الإنسان باحترام الآخرين له، أكثر من فرحه بعطاياهم المادية».

وفي السياق نوّه سماحته إلى العادات الجديدة الحسنة من حفلات التكريم وأعياد الميلاد العائلية عادًّا ذلك من العادات الحسنة ومظاهر احترام الآخرين وإبداء التقدير لهم والاهتمام بهم.

وتناول الشيخ الصفار جملة من النصوص الدينية التي تؤكد على أهمية احترام الآخرين وضرورة ذلك في الحياة الاجتماعية.

خلال الندوة الأسبوعية في مجلس سماحته

الشيخ الصفار يطالب الآباء بتفهّم ظروف أبنائهم واستيعاب تطورات الحياة*

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار الآباء بتفهّم الظروف الجديدة التي يعيشها أبناؤهم، والتي تختلف عن الظروف التي عاشوها، مشيرًا في الوقت نفسه لأهمية تفهم الأبناء عمق محبّة الآباء وحرصهم على مصلحتهم.

جاء ذلك خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الخميس ٣ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ الموافق ٢ مارس ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «سلطة الآباء وحرية الأبناء». ويحاوره الأستاذ عبد الباري الدخيل.

وقال الشيخ الصفار: إنّ سرعة التطور في الحياة خلق فاصلًا كبيرًا بين الآباء والأبناء، مشيرًا إلى أنّ التطورات التي حصلت في الحياة على المستوى العلمي والتقني والاقتصادي والاجتماعي جعل وكأنّ كلًّا منهما ينتمي إلى عالم يختلف عن الآخر.

وأكد سماحته أنّ من حقّ الأب أن يعمل ويسعى لمصلحة وصلاح الأبناء «ذكورًا وإناثًا»، وتأمين مستقبلهم، ونقل تجاربه لهم، لافتًا أنّ ذلك يعتبر أمرًا فطريًّا. مضيفًا أنّ جانب الخطأ يكمن في الأساليب التي يتخذها بعض الآباء تجاه الأبناء.

وأشار إلى أنّ من حقّ الابن أن يتمتع بحريته واختياره؛ لكونه إنساناً، لكن من

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ٣ / ٢٠١٧م.

الخطأ أن يتجاهل عواطف وتجارب أبيه.

وشدّد على أهمية التفكير في اختيار الأسلوب المناسب، من خلال الإقناع من جانب الأب تجاه ابنه، وأسلوب الامتناع من قبل الابن تجاه والده، بحيث لا يكون الامتناع جافًّا وصلفًا ويتجاوز حدود الأدب تجاه الأب.

وفي مسألة حدود الأب في إصلاح ابنه، أشار سماحته لوجود مرحلتين: الأولى قبل سنّ البلوغ والرشد، فيكون الابن في ولاية الأب.

وأوضح أنّ المرحلة الثانية هي ما بعد البلوغ حيث أصبح الابن شخصية مستقلة، وصلاحية الأب تجاه ابنه في حدود الواجبات الإسلامية العامة كواجب الأمر بالمعروف والنهي على المنكر وواجب الهداية والإرشاد فقط.

وأَسِفَ الشيخ الصفار لاستخدام العنف من قبل بعض الآباء تجاه أبناءهم الصّغار، مشيرًا إلى أنّ الشرع لا يسمح باستخدام العنف إلّا في ظروف معينة، وألّا يكون الضرب مؤذياً مبرّحاً، مضيفًا أنّ الأفضل هو عدم العنف؛ لأنه غير مجدٍ تربويًّا.

وأكّد سماحته ألّا سلطة للآباء تجاه أبناءهم البالغين سوى واجب الأمر بالمعروف والنهي المنكر، مشيرًا إلى أنّ الولد مثله كمثل الشخص الأجنبي في هذا الشّأن، مع فارق ما للوالد من مقام، لكن شرعيًّا لا وجوب على الأب أكثر من ذلك.

وتابع «ليس من حقّ الإنسان ولا يجب عليه أن يفرض الصلاح على الناس، سواء كانوا أجانب أو من أهل بيته».

واستنكر سماحته ما يحصل تجاه النساء فيما يسمى «جرائم الشرف» في بعض المجتمعات والبلدان، التي تسوّغ للعائلة والأخوة قتل المرأة بسبب انحرافها، بل في بعض الأحيان هناك حالات قتل لمجرد الشك في انحرافها. مؤكّدًا أنّ إقامة الحدّ الشرعي لا يقوم به كلّ إنسان، بل راجع للحاكم الشرعي وبعد إثبات الحكم الشرعي.

وانتقد حالة التنميط في تحميل الأب أو العائلة في مسؤولية انحراف الأبناء، مشيرًا

إلى أنّ القرآن الكريم يتحدّث عن بيوت كانت بها انحرافات في أولادها، كقصة ابن نبي الله نوح الذي اختار الضلال والانحراف، ولم يكن هناك تقصير من قبل أبيه.

وأشار لوجود حالات انحراف لدى بعض أبناء الأئمة، كما في قصة عبد الله الأفطح ابن الإمام الصادق، حيث قام بتخطئة موقف أمير المؤمنين في حرب صفين والجمل، ومن ثم طرح إمامته ورغم أنه ابن إمام معصوم وجعفر الكذّاب ابن الإمام الهادي، وهذا ما يوجب عدم تحميل العائلة مسؤولية انحراف بعض أبنائها.

وطالب سماحته المجتمع بعدم القسوة تجاه الآباء والعوائل التي قد تبتلى بانحراف أبنائها، مشيرًا إلى أنّ هذه العوائل تصاب بمصيبتين، مصيبة انحراف الابن، ومصيبة تحميل المجتمع لهم هذا الانحراف، مؤكّدًا أنّ هذا أمر خطأ وغير سليم.

وانتقد الشيخ الصفار الفرض الذي يمارسه بعض الآباء في الأمور الشخصية على أبنائهم، كالزواج من امرأة معينة أو في اختيار التخصص الدراسي.

وأكّد أنّ رفض الابن لذلك الاختيار لا يصيّره عاقًا لوالده؛ لكون تلك الأمور من اختيار الإنسان الشخصي، ولا يصحّ للآباء أن يفرضوا فيها على أبنائهم.

مشاركاً في ملتقى الوقف الجعفري بالكويت

الشيخ الصفار: الرهان على حكمة القيادة وعقلاء المجتمع لتجاوز الفتن*

قال الشيخ حسن الصفار إنّه يراهن على حكمة قيادات الأمة وعقلائها لتجاوز الفتن، مؤكّداً على وجوب الحذر من الوقوع في فخ الفتنة وفقدان الأمن.

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها سماحته في الجلسة الختامية لملتقى الوقف الجعفري السادس في الكويت صباح يوم الثلاثاء ٧ مارس ٢٠١٧م ممثلًا لضيوف الملتقى. وأبان سماحته أنّ من حقّ كلّ طائفة وكلّ مكوّن أن يتطلّع إلى مزيد من الحقوق والمكاسب، لكن ما يجب الحذر منه هو الوقوع في فخ الفتنة وفقدان الأمن.

وأضاف: إنّ في تراثنا الشيعي والسّني ما قد يؤجّج الأضغان والأحقاد، وحولنا مناطق مشتعلة. ويوجد جهّال حمقى من السُنّة والشيعة، وهناك أعداء يريدون لنا الاحتراب لتشغيل مصانع أسلحتهم، ولخدمة مصالحهم وأطماعهم.

وتابع: لكنّ الرهان هو على حكمة القيادة، وعقلاء المجتمع، وهذا هو النموذج المشرق الذي تقدّمه دولة الكويت. وعن بحوث الملتقى ونقاشاته العلمية، قال الشيخ الصفار: نؤمن باستمرار مسيرة الاجتهاد والبحث العلمي، فباب الاجتهاد لم ولا يغلق، وتطورات الحياة تحتاج إلى مواكبة فقهية تشريعيّة، فما استنبطه الفقهاء السّابقون من مسائل وأحكام، يعبّر عن فهومهم، ويستجيب لحاجات أزمنتهم وبيئاتهم.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠ / ٣ / ٢٠١٧م.

وأضاف: إنّ من حقّ الفقهاء المعاصرين، بل من الواجب عليهم إعادة القراءة والنظر في كلّ الأحكام والمسائل، ليتأكّدوا من مطابقتها لمرادات الشّارع المقدّس، ولاستنباط أحكام ما يستجدّ من نوازل وقضايا معاصرة.

وانتقد الشيخ الصفار حالة الركود والإرهاب الفكري قائلًا: «لكن السّاحة العلميّة الفقهيّة قد تعاني في بعض الفترات حالة من الركود والجمود، والوقوف عندما رآه الأسلاف وقرروه. وتابع: قد تسود الأجواء حالة من الرهبة والمعارضة للآراء الجديدة المخالفة للسّائد والمشهور، وهذا ما يعوّق مسيرة الاجتهاد، ويمنع تطوير التشريعات، بما يتناسب مع حاجات وظروف الحاضر.

وأوضح أنّ رسالة هذه المؤتمرات والملتقيات تشجيع العلماء والباحثين على طرح آرائهم، وعرضها للدراسة والنقاش، بعيدًا عن التزمّت والإرهاب الفكري.

كما قدّم الشيخ الصفار شكره لدولة الكويت قيادة وشعبًا على كرم الضيافة وحسن الاستقبال وقال: أغتنم هذه الفرصة لأهنّئ الشعب الكويتي بتلاحمه الوطني، وحفاظه على وحدته وأمنه الاجتماعي في وقت تعاني فيه شعوب وأوطان عديدة من حالات الانقسام والاحتراب والفتن الطائفية المدمرة».

وكان الملتقى قد انعقد برعاية صاحب السمو أمير دولة الكويت، وقد حضر الجلسة الختامية معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية محمد بن ناصر الجبري، والأمين العام للأمانة العامة للأوقاف محمد الجلاهمة، وأعضاء إدارة الوقف الجعفري، وجمع من الشخصيات العلمية والاجتماعية، ووسائل الإعلام.

وكانت فعاليات الملتقى افتتحت صباح يوم الأحد ٥ مارس ٢٠١٧م في فندق كراون بلازا واستمرت ثلاثة أيام، شارك فيها علماء وباحثون من العراق ولبنان وإيران والسعودية وسلطنة عمان والهند وجنوب أفريقيا.

٧

الشيخ الصفار يدين بشدة «الانفلات الأمني» في المنطقة*

- **ويدعو الجهات المختصة إلى وضع حدٍّ لحالة الانفلات الأمني.**
- **ويحثّ أفراد المجتمع على تحمل مسؤوليتهم في محاصرة توجهات العنف.**
- **ويدعو الجهات الرسمية إلى إنشاء هيئة لإدارة الأوقاف الجعفرية.**

دان سماحة الشيخ حسن الصفار بشدة حالة الإنفلات الأمني التي شهدتها المنطقة في الأيام القليلة الماضية وآخرها محاولة اغتيال عضو سابق في المجلس البلدي داعيًا الجهات المختصة إلى وضع حدٍّ لهذه الحالة.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١١ جمادي الثاني ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ مارس ٢٠١٦م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار: «إننا نطالب الدولة أن تضع حدًّا لهذا الانفلات الأمني». داعيًا في الوقت عينه أفراد المجتمع إلى تحمل مسؤوليتهم في محاصرة توجهات العنف والتعاون مع أجهزة الدولة في مواجهتها.

وكانت المنطقة في الأيام القليلة الماضية مسرحًا لسلسلة من حوادث العنف البشعة آخرها محاولة اغتيال عضو المجلس البلدي السابق المهندس نبيه البراهيم في العوامية مساء أمس الخميس.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠ / ٣ / ٢٠١٧م

وسبق ذلك بيومين مقتل شرطي على يد مجهولين في تاروت والعثور على جثة شاب ملطخة بالدماء ملقاة في منطقة زراعية في القديح إضافة لوقوع إعتداءات متكررة على فروع البنوك المحلية في المنطقة.

كما لايزال اختفاء قاضي دائرة الأوقاف والمواريث في القطيف الشيخ محمد الجيراني مستمرًا منذ اختطافه في شهر ديسمبر.

وأمام حشد من المصلين والمصليات أعرب الشيخ الصفار عن حزنه وألمه لوقوع هذه الحوادث في المجتمع المحلي.

وقال سماحته: «إنه لواقع مؤلم ومحزن أن تحصل هذه الحوادث في مجتمعنا المسالم ومنطقتنا الآمنة التي كنا نفاخر بسلميتها فيما سبق».

ويدعو إلى إنشاء هيئة لإدارة الأوقاف الجعفرية

وفي سياق مختلف دعا سماحة الشيخ الصفار الجهات الرسمية إلى إنشاء هيئة لإدارة الأوقاف الجعفرية في المنطقة تحت إشراف شرعي على غرار الهيئات الموجودة في أمارة دبي ومملكة البحرين ودولة الكويت.

وقال سماحته إن القطيف والأحساء بحاجة ماسّة إلى تشكيل مؤسسة معنية بالأوقاف الجعفرية تقوم على تنميتها وتوظيف إمكاناتها في خدمة المجتمع ضمن الضوابط الشرعية.

وأضاف أن هناك أوقافًا كثيرة «بعضها معرّض للضياع، وبعضها معطّل، وبعضها لا يستثمر بالطريقة الفضلى».

وأوضح بأن دائرة الأوقاف والمواريث لا تستطع بصورتها الحالية القيام بهذا الدور. مضيفًا القول «لا بُدّ من الفصل بين مهمة الأحوال الشخصية من الزواج والطلاق والإرث، وبين تنظيم الأوقاف وتنميتها وترشيدها».

وشـدد الشيخ الصفار على الحاجة إلى قرار حكومي بتشكيل هيئة لإدارة الأوقاف في المنطقة تحت إشراف ديني شرعي.

وأشـار سـماحته إلى تجارب خليجية رسـمية أنشـأت فيها هيئات لإدارة الأوقاف الشيعية في أمارة دبي ومملكة البحرين ودولة الكويت.

وتنـاول فـي السـياق انعقاد ملتقـى الوقف الجعفري السـادس بالكويت الأسـبوع المنصرم والذي خصص معظم جلسـاته لبحث موضوع وقف الوقت وشارك سماحته في أعماله.

وعقد الملتقى على مدى ثلاثة أيام تحت رعاية أمير الكويت وحضره وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلًا عن الأمير.

وشـارك في الملتقـى عدد من العلماء والباحثين من الكويت والقطيف والأحسـاء وإيران والعراق ولبنان ومسقط والهند وجنوب أفريقيا.

الشيخ الصفار: وجود مؤسسة للأوقاف «الشيعية» أفضل من بقائها على الوضع الحالي*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ على أبناء المنطقة السعي لإقامة مؤسّسة معنيّة بالأوقاف الجعفرية تقوم على تنميتها وتوظيف إمكاناتها في خدمة المجتمع ضمن الضوابط الشرعية.

جاء ذلك خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الجمعة ١١ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ مارس ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «الثروة الوقفية بين الإهمال والتفعيل». ويحاوره الأستاذ عبد الباري الدخيل.

وأشار سماحته إلى أنّ وجود مؤسّسة للأوقاف «حتى مع وجود أخطاء وثغرات» إلّا أنّها أفضل من الفوضى الحاصلة الآن.

مضيفًا أنّ الخيار الأفضل هو إقامة مؤسّسة أهليّة من أبناء المجتمع تقوم بإدارة الأوقاف، ولكن لو تعذّر إنشاء مثل هذه المؤسّسة، فإنّ طلب إقامة مؤسّسة رسمية للأوقاف هو أفضل من الوضع الحالي.

وأبان الشيخ الصفار أنّ الثروة الوقفية في منطقتنا كبيرة وهائلة جدًّا، مشيرًا إلى أنّ الاستفادة الفعلية منهاما يزال ضئيلًا جدًّا.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠١٧م.

وعزَا سماحته السبب الرئيس إلى عدم الاستفادة من تلك الأوقاف عدم وجود مؤسّسة تُعنى بشؤون وإدارة الأوقاف في المجتمع.

ومضى في القول «إنّ كلّ الدول الإسلامية فيها مؤسّسات وقفية، وهناك تفعيل جيّد لها، مشيرًا لوجود تجارب للشيعة في عدد من البلدان لإدارة الوقف الشيعي، حتى مع وجود بعض النواقص».

وبيّن الشيخ الصفار أنّ الأوقاف وإنْ كانت لشؤون دينية خاصّة، لكن عندما تفعّل استثماريًّا فإنّها تساعد في تنشيط الحركة الاقتصادية في المجتمع.

وأشار إلى أنّ الأغراض الدينية أغراض مهمّة، والمجتمع الديني يحتاج لمصادر تمويل، والأوقاف بإمكانها أن تقوم بذلك، وبإمكانها أن تساعد المجتمع اقتصاديًّا واجتماعيًّا.

وأكّد سماحته أنّ أحد المشاكل في عدم الاستفادة من الأوقاف راجع لكون الناس قد أَلِفُو التصرّف في هذه الأوقاف وفق البرامج السّابقة.

ولفت النظر إلى أنّ الكثير من الوقفيات تعطي عناوين عامة، وهي فرصة من أجل التجديد والتطوير فيها.

وأشاد سماحته بما رآه من مشاريع كبيرة ومهمّة تقوم بها دائرة الأوقاف في العتبة الحسينية بكربلاء، والأوقاف التابعة للإمام الرضا في مشهد.

وأشار سماحته إلى أنّ ٧٠٪ من الأوقاف في منطقتي القطيف والأحساء هي مخصّصة للأمور الدينية، لافتًا إلى أنّ الفقهاء لا يعارضون توجيه ما زاد من دخل الوقف المخصص لموضوع، بحيث يصرف الفائض على موارد أخرى قريبة من المرود المحدد.

وأكّد أنّ هناك موارد جديدة تحتاج منا الوقف عليها مثل الاهتمام بعوائل السّجناء، وابتعاث الطلبة لتحصيل العلم، وإقامة المؤسّسات المختلفة.

وأوضح أنّ على العلماء والخطباء وهم منتجي الخطاب الديني أنْ يتحمّلوا المسؤولية، وأن يولوا الجوانب الجديدة الاهتمام وحثّ الناس عليها.

ولفت إلى أنّ تركيز الأوقاف على الأمور الدينية في السّابق راجع للخوف على الهوية، وهو ما كان يركّز عليه الخطاب الديني. مؤكّدًا أنّ الظرف تغيّر الآن عن السّابق، وهو ما يوجب السعي من أجل الاهتمام بأمور أخرى للوقف.

وأشار سماحته إلى أنّ السّيدة الزهراء وأهل البيت عليهم السلام كانوا يركزون في وقوفاتهم على الصدقات.

وأكّد الشيخ الصفار أنّ المسلمين الشيعة يمتلكون ثروة فقهية كبيرة، مشيرًا لوجود معاناة في تعثر وتباطؤ مسيرة البحث واستجابته لمتطلبات العصر.

الشيخ الصفار يرفض التخويف من البحث في الافكار والاشكالات المعرفية والدينية*

- **ويقول إن ٩٤ بالمئة من المسائل الدينية هي محل نقاش، في مقابل ٦ بالمئة من الضروريات.**
- **ويشير إلى أن الرسالات السماوية لا تريد من أتباعها أن يكونوا سذّجًا أو إمّعات.**
- **ويقول بأن بعض الناس يصدمهم النقاش في أفكار كانوا يرونها من المسلّمات.**

رفض سماحة الشيخ حسن الصفار حالة التخوّف والتخويف من البحث والنقاش في الأفكار والتساؤلات والإشكالات المعرفية والدينية على قاعدة التسلح بالمنهجية السليمة وممارسة التفكير الحر.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١٨ جمادي الثاني ١٤٣٨هـ الموافق ١٧ مارس ٢٠١٧م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار «لا ينبغي أن يتهيب الفرد أو المجتمع من النقاش في الأفكار والتساؤلات والإشكالات حول القضايا المعرفية والدينية».

وحثّ على التسلح بالمنهجية السليمة وممارسة التفكير الحر في مناقشة مختلف القضايا والتساؤلات.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٧ / ٣ / ٢٠١٧م

وأضاف القول «لا بُدّ من بذل جهد للوصول إلى المعرفة، ولا بُدّ من التحلي بالمنهجية الموضوعية، وعدم الاستعجال، والوقوع تحت الانفعالات النفسية».

ورأى سماحته بأن أجواء الانفتاح العالمي نقلت إلى مجتمعاتنا الدينية حالات من الاختلاف والصراع الفكري «وذلك أمر طبيعي». قائلًا بأن بعض الناس يصدمهم النقاش في أفكار كانوا يرونها من المسلّمات.

وتابع أمام حشد من المصلين والمصليات «إن بعض الناس يتصورون من بساطتهم أن بروز هذه التساؤلات والنقاشات بمثابة بداية النهاية للدين والمذهب وأننا بتنا نعيش آخر الزمان».

وفنّد سماحته ذلك التصور بقول أحد المراجع الدينية الكبار في النجف الأشرف وهو الشيخ الفيّاض الذي رأى في بحث فقهي أن ٩٤ بالمئة من المسائل الدينية هي محل نقاش، في مقابل ٦ بالمئة فقط تعدُّ من الضروريات التي لا نقاش فيها.

ومضى يقول «إن الأديان أقوى وأمنع من أن تنسفها أو تضعفها الإشكالات، وما يطرح اليوم في جوهره ليس جديدًا بل كان موجودًا من أول الزمان».

ويرفض الخطابات المدغدغة للمشاعر

وقال الشيخ الصفار إن الرسالات السماوية لا تريد من أتباعها أن يكونوا سذّجًا أو إمّعات وإنما تحثهم باستمرار على التفكر والتعقل والتدبر في معتقداتهم الدينية.

وشدد سماحته القول أنه بخلاف المسائل الفقهية التي تتطلب قدرة معينة على الإستنباط يبقى المجال الديني على مستوى المعارف والأفكار مسرحًا لإعمال العقل والعلم والوعي وليس التبعية.

وحّث سماحته على التأني حيال الأفكار الدينية الجديدة وعدم رفضها جزافًا والتوجه عوضًا عن ذلك إلى الوقوف على حقيقتها في مصادر المعرفة التي باتت متاحة للجميع عبر الشبكة العنكبوتية.

وتابع القول إنه بعد البحث «إذا لم يقتنع المرء بفكرة فليس ملزمًا بالإيمان بها ولكن لا داعي للخوف والتخويف منها».

وانتقد الشيخ الصفار بعض الخطابات الدينية «التي لا تصدر من جهات تعتمد التحقيق والبحث وإنما تختار من التراث ما يدغدغ العواطف والمشاعر».

وقال سماحته إن عدم التدقيق في مصادر الروايات او القصص المطروحة يفقد الثقة بمكانة المنبر الديني في أذهان المستمعين.

وأضاف بأن هذه الحالة تسبب التشويه لمذهب أهل البيت وإرباكًا في أوساط المؤمنين وتعطي الذريعة للتصيد من قبل المغرضين، داعيًا الواعين إلى الدفع باتجاه الارتقاء بالخطاب الديني.

ودعا سماحته أفراد المجتمع إلى المساهمة في الارتقاء بالخطاب الديني من خلال النقد البنّاء للخطباء الذين لا يولون العناية الكافية بالبحث والتحري عن مصادر أقوالهم.

الشيخ الصفار: صَدَمَنا فشل التصويت على تجريم الكراهية والتحريض*

أعرب الشيخ حسن الصفار عن صدمته بسبب فشل التصويت في مجلس الشّورى على اقتراح قرار تجريم الكراهية والتحريض، مؤكّدًا أنّ المواطنين في المملكة انتظروا هذا القرار الذي يحمي وحدة الوطن ومنجزاته.

وفي مداخلة له خلال لقاء «»رئيس مجلس الشورى الشيخ الدكتور عبدالله آل الشيخ قال سماحته: إنّ الوحدة الوطنية هي أهمّ منجز تحقّق في هذه البلاد، وهو ما نفخر به جميعًا، إنّها الصّخرة التي تحطّمت عليها أحلام الطامعين، وواجبنا جميعًا حماية هذه الوحدة والحفاظ عليها.

وتابع: لعلّ من أهمّ الأخطار على وحدتنا المحاولات الشريرة لبثّ التفرقة بين المواطنين، والتحريض على الكراهية، خاصة مع ما يمرّ بالمنطقة العربية من اضطرابات يعاني منها أكثر من بلد.

وأضاف أنّ وجود منابر ووسائل إعلام ومواقع تواصل اجتماعي تحترف نشر الكراهية وتحريض المواطنين بعضهم على بعض، يمثل مصدر خطر كبير خاصّة على الشباب والناشئة، ووجود عناصر شرّيرة من هذا الطرف أو ذاك لا يبرّر شيطنة مجتمعات بأكملها، فالأشرار موجودون في كلّ المجتمعات، كما يوجد الطيبون.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٩ / ٣ / ٢٠١٧م.

وأبان سماحته أنّ أعناق المواطنين اشرأبت لقيام مجلس الشورى بدور أساس في تعزيـز الوحدة الوطنية، عبر تجريم التحريض والدعوات العنصرية، لكن ما صدمنا هو سقوط المشروع الذي قدّمه عدد من أعضاء المجلس عند مناقشته والتصويت عليه.

وقـال الشـيخ الصفار: إننا نأمل ونطالب بإعادة تقديم مشـروع بهـذا الاتجاه ولعلّ الظروف الآن أكثر ملاءمة لإنضاج المشروع والموافقة عليه.

وكان جـواب رئيس مجلس الشـورى: بـأنّ المجلس قبِل هذا المشـروع وطرحه؛ لأنّـه موافق مع توجّهات الدولـة، وأمر وارد، وليس فيه مخالفات، ولكن عندما عرض خالفه بعض الأعضاء وبيّنوا أن بعض المواد التي طرحت موجودة في النظام الأساسي للحكم، وبالتالي سيكون هناك ازدواج.

يشار إلى أنّ مجلس الشورى ناقش مشروع نظام حماية الوحدة الوطنية والمحافظة عليها، المقدم من عدد من أعضاء المجلس في جلسـته المقرّر لنقاش الموضع بتاريخ ٢٨ شعبان ١٤٣٦هـ الموافق ١٦ يونيو ٢٠١٥م. وقد صوّت ٧٤ عضوًا ضدّ المشروع، بينما وافق ٤٧ عضوًا، وامتنع ١١ عضوًا في المجلس عن التصويت.

وقد حضر اللقاء على شـرف رئيس مجلس الشورى الذي استضافه رجل الأعمال عضو مجلس الشورى عبد الرحمن الراشد في العزيزية بالخبر مساء يوم الخميس ليلة الجمعة ١٨/ ٦/ ١٤٣٨هـ الموافق ١٧/ ٣/ ٢٠١٧م عدد من أعضاء مجلس الشـورى وعلمـاء الديـن ورجال الأعمـال، وأدار اللقاء الدكتور عبد الرحمـن الجعفري، حيث تحدّث رئيس مجلس الشـورى مبديًا سـروره باللقاء، مشيرًا إلى دور المجلس وطبيعة عملـه، واسـتمع إلـى مداخلات عـدة، أجـاب على بعضهـا، وأحال بعـض الإجابات لأعضاء آخرين من المجلس.

الشيخ الصفار: الايمان الحقيقي يتجسّد في علاقتك بالناس*

- **وقال: كانت الزهراء ترى القرب إلى الله بمساعدة الناس.**
- **مؤكّدًا أنّ السّيدة الزهراء لم تنفصل عن مجتمعها وقضاياه.**

قال الشيخ حسن الصفار إنّ السّيدة الزهراء كانت تجسّد الإيمان الحقيقي، وكانت ترى أنّ القرب من الله يكون بمساعدة الناس، والاهتمام بهم. مؤكّدًا أنّ العبادة التي لا تنتج حبًّا لخلق الله عبادة فارغة.

جاء ذلك في كلمة ألقاها ضمن احتفال أقيم بمناسبة ذكرى ميلاد السّيدة الزهراء عليها السلام في مسجد الإمام الجواد بسيهات مساء السبت ليلة الأحد ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ الموافق ١٨ مارس ٢٠١٧م.

واستعرض سماحته بعض الدروس المستفادة من حياة فاطمة الزهراء، ومن أبرزها خدمة المؤمنين، والسّعي لقضاء حوائجهم، والتعامل معهم على أنّهم «عيال الله وأنّ أحبّهم إلى الله أنفعهم إلى عياله»، وأنّ الله يُسرّ ويفرح بمن يهتمّ بعياله.

وأشار سماحته إلى أنّ التقرّب إلى الله ليس حكرًا على العبادات من صلاة وصوم بل إنّ مساعدة الناس ومعاملتهم بالحسنى من أفضل العبادات.

وتابع: الدين المعاملة، والعبادة التي لا تدفع لحبّ الناس ومساعدتهم عبادة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠ / ٣ / ٢٠١٧م.

ناقصة. واستنكر سماحته شعور البعض بالتميّز لتفوقهم على أقرانهم وأبناء محيطهم، فيستحضرون هذا التميّز، ويعاملون الناس بتعالٍ وفوقية.

وأضاف: من يعيش حالة التعالي لتميّزه لا يعود يشعر بالعلاقة الإنسانية، فلا يصرف وقته وجهده لهم. وطالب الشيخ الصفار إعادة النظر في مقولة «الانشغال بالحقّ عن الخلق» واستبداله بـ «الانشغال بالخلق من أجل الحقّ».

وأبان سماحته أنّ أهل البيت ﷺ لم يتعالوا على أحدٍ رغم علمهم وعظمتهم وسموّ مكانتهم، مؤكّدًا أنّ الزهراء ﷺ كانت تدعو «للجار قبل الدّار».

وعن عظمة الاهتمام بعيال الله استشهد سماحته بقول الله ـ كما في الحديث ـ (يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، وَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟...).

وأوضح الشيخ الصفار أنّ أهل البيت ﷺ ما كانوا يرون القرب من الله بالعبادات الخاصّة وإن كانوا قمّة في ذلك، لكنهم اتخذوا من مساعدة الناس طريقًا للتقرّب إلى الله.

واستشهد على إنسانية السّيدة الزهراء بتعاملها مع خادمتها، ذاكرًا ما رواه سلمان الفارسي أنه قال: كانت فاطمة ﷺ جالسة قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل والحسين في ناحية الدار يتضوّر من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفّاك وهذه فضة، فقالت: أوصاني رسول الله ﷺ أن تكون الخدمة لها يومًا، فكان أمس يوم خدمتها.

هذا وقد بدأ الحفل بآيات بينات من الذكر الحكيم بصوت المقرئ الحاج جعفر البوري، وختم بالمولد والأراجيز مع الملّا الأستاذ حسين الربعان.

الشيخ الصفار: الظروف السّياسية «الراهنة» ساهمت في تركيز الخطاب الديني على العاطفة*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ الخطاب الديني السّائد متأثّر بالمزاج العام، مشيرًا إلى أنّ الظروف السّياسية الحالية أثّرت في طبيعة الخطاب الديني وميله نحو دغدغة عواطف الجمهور.

جاء ذلك خلال الندوة الأسبوعية التي يقيمها سماحته في مجلسه الأسبوعي مساء يوم الجمعة ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ الموافق ١٧ مارس ٢٠١٧. وجاءت تحت عنوان: «الخطاب الديني بين العاطفة والوعي». ويحاوره الأستاذ عبد الباري الدخيل.

وأضاف الشيخ الصفار أنّ مجتمعاتنا تعيش الآن اشتداد حالة الصّراع على الهوية، وهناك معارك سياسية يستفاد من الجانب الديني في إدارتها.

ورأى أنّ من يرى ما يحصل من حروب وصراعات في عدد من الدول كسورية والعراق وغيرها، فهي تؤثر في نوع الخطاب، مضيفًا أنّ هناك من يستفيد من هذه الأحداث بما يخدم المواقف الطائفية المنحازة.

وفي سياق آخر، قال الشيخ الصفار إنّ هناك من يتوقّع من الخطاب الديني أن يقوم بأدوار فوق طاقته، بأن يحلّ كلّ مشاكل الحياة، الاقتصادية والسّياسية والاجتماعية.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٠ / ٣ / ٢٠١٧م.

وأشار إلى أنّ قسمًا كبيرًا من المشاكل لا تحلّ بمجرد الخطاب، فهناك قضايا تعالج بالقوانين والإجراءات الرسمية وهناك قضايا ينبغي أن تشتغل بها مؤسّسات اجتماعية، وهناك قضايا تحتاج إلى خبراء ومتخصّصين ومؤسّسات.

وطالب سماحته بعدم تحميل الخطاب الديني فوق طاقته، وكأنّه بديل عن مصادر المعرفة الأخرى، لافتًا في الوقت عينه إلى أهمية أن يذكّر الخطاب الديني بالقيم والتوجيهات الروحية والأخلاقية.

وأشار إلى أهمية احترام التخصّصات المختلفة، مشيرًا إلى أنّ الفواصل «في هذا الزمن» بين النخبة والجمهور أقلّ من السّابق، بسبب ارتفاع مستوى العلم والمعرفة وتوفّر مساحة التعليم للناس.

وتابع أنّ الخطاب الديني ينقسم إلى قسمين: فهناك خطاب ديني منهجي، يتمثل في الدراسات والبحوث وينتج معارف علمية منهجية، وهناك خطٌّ آخر جماهيري بعضه ينهج نحو اجترار العواطف على حساب العقل.

وأشار إلى أنّ الكثير من المتديّنين لا يكلّف نفسه عناء البحث والمعرفة، مطالبًا الشباب بعدم الاكتفاء بما يستمعونه من المنبر فقط، بل عليهم السّعي نحو الاطّلاع والمعرفة وهي أصبحت متوفرة في هذا الزمن.

وأشاد في هذا السّياق بمجلة «الاجتهاد والتجديد» وهي مجلة فصلية تحوي أبحاثًا ودراسات قيّمة في المجالات الفقهية والفكرية والتاريخية، وفيها مساحات حوار وبحث، مطالبًا الشباب أن يطّلعوا عليها وأن يستفيدوا منها.

وشدّد سماحته على أهمية تفعيل دور المرجعية الدينية، من خلال إصدار التوجيهات اللازمة للخطباء والمبلّغين حتى يكون خطابهم بمستوى التحدّيات.

وأشاد بالتوصيات التي وجهتها مرجعية السّيد السّيستاني قبيل شهر محرم من هذا العام، التي تؤكّد على الخطباء والمبلّغين بالارتقاء بخطابهم والتأكّد من الروايات

والأحاديث التي يذكرونها، وألّا يعتمدوا على الخطاب الذي يؤجّج الصّراع.

ولفت إلى أهمية دور النخب الواعية في المجتمع، مطالبًا إيّاها بدعم الخطاب المنهجي والتنويري، بالإضافة إلى ممارسة النّقد البنّاء.

وأشار إلى أنّ هناك تفكيرًا سائدًا وكأنّ الدين تلقين بلا تفكير، مضيفًا أنّ من يقرأ النصوص الدينية والسيرة النبوية وحياة الأئمة، يلاحظ التركيز على إثارة الفكر ومرجعية العقل.

وتابع أنّ الدين الإسلامي قام على منهجية الاستيعاب ورحابة الصدر، مشيرًا إلى أنّ بعض الجهات الدينية تتضخّم في ذهنها بعض التفاصيل وبعض المسائل، وكلّما زاد التشدّد زادت بعض المظاهر والتفاصيل وكأنّها المسائل الأساسية في الدين.

ومضى في القول إنّ هناك اختلافات في الآراء الفكرية والفقهية وفي بعض الأحيان تدار هذه الخلافات بأساليب منافية للدين والأخلاق.

وأشار إلى أنّ الإنسان يجب أن يتخذ موقف الانتصار للوعي من خلال التركيز على مشروعية الرأي والاختلاف، والتأكيد على منهجية الحوار وموضوعية الخلاف والاختلاف.

وشدّد سماحته على أهمية التطلع للحقيقة وليس التعصّب للرأي، وذلك من خلال اتّباع منهج الدليل والبرهان ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وحثّ على عدم شخصنة الاختلاف وعدم النيل من الشخص الآخر لمجرّد الاختلاف في الرأي أو المنهجية.

الشيخ الصفار يدعو المثقفين للنأي بأقلامهم عن الفتنة الطائفية*

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار المثقّفين للابتعاد عن اللغة الطائفية والنّأي بأقلامهم عن مستنقعها، مؤكّدًا أنّ ما يحصل اليوم صراع سياسيٌّ لا طائفيّ.

وقال: مخطئ من يظنّ بأنّ خطر الجماعات الإرهابية موجّه لفئة محددة، أو مقتصرًا على طائفة بعينها.

وتابع: إنّ هؤلاء المتطرّفين وإن استماتوا في خطابهم الطائفي، إلّا أنّ الحقيقة أنّهم يستخدمون في كلّ منطقة الخطاب المناسب، فهاهم يبعثون الدمار والخراب في ليبيا دونما أثر لأيِّ تنوع مذهبي يتذرّعون به، كما يفعلون في مناطقنا.

جاء ذلك خلال استقبال سماحته لعددٍ من المثقفين والأدباء المشاركين في ملتقى داريـن الثقافي الثاني بالدمام، وذلك في منزل سماحته مساء الاثنين ليلة الثلاثاء ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٧ مارس ٢٠١٧م، منهم الأديب عبدالرحمن بن فيصل بن معمر، والكاتب حمّاد السالمي، والدكتور سعد الرفاعي، وحبيب الشمري، والسّيد عدنان العوامي، والمهندس جعفر الشايب، والكاتب فاضل العماني.

ودعا الشيخ إلى ما وصفه بصناعة اللغة البعيدة عن النزعة الطائفية والمناطقية عبر تبنّي لغة جامعة مشتركة.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨ / ٣ / ٢٠١٧م.

وانتقد في الوقت نفسه غياب الهموم الوطنية عن الخطاب العام لدى بعض الكتاب والمثقفين لحساب تبنّي خطاب المنطقة أو الطائفة ضمن أضيق الحدود.

وأبان سماحته أنّ سلسلة الاعتداءات الإرهابية التي ضربت مناطقنا، تمثل امتحانًا حقيقيًّا وابتلاءً لمجتمعنا.

وأوضح أنّ التراث الديني مثّل مادة خصبة للجدل المذهبي العقيم، الذي انشغل به المسلمون طويلًا.

وأشار إلى أنّ الحدود قد أرسيت بين المذاهب الفقهية، والمدارس العقدية منذ زمن بعيد، وأنّ ذلك الجدل العقيم لن يضيف شيئًا إلى هذا المذهب أو ذاك.

مجلة «المصباح» تنشر بحثًا للشيخ الصفار عن مبادئ التعايش السّلمي في القرآن*

نشرت مجلة «المصباح» المتخصّصة في الدراسات والأبحاث القرآنية في عددها التاسع والعشرين ـ السنة الثامنة ـ ربيع ٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ، بحثًا لسماحة الشيخ حسن الصفار بعنوان: «مبادئ التعايش السّلمي للفرد والمجتمع.. رؤية قرآنية» صفحة ١١٣-١٢٣.

بدأ سماحة الشيخ الصفار بحثه بالحديث عن المعاناة التي تعيشها الأمة الإسلامية في هذا العصر، واصفًا إيّاها بأنها أزمة حادّة في العلاقة مع الآخر المختلف دينيًّا.

وقد أرجع أسباب هذه الأزمة إلى «ترعرع تيار في وسط الأمة يتبنّى الصّدام مع الآخر، ويمارس أشدّ ألوان العنف والإرهاب تجاهه، من الخطف والقتل والسّبي، وتدمير المنشآت، واستهداف التجمعات المدنية بالتفجير والقتل والإرهاب، وكلّ ذلك يتم باسم الإسلام، وتحت رايات ترفع شعاره».

داعيًا للرجوع إلى القرآن الكريم، وهو المصدر الأساس للعقيدة والتشريع الإسلامي، لمعرفة الرؤية الدينية، والمنهج التشريعي للتعامل مع الآخر الديني.

ولكي تعود الأمة إلى واقعها المطلوب قرآنيًّا اقترح سماحته أربعة أمور كخارطة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨ / ٥ / ٢٠١٧م.

طريق لذلك، وهي:

١. **الشراكة الإنسانية**: بأن يستحضر المؤمن أنّ الآخر مهما كان دينه ومذهبه وعقيدته فهو شريك له في هذه الحياة، ولا بُدّ من التعامل معه على هذا الأساس، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فالخطاب في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ موجّه إلى البشر مؤمنهم وكافرهم، بدليل سياق الآية مع التي قبلها والتي تخاطب الكافرين.

٢. **الاعتراف والإقرار بوجود الآخر**: فكما أنّك موجود فكذلك الآخر موجود، حيث لا يستطيع أحد إلغاء أحد، وكما لا يرضيك أن يتنكَّر الآخر لوجودك، فإنّه لا يقبل أن تنكر وجوده. وهنا يجب أن نفرّق بين مشروعية الوجود، وحقّانية الوجود، فكلّ صاحب دين أو مذهب يرى الحقّانية في عقيدته، وأنّ المعتقدات الأخرى باطلة.

ويروّض القرآن الكريم نفوس المؤمنين ليتعايشوا مع واقع التنوّع الديني فهو قدر البشرية إلى يوم القيامة، فلا يتوهمنّ أحدٌ إمكانية الفصل والحسم بين الديانات في هذه الحياة الدنيا، إذ إنّها مهمّة مؤجّلة إلى يوم القيامة. وتتمّ بين يدي الله سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

٣. **حرية الرأي والمعتقد**: غالبًا ما يندفع الإنسان للتبشير برأيه وعقيدته بدافع وجداني؛ لأنّه يؤمن بصحة رأيه، ويرغب أن يشاركه الآخرون الإيمان به، ويكسب المزيد من الثقة والاطمئنان برأيه حين تتّسع رقعة المقتنعين به.

وهنا يؤكّد القرآن الكريم على احترام حرية الرأي والمعتقد، ويرفض

أيّ محاولـة لإكـراه الآخرين على تبنّـي معتقد أو قبـول رأي. يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٥٦] ويقول تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٩٩].

٤. **سيادة العدل وحفظ الحقوق**: إنّ التمايز الديني والمذهبي لا يعطي لأحدٍ الحقّ في الاستعلاء على الآخر، ومصادرة شيءٍ من حقوقه الإنسانية، أو النيل من كرامته. فاعتقادك بأحقيّة دينك وبطلان دين الآخر، لا يمنحك مبرّرًا للتسلّط عليه أو امتهان كرامته، ذلك أنّ الإنسان بما هو إنسان وقبل أيّ عنوان آخر ديني أو عرقي أو طبقي، له قيمته وكرامته التي يجب أن تحفظ وتحترم في هذه الحياة، أمّا في الآخرة فحسابه عند ربه. يقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾

وفي الختام يوضّح أنّ ما ذكر عبارة عن مبادئ أساسية يقرّرها القرآن الكريم لتوطيد السّـلم العالمي، ولتحقيق التعايش بين بني البشر، لكن المؤسف تجاهل هذه المبادئ في أوسـاط أبناء الأمة الإسـلامية، بل سـيادة توجّهات على النقيض منها تحت عنوان الجهاد، أو الولاء والبراء، أو مواجهة أهل البدع.

يشار إلى أنّ مجلة «المصباح» فصلية محكمة تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة في كربلاء ـ العراق.

مجلة الاجتهاد والتجديد تنشر بحثًا للشيخ الصفار عن الثابت والمتغيّر في الأحكام الشرعية*

نشرت مجلة (الاجتهاد والتجديد) في عددها المزدوج رقم ٤٠-٤١ خريف وشتاء ٢٠١٧م- ١٤٣٨هـ بحثًا لسماحة الشيخ حسن الصفار بعنوان: «الثابت والمتغيّر في الأحكام الشرعية»، صفحة ١١ - ٤٨.

وقد استند الشيخ الصفار لفكرته بما حدث من تغيير لأحكام في آيات القرآن (النسخ)، ولكون التّشريعات النبوية تحتوي على (ثابتٍ ومتغيّر)، ولأنّ بعض الفقهاء أعادوا النظر في بعض أحكامهم وفتاواهم.

في بداية بحثه يُقرّر أنّ الأمة تواجه تحدّي الملاءمة والتكيّف بين انتمائها الديني ومتغيّرات العصر الذي تعيشه، ذلك أنّ التشريعات الدينية انبثقت في عصر سابق، تجاوزت البشرية الآن ظروفه وأوضاعه إلى مدى بعيد، وأصبحت تعيش ظروفًا وأوضاعًا مختلفة تمامًا عن تلك العصور السابقة، والأمّة جزء من العالم لا تستطيع أن تنفصل في حياتها عنه، ولا أن تنعزل عن تأثيراته وتفاعلاته.

ويضيف: ليست هناك مشكلة كبيرة على مستوى المعتقدات والقيم الأساس في الدين، فأصول العقيدة تنسجم مع الفطرة الإنسانية والعقل السّويّ، لكنّ المشكلة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ٥ / ٢٠١٧م.

تكمن في جانب تفاصيل التشريعات التي تطال حركة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فالنصوص الدينية الصادرة حولها، جاءت في بيئة وظرف يختلف تمامًا عن البيئة والظروف المعاصرة.

ويقول: نظريًّا يعتقد المسلمون بصلاحية تشريعهم الديني لكلّ العصور، وبقدرته على استيعاب المتغيّرات ويؤمنون بمشروعية الاجتهاد في كلّ عصر، لاكتشاف الأحكام الدينية للمستجدات والنوازل، من خلال فهم النص الديني، وتطبيق القواعد والكليات على المصاديق والقضايا الخارجية.

مستدركًا: هذا على الصّعيد النظري، أمّا من الناحية العملية والتطبيقية، فإنّ هناك تلكُؤًا وتعثّرًا وبطئًا في ممارسة العمل الاجتهادي الذي يعالج المشكلات التي تعاني منها الأمة.

وأبان سماحته أنّ تجديد النظر من قبل الفقهاء في الأحكام والتشريعات الدينية، يأخذ مسالك متعددة..

أحدها: إعادة قراءة الدليل على الحكم، التي قد توصل الفقيه إلى قناعة جديدة برأي جديد؛ لعدم كفاية الدليل على الحكم الذي كان يراه، كما لو اكتشف إشكالًا في سند النّص، أو وجد احتمالًا آخر في فهم المتن، أو ترجّح لديه دليل آخر. مستشهدًا بما استجدّ للسيد محسن الحكيم وفقهاء آخرين بطهارة أهل الكتاب، بعد القول بنجاستهم.

أما المسلك الثاني فهو تلافي حالة الضرر والحرج التي تحصل بتطبيق حكم ما، فحين يجد الفقيه مثلًا: أنّ تطبيق حكم الرجم على الزاني المحصن، أو قطع يد السّارق، يسبب حرجًا أمام الرأي العام، فإنّه يوقف تطبيق ذلك الحكم، أو يفتي بعدم وجوبه آنذاك، ليس لتغيير في القول به عند الفقيه، وإنّما لأنّ الظروف الخارجية لا تسمح بتطبيقه، وهنا يكون الحكم الجديد، وهو تجميد الحكم الثابت في الأصل، ضمن عنوان الحكم الثانوي الاضطراري، أو الحكم الولائي.

والمسلك الثالث: هو الانطلاق من دراسة الظرف الخارجي المعاصر، وأنه ما عاد مناسبًا لتطبيق ذلك الحكم الشّرعي، بسبب تطورات الحياة الاجتماعية، فيبعثنا ذلك على قراءة الظروف التي أحاطت بصدور ذلك الحكم الشرعي، لتلمّس مناط وملاك تشريعه، وحين يطمئنّ الفقيه إلى تحديد ذلك الملاك والمناط، من خلال نصّ شرعيّ خاص، أو إدراكٍ ناشئٍ من تأمّلٍ ودراسةٍ موضوعية، وأنّ ذلك المناط الذي توخّاه الشّارع في تشريعه لذلك الحكم، لم يعد قائمًا حاليًّا، أو أنّ تطبيق الحكم في الحاضر يؤدّي إلى عكس مراد الشّارع، فهنا يفتي الفقيه بما يغاير ذلك الحكم الشرعي.

ويؤكّد الشيخ الصفار أنّ بحثه منصب حول المسلك الثالث مستدلًّا بتغيير الأحكام في آيات القرآن، كآية النجوى، وآية عدد المقاتلين، وآية الامتاع، وتغيير القبلة.

ثم يتحدث عن التّشريعات النبوية: بين ثنائيتي الثابت والمتغيّر، مستدلًّا بتشريعات أصدرها النبي وعمل بها المسلمون، لكنه بعد مدة من الزمن أعلن رفع تلك التشريعات، مبيّنًا أنه أمر بها لمصلحة تقتضيها في وقتها، أما وقد تغيّر الظرف وزالت تلك المصلحة، فإنه يلغي ذلك التشريع.

ويبيّن سماحته أنّ الفقهاء جميعًا يؤمنون بأنّ الأحكام الشرعية، وخاصة ما يرتبط بشؤون الحياة، إنما وضعت لمصالح العباد، وإنّ تأثير خصوصيات الزمان في مناطات الأحكام الشرعية حقيقة لا يمكن إنكارها، فللزمان والمكان دور في الاستنباط، مستدلًّا ببعض الفتاوى المستحدثة لعدد من الفقهاء في أبواب مختلفة من الفقه.

ويختم بسؤال عن سبب تعثّر محاولات التجديد، ويرجع ذلك لغياب مؤسّسات البحث العلمي، وعدم تحوّل مقولات التغيير إلى قواعد في أصول الاستنباط، وأخيرًا صعوبات التعبير عن الرأي الجديد.

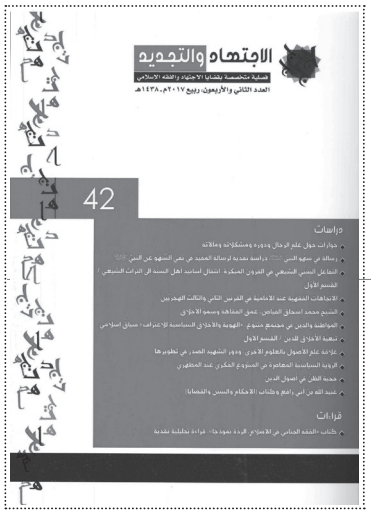

مجلة الاجتهاد والتجديد تنشر بحثًا للشيخ الصفار عن المرجع الفياض*

نشرت مجلة (الاجتهاد والتجديد) في عددها رقم ٤٢ ربيع ٢٠١٧م- ١٤٣٨هـ بحثًا لسماحة الشيخ حسن الصفار بعنوان: «الشيخ محمد إسحاق الفيّاض عمق الفقاهة وسموّ الأخلاق»، صفحة ١٤٩- ١٧١.

وقد تحدّث الشيخ الصفار في البحث عن بعدين في شخصية المرجع الشيخ الفياض، هما عمق الفقاهة، وسموّ الأخلاق، مستدلًّا على قوة جناحه العلمي بما قدّمه سماحته من فتاوى واعية متفهّمة للعصر متكئة على معرفة بالنص ومحيطه، وعن سموّ أخلاقه استدلّ بملاحظاته الشخصية عند زيارته للمرجع الفياض، فتلمس انعكاس المبادئ والقيم الأخلاقية في سلوكه العملي.

وقد بدأ الشيخ الصّفار مقاله بالتعريف بالمرجع الشيخ الفيّاض الفقيه العصامي، الذي ولد سنة ١٩٣٠م لعائلة فقيرة تمتهن الفلاحة في إحدى قرى محافظة (غزني)، وسط أفغانستان، جنوب العاصمة كابل، ثم قصد النجف الأشرف لينهل من علومها حتى أصبح من كبار أعلامها.

ثم تحدث سماحته عمّا تواجهه الأمة من تحدّيات مؤكّدًا أنّ «أهمها تحدّي التوفيق بين الأصالة والانفتاح»، وسبب ذلك أنّ «التخلّف العميق الذي تعيشه الأمة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ٥ / ٢٠١٧م.

في مختلف مجالات الحياة، يقابله تقدّم باهر أنجزته الحضارة الغربية».

ويشير إلى أنّ هذا التقابل «أدّى إلى وجود تيّارين في أوساط أبناء الأمة، تيّار يتبنّى الانفتاح بلا حدود على الحضارة الغربية، دون أيّ تحفّظ على ما تحمله من قيم وثقافات، وما تمارسه مجتمعاتها من تقاليد وسلوكيات».

وتيّار «يدعو إلى الانغلاق على الذات، والقطيعة الكاملة مع الغرب، برفض جميع منتجاته دون تصنيف أو تمييز».

ويبيّن الشيخ الصفار أنّ «الصّراع بين هذين التيارين كلّف الأمة باهظ الأثمان والخسائر، وأضعف تماسك مجتمعاتها واستقرار أوطانها».

وبعيدًا عن هذا التيّار وذاك خرج تيار وسطي متوازن، «يجمع بين الأصالة في الانطلاق من قيم الدين، ومبادئه الثابتة، وبين الانفتاح على تطورات العصر ومستجدات الحياة، ويستفيد من تجارب المجتمعات المتقدمة، بدراستها والانتقاء منها».

ومن مصاديق هذا التيّار المرجع الديني الكبير الشيخ محمد إسحاق الفيّاض. الذي يمثل «أنموذجًا رائعًا للتوفيق بين الأصالة والانفتاح، فالممارسة الفقهية لدى الشيخ الفيّاض محكومة بالضوابط المقرّرة، وفي إطارها العلمي الدقيق، وبأدوات الصناعة المتداولة في البحث الأصولي والفقهي، لكنها ممارسة اجتهادية بامتياز».

مؤكدًا أنّ الشيخ الفيّاض «يبذل قصارى جهده للتعامل مع الأدلة، بانفتاح كامل، دون رهبة أو تقيّد بفهم السّابقين، وإلى جانب تفحّص الدليل، يجتهد الشيخ الفيّاض في مقاربة موضوع البحث، للوصول إلى التشخيص الواقعي للموضوعات في واقعها المعاصر، وصورتها الحاضرة؛ لأنّ المستجدات والمتغيّرات في الموضوع تؤثّر في تحديد الموقف منه، وتطبيق العنوان عليه.

ويمثل لذلك برؤية الشيخ الفيّاض لموقع المرأة في النظام السّياسي الإسلامي، وكذلك رؤيته لموضوع الانتماء للإسلام والتعايش المذهبي، بالإضافة إلى تأكيده

لأهميـة حفـظ النظام العـام، ورعايـة القوانيـن، وانفتاحه علـى واقع القضايـا الفكرية والاجتماعية.

ثـم يتحدث عن سـموّ الأخلاق عنـد المرجع الفيّـاض، وذلك من خـلال تجربة، وحسّ وليس تخمينًا، فحين تعرف عليه أدهشـه «عظيم تواضعه وسـموّ أخلاقه، حيث تعلـو محيّاه البشاشـة، وتتخلل حديثه الابتسـامة، ويتعامل مع زائريـه وتلامذته بعفوية وبساطة، تجعلك منطلقًا في الحديث معه والانفتاح عليه دون تهيّب أو قلق».

موضحا أنّه «لا يُشـعر جليسـه مهما كان مسـتواه بالتعالي، ولا يقابل أحدًا بغضب أو انفعـال، مهما كانت درجة سـخونة موضوع النقاش، يُعبّر عـن رأيه بهدوء واحترام، ويُصغـي للـرأي الآخر، فيقبله إن رآه صحيحًا، ويناقشـه إنْ رأى فيـه خللًا بموضوعية وحكمة».

يشـار إلى أن مجلة «الاجتهـاد والتجديد» فصلية مختصّة بقضايـا الاجتهاد والفقه الإسلامي، تصدر عن مركز البحوث المعاصرة في بيروت ـ لبنان.

الصفار: مشروع «الهملة الخيرية» للزواج الجماعي من الطائفتين مبادرة عملية لتجاوز الطائفية*

أشـاد رجل الدين الشـيخ حسـن الصفـار بالتجربة الرائـدة الجميلة التـي تقوم بها جمعيـة الهملة الثقافية الخيريـة الاجتماعية في البحرين ، حيث تقيـم مهرجاناً للزواج الجماعي يشترك فيه العرسان من الطائفتين الكريمتين في البحرين ، وذلك وفق ما بين الموقع الالكتروني لرجل الدين الصفار اليوم الاثنين (١٥ مايو/ أيار ٢٠١٧).

وقـال الصفـار: مـع أهمية وضرورة نشـر ثقافـة الأخوة الإسـلامية بين أبنـاء الأمة علـى اختـلاف مذاهبهم، والتوعيـة بأخطار الانقسـام الطائفي والخلافـات المذهبية، فـإن المبـادرات العملية على هذا الصعيـد أكثر تأثيراً من مجرد رفع شـعارات الوحدة والتقارب، والتنظير الفكري للوحدة الوطنية.

جـاء ذلك خلال اسـتقباله لرئيس مجلس إدارة جمعيـة الهملة جعفر أحمد مبارك، يوم الجمعة الماضي (١٢ مايو/ أيار ٢٠١٧) حيث تم عرض تجربة الجمعية في إقامة مهرجان الزواج الجماعي المشـترك، الذي شارك في نسخته العاشرة هذا العام ٢٠١٧ بمشـاركة ثمانين شـاباً وشـابة من الطائفتين في البحرين على ملعب نادي التضامن في قرية الهملة.

* صحيفة الوسط البحرينية، الاثنين ١٥ مايو ٢٠١٧م، الموافق ١٩ شعبان ١٤٣٨هـ العدد ٥٣٦٤.

وكما جاء في افتتاحية نشرة للجمعية حوت مشاهد من المهرجان وصور العرسان: (إن مبدأ الشراكة والتعاون بين جميع مؤسسات المجتمع، هو مبدأ نحرص على ترسيخه وتعزيزه، فطالما مددنا يد التعاون والتشارك من أجل عون ورفاه وسعادة المجتمع، وسنظل ندعو بل ونؤكد على استمرار ذلك في مجالات وآفاق أخرى، وحتماً سيعود ذلك بالنفع على الجميع، وهو هدف رفيع يتطلع إليه كل العاملين والمتطوعين والمشتغلين في هذا المجال).

وقد أبدى الصفار تقديره الكبير لهذه المبادرة الطيبة خاصة وأنها تأتي في وقت اشتدت فيه فتن الطائفية، وأصبح شبح الانقسام خطرًا يهدد مختلف مجتمعات المنطقة.

ودعا الصفار إلى تعميم هذه التجربة في مختلف المناطق، وفي شتى مجالات العمل الخيري والاجتماعي الذي يجب أن يكون ذا توجه إنساني ووطني يتجاوز الحواجز والانتماءات.

بدوره شكر جعفر مبارك حفاوة رجال الدين الشيخ حسن الصفار واستقباله ودعاه لحضور المهرجان في العام المقبل.

الشيخ الصفار: التواصل والتشاور بين العلماء مطلب ديني*

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار على أهمية تفعيل التواصل والتشاور بين علماء الدين وطلبة العلوم الدينية في المجتمع، لمواجهة التحدّيات الفكرية والاجتماعية، مضيفًا أنّه لا ينبغي أن يزهد الإنسان مهما كان علمه ومستواه في الاطّلاع على آراء الآخرين ومشاورتهم، كما كان نهج رسول الله والأئمة الطاهرين.

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها سماحته في حفل الأربعين التأبيني لسماحة الشيخ محمد علي الشيخ عبد المجيد (توفي يوم الاثنين ٢٧ رجب ١٤٣٨هـ الموافق ٢٤ أبريل/ نيسان ٢٠١٧) في حسينية الشّاخور بسيهات مساء يوم الجمعة ليلة السبت ٨ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ٣ يونيو ٢٠١٧م.

وقال سماحته: قد يكون هناك تنوّعٌ واختلاف في الآراء الفكرية أو المواقف الاجتماعيّة بين العلماء، وهو أمر مشروع، لكنه ليس مشروعًا أن تترتب على ذلك القطيعة أو الهجران، الذي قد يتحوّل إلى نزاع يؤثّر على وحدة المجتمع وتماسكه.

وأضاف سماحته أنّ التواصل والتلاقي أشدّ ضرورة وإلحاحًا عند اختلاف الآراء لكي يطّلع كلّ طرفٍ على آراء الأطراف الأخرى بشكل مباشر ويتعرف على مبرّرات مواقفهم وأدلّة آرائهم، مما يساعد على التفهّم والتفاهم وتقريب وجهات النظر.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٤ / ٦ / ٢٠١٧م.

وأشاد الشيخ الصفار بشخصية الفقيد الراحل الشيخ محمد علي الشيخ عبد المجيد، الـذي كان يحرص على التواصل والتزاور مع مختلف العلماء وطلاب العلوم الدينية. مضيفًا أنّ الناس يسـعدون ويسـرّون حينما يـرون اجتماع العلمـاء والاحترام المتبادل فيما بينهم، ويتسـاءلون وينزعجون من أيّ مظهرٍ للنزاع والاختلاف بين العلماء الذين يجب أن يكونوا قدوة للناس في أخلاقيّاتهم وسلوكهم.

وقـال الشـيخ الصفار: هنـاك الآن تحدّيـات كبيرة تواجـه الفكر الدينـي ولا بُدّ أن يتلاقـى المهتمـون بالحالـة الدينيـة لبحث ومناقشـة هـذه التحدّيات ووضـع البرامج وإعداد الإجابات اللازمة على التساؤلات المطروحة التي تعصف بأذهان الشباب في هذا العصر.

مضيفاً: أنّ هناك مشكلات اجتماعيّة تتطلب حلولًا وتعاونًا لاستيعابها، ولا يمكن مواجهتها بالقدرات الفردية، بل لا بُدّ من تضافر الجهود وبلورة الآراء، وذلك لا يحصل إلّا بالتواصل والتلاقي وتبادل وجهات النظر بين المتصدّين للشّأن الديني الاجتماعي. وأشـار سـماحته إلى أنّ التواصل والتلاقي يكسر الحواجز النفسـية، ويُصفّي القلوب، ويُعزّز المحبّة في النّفوس، وذلك ما ينبغي أن يطمح إليه كلّ مؤمن.

وقد حضر الحفل الحاشـد جمعٌ من علماء القطيف والبحرين وألقيت فيه عددٌ من الكلمات والقصائد في تأبين الفقيد الراحل وتعداد مآثره.

وفدٌ من مكتب سماحة «الشيخ حسن الصفار» يزور نادي الابتسام*

قام وفدٌ من مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار بزيارة إلى مقرّ نادي الابتسام مساء يوم أمس الأربعاء ١٢ رمضان ١٤٣٨هـ، وذلك للاطّلاع على أحوال النادي ومعاناته.

حيث تقدّم الوفد سماحة الشيخ حسين الصويلح، وكان في استقبالهم رئيس وأعضاء مجلس إدارة النادي، مع مجموعة من وجهاء ورجالات أمّ الحمام.

وقدّم رئيس مجلس إدارة النادي فيصل الحميدي خلال الزيارة شرحًا مفصّلًا عن أحوال النادي ومعاناته خلال الفترة الحالية حتى تمّ بحمد الله تكليف مجلس الإدارة الجديد لمدة عام بتوجيه من صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبد العزيز أمير المنطقة الشرقية.

وبعدها قدّم عرضٌ مرئيٌّ يوضّح أعمال التطوير للبنية التحتية والخدماتية والمشاريع التي تمت خلال الأربع سنوات الماضية، وكذلك عرض لإنجازات النادي الرياضية التي تحقّقت خلال الموسم الرياضي الحالي، والتي نالت استحسان الحضور.

وأعرب سماحة الشيخ الصويلح في بداية كلمته عن خالص شكره على حفاوة الاستقبال، وقدّم سلام ودعاء سماحة الشيخ الصفار لمجلس الإدارة الجديد وتمنّياته لهم بالتوفيق والسّداد.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ٦ / ٢٠١٧م.

وأعـرب سـماحة الشـيخ الصويلح عن سـعادته بما سـمعه ورآه مـن إنجازات في الخدمات والأنشـطة الرياضية المشـرفة التي يتوجّب دعمها من الأهالي والمؤسّسات داخـل وخارج محافظـة القطيف بحدّ قوله، مشـيرًا وموجّهًا للاعتماد على المشـاريع الاسـتثمارية لدعم صندوق النادي، وكان هناك بعض المداخلات القيّمة من الحضور في نفس التوجه.

وفي ختام الزيارة قدّم رئيس النادي نيابة عن الحضور جزيل الشّـكر والعرفان على هذه اللفتة الكريمة من مكتب سـماحة الشـيخ الصفار، داعيًا إلى استمرار التواصل بين النادي ومكتب سماحته مستقبلًا بما يعود بالنفع على النادي ولاعبيه.

العشرات يتبادلون 130 كتابًا في أوّل أيام معرض تدوير الكتاب بالقطيف*

افتتح السبت (١٥ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ يونية ٢٠١٧م) معرض تدوير الكتاب الخامس الذي تقيمه لجنة عطاء التطوعية، في قلعة القطيف الترفيهية، ويستمر حتى غدٍ الاثنين وسط حضور لافت من الكتّاب والمثقفين.

وبلغ عدد الكتب التي تم تداولها أكثر من ١٣٠ كتابًا، والتي تنوعت بين الكتب الدينية، وكتب الثقافة العامة، والشّعر والأدب، والروايات التي حازت العدد الأكبر من كتب التبادل.

وكان الشيخ حسن الصفار قد قصّ شريط افتتاح المعرض، حيث تجوّل بعدها والحضور على أركان المعرض، وأبدى سعادته بما رأى في المعرض، مشيدًا بما شاهده في المعرض، لافتًا إلى أنّ أكثر ما لفته هو وجود شباب وفتيات يهتمون بنشر الثقافة في المجتمع.

التدوير

وقال الشيخ الصفار إنّ فكرة تدوير الكتاب تعتبر فكرة حضارية رائدة، تدلّ على أنّ التعامل مع الكتاب ليس تعاملًا شكليًّا وبرتكوليًّا، وإنّما من أجل الاستفادة بما في الكتاب من قيمة ثقافية معرفية.

* جهينة الإخبارية ١١ / ٦ / ٢٠١٧م.

وأضاف «ليست هناك مشكلة في أن يكون الكتاب قديمًا أو متداولًا أو مستخدمًا، مؤكّدًا أنّ من يقصد مثل هذا المعرض هو من يفهم قيمة الكتاب، ويريد الاستفادة من الكتاب».

وأضاف أنّ وجود أركان مختلفة في المعرض، يشكّل إضافة للمعرض.

وأشاد بحماسة وحيويّة الشباب والفتيات القائمين والمشاركين في المعرض، مضيفًا أنّ استمرارية مثل هذه الفعاليات الثقافية الرائدة دليل على وعي المجتمع وتأصّل هذه القيمة المعرفية فيه.

وإلى جانب تبادل الكتب، يشارك في المعرض مجموعة من المؤسّسات والفعاليات الثقافية وهي، دار أطياف للنشر والتوزيع، ومعارف مقروءة «تهتم بإنتاج مقاطع صوتية للكتب»، بالإضافة لركن لمجلة الخطّ، بالإضافة لعدة أركان تفاعلية مع الحضور، وهي: «ركن تحدّي القراءة لربع ساعة»، وركن للتصوير، وآخر للأطفال، وركن موعد مع كتاب.

وعلى هامش المعرض، يوقّع مساء الأحد الكاتب محمد الحسين كتابيه «كيف تصبح دافورًا» و«الدمية بوبو»، وستكون فترة توقيع كتابي الحسين اليوم الأحد وغدًا الاثنين في قلعة القطيف الترفيهية.

في لقاء وديّ ثقافيّ في (عنك)

الشيخ الصفار: التواصل قيمة دينية وضرورة وطنية*

جريًا على عادته الكريمة في كلّ رمضان جمع الأستاذ سعود الزيتون الخالدي في دارته العامرة ببلدة (عنك) عددًا من أصدقائه ومعارفه من محافظة القطيف والدمام، من ذوي الرأي والمهتمين بالشأن الاجتماعي الوطني، مساء يوم الجمعة ليلة السبت ١٥ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ١٠/ ٦/ ٢٠١٧م، فكان لقاءً مفعمًا بروح المودّة والإخاء، وثريًّا بتداول الأفكار والآراء.

وقد تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار شاكرًا للأستاذ سعود الخالدي دعوته وحرصه على إقامة هذا اللقاء الرمضاني السنوي، مؤكّدًا على أهمية التواصل بين المكونات الاجتماعيّة في المنطقة؛ لأنّ التواصل بين الناس قيمة دينية دعت إليها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، كما أنّ مصلحة الوطن تقتضي التواصل والتلاقي لسدّ الثغرات التي تنفذ منها الفتن والخلافات، حيث تعاني وتواجه أوطان مجاورة خطر التمزّق والتفتت.

وذكّر سماحته بالعلاقات الوثيقة التي كانت بين أبناء محافظة القطيف وحيث لم تكن هناك نعرات مذهبية طائفية، فكان أهالي عنك ودارين وأم السّاهك والنابية جزءًا من النسيج الاجتماعي المتماسك في المحافظة، وتحدّث في هذا السّياق أحد شيوخ بني خالد حمد فارس الحسن (أبو ماجد) مستشهدًا ببعض الشواهد والنماذج

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١١ / ٦ / ٢٠١٧م.

في العلاقات الطيبة بين أبناء المحافظة.

وقال الشيخ الصفار: إننا بحاجة إلى تعزيز ونشر ثقافة المحبّة والتسامح في أوساط أبنائنا وشبابنا لتحصينهم من أفكار التشدّد والتطرف القائمة على التشكيك في أديان الآخرين وولائهم الوطني.

كما نحتاج إلى تشجيع التعاون المشترك في الأعمال الخيريّة والأدبيّة والاجتماعيّة، حتى لا تنمو حالة الفرز الاجتماعي على أساس مذهبي طائفي، مستشهدًا بتجربة مجلة الواحة التي تضمّ الأستاذ سعود الزيتون الخالدي في هيئة تحريرها.

وقد أدلى معظم الحاضرين بمشاركات قيمة أثرت اللقاء بالآراء والأفكار المفيدة حيث أكّد الشيخ سعد المدرع المستشار الشرعي السّابق في إمارة المنطقة الشرقية على ضرورة التلاحم الوطني والالتفاف حول القيادة السّياسية في مجابهة التطرّف والإرهاب.

كما أشار الدكتور توفيق السيف إلى الفضاء المفتوح الذي يعيش فيه أبناء الجيل الجديد لانفتاحهم على العالم وتجاوزهم لتأثيرات المحيط الاجتماعي المحدود، حيث لم تعد آراؤهم ومعلوماتهم في حدود ما يدور في مجتمعاتهم الصغيرة.

وتحدّث الأستاذ تركي الدوسري (أبو شجاع) عمّا يحدث في كلّ مناطق المملكة من وجود اختلافات مناطقية وقبلية وفكرية مما يؤكّد الحاجة لوجود برامج ومشاريع تقنّن تعدّد وجهات النظر وتمنع انزلاقها إلى ما يضرّ بمصلحة الوطن.

وكانت مداخلات أخرى للأستاذ جلال خالد الهارون والأستاذ مرضي المهيجع والأستاذ بخيت المدرع والدكتور محمد الفارس والسيّد عدنان العوامي والأستاذ محمد باقر النمر.

وقد شكر الأستاذ سعود الزيتون الخالدي لسماحة الشيخ الصفار والحاضرين تلبيتهم لدعوته وما أثروا به اللقاء من آراء وأفكار قيّمة داعيًا إلى تكرار مثل هذه اللقاءات والاجتماعات التي تعزّز المحبّة وتسعد النفوس.

٧

بالصور: وفد من مكتب الشيخ حسن الصفار في زيارة ودّية لنادي السّلام في العوامية*

في إطار برامج التواصل المجتمعي لمكتب سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله، زار وفدٌ من مكتب سماحته عصر يوم الأحد الموافق ٢٣ رمضان ١٤٣٨هـ مقرّ إدارة نادي السّلام بالعوامية، وكان في معية الوفد أعضاء من مجلس إدارة جمعية العوامية الخيريّة التي كان وفد مكتب الشيخ الصفار قد أنهى زيارته لها قبل قدومه لمقرّ النادي.

وكان في استقبال الجميع نائب رئيس النادي المهندس إبراهيم السّعيد وأمين عام النادي المهندس عبدالله الصيرفي، بينما كان وفد مكتب الشيخ الصفار مؤلّفًا من سماحة الشيخ حسين صويلح، والشيخ حسين قريش، والأستاذ محمد العسيّف، والأستاذ طلال آل جمال، ومثّل وفد الجمعية الأستاذ جعفر الخباز رئيس مجلس الإدارة، والأستاذ أحمد الفرج نائب الرئيس، والأستاذ حسين آل سعيد أمين الصندوق.

وتمّ في اللقاء تبادل الأحاديث والأفكار حول الأدوار التي يقوم بها النادي مجتمعيًّا، حيث أشار سماحة الشيخ حسين صويلح لدور النادي المهم في استيعاب أكبر قدر من الناشئة والشباب وتوجيههم نحو النشاطات البدنيّة والفكريّة والاجتماعيّة، وشدّد على أهمية التواصل الوثيق والتعاون المتبادل بين النادي والمدرسة في هذا الشأن، كما أشاد سماحته بالتفاف شريحة المشايخ وطلبة العلوم الدينية حول مؤسّستي النادي

* نشر على موقع نادي السّلام بتاريخ ١٩/ ٦/ ٢٠١٧م.

والجمعية في العوامية بشكل خاصّ على مستوى المحافظة، بينما دعا سماحة الشيخ حسين قريش مؤسّسة النادي للمبادرة والوصول للمجتمع بشكل أبرز من الشكل الحالي ولعب أدوار اجتماعيّة أكبر وخصوصًا في المناسبات الكبرى .

من جهته ناشد أمين عام النادي المشايخ لإبراز أدوار الأندية بشكل أوضح وأكثر صراحة في الخطاب الديني كي يتحقّق الإقبال المطلوب تجاه النادي من جهة الناشئة ومن جهة الكوادر التطوعية، واستعرض نائب رئيس النادي أبرز الإنجازات الإنشائية والاستثمارية والرياضية التي تحقّقت في الفترة الماضية والتي جاءت بنتائج استثنائية مقارنة بأعوام سابقة كانت الظروف العامة فيها أفضل، كما أشار للمشروع الثقافي الأبرز والمتمثل في المركز القرآني الذي شُيّد في النادي مؤخّرًا وما يقدّمه من خدمات للجنسين بالتعاون مع لجنة سبل السّلام بجمعية العوامية الخيرية.

واستعرض رئيس مجلس إدارة الجمعية الأستاذ جعفر الخباز عددًا من البرامج الثقافية التي نظّمتها الجمعية مؤخّرًا للجنسين خصوصًا تلك المتعلقة بالتخصّصات الجامعية.

واختتم اللقاء بجولة سريعة شملت مرافق مبنى الإدارة وعيادة العلاج الطبيعي وملعب العشب الصناعي وصالة تنس الطاولة ومتحف إنجازات النادي، بعدها تم تبادل كلمات الشكر والثناء وتوديع الوفد الزائر.

(وتتقدّم إدارة نادي السّلام ممثلة في رئيس مجلس الإدارة الأستاذ فاضل النمر وأعضاء المجلس بجزيل الشكر والتقدير لسماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله وجميع العاملين في مكتب سماحته لما يوليه من اهتمام ورعاية للمؤسّسات الاجتماعية راجين من الله لهم كلّ التوفيق والسّداد).

زار الشيخ فرحان الشمري

الشيخ الصفار: المشاركة في الانشطة الثقافية دلالة وعي واهتمام*

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ الحضور في المنتديات الثقافية يشكّل أفضل فرصة لمواكبة الآراء والتوجّهات الفكرية في المجتمع، ويوثّق الصّلة بين المهتمين بالشّأن الثقافيّ والاجتماعيّ. وأضاف: كما يساهم في بلورة الآراء وإنضاج الأفكار عن طريق الحوار والنقد والمداخلات التفاعلية.

جاء ذلك خلال الزيارة التي قام بها سماحة الشيخ حسن الصفار للأستاذ فرحان الشمري (أبو شامي) في منزله بالجبيل مساء يوم الثلاثاء ٢٥ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠/ ٦/ ٢٠١٧م وذلك للاطمئنان على صحته إثر إصابة تعرّض لها في رجله.

وقد أشاد الشيخ الصفار بتواصل (أبو شامي) مع المنتديات والنشاطات الثقافية والأدبية في المنطقة، حيث يقطع عشرات الكيلومترات من الجبيل إلى القطيف والدمام، لحضور مختلف المناسبات الثقافية، وخاصة ما يصبّ منها في التواصل الوطني وتقوية اللحمة الوطنية بين أهالي المنطقة على اختلاف توجّهاتهم ومذاهبهم.

وقال سماحته: إنّ هذا الحضور الاجتماعيّ المتواصل للشيخ فرحان الشمري في المنتديات الثقافية دلالة وعي واهتمام وطنيّ؛ لأنّ الحراك الثقافي في المجتمع يحتاج إلى دعم وتفاعل، بمشاركة أكبر قدرٍ من أبناء المجتمع في نشاطاته وفاعليّاته.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢١ / ٦ / ٢٠١٧م.

وكانت زيارة الشيخ الصفار للشيخ أبو شامي فرصة طيّبة لتداول الحديث مع عددٍ من الحاضرين في مجلسه من المتفقين حول القضايا الوطنية.

بدوره شكر الشيخ أبو شامي للشيخ الصفار ومرافقيه هذه الزيارة الأخوية الودّية مؤكّدًا عزمه على الاستمرار في حضور المناسبات الثقافية بعد تجاوزه المشكلة الصحية الطارئة بإذن الله.

هذا وقد كتب أبو شامي على صفحته في الفيسبوك: ليلة البارحة تشرفنا بزيارة سماحة الشيخ الدكتور حسن الصفار. وكان برفقة الشيخ الأساتذة: الشيخ حسين القريش، يحيى القريش، حسين المسكين، عيسى العيد، أحمد المشيخص.

كذلك حضر الزيارة الأستاذ عبيد صنهات الجرواني الشمري. الأستاذ دليمان محمد السويدي الشمري. المهندس محمد آل المطير اليامي عضو المجلس البلدي ومسؤول بالتحلية. كانت جلسة طيّبة وممتعة تخللها حديث عمّا يجمع أبناء الوطن بكافّة أطيافهم.

شكرًا للشيخ والأساتذة المرافقين على زيارتهم وشكرًا للأخوة الذين حضروا من داخل الجبيل. فهذه الزيارة وأشباهها أفضل وسيلة لكسر الحواجز التي صنعها الموروث بفعل الطائفيين أصحاب المصالح.

الشيخ الصفار يدعو المبتعثين للتسلّح بالأمل والتطلّع للمستقبل*

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار الشباب إلى أن يتسلّحوا بالأمل ويتطلّعوا إلى المستقبل بالاجتهاد في دراستهم، وألّا يكتفوا بالحدّ الأدنى من طلب العلم، ما دام يمكنهم الاستمرار في دراستهم إلى المستويات العليا المتقدّمة.

وحذّر سماحته من نشر ثقافة التشاؤم والإحباط واليأس، ففي بلادنا والحمد لله لا تنعدم الفرص أمام أصحاب الكفاءات، ومن يمتلكون روح الهمّة والنشاط، مضيفًا أنّ التشاؤم والإحباط يضعف فاعلية الإنسان، ويضيع عليه الفرص الممكنة، وقد يدفع نحو التوجّهات السلبية والمواقف المتشنّجة. وحمّل الشباب مسؤولية نشر قيم التقدّم والانفتاح وروح الجدّ والفاعلية التي عايشوا مظاهرها في المجتمعات المتحضّرة، وأن يشجّعوا المبادرات المفيدة في العمل الأهلي والاجتماعي.

جاء ذلك خلال اللقاء الوديّ الذي سادته أجواء الأريحيّة والتفاعل في مكتبه مساء يوم الجمعة ـ ليلة السبت ٢٩ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ٢٤ يونيو ٢٠١٧م مع عدد من الطلاب المبتعثين للولايات المتحدة الأمريكية.

لقاء المبتعثين

وقد بدأ الشيخ الصفار الحديث مُرحّبًا بهم، مباركًا لمن تخرّج وأنهى دراسته منهم،

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٧ / ٦ / ٢٠١٧م.

محفّـزًا من يتابع دراسـته على الجـدّ والاجتهاد واغتنام الفرصة للتقدّم في الدراسـات العليا.

وقال رغم ما تمرّ به المنطقة العربية من أوضاع صعبة وظروف حرجة على الصّعيد السّياسي والأمني والاقتصادي، حيث تشتعل حرائق الحروب في أكثر من بلد، وتشتدّ الفتـن والاضطرابـات، ويزداد القلـق من جرائم العنـف والإرهاب، وتتسـع الأزمات الاقتصادية، إلا أنّ كلّ ذلك لا يبرّر الاستسلام لحالة اليأس والإحباط.

وأشار إلى أنّ ما يجري في المنطقة العربية هو حالة مخاض ومرحلة تحوّل وتغيير يفتـرض أن تؤدي إلى وضع أحسـن وأفضل، وإن كانت الخسـائر كبيـرة باهظة، لكنّها تماثـل ما مرّ به الأوربيون لتجاوز عهود الاسـتبداد السّياسـي والديني والقمع الفكري والاجتماعي.

وتحدّث في اللقاء الذي أداره الأستاذ فؤاد عبدالله المسلم وحضره طلاب مبتعثون من الأحسـاء والدمام والقطيف عدد من المشـاركين، منهم: الدكتور هشـام الرمضان، والدكتور السّـيد محمد الشـاخوري، والدكتور محمد الزاير، وجعفر السّـلطان، وفؤاد مكي، وحسن العلي، ومحمد العلي.

وتناول الجميع وجبة السّحور شاكرين للشيخ الصفار ضيافته واهتمامه.

الشيخ الصفار: تعلّم القرآن وتلاوته مقدّمة لتطبيق هديه وتجسيد آياته*

- **ويقول: يعلّمنا القرآن ألّا نستسلم لليأس والإحباط.**
- **ويدعو أن يكون القرآن دافعًا للعلم والمعرفة.**
- **ويؤكّد على المحافظة على نظافة اللسان واستقامته.**

قال الشيخ حسن الصفار إنّ تعلّم وتلاوة القرآن مقدمة مطلوبة من أجل تطبيق وتجسيد هدي القرآن. مؤكّدا أنّ معنى خُلُق رسول الله القرآن، أي كان يجسّد القرآن ويطبّقه في حياته.

وأضاف: في القرآن آيات بإمكانها لو أنّ الإنسان وضعها نصب عينيه وجعلها حيّة حاضرة في قلبه فبإمكانها أن توجّه حياة الإنسان إلى الخير ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

جاء ذلك خلال الكلمة التي ألقاها سماحته بمناسبة مسك ختام برنامج ربيع القلوب لتلاوة القرآن الكريم بالجارودية عصر يوم السبت ٢٩ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ٢٤ يونيه ٢٠١٧م.

وقد شكر سماحته القائمين على برنامج ربيع القلوب بالجارودية وهنّأهم على نجاح البرنامج، ثم تحدّث عن فضل القرآن وفضل الزمان والمكان، مبيّنًا أنّ المكان

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٨ / ٦ / ٢٠١٧م.

بيت الله والزمان آخر أيام شهر رمضان المبارك، وقد ختم المشاركون في هذا البرنامج كلّ القرآن الكريم.

وتابع: في هذه اللحظات ينبغي أن تكون قلوبنا مفعمة بالأمل والاطمئنان ببركة القرآن، نحن قريبون من الله، لذلك ينبغي أن نعقد الآمال على أنّ دعاءنا في هذا الوقت قريب للإجابة، وخير ما نسأل الله أن يوفّقنا جميعًا لكي نطبّق آيات القرآن ونترجم توجيهاته في حياتنا.

وأشار الشيخ الصفار إلى ثلاث آيات اعتبرها نماذج من توجيهات القرآن التي ينبغي أن تكون حاضرة في قلوبنا وفكرنا لكي تقودنا إلى حياة أفضل.

وقال إننا نمرّ في زمن نرى فيه الأخطار تحيط بمجتمعات أمتنا وبأوطاننا، مشاكل وفتن وصعوبات، لكنّ القرآن الكريم يربّينا على ألّا نفارق الأمل في حياتنا حتى في أشدّ الظروف صعوبة وقساوة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

وأضاف: أممٌ كثيرة مرّت عليها ظروف مشابهة لما نمرّ به لكنّها تجاوزت تلك النكسات والصّعوبات.

وأبان سماحته أنّ هذه المرحلة مرحة عابرة، وأنّ الأمة ومجتمعاتنا ستتجاوزها وستنطلق في طريق النهضة والبناء الحضاري.

وطالب بعدم السّماح للشّيطان بأن يسلّل إلى نفوسنا اليأس والإحباط، سواء فيما يرتبط بالمشاكل الفردية أو المشاكل العامة، داعيًا للتفاؤل والاطمئنان برحمة الله.

وأشار الى أنّ قارئ القرآن ينبغي أن يجعل في مقابل الصّعوبات والتحدّيات هذه الآيات إضاءة ومنارًا له في طريق الحياة. مؤكّدًا أنّ هذا ما كان عليه الأنبياء والأئمة فقد واجهوا التحدّيات والصّعوبات بروح متفائلة مطمئنة.

في جانب آخر قال الشيخ الصفار إنّ القرآن يوجّهنا لطلب العلم والتزوّد بالمعرفة ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. مؤكّدًا أنّ قراءة القرآن ينبغي أن تكون دافعًا نحو العلم

والثقافة والمعرفة.

وتساءل إذا كان الإنسان لا يستغني عن الطّعام والشراب، وله في كلّ يوم برنامج للنوم والراحة، فلماذا لا يجعل له برنامجًا للاستزادة من العلم والمعرفة؟ اقتداءً برسول الله الذي روي عنه أنه قال: «كُلُّ يَوْمٍ لا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يُقَرِّبُنِي مِنَ اللَّهِ فَلا بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمَ».

وأوضح أنّ وسائل التعلم متوفّرة وسهلة، والظروف مؤاتية ومشجّعة على العلم والتثقف والمعرفة.

وعن حفظ اللسان وتهذيبه قال: القرآن يعلّمنا أن نقول للناس الحسن من الكلام ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وأبان أنّ على الإنسان أنْ يهذّب نفسه، ويؤدّب لسانه بحيث لا يتفوّه بكلمة بذيئة منحرفة مؤذية مزعجة للآخرين حتى مع الأعداء.

وقال: ينبغي للإنسان أن يحافظ على استقامة لسانه.

وأوضح أنّ بعض الناس يحاولون أنْ يبثّوا ثقافة تسوغ للإنسان أن ينال من أعدائه وأن يشتمهم ويسبّهم وقد يستندون لبعض الآيات.

وتابع: الآيات في القرآن إنّما هي تنال من الآخرين على أساس صفاتهم كالكافرين والمنافقين والكاذبين، أمّا شخصنة هذا الموضوع بالتوجّه لشخص معيّن فهذا ليس منهج القرآن.

وأبان: إذا ورد في بعض النصوص فإنّه استثناء يؤكّد القاعدة العامة ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وهذا التوجيه ليس مخصّصًا للأصدقاء ولا للمؤمنين بل للناس كافّة.

وتابع: بالرغم من طغيان فرعون وكفره إلّا أنّ الله يأمر موسى وهارون ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾

وقال ينبغي أن نجعل قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ شاخصة في كلامنا مع أعدائنا.

وأوضح أنّ هذه الآيات يجب أن تكون حاضرة وحاكمة على سلوكنا وأعمالنا، لكي ننهض بأمّتنا، ونعيد لها أمجادها، فنكون بذلك طبّقنا آيات القرآن الكريم وترجمناها إلى سلوك.

قرآني نبض حياتي

يشار إلى أنّ برنامج ربيع القلوب السّابع بالجارودية قد شارك فيه هذا العام بمعدّل ١٥٠ مستمعًا يوميًّا، و ٦٢ قارئًا طوال الشهر الفضيل.

وقد انطلق البرنامج بداية شهر رمضان المبارك حيث يتخذ من مصلى مقبرة الجارودية مقرًّا مؤقّتًا له، ويشارك في البرنامج عددٌ من القرّاء المعروفين من منطقة القطيف والدمام وما جاورهما حيث يتم قراءة جزء واحدٍ كلّ يوم يهدى ثوابه لأرواح المؤمنين والمؤمنات.

ويهدف البرنامج من خلال إقامته لنشر ثقافة القرآن وتعليمه وكذلك تصحيح التلاوة من خلال الحضور اليومي والمشاركة في الاستماع للقراء أثناء تلاوتهم، كما أنّ من ضمن أهدافه تقوية الروابط المشتركة بين الناس وبعضهم من خلال التقائهم بمكان واحد يجمعهم على حبّ كتاب الله عزّ وجلّ.

يُشار إلى أنّ البرنامج يديره الأستاذ حسين اعبادي وعددٌ من المهتمين بالشّأن القرآني في الجارودية، وتشرف عليه بعض المؤسّسات الرسمية والأهلية، ويحمل هذا العام النسخة السّابعة له تحت اسم «قرآني نبض حياتي».

بالصور.. طلاب برنامج أجيال يزورون مكتب الشيخ الصفار*

دعا الشيخ حسن الصفار طلاب مركز أجيال الذي تقيمه لجنة الإمام الجواد بالشّويكة في نسخته العشرين إلى ضرورة بناء الشخصية القوية ليكونوا عظماء في المستقبل.

جاء ذلك خلال لقاء سماحته طلاب اللجنة مساء يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ١٦ شوال ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ يوليه ٢٠١٧م.

وأكّد ضرورة الاستفادة من فرصة الالتحاق بمثل هذه البرامج الدينية التي تقيمها اللجنة، بالإضافة إلى التأكيد على زيارة العلماء والمجالس العلمائية؛ لما لها من دور في التأسيس العلمي الرصين.

وأضاف: «إنّ حضور مجالس الوعظ والإرشاد والاستفادة من الكلمات التي يقدّمها الخطيب واستنتاج الأفكار الإنمائية كلّ ذلك يساهم في صقل الشخصية».

ودعا إلى تأسيس مجالس شبابية للتلاقي الثقافي، مشدِّدًا على أهمية المطالعة والاستفادة من الكتب الموجّهة لكلّ مرحلة والتمرين على إلقاء الخطب والكلمات والتمرين على الكتابة منذ حداثة السنّ حتى تترسّخ العلاقة الوثيقة مع الكتاب الذي يقدّم لنا الأفكار الهادفة لبناء الذات.

---

* جهينة الإخبارية ١٣ / ٧ / ٢٠١٧م.

ونـوّه إلى ضرورة الاسـتفادة من التكنولوجيا ووسـائل التواصـل الاجتماعي فيما يصقل المواهب ويحثّ على التفكير والإبداع.

ودعـا للتعرف علـى المسـابقات الثقافيـة وتفعيلها بين الشـباب كمسـابقة تحدّي القراءة أو حفظ القصائد الشعرية أو الإلقاء المبدع وما إلى ذلك مما قد يساهم في بناء الشخصية.

وأنهى الشـيخ الصفار نصائحه بالتأكيد على ضرورة اسـتثمار مواهبنا وقدراتنا منذ حداثة السنّ لنكون شخصيات منتجة ومسؤولة في المجتمع.

واختتـم اللقـاء بحوار أبويّ دار بين الشـيخ الصفار وأبناء مركـز أجيال، حيث كان ختام الزيارة بزيارة المكتبة الخاصة بمكتبه.

الشيخ الصفار يحثّ على إعادة النظر في التقاليد المتعلقة بـ «الفواتح»*

- **ويقول إن أغلب العادات المتعلقة بالفواتح غير منصوص عليها شرعًا.**
- **ويرفض إعطاء بعض الأعراف والتقاليد صبغة من القداسة.**
- **ويقول من الخير للفقيد أن تصرف تكاليف «الفاتحة» لتسديد ديونه ومساعدة أيتامه.**

حثّ سماحة الشيخ حسن الصفار على إعادة النظر في العديد من الأعراف والتقاليد الاجتماعية المتعلقة بمجالس العزاء «الفواتح» التي باتت تثقل كاهل الناس ماديًا ومعنويًا.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٥ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ٢٨ يولية ٢٠١٧م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن الأعراف والتقاليد ينبغي أن تكون خاضعة للمراجعة والتغيير تبعًا للتحولات التي يشهدها المجتمع وبما يحقق المصلحة العامة في نهاية المطاف. وأضاف بأن التكاليف المادية لمجالس الفاتحة باتت تزداد يومًا بعد آخر وتشكل عبئًا كبيرًا على أهالي المتوفى وخاصة منهم العائلات ذوي الدخل المحدود الذين يضطر بعضهم للاستدانة لإقامة العزاء.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٩ / ٧ / ٢٠١٧م

وحثّ سماحته العائلات الميسورة خصوصًا على الاقتصاد في الصرف في هذا المجال حتى لا يرسوا بذلك أعرافًا جديدة تحرج العائلات محدودة الدخل.

وأشار إلى أن أغلب العادات المتعلقة بالفواتح غير منصوص عليها شرعًا. مضيفًا بأن بعضها منافٍ للتعاليم الدينية من قبيل الأكل عند أهل المصيبة والذي وصف في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام بأنه من عمل أهل الجاهلية.

ومضى يقول إنه من الخير للفقيد لو خصصت تلك المبالغ المالية المصروفة لتسديد ديونه أو مساعدة أيتامه أو التصدق على الفقراء نيابة عنه.

إلى ذلك دعا الشيخ الصفار إلى إعادة النظر في الأوقات الطويلة والمرهقة التي تجبر فيها العائلات المثكولة على استقبال المعزين. وتابع بأن لا ينبغي ارهاق ذوي المتوفى أكثر بالوقوف لاستقبال المعزّين طويلًا وعلى مدى أيام متتابعة. مشيرًا إلى اختلاف ظروف العصر التي باتت لا تتيح للكثيرين تجشم هذا العناء.

وأضاف أن بعض المجتمعات الشيعية في غرب المملكة والكثير خارجها قد تنبهوا لهذا الأمر وصاروا يكتفون بعقد مجلس الفاتحة ليلًا فقط تخفيفًا على أهل العزاء.

كما حثّ الشيخ الصفار على اعادة النظر في الصفوف الطويلة التي تشهدها مجالس الفاتحة لجهة أهل المتوفى. متسائلًا عن الداعي لأن يتلقى العزاء في الميت من هم من غير أفراد العائلة من الدرجة الأولى.

ورأى من جهة أخرى أنه لا لزوم لطوابير المعزين في مجالس الفاتحة. موضحًا بأن حدود التعزية يتحقق بمجرد رؤية أصحاب العزاء للمعزين الحاضرين لقول الإمام الصادق عليه السلام: «كفاك من التعزية أن يراك صاحب المصيبة».

ورفض سماحته اعطاء بعض الأعراف صبغة من القداسة على نحو يجعلها لا تقبل التغيير. داعيًا إلى التحلي بالمرونة وأخذ زمام المبادرة في تغيير هذه الأعراف في سبيل تيسير حياة الناس.

الشيخ الصفار ينتقد التعتيم على منهج «الواقعية السياسية» عند أهل البيت*

- **ويدعو إلى قراءة جديدة لسيرة أهل البيت لا تحصر سيرتهم بين الاعتزال أو الثورة.**
- **ويقول إنه جرى التعتيم باستمرار على منهج الواقعية السياسية عند أهل البيت.**
- **ويقول إن الواقعية السياسية تعني إنقاذ ما يمكن انقاذه وإصلاح ما يمكن إصلاحه.**

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار حالة التعتيم على منهج الواقعية السياسية التي صبغت حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام مقابل حصر سيرتهم بين سياقي الانكفاء والاعتزال قديمًا أو الصدام والثورة راهنا.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١٢ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ٤ أغسطس ٢٠١٧م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار بأن الواقعية السياسية كانت مسلكًا سياسيًا صبغ حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام لكن جرى تغييبه والتعتيم عليه باستمرار ولم يجر التداول بشأنه ولا تحويله إلى نظرية سياسية فاعلة.

ومضى يقول ان سيرة أئمة أهل البيت لا تنحصر بين سياقي الانكفاء والاعتزال كما

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٦ / ٨ / ٢٠١٧م

في القراءة القديمة ولا الصدام والثورة التي تتبناها التيارات المتحمسة حديثًا.

وأوضح بأن أئمة أهل البيت كانوا يضعون مصالح المجتمع والأمة على رأس الأولويات وتبعًا لذلك كانوا يتعاملون بواقعية سياسية مع الحكومات القائمة.

وبمناسبة ذكرى ميلاد ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام علي بن موسى الرضا عليه السلام وضع الشيخ الصفار مسألة قبول الإمام بمنصب ولاية العهد للخليفة العباسي المأمون ضمن سياق الواقعية السياسية التي تحفظ مصالح المجتمع.

وأضاف بأن جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام لو عاشوا الظروف ذاتها التي عاشها الإمام الرضا عليه السلام لفعلوا الشيء نفسه دون تردد.

وأوضح بأن الواقعية السياسية مضت في سياق واحد تقريبًا عند جميع أئمة أهل البيت حتى عند الإمام الحسين عليه السلام نفسه الذي تعايش مع حكم معاوية بن أبي سفيان لعشر سنين دون أن يدعو لخلعه أو مواجهته.

وتابع بأن مواجهة الإمام الحسين عليه السلام لحكم يزيد بن معاوية جاءت ضمن ظرف سياسي استثنائي.

قراءة جديدة

ودعا الشيخ الصفار إلى قراءة جديدة لسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام لا تحصر سيرتهم بين سياقي الانكفاء والاعتزال كما في الرؤية القديمة ولا الصدام والثورة التي تتبناها التيارات المتحمسة حديثًا.

وأوضح بأن مسلك العزلة والانكفاء رضي بالتهميش السياسي والاجتماعي فيما ذهب المسلك الثاني إلى حدّ الصراع المفتوح حتى لو أدى للإبادة والفناء.

وشدد الشيخ الصفار بأن المنهج السياسي العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام كان منهج الواقعية السياسية إزاء الواقع القائم.

وأوضح بأن هذا المسلك السياسي يستهدف تغيير الواقع الفاسد من خلال اثبات الحضور السياسي في واقع الأمة بغرض «انقاذ ما يمكن انقاذه وإصلاح ما يمكن إصلاحه».

وأضاف بأن التعاليم الدينية لا تدفع بالمجتمعات نحو حياة العزلة والعيش على هامش الحياة من جهة، ولا تدمير مصالحها والعبث بمصيرها من جهة ثانية.

ومضى يقول إن سعي المجتمعات نحو الالتزام بالمبادئ لا يكون بالإضرار بمصالحها العليا فلا تكليف شرعي بما لا طاقة للفرد أو المجتمع به وفق القرآن الكريم.

ولخّص سماحته سيرة أهل البيت في حرصهم على العمل قدر الاستطاعة لتطبيق القيم والمبادئ الدينية والإنسانية والتعايش، والسعي في الوقت عينه للبناء والتنمية وإثبات الوجود والحضور الفاعل في واقع الأمة.

الشيخ الصفار يستنكر تغييب العقل وسيطرة الانفعالات *

استنكر سماحة الشيخ حسن الصفار تغييب العقل والوعي في حياة الناس كأفراد وكمجتمعات. مؤكّداً أنّ الانفعالات والنزوات تدمّر الحياة والإنسان والأوطان.

وقال: لو كانت الأمة تحكم العقل لما شوّهت دينها، ودمّرت أوطانها، وأنفقت ثرواتها في الحروب والصراعات.

جاء ذلك خلال حديث الشيخ الصفار في مجلسه مساء الخميس ليلة الجمعة ١١ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ٣ أغسطس ٢٠١٧م.

وأبان سماحته أنّ الروايات وصفت العقل بالصديق، والجهل بالعدو، مستشهدًا بما رواه الإمام الرضا عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله: «صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ، وعَدُوُّهُ جَهْلُهُ».

وأوضح أنّ هذه الكلمة موجزه لكنها مفتاح مهمٌّ يفتح آفاقًا كثيرة.

وتساءل: ما هو دور الصّديق والعدوّ في حياة الإنسان؟

وأبان أنّ الصّديق هو الإنسان الذي تحبّه وتدّخره للشدّة، والعدوّ هو من تخشى أذاه وضرره، وتبتعد عنه وتتجنّبه.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧ / ٨ / ٢٠١٧م.

وأفاد أنّ الجهة التي ينبغي أن يثق فيها الإنسان ويعتمد عليها، ويدّخرها، ويلجأ إليها هي عقله. مضيفًا: بينما الجهة التي ينبغي أن يحذرها ويبتعد عنها هو الجهل.

وأوضح أنّ العقل في النصوص الدينية هو قوة الإدراك التي يميّز بها الخير والشرّ.

وعرف الجهل بأنه في معظم النصوص الدينية لا يقابل العلم والمعرفة، أي عدم العلم، بل هو الحالة التي تبعد الإنسان وتحجبه عن العقل، وتجعله تحت سيطرة العواطف والانفعالات والأهواء. مؤكّدًا أنّ الجهل هو الحالة الصّارفة عن العقل، بأن تحجب التفكير، وتحجزه في العواطف والغرائز.

وقال: كثير من الناس لا يستفيدون من قوة العقل، بل يخضعون للانفعال. متسائلًا كيف يتصرف الإنسان في ثروته، وفي علاقته بالآخرين؟

وأبان أنّ الإنسان انطلاقًا من العقل يخطّط للصرف ويضع ميزانيه لحياته، ويدّخر لمستقبله.

وعن إبعاد العقل وتقديم الجهل في العلاقات قال سماحته: في العلاقات مع الجهات المختلفة قد تلتقي المصالح وقد تتضارب؛ لهذا العقلاء يقدّمون مصالحهم، ويحاولون حلّ التضارب والاستفادة من الاختلاف لبناء علاقات مفيدة.

وأبان أنّ الآخرين ليسوا سواء، فهناك من تربطك بهم مصالح، وهناك من يناوئك، داعيًا للانطلاق في العلاقات مع الجميع من العقل والتعقل، للحفاظ على المكتسبات.

واستنكر سماحته ما يقوم به بعض المنسوبين للإسلام من تشويه لهذا الدين العظيم بتطرفهم، وسلوكهم سبُل القتل والتدمير لأوطانهم ومجتمعاتهم، وتهديدهم للآخرين وقتلهم.

الشيخ الصفار يشيد بالكفاءات الشبابية ويؤكّد أهمية تشجيعها*

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار أهميّة التشجيع والتحفّيز للطاقات والقدرات الشّابة منها خصوصًا، مضيفًا أنّ كلّ إنسان في المجتمع ينطوي على قدرات هائلة وعلى طاقات كبيرة، لكنه بحاجة لاكتشاف قدراته وطاقته واستثارتها وتفجيرها.

وخلال مجلسه الأسبوعي مساء يوم الجمعة ١٢ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ٤ أغسطس ٢٠١٧م قال الشيخ الصفار إنّه من خلال التجربة رأى أهمية التشجيع والتحفيز في اكتشاف القدرات، لافتًا إلى أهمية دور الأجواء الاجتماعية والعائلية، فكلّما كانت الأجواء مشجّعة ودافعة أمكن أن تتفجر الطاقات.

وبارك سماحته للكاتب علي عبد الله سليس صدور مجموعته القصصية الأخيرة «مسافة بين» التي قدّم المؤلف نسخة منها لسماحته، وقد بارك الشيخ الصفار له وللمجتمع نبوغ وبروز هذه الكفاءات والطاقات التي نفخر بها، ونعقد الآمال عليها من أجل صناعة أفقٍ معرفي، وبناء جيل يهتم بالثقافة والمعرفة.

وأشار الشيخ الصفار إلى أنّ الحصول على المعرفة بات في الزمن الحاضر أيسر وفي متناول الجميع، مشيرًا لصعوبة تحصيل الكتب والمعرفة في العقود الماضية.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠ / ٨ / ٢٠١٧م.

بدوره ألقى الكاتب علي سليس كلمة معبّرة كتبها عن الشيخ الصفار قال فيها:

الزمـان: محـرّم الحـرام، قبل ما يزاهي العشـرين عامًـا. المكان: سـاحة مفتوحة، ممتلئة عن آخرها. وأنا.. يدي متشـبثة بيمين والدي. أصغي إلى المحاضرة، أو أراقب الصّدى الذي يتقدّم حينًا أو يتأخّر على الصوت.

وأضـاف «كانـت لتلك السّـاحة مكانـة خاصّة في قلبـي، إذ إنّ والـدي كان يعدني بعـد الاسـتماع لكلّ محاضرة، بكتاب. أتذكر الطـاولات الممتدة، وعليها تلك الكتب اللذيذة التي كنت أخطّط بعد كلّ محاضرة لشراء أحدها.. وكان يغريني سخاء أبي اللا محـدود حينما يؤول الأمر إلـى الكتب. كنت أقتني المجموعـات، والحكايا المنفردة أحيانًـا. ارتبط ذلك الصوت في ذاكرتي وتكويني بالكتاب، والمعرفة.. والتحفيز. كان ذلك الصوت هو صوت سماحة الشيخ حسن الصفار.

الرجل الذي كنت أنظر له بمحبّة ومهابة في سنيّ طفولتي، وبإكبار وإعجاب وتأسٍ فـي مراهقتي.. وأنظر لـه الآن كأبٍ، وقامة مجتمعية وثقافية لطالما استشـعرت دعمها وتشجيعها لي.

ولفـت سـليس إلـى موقـف الشـيخ الصفـار وحضـوره فـي حفـل توقيـع روايـة (الحرباوات) لا ينسـى، وبالمثل في حفل (أوبـة).. إذ ألقى كلمته التي ما يزال صداها يتردّد في أذني وروحي. لم تسـمح الظروف لسـماحة الشـيخ بأن يكون معنا في حفل تدشـين (مسـافة بين)، ولكن لأننـي على يقين بأنه لو سـمحت الظروف لـكان معنا.. اخترت أن أعبر المسـافة بنفسـي، وأن أقدّم مسـافتي إليه.. بيدي. فألف شـكر له، على تلك المحاضرات التي ترسّـخت في وعي ولاوعي طفولتي، على سـاحة الكتب التي كوّنتني.. وعلى وقوفه إلى جوار حرباواتي، وأوبتي.. وهذه المسافة.

برعاية الشيخ الصفار

عطاء التطوعية تكرّم المشاركين والمتطوعين بمعرض تدوير الكتاب الخامس*

أقامت لجنة عطاء التطوعية حفل تكريم للمشاركين والمتطوعين بمعرض تدوير الكتاب الخامس الذي أقيم لمدة ثلاث ليالٍ خلال شهر رمضان الماضي في قلعة القطيف الترفيهية، ويهدف لتبادل الكتب بين زوار المعرض.

الحفل أقيم برعاية سماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلس الحاج سعيد المقابي، وسط حضور كبير من روّاد مجلس الشيخ الصفار مساء الخميس ١٨ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ أغسطس ٢٠١٧م.

وفي بداية الحفل ألقى عضو لجنة عطاء التطوعية محمد آل محسن كلمة رحّب خلالها بالحضور، شاكرًا للشيخ الصفار رعايته لحفل التكريم، وعلى حضوره وافتتاحه للمعرض خلال شهر رمضان المبارك.

وقدّم آل محسن نبذة عن المعرض، مشيرًا إلى أنّ الهدف تجاوز وحقّق ما هو أكبر، وهو تجديد علاقة الشباب بالكتاب ونشر ثقافة القراءة والعطاء. مضيفًا أنّهم بالإضافة لعملية تدوير الكتب، كانت هناك مشاركات لعدد من المؤسّسات المهتمة بالقراءة، مما أضفى تمّيزًا آخر للمعرض.

بعدها ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار كلمة الحفل لافتًا إلى أنّ المجتمعات

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٣ / ٨ / ٢٠١٧م.

الحيويـة الفاعلـة، هي التـي تترجم فيهـا التطلّعات والأفـكار إلى مشـاريع ومبادرات عمليّـة، مؤكّـدًا أنّ المجتمع كلّما كان فيـه روّاد يتبنّون مبادرات مفيـدة، كان المجتمع أكثر وعيًا وأكثر تقدّمًا.

وأشـار الشـيخ الصفار إلـى أنّ كثيرًا من المشـاريع قد يبـدو في البدايـة أنّها صعبة التطبيق والتنفيذ، أو لا يمكن أن تنجح، لكن ما إن يتصدّى لها روّاد مبادرون، ويعلّقون الجـرس، وإذا بتلـك الأفـكار تتحـوّل إلـى واقع ملمـوس وتصبـح أمرًا حيًّـا في واقع المجتمع.

وأضـاف أنّ الإنسـان ليكـون مـن الـروّاد والمبادرين، يحتـاج إلى الوعـي العميق بالفكـرة التـي يطرحها، فمن يؤمن بالفكـرة التي يطرحها يتلمّس الطريـق إلى تحقيقها وتجسـيدها، بالإضافـة لتوفر الثقة بالنفس وبأنه يسـتطيع أن يحقّق شـيئًا، فكلّ إنسـان يحتوي على طاقة هائلة.

وبيّن الشـيخ الصفار أهمية الاستعداد للعطاء والتضحية، فكلّ شيءٍ في هذه الحياة لن يتحقّق من دون عناء وجهد وبذل، من أجل أن يخدم الفكرة التي يؤمن بها.

وأشـاد سماحته بفكرة معرض تدوير الكتاب، مشـيرًا إلى أنّها تعتبر فكرة رائدة في المجتمـع، تتيح للقرّاء الاسـتفادة من الكتاب باسـتمرار. مشـدّدًا علـى أهمية الاعتناء بالمعرفـة والثقافة، وخاصّة في هذه الظروف وهذا العصر الذي اشـتغل الناس فيه عن الكتاب وأصبح الكتاب مهجورًا.

وأضـاف علينـا أنْ نهتـمّ بالكتـاب وأن نربّي أولادنا علـى قراءة الكتـب، مؤكّدًا أنّ الأولاد الذين ينشئون في عائلة تهتم بالكتاب، يتربّون هم على حبّ الكتاب.

وختـم سـماحته بالإشـادة بوجـود العنصـر النسـائي فـي المعـرض، مـن خـلال المتطوّعات، شاكرًا لهنّ جهودهنّ من خلال الأركان والمبادرات التي قمن عليها.

وتخلّل حفل التكريم عدة كلمات لكلّ من مدير دار أطياف للنشـر والتوزيع السيد

عباس الشـبركة، والكاتب محمد الحسـين الذي وقّع كتابه خلال المعرض، ومداخلة للأستاذ محمود الدبيس من مجموعة معارف مقروءة لإنتاج الكتب الصوتية، ومداخلة للشيخ محمد الخميس، أشادت بفكرة المعرض، والفعاليات المشاركة فيه.

الشيخ الصفار ينتقد التباطؤ في مأسسة وتنظيم العمل الديني*

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار حالة التباطؤ في التنظيم والمأسسة لدى الجهات الدينية، والاعتماد على الاسترسال في الإدارة. مطالبًا بوضع مقاييس للأداء والإنجاز، وقوانين تبعد العمل الديني عن المزاجية والفردية.

جاء ذلك خلال الكلمة التي ألقاها سماحته في الحفل التأبيني لشهيد القرآن الأستاذ أمين آل هاني في جامع الرسول الأعظم بصفوى مساء يوم الجمعة ١٩ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ١١ أغسطس ٢٠١٧م.

وعن أهمية العمل المؤسّسي قال سماحته: لا نحتاج لمزيد من البرهنة لضرورة النظام والمأسسة، فكلّ الحياة اليوم تسير ضمن سياق التنظيم والمؤسّسات.

وأبدى حزنه؛ لأنّ كثيرًا من المؤسّسات الدينية «مازالت تدار بما توارثناه من السابقين» بعيدًا عن التنظيم والمأسسة.

وقال: ما يجب أن نعترف به أنّ ساحة العمل الديني لم تَرْتَقِ إلى المستوى المطلوب، مؤكّدًا على أنّ العاملين لديهم إخلاص وعطاء لكنه لا يغني عن التنظيم. مشيدًا بأطروحات تنظيم وضع المرجعية الدينية التي قدّمها الشهيد السّيد محمد باقر الصدر تحت عنوان (المرجعية الرشيدة)، وما قدّمه المرجع الراحل السّيد الشيرازي

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٧ / ٨ / ٢٠١٧م.

حول (شورى الفقهاء)، وما سعى إليه العلامة المرجع السيد فضل الله من أنموذج (المرجعية المؤسّسة).

وطالب بسرعة التحول من الاسترسال الى حالة التنظيم الذي يتناغم مع الحياة المعاصرة، مبيّنًا أنّ المؤسّسات الدينية تحتاج لتطوير العمل، وأن تكون في ظلّ قانون مؤسّسي بعيدًا عن المزاجية، مع اعتماد قياس للأداء والإنجاز بعد وضع خطة للعمل.

وعن الفقيد آل هاني قال سماحته: تميّز فقيدنا الغالي أمين آل هاني بكفاءته الفكرية وسعة صدره، فتمكن من إدارة الاختلاف واستثماره.

وأشاد سماحته بنجاح الفقيد في بناء نفسه وكفاءته، وقدرته النفسية على تجاوز الحساسيات، وتدوير الأفكار.

وأبان سماحته أنّ الفقيد لم يكتفِ بما وهبه الله من ذكاء وتطلّع، بل عمل على صقل مواهبه، وحضر دورات عدة ساعدته على الانفتاح على آفاق الإدارة، واكتسب خبرة في تنمية الموارد البشرية.

وأوضح أنّ درجة الشّهادة لا ينالها إلّا من ارتضاه الله، مستشهدًا بما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال للحسين: (إنّ لك عند الله درجة لن تنالها إلّا بالشّهادة).

ولفت إلى أنّ بعض أولياء الله يختار الله لهم هذا المقام العظيم، «ولقد اختار الله لفقيدنا الشّهادة، فسيرته وحياته كلّها صفحة من الصّدق والإخلاص والتفاني».

وتابع: رأينا في حياة فقيدنا أمين «رحمه الله» كثيرًا من الجوانب المشرقة، كاهتمامه بالعمل المؤسّسي، ونجاحه في إدارة المؤسّسة.

وأشار سماحته إلى نجاح الفقيد إداريًّا في عدد من المجالات، كحملة الحج، التي عمل على تطويرها، ومركز القرآن الكريم في صفوى، واصفًا له بأنّه إنجاز ملموس، تمثّل في اهتمامه ببرمجة ووضع المناهج والخطط للعمل المستمرّ والمثمر.

وأشاد الشيخ الصفار بحسن إدارة المرحوم للمجلس القرآني المشترك، مؤكّدًا

أنّه أنموذج متميّز لإدارة مؤسّسة تضمّ عشرات المؤسّسات، حيث «أجاد الإدارة فقدّم أفضل تجربة».

وأبان أنّ آل هاني وفريق العمل الذي ساعده «تميّزوا بجمع كلّ المؤسّسات القرآنية وتوحيد توجّهاتها وإدارتها على إيقاع متميّز».

الشيخ الصفار يشيد بأعضاء لجان الإغاثة الإنسانية في العوامية*

- **وينتقد الإساءات التي نالت من العاملين في لجنة «تواصل» بالعوامية والاتهامات التي طالتهم.**
- **ويدعو إلى تكريم الشهيد محمد ارحيمان ويصفه بشهيد العمل الإنساني في المنطقة.**
- **ويعيد التذكير بمواقف علماء وأهالي المنطقة المحذرة من توجهات العنف قبل الأحداث وأثناءها.**

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بأعضاء لجان الإغاثة الإنسانية العاملة في بلدة العوامية خلال الأحداث الأخيرة والتي تولت برغم المخاطر عمليات الإيواء وإيصال الطعام والدواء للأهالي بالتنسيق مع الجهات الرسمية.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٦ ذو القعدة ١٤٣٨هـ الموافق ١٨ أغسطس ٢٠١٧م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وبمناسبة اليوم العالمي للعمل الإنساني المصادف ١٩ اغسطس أشاد الشيخ الصفار بالعاملين في مجال الإغاثة الإنسانية في العوامية قائلاً بأنهم «جديرون بكل التقدير والإجلال والاحترام لقاء تضحياتهم، ولهم من الله عظيم الأجر والثواب».

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٨ / ٨ / ٢٠١٧م

وقال سماحته «عاش أهلنا الكرام في العوامية محنة ومعاناة شديدة أثارت الألم والمرارة في نفوس كل أبناء المنطقة والوطن».

وتابع القول «سفكت دماء وأزهقت أرواح، وأتلفت ممتلكات، واضطرت مئات العوائل للنزوح عن منازلها وديارها، وعاش الناس في العوامية أيامًا بل أسابيع وشهورًا من الرعب والقلق و المعاناة».

وفي السياق أعاد سماحته التذكير بالبيانات التي أطلقها علماء وأهالي المنطقة قبل اندلاع الأحداث وأثناءها تحذيرًا من آثار العنف وتوجهات الإرهاب وإشهار السلاح في وجه الدولة والمجتمع.

و أشاد الشيخ الصفار بلجنة «تواصل» المختصة بالإغاثة الإنسانية في العوامية والتي تشكلت منذ أشهر وشارك فيها عشرات الأعضاء من الجمعية الخيرية ونادي السلام الرياضي وسائر أبناء البلدة.

وتابع بأن اللجنة تفرعت عنها لجان عديدة إحداها للتواصل مع الجهات الرسمية لتسهيل خروج العوائل من أماكن الخطر وأخرى لإيواء الأسر النازحة وغيرها لتوفير الطعام والخدمة الصحية.

وأوضح بأن العاملين في اللجنة تحملوا أعباء كبيرة في خضم الأحداث. منتقدًا الإساءات التي نالت منهم والاتهامات التي طالتهم.

وأشاد سماحته في السياق بعضو لجنة تواصل الشهيد محمد ارحيمان الذي قضى وهو في غمرة عمله الإنساني أثناء عملية اخلاء العشرات من المرضى وكبار السن من أماكن الخطر في العوامية بعد التنسيق مع الجهات الرسمية.

وثمّن عاليًا الفاعلية الكبيرة التي تميز بها الشهيد ارحيمان مع كبره في السن حيث كان إلى جانب عضويته في اللجنة الرئيسية منخرطًا في لجان فرعية عديدة من لجنة غذاء ولجنة ايواء ولجنة الطوارئ.

ودعا سـماحته إلى تكريم الشهيد ارحيمان الذي وصفه بـ «شـهيد العمل الإنساني» على غرار تكريم «شهيد القرآن» الأستاذ أمين آل هاني الذي اقيمت له مهرجانات تأبينية عدة في عموم المنطقة وهو يستحق ذلك وأكثر.

وأضاف بأن الشـهيد ارحيمان يستحق بجدارة أن يكون رمزًا للعمل الإنساني في المنطقة.

وشكر الشيخ الصفار كل الجهود المبذولة من الجهات الرسـمية والأهلية على مسـتوى المنطقة لتخفيـف المعاناة عن المتضررين من الأحداث.

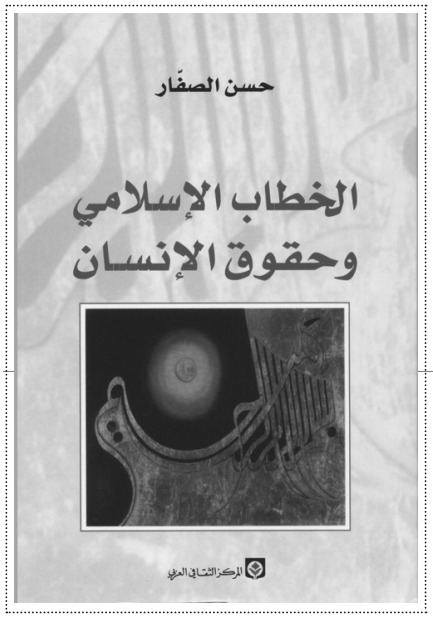

«الخطاب الإسلاميّ وحقوق الإنسان» لحسن الصفار*

بقلم رضوان العماري**

كتاب «الخطاب الإسلاميّ وحقوق الإنسان» لحسن الصفار؛ صدر عن المركز الثّقافيّ العربيّ، الطّبعة الأولى ٢٠٠٥م، عدد صفحاته ١٩٢ صفحة، تطرّق فيه الكاتب إلى موضوعات مهمّة، منها: الخطاب الدّينيّ وحقوق الإنسان، الإسلاميّون وحقوق الإنسان، قدسيّة الحياة وثقافة الاستهتار، وغيرها من الموضوعات الّتي سنبيّن أهمّ أفكارها الرّئيسة.

لقد عدّ الكاتب «حقوق الإنسان» أقدس قضيّة تستحقّ النّضال؛ بل هي القضيّة الأمّ والعنوان الشّامل لكلّ القضايا الإنسانيّة، فالشّرائع الإلهيّة هدفها الأساس إحقاق حقوق الإنسان، وتحرير إرادته من أيّ هيمنة جائرة، كي يخضع لربّه وحده بملء حرّيته واختياره، ويرى أنّ المطلوب من المدافعين عن حقوق الإنسان الآتي:

- **أوّلًا**: تأصيل حقوق الإنسان في الفكر والثقافة الدّينيّة المعاصرة، ومعالجة بعض المسائل المطروحة في الفكر والفقه الإسلاميّ، الّتي يبدو منها التّعارض والتّصادم مع بعض مبادئ حقوق الإنسان التي أقرّتها المواثيق العالميّة.

---

* نشر على موقع مؤمنون بلا حدود http: / /www.mominoun.com/ بتاريخ ١٨أغسطس ٢٠١٧م.

** رضوان العماري: باحث مغربي، بصدد التحضير للدكتوراه، تخصص الأدب الشعبي بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء.

- **ثانيًا**: ينبغي الانفتاح على تطوّرات الفكر البشريّ، وتقدّم الحركة الحقوقيّة عالميًّا، لإيجاد تواصل معرفيّ وتفاعل ثقافيّ، نستفيد عبره من تجارب الآخرين، ونفيدهم بالاطّلاع على ما في تراثنا وثقافتنا الإسلاميّة؛ من مفاهيم وتشريعات وموارد تخدم تطلّعات الإنسان لحماية حقوقه وتعزيز كرامته.
- **ثالثًا**: لا بُدّ من تكثيف حركة الدّفاع عن حقوق الإنسان داخل مجتمعنا وأوطاننا، بأن تصبح من أولويّات اهتمامنا، وأن نرصد لها القسط الأكبر من جهودنا وإمكانيّات نشاطنا.

الإنسانيّة بين النّصّ والخطاب الدّينيّ:

في البداية، يرى الكاتب أنّه لا بُدّ من التّفرقة بين الخطاب الدّينيّ والنّصّ الدّينيّ؛ فالنّصّ الدّينيّ: هو كلّ ما ثبت وروده عن الله وعن رسوله، أمّا الخطاب الدّينيّ؛ فهو ما يستنبطه الفقيه والعالم والمفكّر ويفهمونه من النّصّ الدّينيّ، أي إنّ الخطاب الدّينيّ: هو فتاوى الفقهاء، وكتابات العلماء، وآراء ومواقف القيادات والجهات الدّينيّة، ويعلّق الكاتب على هذا بقوله «وهنا لا قداسة ولا عصمة، فلاجتهاد قد يصيب وقد يخطئ، والمجتهد يعبّر عن مقدار فهمه وإدراكه، كما قد يتأثّر بمختلف العوامل النّفسيّة والاجتماعيّة التي تنعكس على آرائه وتصوّراته، صحيح أنّ الخطاب الدّينيّ يستند إلى النّصّ الدّينيّ ويحتجّ به، لكن ذلك يكون عبر فهم وتفسير للنّصّ، ذلك أنّ الفهم والتّفسير قابلان للأخذ والرّدّ، فهناك تفسيرات لبعض النّصوص تفتقد الموضوعيّة والدّقّة، أو تجتزىء النّصوص من سياقاتها، وتقرؤها خارج منظومة قيم الرّسالة ومقاصد الشّريعة»[1]، وهذا ما يجعلنا أمام خطاب دينيّ شعاره التّسامح، أو خطاب دينيّ مبنيّ على العنف والكراهيّة.

(١) الخطاب الإسلاميّ وحقوق الإنسان، حسن الصفار، المركز الثّقافيّ العربيّ، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٢٠- ٢١.

في الحديث عن النّزعة الإنسانيّة؛ يرى الكاتب أنّ من أبرز مظاهر العجز والخلل في واقع مجتمعاتنا تدنّي موقعية الإنسان، وانخفاض مستوى الاهتمام بقيمته وحقوقه، وحماية كرامته، حتّى أصبحت الأمّة تحتلّ الصّدارة في تقارير انتهاك حقوق الإنسان، ليس من قبل السّلطة السّياسيّة فقط، بل على الصّعيد الاجتماعيّ العام؛ إذ إنّ هناك إرهابًا فكريًّا يصادر حريّة التّعبير، وتمييزًا ضدّ المرأة يحوّلها إلى إنسان من الدّرجة الثّانية، ونظرة دونيّة إلى الآخر المختلف ضمن دائرة من دور دوائر الاختلاف، بالتّالي، الكاتب يرى أنّ علينا محاكمة الخطاب الدّينيّ المعاصر وتقويمه على ضوء النّصوص الدّينيّة، لمعرفة مدى الخلل والقصور الّذَين يعاني منهما في مجال الاهتمام بإنسانيّة الإنسان واحترام كرامته وحقوقه؛ إذ رغم حديث النّصّ القرآنيّ عن مكانة الإنسان وموقعيّته، فالخطاب الدّينيّ لا يواكب ذلك، أو نقول: هو اهتمام خافت لا يتناسب مع المساحة التي أفردها القرآن الكريم لإبراز قيمة الإنسان ومكانته، بوصفه أفضل الموجودين وأكرمهم.

كرامة الإنسان والخطاب الدّينيّ:

يؤكّد الكاتب أنّ انتماء جمع من النّاس إلى إطار مادّيّ أو معنويّ مشترك، تترتّب عليه درجة من الخصوصية للعلاقة فيما بينهم، فإذا كانوا أبناء عشيرة واحدة، مثلًا، فإنّهم يشعرون بالتزام خاصّ تجاه بعضهم، وإذا كانوا أهل دين واحد، كانت العلاقة فيما بينهم أوثق واحترامهم لبعضهم أكثر، هنا يتساءل الكاتب: هل تعني خصوصيّة العلاقة فيما بينهم الازدراء والتّحقير لمن هم خارج إطارهم من بني البشر؟ وهل يعني ذلك أنّ الإكرام والاحترام يقتصر على الناس المشاركين لهم في انتمائهم فقط، أمّا غيرهم فهم بشرٌ من الدّرجة الثّانية؟

بناءً على ما سلف؛ يرى الكاتب أنّ من مناطق الخلل الرّئيسة في مساحة واسعة من الخطاب الإسلاميّ، القول بتجزئة الكرامة الإنسانيّة، وأنّها خاصّة بالمسلمين، فغير المسلم لا يشمله التّكريم، وتضيق الدّائرة أكثر بتخصيصها بالمؤمنين؛ أي أتباع

المذهب فقط، وما عداهم من المخالفين والمبتدعة لا ينطبق عليهم عنوان التّكريم، وتستباح حقوقهم المادّيّة والمعنويّة، مع أنّ القرآن نصَّ على منح الكرامة من الله تعالى لعموم بني آدم مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٠] «هذا البيان الواضح الصّريح كان ينبغي أن يكون أصلًا يرجع إليه في فهم بعض النّصوص واستنباط بعض التّشريعات المتعلّقة بالموقف تجاه الآخر المخالف في الدّين أو المذهب، وأسلوب التّعامل معه»[1].

إنّ الخطاب العنصري المتطرّف ـ وهو كثير في السّاحة الإسلاميّة ـ ومنه ما يأتي في صيغة دعاء في خطبة الجمعة بالهلاك لجميع اليهود والنّصارى والكفّار المخالفين في المذهب، وترميل نسائهم وتيتيم أطفالهم، فمثل هذا الخطاب هو ما خلق أرضيّة للعنف والإرهاب اللّذَين تعاني منهما بلاد المسلمين والعالم، ما شوّه ـ في الآن نفسه ـ صورة الإسلام والمسلمين.

الخطاب الدّينيّ والاهتمام بالإنسان:

لتوثيق صلة الإنسان بربّه وتأكيد عبوديّته له، ولتفعيل البعد الرّوحيّ في شخصيّة الإنسان وإثرائه، شرّع الإسلام العبادات؛ من صلاة وصيام وحجّ وعمرة وغيرها من الشّعائر، وفي ذات الوقت، وجهّت تعاليم الإسلام إلى الاهتمام بخدمة الإنسان ونفعه؛ من إطعام الجائعين، وكفالة الأيتام، عون الفقراء ومساعدة الضعفاء، يعلق الكاتب على ذلك بالقول: «حين نقرأ النّصوص الدّينيّة نجد اهتمامًا متوازيًا بالجانبين معًا؛ بل نجد إشارات في الكثير من النّصوص إلى أنّ البرامج العباديّة؛ كالصّلاة والصّيام وأمثالها، تستبطن وتستهدف تنمية دوافع الخير تجاه النّاس في نفس الإنسان، كما أنّ القرآن الكريم يجعل الحدّ الفاصل بين التديّن الصّادق والتديّن الزّائف، هو مدى اهتمام الإنسان بمساعدة النّاس الضّعفاء، كاليتامى والمساكين، ويعدّ أداء عبادة

(١) الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، حسن الصّفار، ص ٤٣.

الصّلاة دون عون الأيتام والفقراء تديّنًا كاذبًا ورياء مفضوحًا، يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ* وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ* فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [سورة الماعون]، إذاً، لا بُدّ من الاهتمام بالإنسان، وليس فقط أداء العبادات دون مبالاة بالآخر.

ملاحظة يتوقّف عندها الكاتب بقوله: «إنّ إقبال النّاس في مجتمعاتنا على بناء المساجد، لا يوزايه إقبال على بناء الجامعات والمكتبات، ومواظبة البعض على تكرير الحجّ والعمرة لا يزاحمه توجّه لكفالة الأيتام ومساعدة المعاقين، وحرص البعض على السّعي إلى صلاة الجماعة لا يماثله حرص على السّعي إلى الاهتمام بالشّأن العام»[1]، وبالمقارنة بالغرب؛ نجد الاهتمام بمثل هذه الأمور من الأولويّات.

يعود الكاتب إلى ملاحظة أخرى على مستوى البحث الفكريّ والفقهيّ؛ حيث يرى أنّ المكتبة الإسلامية تمتلئ بالبحوث العقديّة والفقهيّة العباديّة؛ كأحكام الصّلاة والصّيام والحجّ، الّتي تستغرق مجلّدات كثيرة، وتتفرّع مسائلها إلى مختلف الصّور والاحتمالات، حتّى الخياليّة منها، لكن قضايا حقوق الإنسان، لم يتبلور لها عنوان جامع في الفقه، ولا تطرح إلّا بشكل عابر ضمن أبواب فقهيّة مختلفة.

الحلّ ـ إذاً ـ هو تطوير الخطاب إنسانيًّا، وحسب الكاتب؛ فإنّ تطوير الخطاب الدّينيّ إنسانيًّا ليس مطلبًا كماليًّا، وليس قضيّة هامشيّة؛ بل هو ضرورة ملحّة تقع في الصّميم من قضايا الأمّة واحتياجاتها؛ بل هو السّبيل إلى تحقيق مهامّ أساسية تأخّرت الأمّة كثيرًا عن إنجازها وتحقيقها، من أبرزها:

- **أوّلًا**: إنجاز تقدّم على مستوى التّنمية الإنسانيّة في مجتمعاتنا؛ حيث يعيش الإنسان واقعًا متخلّفًا يفتقد فيه مقوّمات بناء الحياة الفاضلة، والتّمتّع بحقوقه الإنسانيّة.

(١) الخطاب الإسلاميّ وحقوق الإنسان، حسن الصّفار، ص ٦٢.

■ **ثانيًا**: الإسـهام في خدمة القضايا الإنسـانيّة على الصّعيد العالميّ، لتكون الأمّة بمستوى ما تتبنّاه من قيم الإسلام ومفاهيمه وشعاراته الرّساليّة العظيمة.

الإسلاميّون وحقوق الإنسان:

بعـد الحديـث عـن اهتمـام النّـصّ الدّينـيّ بحقـوق الإنسـان، تطـرّق الكاتب إلى واقـع الاهتمـام بحقوق الإنسـان؛ إذ يـرى أنّ هناك كثيرًا مـن المباهـاة والاعتزاز لدى الإسلاميّين أمام الحضارة الغربيّة بأسبقيّة الإسلام، وأفضليّة اهتمامه بحقوق الإنسان، وهو أمر صحيح على مستوى النّصوص والتّعاليم والأحكام، لكن لا بُدّ ـ على مستوى الممارسة والواقع ـ من الاعتراف بالقصور والتّقصير، فالآخرون سبقونا وتقدّموا علينا بمسافات بعيدة.

فلماذا هذا التّغاضي عن حقوق الإنسان؟ يرى الكاتب أنّ المسافة البعيدة الفاصلة بين اهتمام الإسـلام فكرًا وتشـريعًا بحقوق الإنسـان، وبين ضعف اهتمام المسـلمين ـ خاصّـة ـ الإسـلاميّين منهـم بقضاياها، تطرح تسـاؤلًا ملحًّا عن الأسـباب والعوامل الكامنة خلف هذا التّبيان، ويأتي العامل الثّقافيّ المعرفيّ ـ حسـب الكاتب ـ في طليعة تلـك العوامـل؛ حيث ركّزت الثّقافة الدّينيّة على محوريّـة الدّفاع عن حقوق الله تعالى علـى عباده في الجانـب العقديّ والعبـاديّ، فاهتمّ علمـاء المسـلمين ودعاتهم بتبيين العقائد الدّينيّة، أمّا حقوق الناس فيما بينهم وسبب نجاحهم في تنظيم حياتهم الدّنيويّة فلـم تنـل حظّها من الاهتمـام والتّركيز، وهناك ـ أيضًا ـ عامل سياسـيّ يتعلّق بتحاشـي العلمـاء والمفكّريـن الاصطدام مع السّـلطات والحكومات، ممّـا يجعل الحديث عن الحقوق بمنزلة اعتراض على تلك السّلطات، أو تحريض للجمهور على ممارستها.

رغـم وجاهـة هذه المبـرّرات، يـرى الكاتب أنّه لا يصـحّ أن تحجبنا عـن حقيقتَين عظيمتَين:

الأولى: منزلة حقوق الإنسان في الشّريعة الإسلاميّة، والتّأكيد الخطير على رعايتها

وحمايتها، فلم تحذّر النّصوص من شيءٍ تحذيرها من جريمة الظّلم والاعتداء على حقوق الآخرين.

الثّانية: الارتباط العميق بين رعاية حقوق الإنسان ومستوى التّقدم الحضاريّ للأمّة؛ حيث لا يمكن لأمّة أن تتقدّم، وأن تحقّق الكرامة لأبنائها، فالإنسان المقهور المسحوق لا ينجز تقدّمًا حقيقيًّا، ولا ينتج عطاءً، كما أنّ عالم اليوم لن يحترم أمّة تتجاهل حقوق الإنسان.

يعلّق الكاتب على ذلك بقوله: «هاتان الحقيقتان تفرضان على الإسلاميّين الواعين أن يظهروا الاهتمام اللّازم بقضيّة حقوق الإنسان، وأن يتصدّوا للدّفاع عنها، بنشر رؤية الإسلام وثقافته الحقوقيّة، عبر مناهج التّدريس، ووسائل الإعلام والتّخاطب مع الجمهور، وبتشكيل المؤسّسات والجمعيّات الّتي تتبنّى قضايا حقوق الإنسان، وممارسة مختلف الوسائل والأساليب المشروعة»[1].

ثقافة حقوق الإنسان وبرامج العمل:

إنّ أول خطوة يراها الكاتب في طريق إرساء حقوق الإنسان والدفاع عنها؛ هي التّعريف بتلك الحقوق، ونشر ثقافتها، ذلك أنّ الكثيرين في مجتمعاتنا لا يعرفون حقوقهم أو واجباتهم، فلا يطالبون بما لهم، ولا يلتزمون ما عليهم؛ بسبب الجهل وانعدام المعرفة، يقول الكاتب: «إنّنا في حاجة إلى جهود كبيرة لنشر ثقافة حقوق الإنسان في مجتمعاتنا، بدراسة حقوق الإنسان، والاطّلاع على الأنظمة والقوانين الوطنيّة، ومعرفة الضّوابط والحدود في علاقاتنا الاجتماعيّة، وفي كثير من الأحيان يكون الطّرح الحقوقيّ في خطابنا الدّينيّ أحاديًّا؛ حيث يركّز على حقوق طرف، ويتجاهل حقوق الطّرف الآخر، بما يخدم نظام الهيمنة تحت هاجس الخوف من

(١) الخطاب الإسلاميّ وحقوق الإنسان، حسن الصّفار، ص ٨٩.

التّمـرّد، فلا يجـري التأكيد على حقـوق المعلّـم دون تبيين حقوق الطّالـب»[1]، وهذا منهج خطأ وخطير؛ لأنّ فيه تهميشًا وإقصاءً.

إنّ التّقـدّم الّـذي أحرزتـه المجتمعات الأخـرى في مجالات حقوق الإنسـان، لم يحـدث بين عشـيّة وضحاهـا، ولـم يتحقّق دفعة واحدة، ولم يأتِ بسـهولة ويسـر، فقد رزحت تلك الشّعوب تحت وطأة الاستبداد الدّينيّ للكنيسة، وظلم الإقطاع السّياسيّ، فانبعثت أفكار التّحرّر والإصلاح من رحم المعاناة الشّديدة، ويرى الكاتب – هنا – أنّنا في حاجة إلى العمل من أجل حقوق الإنسان على ثلاثة صُعُدٍ:

الأوّل: صعيد القوانين والتّشريعات؛ بأنْ تنسجم الأنظمة والسّياسات المعتمدة مع مواثيـق حقوق الإنسـان الإسـلاميّة والعالميّة، وأن يعاد النّظـر في أيّ واقع تنظيميّ ينتهك شـيئًا من تلك الحقوق، أو يشـكّل ثغـرة لانتهاكها، هذا دور المجالس التّشريعيّة والمفكّرين والدّعاة وواجبهم.

الثّاني: على مستوى الأداء التّنفيذيّ لأجهزة الدّولة وموظفيها، ذلك أنّ نسبة كبرى مـن انتهـاكات حقوق الإنسـان تحدث نتيجة ممارسـات خاطئـة من بعض المسـؤولين والموظّفيـن في مؤسّسـات الدّولة، ولا بُدّ – هنـا – من تفعيل مؤسّسات الرّقابة والتّدقيق، وديوان المظالم، ووسائل الإعلام، لتشكّل قوّة ردع وضغط لحماية حقوق المواطنين.

الثّالث: يرتبـط بالعلاقـات الاجتماعيّـة؛ فهناك خـروق وانتهـاكات فظيعة لحقوق الإنسان على المسـتوى الاجتماعيّ؛ في علاقات النّاس مع بعضهم، ومن مظاهرها حالات العنف الأسريّ في التّعامل مع الأولاد والزّوجات؛ حيث يمارس بعض الآباء سلطة وحشيّة على أبنائهم، كما يتعدّى بعض الأزواج على الحقوق الإنسـانيّة والشّـرعيّة لزوجتـه، وكذا الحال فـي التّعاطي مع الخدم والموظّفين.

(١) نفسه، ص ١٠٩.

بين الحقوق والواجبات:

انتظام حياة الإنسان في المجتمع يقتضي أن يتمتّع بالحقوق الّتي له، وأن يؤدّي الواجبات الّتي عليه، وإذا ما حصل خلل في هذه المعادلة، فسيؤدي إلى الاضطراب في حياة الفرد والمجتمع، يقول الكاتب: «وإذا كان على الإنسان من الواجبات تجاه الآخرين، بمقدار ما له من الحقوق، فنقطة البداية لبناء علاقة صحيحة ناجحة مع الآخر، يجب أن تنطلق منه بالمبادرة لأداء الحقوق المتوجّبة عليه، ما يلزم الآخر ويشجّعه على التّعامل بالمثل، فتنتظم العلاقة - حينئذ - وتستقيم، ومعنى ذلك؛ أن يفكّر الإنسان في الواجبات الّتي عليه، قبل أن يفكّر في الحقوق التي له، وأن ينجز ما عليه، قبل أن يطالب بما له»[1]، ولا بُدّ من التّأكيد - هنا - على أنّ قضيّة الحقّ والواجب لا تزال تشكّل خللًا منهجيًّا إلى اليوم.

يتساءل ـ هنا ـ الكاتب: لماذا يتجاهل أكثر النّاس الواجبات التي عليهم أو يتساهلون في القيام بها؟ يرى الكتاب أنّ العوامل المفسّرة لذلك عديدة، وهي:

- عامل الجهل وضعف الوعي الحقوقيّ؛ حيث لا يعرف الكثيرون ما يتوجّب عليهم تجاه الآخرين، فالعلاقات والارتباطات في مجتمعاتنا تسير بشكل عفويّ، وضمن أعراف وتقاليد، ترتكز على قوّة الطّرف وموقعه.
- عامل آخر يرتبط بالتّربية النّفسيّة، والبناء الأخلاقيّ لشخصيّة الإنسان؛ حيث يحتاج إلى التّذكير بالقيم والمبادئ، وأنّها يجب أن تكون المقياس والمحور لمواقفه وتصرّفاته، وليس مصالحه الذّاتية.
- في أحيان كثيرة يتساهل الإنسان في حقوق القريبين منه، وهذا خطأ كبير.

(١) الخطاب الإسلاميّ وحقوق الإنسان، حسن الصّفار، ص ١٢٣.

قدسيّة الحياة ثقافة الاستهتار:

الحياة بالنّسبة إلى أيّ إنسان هي قرار إلهيّ خارج عن إرادته وسيطرته، بالتّالي، فإنّ أيّ محاولة لمصادرة تلك الحياة هي اعتراض على الإرادة الإلهيّة، فيتشكّل بذلك معيار لفرز النّظم القانونيّة والثّقافيّة، فكلّ نظام لا يسعى للحافظ على حياة الإنسان هو نظام مرفوض وفق السّنن الإلهيّة، وبعكسها؛ تكون النّظم الّتي تشكّل سياجًا للمحافظة على حياة الإنسان الّذي كُتبت له الحياة.

فالنّظرة إلى الحياة على أنّها حقيقة يجب الحفاظ عليها هي بداية السّير في الاتجاه الصّحيح، من هنا كانت الحياة أقدس شيءٍ في الإسلام، يقول الكاتب: «هكذا، إنّ من أبجديات الثّقافة الّتي حاول الإسلام تكريسها في نفس النّاس، حتّى تشكّل قاعدة ومنطلقًا لسلوك حضاريّ رصين، هي قدسية الحياة وضرورة الحفاظ عليها»[1]، بالتّالي، يرى الكاتب أنّ الأمّة تحتاج إلى صياغة جديدة لوعي الإنسان المسلم، لعلّ ذلك يطبّب تلك الجراحات الّتي أحدثتها ثقافة الاستهتار بالحياة، ثمّ رسم لوحة من القيم النّبيلة للإسلام الحقيقيّ الذي عملت تلك العقليّات على تشويهه في نظر الآخرين، حتّى صار الإرهاب سمة بارزة من سمات الإسلام عندهم.

أخيرًا؛ إنّ موضوع الخطاب الإسلاميّ أصبح ـ اليوم ـ في حاجة إلى إعادة النّظر أكثر من أيّ وقت مضى، كي يتناسب وروح العصر بعيدًا عن الجمود والتّقليد اللذَين سينعكسان سلبًا ليس على هذا الخطاب وحسب؛ بل سينعكس على المسلمين قاطبة، خصوصًا، مع تصاعد وتيرة العنف والتّطرّف المبنيّ على المرجعيّة الدّينيّة المتشدّدة.

(١) الخطاب الإسلاميّ وحقوق الإنسان، حسن الصّفار، ص ١٣٦.

الشيخ الصفار يحث على جعل «الأضحى» مناسبة لنشر البهجة والسرور*

- **ويقول إن من مضامين العيد نشر البهجة والسرور وتحدي الأحزان والمصائب.**
- **ويستغرب محدودية الاهتمام بتقديم الأضاحي في عيد الأضحى في المجتمع المحلي.**
- **ويحثّ على اغتنام فرصة العيد لصلة الأرحام وإعادة الصلة بالأقرباء المنقطعين.**

حثّ سماحة الشيخ حسن الصفار على جعل العيد مناسبة لنشر البهجة في الأجواء العامة وجعل النفوس مفعمة بالأمل والحيوية بعيدة عن اليأس والضجر في سبيل مواجهة أكثر فاعلية للمصاعب.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١٠ ذو الحجة ١٤٣٨هـ الموافق ١ سبتمبر ٢٠١٧م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وبمناسبة عيد الأضحى قال الشيخ الصفار إن من أهم مضامين العيد نشر البهجة والسرور وتحدي الأحزان والمصائب سواء على المستوى الفردي والمجتمعي أو الوطني.

وحثّ على استغلال المناسبة لتجديد الأمل في النفوس وعدم الاستسلام للمآسي والأحزان. مضيفًا بأن للأعياد دورًا في كسر ما يطغى على النفس والمجتمع من مصائب وأحزان.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١ / ٩ / ٢٠١٧م

وأضاف بأن الدين يشـجع على نشر البهجة والسرور خاصة في وسط الأطفال لما في ذلك من انعكاس على سلامتهم النفسية وتهذيب لمشاعرهم.

وحثّ الشـيخ الصفار على نشـر البهجة في الأجواء العامة آخذًا في الاعتبار الآثار النفسية والصحية والاجتماعية الكبيرة لهذا الأمر.

ومضى سماحته في القول إن نفوسنا ينبغي أن تكون مفعمة بالأمل والحيوية بعيدة عن اليأس والضجر في سبيل مواجهة أكثر فاعلية للمآسي التي تحيط بالأمة أو تضرب البشرية في مناطق مختلفة.

مضامين

وقال الشيخ الصفار إن من مضامين العيد التذكير بالارتباط بالله تعالى وبنعمه التي تغمر الإنسان.

وأضاف بأن الإنسان ينبغي أن يستحضر ذكر ربه في غمرة البهجة والسرور حتى لا يتحول العيد إلى مناسبة لهوٍ صارفة عن ذكر الله.

وأرجع سُـنة اقامة صلاة العيد والخطبتان والتكبير والتهليل باعتبارها أول البرامج التـي يحضرها المسـلم في يوم العيد أرجع ذلك إلى كونه ذكرًا لله واسـتحضارًا للقيم والمبادئ.

وتابـع بـأن من مضاميـن العيد العطـاء الاجتماعي والاهتمام بمناطـق الضعف في المجتمع المتمثل في الفقراء والأيتام والمسـاكين. مستشهدا بسُنة زكاة الفطرة في عيد الفطر والتضحية في عيد الأضحى.

وعلـى غـرار أغلـب مناطق العالم الإسـلامي حـثّ سـماحته مجتمعاتنـا المحلية علـى إيلاء التضحية في عيد الأضحى بشـاة أو بقر أو جمـل اهتماما أكبر، مرجعًا ذلك للاستحباب الشرعي المؤكد لهذا الأمر، ولما فيه من عطاء للفقراء والمساكين.

واسـتغرب محدودية الاهتمام بتقديـم الأضاحي على مسـتوى المجتمع المحلي

والتعاطي معه كأمر واجب على حجاج البيت الحرام وحسب.

وأوضح بأن الروايات المؤكدة على تقديم الأضاحي في عيد الأضحى مستفيضة في مصادر المسلمين جميعًا، ومن ذلك ما رواه الصدوق عن النبي ﷺ: «إنما جعل الله هذا الأضحى لتشبع مساكينكم من اللحم فأطعموهم».

كما تناول سماحته المضمون الاجتماعي للعيد والمتمثل في حضور صلاة العيد والتزاور وتبادل التهاني مع الأرحام والأقرباء وخاصة منهم من ضعفت العلاقة معهم أو انقطعت الصلة بهم.

ومضى يقول بأن إعادة الصلة بالأقرباء المنقطعين وغيرهم هي أعظم ثوابًا وأجرًا من الآخرين.

الشيخ الصفار يدعو شعوب الأمة إلى تقديم المصلحة العامة على المصالح الفئوية*

- **ويقول إن مراعاة المصلحة العامة للأمة هي السبب لامتناع الإمام علي عن المطالبة بالخلافة.**
- **ويضيف بأن دعاوى الدفاع عن الحقوق المشروعة ليست مبررًا لتدمير الأوطان.**
- **ويرجع الحروب الأهلية التي تجتاح الأمة إلى تمسك كل طرف بما يراه حقًا له.**

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار الشعوب الإسلامية إلى وضع المصلحة العامة للأمة فوق كل اعتبار حتى لو تطلب ذلك التضحية بالحقوق الفئوية الخاصة في بعض الأحيان.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ١٧ ذو الحجة ١٤٣٨هـ الموافق ٨ سبتمبر ٢٠١٧م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار بأن دعاوى الدفاع عن الحقوق المشروعة ليست مبررًا لتدمير الأوطان على رؤوس أهلها. مضيفًا بأن بلداننا أصبحت نتيجة ذلك فرجة للعالم وساحة يستثمر فيها الأجانب خلافاتنا لتحقيق مشاريعهم الخاصة.

وبمناسبة ذكرى يوم الغدير دعا سماحته إلى ما وصفها وقفة تأمل ودراسة لموقف

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩ / ٩ / ٢٠١٧م

الإمام علي بن أبي طالب حيال ضياع حقه في الخلافة بعد رسول الله وتضحيته بحقه الخاص لحساب المصلحة العامة للأمة.

وأضاف بأن أمير المؤمنين قدم درسًا بليغًا للأمة بإيلائه الأولوية القصوى للمصلحة العامة للأمة وأن السعي للدفاع عن الحقوق أمر مشروع ومطلوب شريطة أن لا يكون على حساب المصلحة العامة.

وقال سماحته أن الإمام علي لم يمتنع عن الدفاع عن حقه في منصب الخلافة بعد رسول الله لشكٍ في حقه ولا لنقص في شجاعته وهو القائل «لو اجتمعت العرب والعجم على قتالي ما وليت منهم فرارا».

وتابع إن مراعاة المصلحة العامة للأمة هي السبب الأساس لامتناع الإمام علي عن المطالبة بالخلافة كما صرح هو في العديد من الموارد.

وأوضح الشيخ الصفار بأن إحجام الإمام عن الثورة من أجل بلوغ السلطة والحكم جاء لأنه كان يحمل همّ الدين ويفكر في مصلحة الأمة على حساب حقه الخاص كما قال: « لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيها جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خاصَّةً».

وأضاف بأن أمير المؤمنين لم يكن مستعدًا لبلوغ حقه في الحكم حتى لو أدى ذلك إلى تخريب الأمة وضياع منجزاتها.

التنازع سبيل الحروب الأهلية

ومضى سماحته في القول أن الإمام علي رأى ببصيرته أن التنازع على الخلافة في ذلك الوقت المبكر من عمر الإسلام كان سيتسبب في حرب أهلية تؤدي لانهيار الكيان الوليد وتشكل فرصة يتحينها الأعداء للقضاء على الإسلام.

وتابع بأن منطق الإمام علي كان أبعد ما يكون عن منطق أصحاب النزعات السلطوية وأهل المطامع الذين لا يهمهم تفرق الأمة ولا يحجزهم سفك الدماء عن السعي للاستحواذ على السلطة.

وأرجع سماحته الحروب الأهلية المدمرة التي تجتاح بلاد المسلمين في الآونة الأخيرة إلى تمسك كل طرف بما يراه حقًا له. داعيا مختلف الفرقاء للتأمل مليًا في موقف الإمام علي الرائع من هذا الأمر.

وأوضح أن الأمة كانت لتنجو من هذه المآلات المدمرة لو اقتدى مختلف الفرقاء بوعي الإمام علي وإخلاصه وجعله مصلحة الأمة العامة حاكمة على جميع المواقف والتوجهات.

وقال سماحته إن ما يجري اليوم هو صراع بين حكومات تدافع عما تعتبره حقًّا لها في السلطة والحكم وشعوب وأحزاب وجماعات ترفع رايات الدفاع عن حقوق شعوبها أو فئاتها.

وأردف القول إن الشرع والعقل ليس مع السعي لتحصيل بعض الحقوق على حساب المصلحة العامة للشعوب والأوطان. مضيفًا بأن هذا كان جوهر موقف الإمام علي من حقه في الخلافة.

الشيخ الصفار يدعو أهالي العوامية للتكاتف للبناء وبلسمة الجراح*

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار أهالي العوامية لتجاوز المحنة، والتكاتف لبناء البلدة، وبلسمة الجراح، مؤكّدًا أهمية تجاوز آثار وقت الشّدة.

وقال لا ينبغي أن نترك أيّ فرصة لتنتج هذه المحنة محنًا أخرى تبعدنا عن بعضنا وتمعن في تمزيقنا وتفريقنا.

جاء ذلك خلال حفل التأبين لشهيد العمل الإنساني محمد رحيماني (أبو عادل) في حسينية الإمام المهدي بالقطيف مساء الأحد ليلة الاثنين ١٩ ذو الحجة ١٤٣٨هـ الموافق ١٠ سبتمبر ٢٠١٧م.

وعن الشهيد رحيماني قال: كان الراحل الشّهيد أبو عادل نموذجًا ينبغي أن نستفيد من تجربته، فهذا الرجل الذي ضحّى من أجل مجتمعه حتى مضى شهيدًا في لحظة كان يستطيع أن يخلد فيها للراحة والمجتمع الذي أنجبه أنجب وينجب أمثاله.

وأضاف: ما عرفناه من هذا المجتمع – أهالي العوامية – طوال تاريخهم هو تقديم مختلف النماذج المتميّزة في العلم وفي الأدب وفي الخدمة الاجتماعية والمواقف الإنسانية.

وقال إنّ المجتمع يكتشف كفاءاته في التحدّيات والمصاعب، وعندما تمرّ به شدّة

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٢ / ٩ / ٢٠١٧م.

أو محنة فإنّها تكون مرآة لاكتشاف ما في أعماق ذلك المجتمع.

واستدرك سماحته: ليس هناك مجتمع محصّنًا عن الابتلاء بالشّدائد والمحن، فهذه طبيعة الحياة، وقد تكون المحنة نتيجة كوارث طبيعية أو نزاعات داخلية أو عدوان خارجي.

وأبان أنّ هناك أشرارًا يستثمرون محن الشّعوب والمجتمعات لمصالحهم كتجار الحروب، وهناك من يأخذ جانب اللامبالات وعدم الاهتمام، ويفكّر كيف ينجو ويتجنّب الخسائر، وهناك صنف في المحنة والشّدة يظهر عنصرهم الطيّب وتنكشف ذواتهم المعجونة بالصلاح والخير.

وأوضح أنّ الشّهيد الراحل رحيماني ينتمي لهذا الصنف، فقد وقف مع مجتمعه في الشّدة التي مرّ بها رغم قسوتها وتفجّرت طاقاته النبيلة وتمثّلت فيه صفات مهمّة.

وأشار سماحته إلى أنّ المحن والشّدائد تصنع رجالًا يخرجون من همومهم الذاتية، ويعملون بصدق ويفكّرون في المجتمع فيبذلون جهدهم وطاقتهم لمساعدة الناس.

وأضاف: كما ينبغي أن يرتدي رجل الشّدائد الوقار والحكمة أمام الهزائز، كما قال عليّ عن المؤمن (فِي اَلْهَزَاهِزِ وَقُورٌ)، مبيّنًا أنّ بعض الناس وقت الشّدائد يفقدون توازنهم وتسيطر عليهم حالة الانفعال فيتأثرون بالخطوط المختلفة وتكون مواقفهم مضطربة وغير مدروسة.

وتابع سماحته أنّ حالة الاطمئنان تصنع الموقف الإيجابي وتبرز حقيقة الشخصية، فالانفعالات تزيد المحنة، ونحن بحاجة إلى من ينشر الطمأنينة في النفوس.

وأبان أنّ الإنسان الذي اختار أن يخدم مجتمعه وقت الشّدة والمحنة يجب أن يستعدّ لمواجهة المخاطر فقد تتعرّض حياته للخطر وقد تناله الاتّهامات وتشويه الشّخصية.

بمناسبة يوم الغدير

الشيخ الصفار: الاندماج في الأمّة منهج أهل البيت*

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار أنّ التمسّك بإمامة أهل البيت عليهم السلام لا يعني الصّدام مع جمهور الأمة، ولا العزلة والانكفاء، مبيّنًا أنّ الإمام عليّ عليه السلام أعطى الأولوية للاندماج في الأمة وحفظ مصالحها العامة.

جاء ذلك في حديث له بمناسبة يوم الغدير بحضور حشدٍ كبيرٍ من العلماء وشخصيّات المجتمع من الأحساء والدمام والقطيف يوم السبت ١٨ ذو الحجة ١٤٣٨هـ الموافق ٩ سبتمبر ٢٠١٧م في مجلس الحاج سعيد المقابي بالقطيف.

وقال سماحته إنّ الاحتفاء بيوم الغدير يعني التأكيد على قضية الإمامة التي تشكّل ركنًا أساسًا في المعتقد الشيعي، مؤكّدًا أنّ الأئمة أنفسهم الذين تجب طاعتهم لم يقبلوا أن تكون إمامتهم سببًا للاحتراب والفتنة داخل الأمة.

واستشهد بقول الإمام عليّ عليه السلام: «لأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلا عَلَيَّ خَاصَّةً»، موضّحًا أنّ الإمام عليًّا كان مستشارًا للخلفاء وناصحًا للأمة من أجل درء الأخطار عن الدين وكيان الإسلام.

وتناول الشيخ الصفار معنى الإمامة والولاية في بعدها الديني والسّياسي، مبيّنًا أنّها تعني النّص على مرجعية أهل البيت الدينية ودورهم في قيادة الأمة.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٤ / ٩ / ٢٠١٧م.

وأضـاف: بذل أئمة أهل البيت عليهم السلام جهدهم لتبيين مفاهيـم الدين وتعاليمه، وتركوا للأمـة ثروة عظيمـة على هذا الصّعيد، لكنهم في الجانب السّياسـي لـم يصارعوا على الحكـم والسّـلطة، بل كانـوا مؤهّلين لو انقـادت لهم الأمور لتقديم صـورة ناصعة عن الحكم العادل الرشيد.

وأشـار سـماحته إلى منهجيـة أهل البيت في دعوة شـيعتهم للاندمـاج في جمهور الأمـة، انطلاقًـا من وحدة الانتماء الإسـلامي، ورفض التكفيـر وانتهاك حقوق الأخوة الإسلامية بمبرّرات الاختلاف العقدي.

وقـال: إنّ أهل البيت دعوا شـيعتهم إلى إبـداء المرونة الكافيـة لحفظ التعايش في المجتمعات الإسـلامية دون تشـدّدٍ فـي بعض المظاهر والممارسـات ضمن مصطلح التقية.

وأوضح أنّ الشيعة جزءٌ لا يتجزّأ من أوطانهم ومجتمعاتهم عليهم أن يتَحدّوا حالات العزلة والحصار، وأن يثبتوا وجودهم بكفاءاتهم وخدمتهم لأوطانهم وشعوبهم.

الشيخ الصفار يحثّ على «تحفيز الرغبة في التعلم وحب المدرسة»*

- **ويرفض التعامل مع انطلاق العام الدراسي باعتباره عبئًا ثقيلًا على العائلة.**
- **ويحثّ المعلمين على النظر إلى دورهم في العملية التعليمية باعتباره عملًا عباديًا.**
- **ويرفض أن يكون إحياء المناسبات الدينية على حساب العملية التعليمية.**

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار على أعتاب العام الدراسي الجديد إلى «تحفيز الرغبة في التعلم وحب المدرسة» عند تلاميذ المدارس من خلال المشاركة التفاعلية بين العائلة والمعلم والمدرسة.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة ٢٤ ذو الحجة ١٤٣٨هـ الموافق ١٥ سبتمبر ٢٠١٧م في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن العائلة معنية بالدرجة الأولى في تحبيب أبنائها في الدراسة وخلق الأجواء المحفزة لذلك، إضافة إلى الدور الأساسي للمعلم ودوره في استقطاب الطالب في ظل بيئة تعليمية جاذبة.

وتفصيلًا حمّل سماحته العائلة المسئولية عن تحبيب أبنائها في الدراسة من خلال

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٥ / ٩ / ٢٠١٧م

الحديث معهم وتشويقهم للمدرسة والنأي عن إثارة المسائل السلبية في التعليم والحض على التواصل مع المدرسة.

وقال سماحته إن من غير المناسب التعامل مع انطلاق العام الدراسي باعتباره عبئًا ثقيلًا على صدر العائلة. معللًا بأن ذلك يبعث برسالة سلبية للأولاد تجاه العملية التعليمية برمتها.

وأضاف إن ظهور الوالدين بمظهر القدوة في الاهتمام بالعلم والمعرفة والقراءة يشكل عاملًا أساسيًا في عملية تحفيز الأولاد تجاه الدراسة.

إلى ذلك لفت الشيخ الصفار إلى الدور الأساس للمعلمين «فالمعلم له تأثيرٌ كبيرٌ في استقطاب الطالب واجتذابه».

ودعا في السياق إلى ضرورة الالتفات إلى أهمية دور المعلم. مضيفًا بأن الدول المتقدمة المهتمة بالتعليم توفر له كل مقومات النجاح في مهمته التعليمية، من حيث الاعداد والتأهيل المستمر، والتقدير المادي والمعنوي المناسب.

ومن جانب آخر حثّ المعلمين على النظر إلى دورهم في العملية التعليمية باعتباره عملًا عباديًا يثابون عليه من الله تعالى لا مجرد مهنة ومصدرٍ للرزق.

وتابع بأن البيئة التعليمية الجاذبة تمثل عنصرًا حيويًا في تحفيز التلاميذ على حب المدرسة عوضًا عن انتظارهم العطل المدرسية للفكاك منها.

ومضى سماحته في القول بأن الأجواء الاجتماعية المشجعة للتعليم والمتمثلة في تقدير الطلبة المتفوقين في كل عام تشكل تطورًا اجتماعيًا إيجابيًا ولافتًا.

داعيًا إلى مبادرات مشابهة تجاه المعلمين وإدارات التعليم ومنشآتها.

وقال الشيخ الصفار إن المسألة التعليمية وانطلاق العام الدراسي الجديد ينبغي أن يكون حاضرًا ضمن المنابر الدينية في المساجد والحسينيات على غرار تفاعلها مع

مواسم الصيام والحج وعاشوراء والزيارات.

وحث سماحته على جعل البرامج الدينية في عاشوراء وسائر المناسبات الدينية متكاملة مع العملية التعليمية ومتفاعلة معها. رافضًا بشدة أن يكون إحياء تلك المناسبات على حساب العملية التعليمية.

ندوات ومحاضرات

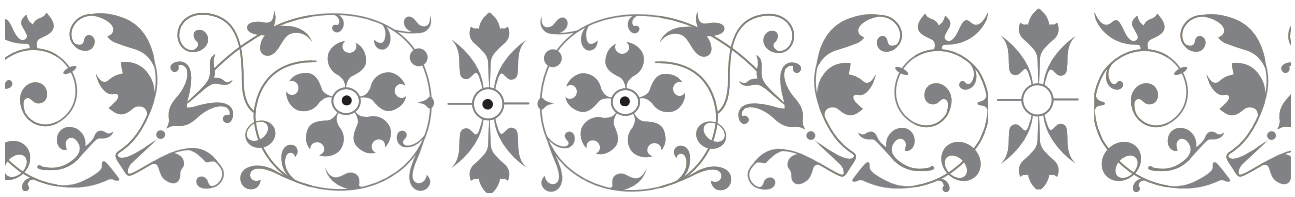

حقوق الإنسان في الإسلام*

عبدالله النادر كلمة افتتاحية:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي، لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانًا».

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سعادة صاحب السبتية العميد عبد العزيز بن عبد الوهاب الموسى

أصحاب السعادة والمعالي

أصحاب الفضيلة المشايخ والعلماء

الحضور الكرام، أيها الجمع الكريم، واللقاء المتجدد الطيب، بين أطياف الشعب السعودي المسلم، إنّ هذا اللقاء الأخوي الحبّي، عبارة عن ثمرة من ثمار

* أقيمت الندوة مساء الجمعة ٢٢ مايو ٢٠٠٤م الموافق ٢ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ بديوانية الموسى الثقافية بالمبرز ـ الأحساء التي يرعاها العميد متقاعد عبدالعزيز الموسى.

المنهج المبارك، الذي اختطته حكومتنا الرشيدة، التي لا تألوا جهداً في صالح الوطن والمواطن، وعلى رأسها مولاي خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين، الذي شجع الحوار الوطني، ورسم خطته، ودلّ عليه بين فئات الشعب، واعتبرها اللبنة الأولى للإصلاح.

وإنّ سبتية الموسى الأدبية الثقافية، سارت على هذا المنهج؛ لأنّ ذلك يعني طاعة لولي الأمر، كما جرى في القرآن الكريم والسنة المحمدية، وأنّ هذا اللقاء بمثابة الردّ الحازم على المخرّبين، ليعلموا قوة تماسك الشعب والقيادة، حيث إنّ الشعب السعودي متحدٌّ ومتضامن مع قيادته أبًا عن جدّ، وأنّ الوطنية مزروعة بدمه، ويبذل الغالي والنفيس في شأن رفعة الوطن الغالي.

وإنّ سعي سبتية الموسى بتقديم الجديد المتطور بندواتها ومحاضراتها في العام المنصرم، والعمل على نشر الثقافة، لهو جدير بالتقدير والاعتزاز.

وقد دأبت سبتية الموسى منذ سنوات خلت، على نشر الثقافة والأدب، واستضافة أكبر عدد من المفكرين والعلماء والأدباء، ورجال العلم والدين، من خلال محاضراتها القيمة المدروسة، وأنشطتها المتعددة، من شعر ونثر، ولقاءات تربوية، بقيادة صاحب السبتية العميد عبدالعزيز بن عبد الوهاب الموسى، ومن خلال اللجان الاستشارية المنظمة لسبتية الموسى، فشكرًا ثم شكرًا ثم شكرًا، أيها الحضور على تجشّمكم عناء السفر لحضور هذا اللقاء المبارك، في هذه الليلة المباركة، والشكر موصول لصاحب السبتية، وأعضاء اللجنة، كما نتقدم بالشكر الجزيل لمحاضرنا هذه الليلة الشيخ حسن الصفار، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّـهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يوسف التركي: إلقاء السيرة الذاتية لسماحة الشيخ حسن الصفار

محاضرة الشيخ حسن الصفار

سلام من الله عليكم ورحمة منه وبركات؛

إنها لفرصة طيبة، وساعة مباركة، أن ألتقي فيها مع هذه الوجوه المشرقة بالخير، وليس لي إلّا أن أتقدم بصميم الشكر لراعي هذه الأمسية، سعادة العميد الأستاذ عبد العزيز الموسى، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقه في مسعاه من أجل خدمة الدين والمجتمع والوطن، وأن يجعل هذه الديوانية ملتقى للخير والصلاح، ومبعثاً للأمل والتفاؤل، ومشعًّا لأفكار التنوير والتوعية التي يحتاجها المجتمع في هذه المرحلة الحسّاسة الخطيرة.

موضوع الحديث هذه الليلة هو عن حقوق الإنسان:

وحقوق الانسان موضوع هام، ومما يؤكد ضرورة بحث هذا الموضوع، تناول الإنجاز الذي تحقق بإعلان الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في المملكة[1]، هذا الإنجاز نأمل فيه خيرًا كثيرًا إن شاء الله، ونرجو أن يكون فاتحة عهد مليء بالخير والإصلاح، ليستفيد منه المواطن، ويُخرس ألسنة المغرضين الذين يحاولون تشويه سمعة ديننا ووطننا وأمتنا، بما يتسقّطونه من أخبار مشاكل وانتهاكات عن حقوق الإنسان.

سأتناول الموضوع ضمن زاوية محددة، وأسأل الله أن يوفقني وإياكم للاستفادة من هذا الوقت المبارك إن شاء الله تعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله الطاهرين،

---

(١) تأسست الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان بالسعودية في ١٨/ ١/ ١٤٢٥هـ الموافق ٩ مارس ٢٠٠٤م. وذلك لحماية حقوق الإنسان في السعودية والدفاع عنها ونشر ثقافة حقوق الإنسان، وهي تختلف عن هيئة حقوق الإنسان السعودية التي أنشئت بتاريخ ٨/ ٨/ ١٤٢٦هـ.

وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[سورة النحل، الآية: ٩٠] صدق الله العليّ العظيم.

ذكروا أنه حدث في عهد (المعتضد العباسي) الذي تولى الخلافة من سنة ٢٧٩ إلى ٢٨٩هـ أن اقترض أحد الضباط الكبار بعضًا من المال من عجوز في بغداد، ورفض فيما بعد أن يرده عليه .. وكلما حاول الحصول على ماله لم يستطع، حتى أرشده أحد الناس إلى خياط بسيط قائلًا له: إنه الوحيد الذي يستطيع أن يحصل لك على مالك.

ذهب إليه. كان خياطاً بسيطا للغاية، ولذلك أدهشه أنه قال له: اِجلس هنا، فسرعان ما سآخذ لك بحقك.

ثم أمر أحد العمال أن يذهب إلى بيت الضابط، ويقول له أن يأتي إليه، ومعه نقود الرجل.

وبعد لحظات كان الضابط يسلم الرجل العجوز دينه الذي له عليه ويعتذر إليه، كما يعتذر الطفل إلى أبيه

وبعد أن ذهب الضابط قال العجوز للخياط: كيف أصبحت لك سلطة على هؤلاء؟

فأجابه الخياط: إنّ لي قصة. فأنا كما ترى خياط عادي، وليست لي أية صفة رسمية، وإنما حصلت على هذا المركز الذي شاهدت آثاره لقضية حدثت هنا .. فقد كنت جالسًا في شرفة بيتي ذات ليلة، وإذا بي أرى أنّ أحد الضباط يمر وهو على فرسه من أمام بيتنا، ومن جانب آخر كانت امرأة جميلة تمر بهدوء ورزانة، وفجأة نزل الضابط من على ظهر جواده، وأمسك بالمرأة، وأركبها بالقوة على الجواد، وانطلق بها

نحو بيته، بينما كانت المرأة تصرخ مستغيثة:

لست زانية.. أنا متزوجة وزوجي أقسم عليَّ بالطلاق إن بتّ ليلة واحدة خارج الدار ... ولكن لم يعتن لها.

فنزلت من الشرفة، وجمعت بعض الرجال، وذهبنا نتوسط في قضيتها، ولكنه أمر الشرطة فضربونا، ومزقونا.. فجئت إلى البيت، لكني لم أذق النوم لحظة واحدة، كنت أفكر في المرأة، وكيف أنّ زوجها سيطلقها إذا باتت هذه الليلة في بيت ذلك الضابط ..

وفيما أنا أفكر في ذلك، جاءتني فكرة أن أذهب إلى مئذنة الجامع وأؤذن للصبح، وبالطبع فإنّ الضابط سيظنّ أن الصبح قد حان، فيتركها لشأنها، فتذهب إلى الدار قبل أن يتم الليل، وبذلك نتخلص من الطلاق.

وهكذا ذهبت إلى الجامع، وصعدت المئذنة وبدأت أؤذن بصوت عالٍ.. وما إن أنهيت الآذان حتى رأيت الشرطة وقد أحدقوا بالجامع، وطلبوا مني أن أذهب معهم إلى قصر الخليفة (المعتضد) (فهو بانتظارك) كما قالوا لي.. فذهبت إليه، وكان ممتلئاً بالغضب فبادرني قائلاً:

– ما هذا بوقت أذان؟ أليس للبلد أحكام.

– فقلت له:

– طوّل الله بال الأمير. إنّ أحكام البلد قد ديست بالأقدام يوم ترك للكبير أن يفتك بأعراض النساء ولا من رادع.

ثم قصصت عليه ما جرى. فأمر بإحضار الضابط، والمرأة وبعد أن تأكد من أمرهما، أمر بقتل الضابط فقتل، ثم أفرج عن المرأة وأكرمها.. وطلب مني أن (أؤذن) كلما رأيت حادثة من هذا النوع.. وبما أنّ الخبر شاع بين الضباط والرؤساء فإنهم يهابونني ولهذا كانت لي عليهم السلطة..

أيّها الإخوة، نحن لسنا أمام نصٍّ شرعي حتى ندقق في سنده، نحن أمام قصة نريد

أن نأخذ منها العبرة، هذا إنسان عادي رأى نفسه معنيًا ومسؤولًا عن ظلامة حصلت في المجتمع، وهذا يعني أنّ على كلّ فرد من أبناء المجتمع أن يشعر أنه مسؤول عن حماية حقوق أبناء مجتمعه، حقوق الإنسان مسؤولية عامة عينية على كلّ فرد من أفراد المجتمع، كلّ حسب قدرته ومكانته واستطاعته، عليه أن يعمل من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان.

وفي الواقع إنّ حقوق الإنسان ترتبط بكلّ واحدٍ منّا، وهي أهم وأقدس قضية يمكن أن يدافع عنها أحد؛ لأنها تمسّ جوهر إنسانية الإنسان، ولأنها تعني الحفاظ على المنح التي منحها الله تعالى للإنسان كالكرامة، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

إذا كان الله قد منح الإنسان الكرامة، فلا يصح لأحدٍ أن يصادر هذه المنحة الإلهية، حقوق الإنسان أمانة، وقضية مقدسة، يجب أن يعمل من أجلها وأن يتحمل مسؤوليتها الجميع.

أحد المفسرين، وهو العالم التونسي المعروف محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) حينما يتناول تفسير الآية الكريمة: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[سورة المائدة، الآية: ٣٢] يشير إلى نقطة مهمة يقول: المقصود (حثّ جميع الأمّة على تعقّب قاتل النّفس وأخذه أينما ثقف والامتناع من إيوائِه أو الستر عليه، كلّ مخاطب على حسب مقدرته وبقدر بسطة يده في الأرض، من ولاة الأمور إلى عامّة النّاس)[1]. أي إنّ من قتل إنسانًا بغير حقّ فكلّ فرد من أفراد البشر يجب أن يجد نفسه معنيًا بالإمساك به؛ لأنه اعتدى على البشرية كلها ولم يعتدِ على شخص واحد.

السؤال: كيف يمكن لنا أن نعمل من أجل حقوق الإنسان؟؟

(١) التحرير والتنوير، ج٥، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة التاريخ ـ بيروت، ص٨٩.

الحمد لله، فإنّ الحكومة قد وافقت على تأسيس جمعية بعنوان: الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية، وهذا يعني أنّ القيادة السياسية في بلدنا تدرك مدى أهمية هذا الموضوع، وتدرك ضرورة التحرك من أجله، وهناك أكثر من معنى وبعد، وحتى لا يتشعّب الحديث نركز على زاوية محددة، ما هو واجبنا وما هي مسؤوليتنا؟ هناك مسؤوليتان في نظري:

الأولى: نشر الوعي بحقوق الإنسان

المشكلة الكبيرة التي نعيشها، أنّ الإنسان غالبًا ما يجهل حقوقه، هو لا يعرف الحقوق التي له. لذلك نجد على مستوى العالم منظمات كثيرة تعنى بتعليم حقوق الإنسان، وبنشر ثقافة حقوق الإنسان. وهل يحتاج الناس إلى من يعلّمهم حقوقهم؟ بلى. يحتاج الناس إلى ذلك، وخاصة في مجتمعاتنا، حيث الناس غالبًا لا يقرؤون، ولا يهتمون بمعرفة حقوقهم، فمن المهم أن يكون هناك نشر لثقافة حقوق الإنسان.

وحينما نتحدث عن حقوق الإنسان هناك أكثر من صعيد في هذا المجال:

- حقوق ترتبط بعلاقة الإنسان مع القيادة السياسية في بلده.
- حقوق ترتبط بعلاقة الإنسان مع مجتمعه.
- حقوق ترتبط بعلاقة الإنسان مع عائلته.

إنّ كثيرًا من المواطنين لم يقرؤوا أنظمة بلدهم القانونية، قبل حوالي خمسة عشر عاماً أو أكثر، أصدرت المملكة النظام الأساسي والأنظمة الثلاثة للحكم[1]، كثير من المواطنين لم يقرؤوا هذه الأنظمة، ولم يطّلعوا عليها.

كلّ وزارة في الدولة لديها قوانين وأنظمة، وكثير من الناس لديهم ارتباطات

(١) صدر عام ١٤١٢ هـ الموافق ١٩٩٢ م في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بخصوص طريقة الحكم بالمملكة العربية السعودية ويتكون من ٨٣ مادة تنقسم على ٩ أبواب.

ومصالح مع وزارت في الدولة، لكنهم لم يقرؤوا قوانين تلك الوزارات ولم يطّلعوا عليها.

وكذلك الشركات، فلكلّ شركة قوانين، شركة أرامكو السعودية مثلًا لها قوانين، سألت العديد من الموظفين: هل قرأت قوانين الشركة، حقوق الموظف، واجبات الموظف، علاقة الموظف بإدارته؟ معظمهم لا يجد نفسه معنيًا بهذا الموضوع، ولا يقرأ، رغم أنّ هذه الأنظمة موجودة على الإنترنت على موقع الشركة، وسمعت أنه قبل سنتين أصبحت الشركة تعطي لكلّ موظف جديد نسخة بيده من القوانين حتى يتعرف عليها.

قوانين المرور لا يقرؤها الناس، ويشكون تعامل المرور معهم، هو لم يطلع على القوانين، لعلّه لو اطلع على قانون المرور لعرف واجباته وعرف الحقوق التي له، وبالتالي يستطيع أن يعرف هل هو مخطئ أو أنّ الموظف أخطأ في حقه؟ لكنه لم يقرأ.

يذهب الواحد منّا إلى البلدية وهو لا يعرف ما هي الضوابط والقوانين التي تنظم علاقة البلدية بالمواطن. الذي يقوله له الموظف يكون في نظره قانون الحكومة، وفي بعض الأحيان قد لا يكون كلام الموظف صحيحًا، لخطئه في فهم القانون، أو لأيّ سبب من الأسباب، هذا أمر وارد، إذا كان المواطنون عارفين بالأنظمة، يفوتون الفرصة على أيّ موظف يريد الإساءة أو الانحراف عن قانون الدولة.

الطالب يدخل المدرسة وهو لا يعرف حقوقه، كنت أتحدث مع أحد الطلبة الجامعيين الذي تحدث لي عن مشكلة تواجهه، قلت له أنت بإمكانك أن تعمل كذا وكذا، ألم تقرأ قانون الجامعة؟ هو طالب جامعي لكن لم يقرأ ما هو النظام، وما هي الضوابط التي تحدّد علاقته بالجامعة التي يدرس فيها؟.

وكذلك في العلاقات الزوجية، تتزوج المرأة، ويتزوج الرجل، وهو لا يعرف قبل

أن يتزوج ما هي واجباته اتجاه زوجته، وما هي حقوقه عليها، وبالعكس فإنّ المرأة تتزوج وهي لا تعرف ما هي الواجبات عليها وما هي الحقوق لها، وإنما ضمن مسايرة الأعراف الموجودة، تتزوج مثل ما تتزوج بقية البنات، لا تعرف بالضبط ما هي حقوقها وما هي واجباتها؟

في بعض البلدان الإسلامية، لدى المأذون الشرعي الذي يجري عقد الزواج، دفاتر جاهزة تتضمن قائمة الحقوق والواجبات، وقبل أن يجري العقد يعطي الرجل الكتاب ليقرأه ويقول له: هذه اتفاقية تريد أن توقعها، ويجب أن تعرف ما لك وما عليك، الواجب عليك اتجاه زوجتك، والحقّ الذي لك، وكذلك بالنسبة للمرأة.

رأيت كثيرًا من الأزواج يتحدثون عن أشياء يعتبرونها واجبات على زوجاتهم وهي ليست واجبًا بحكم الشرع، مثلًا: قضية الطبخ والغسيل والخدمة داخل البيت، هو عرف اجتماعي أنّ المرأة تقوم بهذه الأدوار، لكن هل هو واجب عليها شرعًا؟ هل هو حقّ للزوج من الناحية الشرعية؟ وحينما يتحدث الداعية أو الخطيب على المنبر عن حقيقة الحكم الشرعي في المسألة، فإنّ كثيراً من الرجال يغضبون ويتهمونه بتحريض النساء.

وفي مجال حقوق الأولاد، نعلم أنّ الأب له حقوق على الولد، لكن يجب أن نعلم أيضًا أنّ الولد له حقوق على الأب، حقوق متقابلة، ولكن لا الولد يعرف الحقوق التي له، ولا الأب يعرف الحقوق التي عليه، نحن في حاجة إلى الوعي الحقوقي في مختلف مجالات العلاقات الاجتماعية.

رسالة الحقوق:

أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، الإمام المعروف بزهده وتقواه ومناجاته، الذي أنشد فيه الفرزدق قصيدته المشهورة التي مطلعها:

يَا سَائلي أَيْنَ حَلَّ الجُودُ والكَرَمُ؟ عِنْـدِي بَيَـانٌ إِذَا طُلَّابُـهُ قَدِمُـوا!
هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ وَالبَيْـتُ يعْرِفُـهُ وَالحِـلُّ وَالحَرَمُ

هذا الإمام له رسالة اسمها رسالة الحقوق، وهي من عيون التراث العربي الإسلامي، يتحدث فيها ضمن فصول عن حقوق كلّ طرف في أيّ علاقة إنسانية على الطرف الآخر، كالزوج والزوجة، والوالد والولد، والمعلم والتلميذ، والإمام والمأموم، والحاكم والمحكوم، وهناك نصوص إسلامية كثيرة في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، تعالج موضوع الحقوق المتقابلة في المجتمع البشري.

قد يكون من الأفضل أن تكون العلاقة بين الناس علاقة ودية مرنة تتجاوز الضوابط والقوانين، لكن لا يصح تجاهل الضوابط والأحكام والقوانين والجهل بها، الوعي الحقوقي ينبغي أن يتعزز عبر وسائل التعليم، كما يحصل في كثير من دول العالم، من المدرسة الابتدائية إلى الجامعات، حقوق الإنسان يجب أن تكون مادة تعليمية يتربى عليها الإنسان منذ صغره.

في الجانب الديني أيضًا يجب أن يكون اهتمام بهذا الجانب، إنّ مشكلتنا أننا نركز على حقوق الله تعالى على العباد، وهذا أمر مطلوب. لكن الشيء الآخر الذي يجب أن نركز عليه أيضًا هو حقوق العباد على بعضهم بعضًا. الرسالات السماوية نزلت من أجل أن يحترم الناس حقوق بعضهم بعضًا، الرسالات السماوية لم تأتِ للدفاع عن مصلحة الله. الله ليس له مصلحة يقول تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لم تأتِ لمصلحة الرّب، وإنما لمصلحة العباد، وعبادة الله هي في مصلحتهم وليس لمصلحة الله. الله أجلّ وأعلى أن تكون له مصلحة عند المخلوقين.

فعلينا أن نركز على الدفاع عن حقوق الناس، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، الهدف الأساس ليقوم الناس بالقسط، من هنا فإنّ الدفاع عن حقوق الناس، وتبيين حقوق الناس من مهمات

الدعاة إلى الله.

مع الأسف الشديد حصل تقصير كبير حتى أصبحت قضية حقوق الإنسان وكأنها مفردة غربية، وأنّ الغرب هو الذي يطرح هذا الموضوع، وفي الواقع إذا كان الغرب قد أقرّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نتيجة نضال وصراع، فإنّ الإسلام من أول يوم جاء فيه، أكد على مكانة الإنسان وكرامته وحريته وحقوقه.

العمل من أجل حقوق الإنسان:

المسؤولية الثانية التي يجب التركيز عليها في هذه المرحلة، هي السعي والعمل من أجل حقوق الإنسان:

تعلمون أيها الإخوة، أنّ انتهاكات حقوق الإنسان يمكن أن نتصورها ضمن ثلاثة موارد:

المورد الأول: القصور في السياسات والأنظمة والقوانين السائدة في البلد، بحيث لا تغطي ولا توفر كلّ ما تستلزمه حقوق الإنسان.

المورد الثاني: ممارسات من قبل بعض أجهزة الدولة، وبعض موظفي الدولة تشكل انتهاكًا لحقوق الإنسان.

المورد الثالث: السلوكيات بين الناس في حياتهم الاجتماعية مع بعضهم بعضًا، وما قد يحصل خلالها من انتهاكات لحقوق الإنسان.

فنحن أمام ثلاثة ألوان وأشكال من الانتهاكات لحقوق الإنسان.

السعي لاستكمال الأنظمة والقوانين:

بالنسبة للمورد الأول:

إذا كانت القوانين والأنظمة والسياسات القائمة في البلد فيها نوع من القصور وهذا

أمر وارد فإنّ الكمال لله، ولا تستطيع أيّ حكومة أو أيّ جهة أن تدّعي أنها وصلت إلى مرحلة الكمال، وحتى أرقى البلدان ديمقراطية وانفتاحًا تطوّر أنظمتها إلى الأفضل، لذلك من الممكن أن يكون هناك قصور في بعض الأنظمة والقوانين، يشكّل ثغرة تنفذ منها انتهاكات حقوق الإنسان، وهنا ينبغي أن يسلك المواطنون في المجتمع الوسائل والأطر المشروعة لتلافي النقص والقصور، وسدّ الثغرات. هناك مجلس شورى، ومركز حوار وطني، وصحافة وإعلام، وتواصل بين أهل الرأي والمسؤولين لمناقشة أيّ قصور ونقص في بعض القوانين والأنظمة، فينبغي التعاون مع الجهات المسؤولة والتواصل معها من أجل معالجة هذا النقص والقصور.

هنا يجب أن نذكر بأنّ المجتمع الواعي هو الذي يدرك مسؤوليته تجاه حكومته. كما هو مفاد الحديث الشريف: الذي رواه الإمام مسلم في «صحيحه» عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، قُلْنَا: لِـمَنْ؟، قال: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[1]. المواطنون الواعون يتحملون مسؤوليتهم في التعاون مع قيادتهم من أجل معالجة ما يرون فيه نقصًا أو قصورًا في هذا الاتجاه أو غيره عبر الوسائل المتاحة.

الرقابة على الأجهزة مسؤولية الجميع:

المورد الثاني: الانتهاكات التي تأتي من قبل بعض الأجهزة وبعض الموظفين:

بالطبع فإنّ الدولة جهازها الوظيفي جهاز كبير، والمؤسسات التابعة للدولة كثيرة، وفي مختلف التخصصات والجوانب، ولا تستطيع الدولة أن تضبط كلّ تصرفات الموظفين والأجهزة، بحيث تكون موافقة للأنظمة والقوانين، الدولة لديها منهجية للضبط مثل هيئة الرقابة والتحقيق، ولكن أثبتت الأوضاع على مستوى العالم بأنه لا يوجد هناك دولة من الدول تخلو من الفساد، من سوء الاستفادة من المواقع

(١) صحيح مسلم. ص٤٨، حديث٥٥.

والمناصب، بدرجات متفاوتة تبعًا لتفاوت الضمانات، ولتفاوت الوسائل والأساليب الرقابية المتاحة في تلك الدول.

نجد حتى في عهد الرسول ﷺ، وفي عهد الخلفاء الراشدين، وكلّ العهود السابقة، هناك بعض الولاة والموظفين حصلت منها إساءات وأخطاء، وهذه طبيعة بشرية. هنا المواطنون واجبهم ألا يسكتوا إذا وجدوا أنّ هناك جهازًا من أجهزة الدولة، أو موظفًا من موظفي الدولة، يتعدى النظام، ويتجاوز على حقوق المواطنين، المواطنون هنا يجب أن يتحملوا مسؤوليتهم في إيصال العلم لولاة الأمر وإلى المسؤولين.

الحاكم ليس من مصلحته أن تنحرف أجهزته عن القوانين، وليس من مصلحته أن يسيء الموظفون العلاقة مع المواطنين؛ لأنّ هذا يضر بوضع البلد ومصالح الناس، وبارتباط الناس مع حكومتهم، الموظف قد يسيء إلى المواطنين من أجل غرض ومصلحة شخصية، لكن المواطن يصبح في قلبه غضاضة على الحكومة، ولذلك فإنّ القيادة لا تريد ولا ترغب أن تقع هذه الإساءات، ولكن الحاكم لا يعلم الغيب. هنا يأتي دور المواطنين، يجب ألّا يسكتوا على أية إساءات وأيّ انتهاك لحقوقهم من قبل أيّ جهاز من أجهزة الدولة، أو أيّ موظف وإنما يوصلون الأمر إلى المسؤولين ويتابعون الأمر.

هل المتابعة والمطالبة مجدية؟

هنا توجد بعض الإشكاليات، منها:

إنّ بعض المواطنين يسودهم فكرة أنّ هذا غير مُجْدٍ، فإذا قلت لأحدهم: لماذا لا تدافع عن حقك إذا كنت تعتقد أنك صاحب حقّ؟ لماذا لا تطالب بإنصافك إذا كنت تعتقد أنّ هناك من أساء إليك؟ فسيجيبك إنه لا فائدة ولا جدوى من المطالبة. وهذه الفكرة خاطئة ومتخلفة ونابعة من الكسل والتقاعس، ومن ضعف الثقة بالنفس، الإنسان عليه أن يكون شجاعًا، وأن يتحرك للدفاع عن حقه ضمن الأطُر الصحيحة،

والأساليب المشروعة، ولا يسكت، وقد ورد في الأثر: (السّاكت عن حقّه شيطان أخرس).

وفي الواقع المواطن حينما يتحرك للدفاع عن حقوقه تكون حركته في صالح الدولة؛ لأنّ انتهاك حقوق المواطنين يضر الدولة. هو لا يدافع عن نفسه فقط، وإنما يدافع عن الدولة وعن الوطن. هذه الثقافة السلبية يجب أن نتجاوزها.

اسمحوا لي أن أنقل قصة تذكر أنّ أحد الخلفاء أقام مأدبة غذاء، وحضر عليها أحد كبار قادته العسكريين فرأى فيما رأى من صنوف الطعام طير القطا مشويًّا، فضحك مقهقهًا، فسأله الخليفة عن السبب. فحاول أن يكتم. فأصرّ عليه. فأخذ يقصّ واقعة حدثت له قبل عشر سنوات مسترسلًا قال: كنت في رحلة صيد في الصحراء، فلقيت رجلًا معه بعض المال فسلبته قهرًا، ثم أردت قتله فتوسل بي أن أتركه، ولكن عزمت على سفك دمه. فلما رفعت عليه السيف نظر حوله فلم يجد أحدًا إلّا سربًا من القطا، صادف مرورها في ذات اللحظة، فقال: اشهدي بأنني أقتل غريبًا مظلومًا في هذه المفازة. فضحكت من قوله ثم قتلته. والآن لما رأيت القطا في السماط تذكرت ما قاله وسيفي يهوي عليه، فلم أتمالك من الضحك على ذلك الرجل المسكين الذي أشهد القطا على قتله. فقال الخليفة: بلى، لقد أدت القطا شهادتها وأمر بجمع السماط، وقال للجلادين احضروا النطع والسيف فأحضروهما وضرب عنقه.

في بعض الأحيان حركة معينة قد تُوصل إلى نتيجة، لكن كثيرًا من الناس عندهم شعور سلبي بعدم جدوائية العمل والتحرك، هناك كثير من القضايا عندما يتابعها المواطن، ويتحرك خلفها، يصل إلى حقّه، لكن على المواطن أن يكون نشطًا وساعيًا خلف حقه. إنّ ثقافة «ما يفيد» و «ما يصير» و «ما يمكن» ثقافة متخلفة يجب أن نتجاوزها.

العمل الحقوقي المؤسسي:

النقطة الثانية: ينبغي أن يكون هناك تعاون وتآزر؛ لأنّ قضية حقوق الإنسان لم تعد قضية فردية، يقوم بها الأفراد، وإنما أصبحت تحتاج إلى مؤسسات وأطر، ولذلك جاء تأسيس الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان في المملكة والجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، وكما قرأتم في الصحف فإنّ المسؤولين فيها يدعون إلى أن تتشكل لجان لمساعدة هذه الهيئة من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان. وهنا يأتي واجبنا جميعًا.

أيها الأخوة الأعزّاء، الوطن أمانة في أعناق الجميع، سمعة الإسلام وسمعة الشعب أمانة في أعناقنا جميعًا. ونعلم كيف أنّ سمعتنا كأمة وكأوطان تتعرض لحملات شعواء من التشويه من قبل اللوبي الصهيوني، ومن قبل اليمين المتطرف المسيحي في أمريكا، ومن قبل المغرضين من مختلف الاتجاهات، يشنّون حربًا إعلامية شعواء ضد أمتنا، وديننا ووطننا، وقد نالت المملكة نصيب الأسد من هذه الحملات، ونحن معنيون أن ندافع عن سمعة بلدنا وذلك يعتمد على أمرين:

الأمر الأول: سدّ الثغرات التي ينفذ منها الأعــداء، ويأخذونها كشعارات ومستمسكات لتشويه سمعة الوطن.

الأمر الثاني: مواجهة التأثير المباشر لهذه الحملات الاعلامية التي صورت المسلمين أمة تشكل مسرحًا لأفظع الانتهاكات لحقوق الانسان.

وهذا يصح في كثير من الأماكن والمواقع، في بلاد المسلمين مع الأسف الشديد، ولكنه لا يصح كحكم تعميمي على جميع المسلمين وعلى جميع البلدان.

والأمر الغريب أنّ هؤلاء الذين يشنّون الحملات علينا باسم حقوق الإنسان، وباسم الديمقراطية، هم يمارسون أبشع ألوان الانتهاكات لحقوق الإنسان، فماذا يجري في الأراضي المحتلة؟ ماذا يجري في غزّة؟ ماذا يجري في رفح؟ ماذا تعمل قوات الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي في الشعب الفلسطيني الأعزل؟ يهدمون المنازل، ينسفون المزارع

والأشجار، يقتلون الناس أطفالًا نساءً كبارًا على مرأى ومسمع من العالم.

وأمريكا التي تدّعي الدفاع عن حقوق الإنسان، والتي تطرح مشاريع الديمقراطية والإصلاح في الشرق الأوسط، هي بنفسها أكبر مدافع عن الجرائم الصهيونية، وتعترض على أيّ قرار في مجلس الأمن يدين إسرائيل، ثم وما عملوه في العراق، هذه الفضيحة التي انكشفت قبل يومين في منطقة القائم على الحدود السورية العراقية: حيث قصفت القوات الأمريكية حفل زواج وأوقعوا فيهم مجزرة فظيعة، قتل فيها ٤١ عراقياً[١]، ومع ذلك بكلّ صلافة يتحدثون كمدافعين عن حقوق الإنسان.

إننا في الوقت الذي ندين فيه هذه المواقف، لكننا ندرك أنّ علينا أن نكون في مستوى قيمنا الدينية. بغض النظر عن الدعايات والحملات المضادة، نحن ننتمي إلى دين يعتبر الإنسان خليفة الله في الأرض، وإنه الهدف من وجود الكون كلّه، يقول تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[سورة لقمان، الآية:٢٠].

نحن ننتمي إلى دين يعتبر الحرية والكرامة منحة من قبل الله سبحانه وتعالى للإنسان، وبالتالي نحن يجب أن نكون أحرص على الالتزام بحقوق الإنسان، وبغض النظر عن الحملات الإعلامية للآخرين، وعمّا يطرحه الآخـرون، نحن معنيّون بالاهتمام بهذا الجانب.

نحو وعي حقوقي:

أكتفي بهذا القدر من الحديث، وأشيد بمبادرة هذه الندوة السبتية لسعادة العميد الأستاذ عبد العزيز الموسى، في اختيار الحديث حول حقوق الإنسان، وأني آمل أن يكون هناك نشاط نوعي ثقافي مكثف في مختلف المناطق، وعلى مختلف المستويات، من أجل نشر وعي حقوقي وثقافة حقوقية.

كما أدعو جميع المواطنين الغيارى للتعاون مع الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان

(١) جريدة الحياة، عدد ١٥٠٢٩، في ٢١/ ٥/ ٢٠٠٤م.

بمختلف الطرق والأساليب، من أجل حماية حقوق الإنسان في بلدنا، لكي تكون بلادنا كما هو المؤمل فيها، باعتبارها حاضنة الحرمين الشريفين، مهبط الوحي، وقبلة المسلمين، أنموذجًا في مجال الالتزام بحقوق الإنسان، والوقوف أمام أيّ اعتداءات وانتهاكات لحقوق الإنسان، وهذا لا يحصل إلّا بالتعاون بين القيادة والشعب، وبين المواطنين بمختلف فئاتهم وأطيافهم، حتى يتحقق هذا الهدف وهذا الغرض النبيل.

إنّ إعلان هذه الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، وما سبقها من قيام الحوار الوطني الذي دعا إليه ورعاه سمو ولي العهد «حفظه الله» مؤشرات لرغبة جادة في الإصلاح والتغيير، ونأمل أن تتحقق نتائجها على الصعيد الفعلي والعملي إن شاء الله.

وأشكر لكم إصغاءكم.

وأشكر لسعادة العميد واللجنة المنظمة لهذه السبتية دعوتها، وأشكر لكم حفاوتكم، التي هي خُلُقٌ معروف عن أهالي الأحساء الكرام، الذين يعرف التاريخ طيبهم وكرمهم وتماسكهم مع بعضهم بعضًا، كانوا طوال الفترات الماضية كتلة متراصة، دون خلافات أو مشاكل، ونأمل إن شاء الله أن يستمروا، وأن يتجاوزوا أيّ محاولة للتمزيق وتفريق الصفوف، حتى نكون كلّنا صفًّا واحداً في خدمة الدين والوطن. أشكركم جميعًا والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على نبينا مجمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة العميد المتقاعد عبد العزيز الموسى (راعي السبتية):

بسم الله الرحمن الرحيم، نشكر فضيلة الشيخ حسن الصفار على هذه المحاضرة القيمة، وإنني أشكر الإخوان الحضور على هذا الحضور غير المتوقع، لقد اكتظ المنزل من أوله إلى آخره، فقد امتلأت المجالس كلّها، صرنا نفتح مجلسًا ثم مجلسًا، حتى امتلأت ساحة

الزراعة، وهذا يدلّ على رغبة المواطنين القوية لتلبية نداء الحكومة، نداء الحوار، وذلك من أجل الإصلاح السلمي، وليس العنف، وهذا يدلّ على رفض لمن يفكر في العنف والتخريب، وإنما الوسائل السلمية هي المرغوبة والمحببة. حتى الخلاف الموجود لدى بعض الفئات، إنه يجعل أمتنا وشعبنا موضع هزء وسخرية أمام العالم، وهم يتكتلون علينا، اليهود والمسيحيون اتفقوا على معاداتنا، بل وحربنا، ونحن مكتوفي الأيدي نتخاصم ونتعادى ونقوي شعور العداء بيننا، والأعداء يتقوون ضدنا، ويفتكون بنا، حتى وصلنا إلى درجة غير لائقة من المهانة والذلّ.

إنّ هذا يذكرني ما قيل عن المجمع اللغوي عندما اجتمع ذات سنة، وهم يناقشون عن صحراء (النِّقب) وبعضهم يقول (النُّقب) وبعضهم يقول (النَّقب) وظلّوا مختلفين ويناقشون هذا الموضوع بحرارة وعنف، بينما إسرائيل احتلت الأرض كلها وهم مختلفين هل هي (النَّقب، النُّقب، النِّقب) وإسرائيل احتلت الأرض بكاملها. الآن للأسف إن الذي يثير روح العداء والكراهية العقائدية بين أناس يقولون (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) ويتوجهون إلى الكعبة جميعهم، لا مجال لذلك، لن نثير هذا العداء والكراهية وبلدنا مستهدف، كما شرح فضيلة الشيخ، إن بلدنا مستهدف، وأصبح واجبًا علينا أن نتحدّ، ونقف صفًّا واحدًا خلف حكومتنا، حتى نستطيع مجابهة ما تتعرض له من هجمات وإساءات.

وأيضًا ما ذكره فضيلة الشيخ عن الإصلاح بأنّ المواطن عليه مهمة إصلاحية، وأن يكون الإصلاح ذاتياً، حينما يلاحظ أيّ خلل من موظف أو غيره، عليه أن يتعاون مع الحكومة، بأن يبلغ المسؤولين؛ لأنّ المسؤولين وولي الأمر لا يسرّه وجود هذا الخلل، الذي يسرّه هو الصلاح والخير، ولم يوضع الموظف إلّا لخدمة المواطن، وهذا الإصلاح الذاتي بدلًا من العنف والكراهية والتخريب. نشكر الشيخ ونشكركم على هذا الحضور الطيب جزاكم الله عنّا خيرًا.

الدكتور محمد الهرفي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

نعلق على كلمة المضيف بأنّ الحضور غير متوقع، نقول إنّ الحضور متوقع، مكانة الشيخ حسن الصفار مكانة جيدة، وهو معروف، لهذا نحن نتوقع مثل هذا الحضور وأكثر منه. علاقتي مع الشيخ حسن علاقة قديمة، وأرجو أن تستمر إن شاء الله، كنّا وما زلنا نتعاون على قضايا كثيرة مما ذكرها سماحة الشيخ حسن، لكن هناك مجرد إضافة، وهي:

نريد أن نؤكد على الإنسان أن يسعى بكلّ ما يملك ليؤكد أنّ له حقًّا، وأنه يطالب بهذا الحقّ؛ لأنه للأسف كثير من الناس يتعاملون بسلبية شديدة في مثل هذه المسائل، سواء كان ما يرونه أحيانًا من أخذ الحقوق قد يكون فيه من الصعوبة الشيء الكثير، أحيانًا قد يكون فيه استحالة، وقد يكون مثل هذا الواقع السيء يترسب في نفوسهم، أنّ مثل هذه المطالبات قد لا يجدي، وأنا أؤكد أنها ستجدي إن عاجلًا أو آجلًا، وإن لم تجدِ فيكفي أنّ الإنسان يطالب بما يشعر أنّ هذا حقٌّ له.

أما قضية السلبية التي نتمتع بها، فأعتقد أنها هي التي أوصلتنا إلى هذا الوضع السيئ، الذي أصبح كما قيل يضرب بنا المثل في انتهاكات حقوق الإنسان في بلادنا، ولهذا عندما يقال بأنّ الآخرين خاصة الأمريكان عندما انتهكوا حقوق الإنسان في العراق وفي أفغانستان وفي غيرها كانت ردة الفعل عند الغربيين والأمريكان أكثر من ردة الفعل عند العرب، للأسف الشديد، حيث قال بعض الناس إنّ الانتهاكات في السجون العربية هي السبب التي جعلت العرب يسكتون على الانتهاكات في العراق؛ لأنهم ينتهكون أكثر منها، هنا ألجأ للقول أن لو طالب كلّ إنسان بحقّه، ورفع صوته عاليًا في هذه المطالبة، أعتقد أنّ مثل هذه الأمور إن لم تزل جميعها سيزول معظمها.

على أية حال، أنا أشكر سماحة الشيخ حسن على ما سمعنا منه وأفادنا، وأرجو أنّ مثل هذه اللقاءات ومثل هذه الموضوعات هي التي تطغى على ساحة المجتمع، وأن تخرج على الموضوعات النمطية التي قد لا تفيد كثيرًا، وشكرًا.

الأستاذ خليل الفزيع: (عضو في الحوار الوطني)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربّ العامين...

أرحب بسماحة الشيخ حسن الصفار، وأشكر صاحب السبتية على هذا اللقاء الجميل، وأضم صوتي إلى صوت أخي الدكتور محمد الهرفي؛ لأنّ هذا اللقاء ليس غريبًا أن يكون بهذه الكثافة، وأعتقد أنّ التوأمة بين القطيف والأحساء منذ زمن قديم، ولا نستغرب أن يكون هذا التلاحم بين أبناء المدينتين. إذا كان لا بُدّ من إضافة فهي أنه يجب أن نبدأ الإصلاح من أنفسنا، يجب أن يكون كلّ واحد مسؤولاً عن إصلاح ذاته، وعندما نصلح عيوبنا يمكن أن نتجاوز كثيرًا من الإحباطات والعراقيل التي تواجه مسيرتنا نحو التنمية الشاملة إن شاء الله.

والتأكيد على هذه الحقيقة ستوصلنا بإذن الله إلى أن نتجاوز بعض الأخطاء التي تعترض مسيرتنا التنموية، وفي نفس الوقت ستصلح الكثير من الأمور، أو ستحسّن صورتنا أمام الآخرين، وإصلاح الذات هو في الدرجة الأولى في رأيي، لكي نتمكن من الوصول إلى حقوقنا، وشكرًا لكم.

الدكتور سعد الناجم:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين.

في البداية أشكر سماحة الشيخ حسن الصفار على هذه المحاضرة الجميلة، التي طوّف فيها على كثير من الحقوق، وحاول فيها جاهدًا أن يبعث إيجابيات قد نامت سنين في نفوس كثير من الناس. لا شك أنك تناولت ثقافة الحقوق، وأنها أساس لحقوق الإنسان في أيّ أرض من هذه الأراضي، وطوفت من خلال حديثك على الأنظمة، وقراءة الأنظمة وأنها مدعاة لمطالبة الإنسان بحقوقه، ولكنك يا شيخ حسن تجاوزت حقيقة أنّ هذه الأنظمة إنما وضعها في عالمنا العربي والإسلامي النظام نفسه، فهي معزولة عن القاعدة العامة الشعبية، وهنا يكون الفراغ ما بين هذا النظام نفسه، وهنا نقف لصالح هذه المجموعة أو لصالح النظام نفسه، نقف وقفة مراجعة لهذه الأنظمة الموضوعة فوقية، نقول في الإدارة قد تكون لصالح الناس، وقد يكون المطالبة بثقافة الحقوق لتعديل هذه الأنظمة، ولكن السؤال: هل باستطاعة الأنظمة في عالمنا العربي والإسلامي أن تتنازل عن ما وضعته لصالح المجموع؟ لا يزال السؤال قائمًا، هذه واحدة.

الأمر الآخر: ثقافة الحقوق لا تأتي من الإعلام، ولا تأتي من القوانين الوضعية التي وضعوها، ولا تأتي من الاجتهادات التفسيرية التي يجتهد فيها أفراد لخدمة آخرين، وإنما تأتي من خلال التربية، التربية المدرسية التي تعلم الإنسان من البداية ما هي حقوقه، حقوقه اتجاه نفسه، حقوقه تجاه الله سبحانه وتعالى، حقوقه تجاه ولي أمره؛ لأنّ ولي الأمر له حقوق وله أمانة في أعناقنا، لأننا لا بُدّ أن نقف تمامًا معه في السراء والضراء، ولكننا أيضًا مثلما نقف معه نتطلع إليه أن يقف معنا في حياتنا اليومية، في ضنك عيشنا، في طرقنا، في نومنا، في صحونا، في كلّ شيء من حياتنا، فلنا مثل ما هو علينا له. أشكرك على هذه المحاضرة وأشكر العميد الموسى على إتاحة الفرصة للمداخلة وشكرًا.

الدكتور نبيل المحيشي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول

الله،

أيّها الإخوة السلام عليكم ورحمة الله:

هذه أمسية جميلة، استمتعنا فيها بإلقاء سماحة الشيخ حسن، الشيخ حسن له باع طويل، وهو مفكّر إسلامي، كتاباته فيها عمق، وفيها تشخيص لكثير من الأجواء، وقد استمتعنا بهذه المحاضرة الجميلة والمركزة، وما أريد أن أقوله هو تعليق على ما ذكره حول بعض الأمور، ومنها مسألة السلبية التي تحدث عنها، وهي حقيقة واضحة في حياتنا، ليس تجاه مسألة حقوق الإنسان فقط، وإنما السلبية في حياتنا بصفة عامة.

قبل بضعة أيام هناك أحد الإخوة حصلت لابنته مشكلة في المدرسة، وواضح أنّ الأستاذة مخطئة عليها تمامًا مئة في المئة، لما اقترحنا عليه أن يشتكي عليها لمجرد التنبيه لمديرة المدرسة، قال: لا، يمكن يضرون الطالبة، ممكن يرسبونها!! هناك سلبية عامة في مجتمعاتنا، لا أدري، أنا أسأل الشيخ حسن عن أسباب هذه السلبية المتأصلة في حياتنا، ومدى تغلغل الخوف، أو عدم الجرأة عند الناس لكي يطالبوا بحقوقهم، أو يبدون رأيهم تجاه مسألة يسيرة مثل هذه المسألة، هذا أمر.

الأمر الآخر، الذي أريد أن أتحدث عنه في هذه الليلة، من الجميل أن نلتقي في هذه الليلة، وأن نتعانق في هذا اللقاء المبارك، في سبتية الأخ العميد عبد العزيز الموسى، تتعانق هذه الوجوه، وتتلاقح آراء أصحاب الفكر، ونحن في هذا المنتدى، حقيقة يمثل تطورًا كبيرًا في حياتنا، حيث إننا نتناقش في هذه المسائل، كلّ واحد منا يبدي رأيه، ونأمل أن تستمر مثل هذه اللقاءات؛ لأنها كما ذكر سماحة الشيخ حسن تصب في مصلحة وطننا، أشكركم جميعًا، وأشكر سماحة الشيخ حسن على غيرته الوطنية الواضحة من خلال محاضرته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المهندس عبد الله المقهوي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أرحب بالشيخ حسن وصحبه الكرام

حقيقة كنت أودّ أن أساير التيار، وأبشر بالأحلام الوردية لحقوق الإنسان، ولكنني آثرت أن أهبط للواقع، وأقول أولًا: حقوق الإنسان المتعارف عليها التي نسمعها في الإعلام، والتي نكتبها في الجرائد، كممارسة أتكلم، هذه المتعارف عليها حقوق الإنسان، هي نتاج الثقافة الغربية، ويجب أن نعترف بذلك، كفكر وكشريعة موجودة لدينا، ولكن أتكلم كممارسة، هذه نتاج الحضارة الغربية، هي التي تعبت عليها بإخفاقاتها ونجاحاتها، فهم زرعوا وحصدوا ويستحقون ما حصدوا وهم يطبقون ذلك على شعوبهم، ولكن أن نأتي نحن في عالمنا العربي، الذي كان قبل سنوات قبائل وجماعات متفرقة، كانوا يمارسون الظلم فيما بينهم، والدكتاتورية، وكذا وكذا، ونصرّ على أننا الآن يجب أن نكون مثل الغرب بهذه السرعة العالية، أعتقد أنّ هذا تجاوز للواقع، وأذكر كلمة ولي العهد حفظه الله في الحوار الوطني عندما سئل كان يقول: «الصبر الصبر»، طبعًا لا يعني مرة واحدة، ولكن الصبر حتى نعرف به الواقع الذي يجب أن نتعايش معه.

الشيخ عبد اللطيف النعيم (عميد أسرة النعيم):

أنا كنت موظفاً في إمارة الأحساء ١٣٥٤هـ وكان رئيسنا ذلك اليوم إبراهيم السلامة، فصار بيني وبينه مصادمة، لازم اشتغل يوم الجمعة، قلت له: ليس من الضروري أن أشتغل يوم الجمعة، هذا ليس من النظام، إذا كان بتعطيني إضافي، قال: لا يوجد إضافي أنت ليس كفوًا،

قلت له: خير إن شاء الله، رحت نمت وذهبت إلى الرياض، إلى شخص يسمى عبد الرزاق المداوي، رئيس رتبة رشيد في الرياض، وأخبرته بالموضوع، وأحضرت منه بأمره صفعة لا تكلفونه بما لا يطيق.

الشيخ جواد الجاسم :

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

،،،

نشكر سماحة الشيخ حسن الصفار على هذه المحاضرة التنويرية القيمة، التي يجب علينا جميعا أن نأخذها بالحسبان، ونعتمدها نبراسًا ونموذجًا نحتذي به في جميع أعمالنا؛ لأنها تنوير عام نحن نحتاج إليه.

أما بالإشارة إلى الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، فيجب عليها وجوبًا شرعيًّا وتكليفًا، بما أنها راعية لحقوق الإنسان، أن تأخذ من كلّ وزارة من وزارات الدولة أنظمتها وقوانينها، وتوزعها على جميع المواطنين، حتى يعرف المواطن ما له وما عليه؟ حتى لا يكون ظلم على أيّ مواطن من أيّ موظف، أو من أيّ إنسان.

وردًّا على المهندس عبد الله المقهوي سلّمه الله، إننا لا نستطيع أن نلحق بحضارة الغرب وقوانينهم، نحن نستطيع أن نكون أمة مثالية في العالم بأجمعه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠]، بمعنى يجب أن نكون أمة مثالية في جميع الحقوق والصناعات، فعلينا أن نتحدّ ونطوّر هذه الكلمة لما تعنيه من معاني عميقة، لأنها لا تعني فقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنّ لها معاني كثيرة في كتب المفسرين والعلماء والأدباء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الصحفي الأستاذ عبدالله القنبر:

بسم الله الرحمن الرحيم، أحيّي سماحة الشيخ حسن الصفار على هذه المحاضرة الضافية الرائعة التوعوية، التي تناول فيها جوانب متعددة في حقوق الإنسان، ونشكر العميد عبد العزيز الموسى على هذه الالتفاتة الرائعة والجميلة، باستضافة هذه الشخصية الفكرية على مستوى العالم الإسلامي.

ونقول إنه ظنّ الكثير أنّ مفردة حقوق الإنسان مفردة غربية، نظرًا لتطبيقها العملي في واقعهم، وكما ذكرتم إنما هي من لبّ الفكر الإسلامي، وهي قيمة إسلامية، يقوم عليها الشرع الإسلامي المقدس.

السؤال هنا: لماذا تأخر إعلان وظهور جمعية حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية، وخصوصًا أنها مفردة شرعية؟

ثانيًا: هلّا حدثتمونا عن موسوعة العذاب لعبود الشالجي وما تناولته من أطراف حقوقية؟.

ردّ سماحة الشيخ حسن الصفار:

بسم الله الرحمن الرحيم

أولًا: أشكر الإخوة المتحدثين على حسن ظنهم، وعلى عواطفهم النبيلة الصادقة.

ثانيًا: أعتبر أنّ ما طرحوه ليس أسئلة، بمقدار ما هي إضافات نستفيد منها، وتكمل ما طرح من الآراء والأفكار، ولم يكن هناك شيء كسؤال حتى يستلزم الإجابة عليه، لكن للتفاعل مع هذه الإضافات الجميلة، أحببت أن أشير إلى أننا ينبغي أن ننشر الأمل في نفوس الناس؛ لأنّ اليأس والإحباط هو الأرضية

التي تنطلق منها الأعمال السلبية، تجاه الوطن وتجاه المجتمع.

هؤلاء الذين يقومون بأعمال العنف إنما زُرع الإحباط واليأس في نفوسهم، وبثت في أذهانهم قناعة بأنّ الوضع غير قابل للإصلاح، وأنّ الوضع غير ممكن أن يتغير، ولذلك سلكوا طريق العنف لسيطرة اليأس والإحباط والقنوط على نفوسهم.

نحن مطالبون وخاصة أمام الجيل الجديد؛ لأنّ المشكلة ليست مشكلتنا نحن الحاضرين وأكثرنا تجاوز مرحلة الشباب إلى مرحلة الكهولة، المشكلة أننا أمام جيل جديد، هذا الجيل الجديد يتحسّس المشاكل، والمعاناة التي تواجهه في مجالات عديدة، بعد شهر أو شهرين ستنتهي الاختبارات، ويجد الألوف من أبنائنا وشبابنا أنفسهم أمام مرحلة صعبة، في الحصول على مقاعد في الجامعة، وهناك من سيتخرجون من الجامعة، ويجدون أنفسهم أمام تحدٍّ كبيرٍ هو الحصول على وظيفة، وحتى الموظف يجد أمامه مشكلة الحصول على سكن ملائم، مشاكل عديدة موجودة، هذه المشاكل التي تواجه الجيل الجديد من أبنائنا ان لم تواكبها ثقافة توجه هذا الجيل إلى الطريق المناسب لمعالجة المشاكل التي تواجهه، فإنّ هذا الجيل إما سيصاب بلا مبالاة مما يقوده للمخدرات واللهو واللعب، وإما سيكون طعمة للفئات المتطرفة والإرهابية، لذلك يجب أن ندرك التحدي كحكومة وكشعب، المسألة الآن تتعدى موضوع المجاملة والمزح على بعضنا بعضًا، الآن نحن أمام تحدٍّ حقيقي، الآخرون يغزوننا ليس بأفكار وإنما بإنجازات وأعمال يبرزونها أمام شبابنا، الذين يقارنون بين أوضاعهم وبين أوضاع الآخرين على أكثر من صعيد، فعلينا أن نغرس في نفوس أبنائنا روح الأمل والتفاؤل، وأن ندفعهم للعمل الإيجابي، من أجل مواجهة المشاكل التي تعترض طريقهم.

الفاعلية والأمل

لعلكم تعرفون أنّ الدراسات التي أجريت حول تدني المستوى التعليمي، أشارت إلى أن بعض الطلاب أصبحوا لا أباليين تجاه التعليم، بمبرر أنه ما الفائدة أن أتعلم

وغدًا أنال شهادة وبعد ذلك أدور بشهادتي من أجل الحصول على وظيفة؟ لاحظوا كيف أنّ حالة اليأس قادتهم إلى اللامبالاة، بينما علينا أن نوجه أبناءنا، يا أبنائنا، يا أعزاءنا، هناك مشاكل، ولا يوجد مجتمع بلا مشاكل، ولكن هذه المشاكل يجب أن نتحمل مسؤولية مواجهتها ومعالجتها، لا أن نتهرب منها، فعلينا أن ننشر ثقافة الأمل، وثقافة الفاعلية، ليس كأحلام وردية حسبما تحدث بعض الإخوان، وإنما أن ندفع باتجاه الفاعلية، أنا لا أقول أن ننام على حرير الأمل، وننتظر أن الأمور تعالج، أقول كلنا نتحمل المسؤولية، وأن نتعاون من أجل معالجة هذه الأمور.

الفاعلية مسألة مهمة، وهي تعني أن نبدأ بمواجهة المشاكل التي نعاني منها ويعاني منها أبناؤنا، في مجالس كثيرة يتحدثون عن سوء الخدمات الصحية في بعض المستشفيات، ويتناقلون الأخبار أنّ فلانًا مات بسبب الإهمال، وفلانًا تعوق بسبب تأخير العلاج، وفلانًا حصل له كذا بسبب سوء صرف الأدوية، نحن لماذا فقط نجتر الآلام والمشاكل؟ لماذا لا تكون هناك لجان لمتابعة الخدمات الصحية في المستشفيات؟ غرفة تجارة وصناعة المنطقة الشرقية لديها لجنة تحت عنوان أصدقاء المرضى، وهذه اللجنة مجموعة من رجال الأعمال يزورون المستشفيات ويتعاطون معها في كلّ مدينة ومنطقة، يجب أن ينبري جماعة من الناس ويعتبرون أنفسهم أصدقاء لهذه المؤسسة الصحية، ويلاحظون الأخطاء التي فيها، يتحدثون مع الإدارة ومع المسؤولين، وقد جربنا في كثير من الحالات، حينما ينطلق جماعة من المواطنين ويحملون همًّا من الهموم العامة، فإنهم يستطيعون الإنجاز، إن لم يكن كلّ المطلوب فجزء من المطلوب كما قيل: (ما رام امرؤ شيئًا إلّا وصل إليه أو دونه).

وفي مجال التعليم أشار أحد الإخوان إلى أن معلمة أساءت إلى طالبة، هناك مجالس لأولياء الأمور، لكن أغلب أولياء الأمور لا يكلف نفسه بالحضور في هذه المجالس، وإذا حضر لا يحمل هموم أبنائه في المدرسة يجب علينا أن نتحمل هذه الأعباء، يجب أن تكون لدينا مجاميع ومجالس بكل طريقة، الدولة ترصد مبالغ هائلة

إلى وزارة الصحة، وترصد مبالغ للتعليم، وترصد مبالغ للبلديات، ولكلّ الوزارات، ولكن قد يكون هناك في بعض المؤسسات وبعض الأجهزة سوء تصرف، قد يكون هناك تلاعب، قد يكون هناك إهمال، لماذا نسكت نحن على هذا التلاعب والإهمال؟ لماذا لا نتحرك؟.

نكوّن مجاميع ولجانًا عبر الطرق الرسمية المقبولة، ونعين الحكومة على وضع حدٍّ لمثل هذه الممارسات.

كما أنّ الصحافة أصبحت مفتوحة، في الماضي كان من الصعب أن تنتقد جهازًا من الأجهزة، أو مؤسسة من المؤسسات، على صفحات الجرائد، اليوم أصبحت الجرائد تنشر، لا شك أنّ هناك فسحة في مجال الإعلام، وأصبحت تُنشر الكثير من الأشياء والأمور الناقدة، فلنستفد من الوسائل الإعلامية، أدعو إلى نشر ثقافة الأمل، وإلى التشجيع على آليات الفاعلية، أن نتحرك وأن تكون لنا فاعلية، أما أن نجلس نجتر الآلام، وننظّر فقط، فهذا لا يحلّ المشكلة، كما أشار الإخوان إلى أننا ننتظر أن تقدم لنا مصالحنا وحقوقنا على طبق من الراحة والذهب.

المجتمعات الأخرى يعملون ويجتهدون، أنتم تسمعون عن الأحزاب الخضر في مختلف دول أوروبا في الدفاع عن البيئة، مئات الألوف ينتمون لها يدافعون عن البيئة. هناك منظمات تدافع عن الصحة، ومنظمات ولجان أهلية تدافع عن الحقوق السياسية والحقوق التعليمية وهكذا.

لا للسلبية والكسل

نحن لا يصح لنا أن نبقى فقط نتحدث ونجتر الآلام، وننتظر أنّ الأمور يحلها الزمن، وإنما يجب أن تكون عندنا فاعلية، المشكلة أنّ هناك حالة من السلبية. وأنا أعتقد أنّ من أسبابها الكسل، في بعض الأحيان أستعين بشيءٍ من القصص أو الطرائف من أجل أن تبقى الفكرة حية في النفس، قالوا: كان هناك مجموعة من التنابلة عند أحد

السلاطين، يسمونهم تنابلة السلطان، هؤلاء وظيفتهم ينكتون ويضحكون السلطان، والسلطان يجري لهم رواتب ومعاشات، فأصابت البلد أزمة اقتصادية، وأمر السلطان أن تقطع هذه المرتبات عن التنابلة وحين لا يوجد مرتبات لهم ولا طعام فماذا يعملون بهم؟

أمر السلطان أن يحملوا في سيارة ويرمونهم في البحر .. فأخذوهم ومروا بهم على مطعم، فسأل صاحب المطعم: ما هي قصتهم؟ إلى أين تأخذونهم؟ قالوا: هؤلاء تنابلة السلطان، لا يوجد لهم ميزانية، ولا يوجد لهم طعام، فنرميهم في البحر، قال: صاحب المطعم حرام ترمونهم في البحر، أنا عندي أكياس من الخبز تتجمع فأقدمها لهم، قالوا: شاورهم إذا كانوا يقبلون؟ فسألوهم: هذا رقّ قلبه لكم، بدل أن تلقوا في البحر لديه خبز يابس كلّ يوم يقدمه لكم، قالوا: نحن لدينا شرط، هل هو يقطع الخبز أم نحن نتحمل عناء تقطيعه؟ إذا كان هو يقطع لنا الخبز فموافقون، أما إذا علينا تقطيع الخبز أذهب بنا إلى البحر أريح وأيسر علينا، هؤلاء تنابلة السلطان.

نحن لا بُدّ أن نعرف أنّ الشعوب الأخرى ناضلت وعملت وتحركت، ولا زالت تتحرك، أنتم سمعتم ما أشار إليه أحد الإخوان حول التعذيب الذي حصل في سجون أبو غريب في العراق، الأمريكيون يتظاهرون يتحركون ويشعرون أنّ الدفاع عن سمعة بلدهم والتزام حكومتهم بالنظام مسؤولية يتحملها الكلّ. أما نحن فكلّ واحد منّا يقدم لك مجموعة من المطالب، لماذا لا يصير كذا؟ ولماذا الحكومة لا تعمل كذا؟ لكنه غير حاضر أن يفرغ نفسه في الأسبوع ساعة يذهب فيها ليتابع بعض القضايا ويساعد في بعض الأمور.

فعلينا أن ننشر ثقافة الأمل والفاعلية والعمل. وبعض الإصلاحات قد تكون الظروف لها دخل في تحقيقها، وقد يكون هناك تقصير أو قصور في الموضوع، لكن كما قيل: (أن تأتي متأخرًا أفضل من ألا تأتي) ونحن إن شاء الله نتفاءل، وبفاعليتنا وبتعاوننا نتغلب على هذه المشاكل.

تعاون الشعوب والحكومات

أيّها الإخوة، إذا كان في الماضي هناك من يراهن على جهات أخرى ستساعد في إصلاح أوضاع بلداننا ومناطقنا، فقد اتضح أنّ هذا الرهان رهان فاشل، الجهات الأخرى تبحث عن مصالحها، نحن يجب أن نحمل همومنا، ونصلح أوضاعنا، في فترة من الفترات كانت بعض الحكومات تراهن على أنّ القوى الخارجية سوف تدعمها أمام شعوبها، وكانت بعض الشعوب تراهن على أنّ القوى الأجنبية ستدعمها أمام حكوماتها، الآن اتضح أنّ هذه القوى ضد الحكومات وضد الشعوب.

وبذلك يجب أن تتعاون الحكومات والشعوب، لا بُدّ أن تتقدم الحكومات خطوات وتتفهم تطلّعات شعوبها وتستجيب لمطالبهم، والشعوب أيضًا يجب أن يتحملوا مسؤوليتهم، وأن يسلكوا الطرق السلمية من أجل تغيير هذه الحالة والصورة.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب لبلادنا استمرار الأمن والأمان. بلادنا التي كانت مضرب المثل في الأمن والاستقرار، الآن يريد الأعداء، وبعض المتطرفين الحاقدين، أن تفقد بلادنا أهمّ ميزة تتميز بها، ولكن نسأل الله أن يخيّب آمال الأعداء، وإن شاء الله يتعاون الشعب مع الحكومة بكلّ الفئات وكلّ الطوائف وكلّ المناطق، من أجل أن نصلح أمورنا بأنفسنا، وأن نتعاون فيما بيننا، فهو أفضل ردٍّ على مخططات ومؤامرات الأعداء.

أجدّد الشكر لكم جميعًا على حضوركم وإصغائكم، الإخوة الذين تحدثوا أفادوني بمداخلاتهم، وأضافوا نقاطًا جميلةً أثروا بها الحوار والحديث، وأشكر راعي السبتية، وأسأل الله أن يوفقه ويوفق الجميع للخير والصلاح، والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على نبينا وعلى آله الطاهرين.

٧

نحو خطاب إنساني*

كلمة افتتاح الندوة للأستاذ محمد رضا نصر الله عضو مجلس الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأهلاً وسهلاً بكم في هذا البيت الجاسري الكريم.

قبل سنوات وتحديدًا في بداية الستينيات الهجرية من القرن المنصرم، فوجئ والدي وهو يستحم في حمام أبو لوزة ـ وهو حمام شعبي شهير ـ باقتحام رجل رثِّ الهيئة، وعليه سمات البداوة، جفلَ منه، وبعد ذلك رأى هذا الشخص الغريب يتبعه ويسائله عن تاريخ تلك المنطقة المغروسة في شرق الجزيرة العربية، كان يسأله عن مواضعها وتاريخها، وبعض رجالاتها الذين مروا على تاريخ القطيف، عرف والدي هذا البدوي المثقف، وازدادت دهشته وهو يسائله عن كتاب لأبي فرج الأصفهاني (مقاتل الطالبيين). فقال هذا بدوي ومثقف ومستنير، جرى بعد ذلك بينهما الحديث، وكان شيخنا العلامة حمد الجاسر يفد إلى القطيف بقصد زيارة صديقه الشاعر خالد الفرج.

---

* أقيمت الندوة في خميسية حمد الجاسر بالرياض يوم الخميس ٩ ديسمبر ٢٠٠٤م الموافق ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ.

وبعد ذلك تشكلت علاقة دافئة بينه وبين مثقفي تلك البلاد، لم تنحصر في العلاقة الشخصية، وإنما استمرت وتعمقت، وشيخنا الراحل يصدر مجلته اليمامة مستضيفًا أو مقدمًا أبرز كتابها.

بل حقيقة كان هو الداعم والمقدّم لهم، والمدافع عنهم.

اليوم معنا واحد من تلامذة ذلك الجيل القطيفي، الذي تفاعل مع مشروع المملكة الوطني، له دور بين ندوة وأخرى، بين مناسبة وأخرى، يحاول التأكيد على القواسم المشتركة بين أبناء هذا الوطن الكبير، شيخنا الأستاذ الجليل حسن الصفار معكم اليوم، لن يحاضر، وإنما ليشارككم جملة من التطلعات الوطنية، خاصة في هذا الظرف، وبلادنا تتعرض لعديد من التحديات الداخلية والخارجية، وإذ تُستهدف هذه البلاد ينبغي لنا اليوم أن نتمحور حول كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، هذه جملة طالما رددها أديبنا الراحل الأستاذ محمد حسين زيدان، حينما يقابلني أو أقابله، وهي منسوبة للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، الذي ذهب ووضع يده بيد الحاج أمين الحسيني، محاولًا نصرة القدس، ثالث الحرمين الشريفين من براثن العدو اليهودي الصهيوني.

لا أريد الإطالة، وإنما أترككم مع الشيخ حسن، وله من الأنشطة التاريخية والاجتماعية والثقافية العديد، بل هو اليوم يتقدم منارة مضيئة من المنارات الوطنية، التي تحاول دائمًا أن ترأب الصدع، فأهلًا وسهلًا به بكم.

كلمة فضيلة الشيخ حسن الصفار

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله الطاهرين، وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

أيها الأساتذة الأعزاء والإخوة الكرام .. السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته ..

يسعدني ويشرفني أن أكون معكم في هذا المكان الذي أصبح له دور وأثر في ثقافة وطننا وثقافة أمتنا، هذا المجلس الذي كان فيه علامة الجزيرة الشيخ الراحل حمد الجاسر، رحمه الله تعالى، كان يفيض فيه من علومه ومعارفه، وكان يغذي روح الكرامة وروح الوحدة الوطنية في هذه البلاد.

واليوم نلتقي معكم في هذا المجلس الكريم، لكي نؤكد جميعاً ما كان يطمح إليه ويتطلع إليه، الراحل الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، وأرجو أن أستفيد من آرائكم وأفكاركم في هذا اللقاء المبارك، في هذا اليوم الممطر، والمطر بشارة خير وبركة إن شاء الله، علينا وعلى البلاد جميعاً.

عنوان حديثي: نحو خطاب إنساني

لا يمكن لأيّ حضارة أو أيديولوجية أن تزايد على حضارتنا الإسلامية، وعلى فكرنا الإسلامي، فيما يرتبط بالتأكيد على قيمة الإنسان وحقوقه وكرامته، هذا على المستوى النظري، ولكن ما يجب أن نعترف به: أنه على الصعيد الفعلي والعملي، فإنّ هناك تدنيًّا وانخفاضاً في مستوى الاهتمام بقيمة الإنسان وحقوقه، في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ليس على المستوى السياسي فقط، الذي تتحدث عنه تقارير انتهاك حقوق الإنسان، وتأخذ بلداننا فيها موقع الصدارة، وإنما أيضًا على الصعيد الاجتماعي، حيث إنّ النظرة العامة السائدة في كثير من الأوساط والقطاعات، لمكانة الإنسان وقيمته وكذلك على صعيد المواقف والتعامل مع الإنسان، تعتبر في آخر مستويات التدني والانحطاط.

على الصعيد الداخلي في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، حين يختلف الجنس، كما هو الحال بين الرجل والمرأة، أو حينما يختلف العرق، أو تختلف القومية، أو يختلف الدين أو المذهب، أو الاتجاه، نجد هنالك فظاعات في التعامل بين هذه الأطراف داخل الأمة.

وعلى المستوى الخارجي فإنّ هناك نظرة من الازدراء والاستهانة بالإنسان خارج

الأمة، تتحدث عنها بعض الأعمال المتطرفة والآراء المتطرفة.

حينما تحدثت الصحف أمس، عمّا حصل في القنصلية الأمريكية في جدة، هذا الحادث الإرهابي المريع[١]، تحدث بعض الناجين وبعض المصابين الذين نجوا من الحادث، كيف أنّ المهاجمين كانوا يفتشون عن هويات الأشخاص، لمعرفة أديانهم، فمن استجاب لهم وقرأ الفاتحة وتأكدوا أنه مسلم أبقوا عليه، ومن لم يستطع قراءة الفاتحة، أي لم يكن مسلماً فإنهم عاجلوه بالرصاص، «موظف فلبيني غير مسلم، ولم يتلُ الفاتحة، واعترف بأنه غير مسلم، فقتلوه مباشرة برصاصة في رأسه»[٢]، هذا التمييز بين هؤلاء الناس، إن كان مسلماً يبقى حيًّا، وإن كان غير مسلم لا يستحق الحياة، وإنما يقتل فوراً .

صحيح أنها فئة متطرفة، وأنه عمل مدانٌ من أكثرية الأمة، لكنه وأمثاله من هذه الأعمال، تكشف لنا عن خلل في الثقافة السائدة، هذا الخلل لا بُدّ من معالجته.

نحن نعلم أنّ الخطاب الديني هو الخطاب الأكثر تأثيرًا في مجتمعاتنا؛ نظرًا لارتباط هذه الأمة بدينها، والحمد لله.

ليس هناك خطاب يؤثر في مجتمعاتنا كتأثير الخطاب الديني، فهو الذي يصوغ العقل الجمعي، وهو الذي يوجّه السلوك العام، كما أنّ هذا الخطاب الديني يرسم صورتنا أمام أعين الآخرين، فيقوّم الآخرون حضارتنا وثقافتنا من خلال هذا الخطاب.

فإذا ما رأينا أنّ هناك عجزًا في العقل الجمعي، وخللًا في السلوك العام، فلا بُدّ وأن نعود لفحص هذا الخطاب الديني، فإنه إمّا أن يكون قد أسهم في هذا العجز والنقص، أو لا أقلّ يتحمل مسؤولية السكوت عليه.

بالتأكيد فإننا نفرِّق بين الخطاب الديني والنص الديني؛ فالنص الديني نصٌّ مقدّس،

(١) حادث اقتحام القنصلية الأمريكية في جدة بتاريخ ٧/ ١٢/ ٢٠٠٤م.
(٢) الحياة: صحيفة يومية تصدر من لندن، الأربعاء ٨/ ١٢/ ٢٠٠٤م.

فوق مستوى أن نتفحصه، أو يتسرب إلى نفوسنا وعقولنا ذرة من الشك فيه، النص الديني المتمثل في الكتاب والسنة الثابتة، لا ينطبق عليه شيءٌ من هذا الكلام، وإنما الكلام حول الخطاب.

والخطاب هو ما فهمه المسلمون من دينهم، وهذا يعتمد على مستوى الفهم، ومستوى حركة الفقاهة والفكر في الأمة، في كلّ جيل من الأجيال.

فالخطاب هو ذلك الكسب البشري، والفهم البشري للنص الديني، فالمناقشة، فيما فهمناه من الدين، وليس في ذات الدين المتمثل في النص المقدس.

هذا الخطاب الديني يحتاج إلى إعادة دراسة، وتقويم ومراجعة، لجهة نظرته وموقفه من الإنسان كإنسان، وبغض النظر عن أيّ عنوان جانبي آخر، بغض النظر عن جنسه ذكراً كان أو أنثى، وعرقه أبيض أو أسود، وقوميته عربيًّا أو عجميًّا، ودينه مسلمًا أو غير مسلم، ومذهبه ضمن هذه المدرسة أو تلك، من العناوين الجانبية الفرعية.

يبدو لي أنّ خطابنا الديني بحاجة إلى مراجعة على هذا الصعيد، ويمكنني أن أتحدث عن بعض الملاحظات التي تكشف عن بعض مواضع الخلل في خطابنا الديني:

الملاحظة الاولى: الخطاب الديني وإبراز قيمة الإنسان

عانت المجتمعات الأوروبية من فقدان التوازن في خطاب الكنيسة، في العصور الوسطى، حيث ركزت الكنيسة على إبراز جانب الإله، وتنكرت لجانب الإنسان، فقاد هذا الأمر إلى ردة فعل برزت على إثرها التوجهات المادية والإلحادية التي تنكرت للربّ وللدين، وأعلت من شأن الإنسان، مع التنكر لهيمنة الربّ سبحانه وتعالى.

خطابنا الديني في الكثير من مواقعه يعاني من هذه المشكلة، صحيح أنّ المطلوب من كلّ إنسان أن يعرف خالقه، ويؤمن به ويوحده، لكن في الوقت نفسه ينبغي أن يعرف الإنسان قدره وقيمته ومكانته في هذه الحياة؛ لأنّ الله سبحانه هو الذي أعطاه هذه المكانة والقيمة.

الإنسان خلقه الله، وهو الذي أعطاه هذه القيمة، فهي ليست قيمة منتزعة، وإنما هي عطاء من قبل الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإنّ إبراز هذه القيمة هو في جانب من جوانبه إبراز لعظمة الله، ولرحمة الله، ولمنن الله سبحانه وتعالى على الإنسان.

لذلك ليست المسألة مسألة تقابل ولا ثنائية، وإنما تصبّ في مجال التأكيد على عظمة الخالق ورحمته وكرمه، وبهذا نستطيع أن نفهم الآيات القرآنية التي تتحدث عن مكانة الإنسان، وكيف أنّ الله خلقه واختاره ليكون خليفة له في الأرض، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؛ فالقرآن الكريم يتحدث عن ذلك المهرجان الكوني العظيم، الذي أعلن فيه الربّ جلّ وعلا تدشين خلق هذا الإنسان.

حينما يكون هناك إنجاز كبير، يكون هناك حفل ومهرجان بحجم ذلك الإنجاز، ليكشف ويعلن عنه، ولأنّ خلق الإنسان كان فضلًا إلهيًّا كبيرًا، فإنّ الله تعالى قد هيأ حفلًا ومهرجانًا ضخمًا شارك فيه الكون كله، لإبراز قيمة ومكانة هذا الإنسان، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

حفل ضخم أسجد الله تعالى فيه الملائكة كلهم، لكي يقدموا التحية والكرامة لآدم عليه السلام، وبعبارة أخرى لكي تعلن كلّ الموجودات في الكون استعدادها لخدمة هذا الإنسان، فهي مسخّرة من أجله؛ لأنّ الله تعالى سخّر الكون وما فيه لأجل الإنسان.

إذًا، فالإنسان أهمّ شيء وأجلّ شيء خلقه الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

بالتأكيد فإنّ الكلام عن الإنسان، بما هو إنسان، وهذا ما أشار إليه المحققون من المفسرين، البعض حاول الإشارة إلى أن التكريم لم يكن للإنسان، وإنما كان لآدم باعتباره نبيًّا، يعني أنّ التكريم بهذا الاعتبار الثاني، ولكن سياق الآيات الكريمة يدلّ

على أنّ التكريم للإنسان بما هو إنسان، من خلال أول موجود من نوعه وهو آدم، فإنّ الآية الكريمة تقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ولم تقل: ولقد كرمنا المسلمين، أو المؤمنين!!

وقد أشار العلماء إلى أنّ هناك مستوى عامًّا من التكريم يتساوى فيه أبناء البشر كلهم باعتبارهم بشرًا، وهناك مستويات أخرى، إذا كان مسلمًا .. إذا كان مؤمنًا .. إذا كان تقيًّا تزداد رتبته ومكانته في التكريم، لكنه حينما لا يكون مسلمًا فإنه يبقى ضمن المستوى العام للكرامة الإنسانية، التي منحها الله تعالى للإنسان بما هو إنسان.

هذا ما نقرؤه في القرآن الكريم، أمّا في الخطاب الديني فقد وجدنا أنّ هناك تجاهلًا للحديث عن قيمة الإنسان ومكانته، واستبدل ذلك بأبحاث موغلة في الجانب النظري، فيما يرتبط بصفات الربّ سبحانه وتعالى، والخلافات الموجودة بين المعتزلة والأشاعرة حول ذات الله وصفاته الذاتية الثبوتية والكمالية، والخلاف الكبير حول رؤية الله في الآخرة، وأنّ القرآن قديم أو حادث.

هناك توغل في هذه الأبحاث، يواكبه تجاهل في الجانب الآخر، وهذا خلاف ما أمر به النص الديني، حيث وردت نصوص وأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن أئمة السلف الصالح، تؤكد على المسلمين الاهتمام بخلق الله، ورد عنه ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا»[1].

وعنه ﷺ أنه قال: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق»[2].

هذه الأبحاث الموغلة في القضايا الكلامية الجدلية، صرفت خطابنا الديني عن الاهتمام بالإنسان، وما يختزنه من طاقات وكفاءات وقدرات هائلة، وانشغلت بالحديث حول ذات الخالق وصفاته.

---

(١) كنز العمال، حديث رقم ٥٧٠٥.

(٢) المصدر السابق، حديث رقم ٥٧٠٦.

الملاحظة الثانية: عدم التوازن بين العبادة وخدمة الإنسان

نقصد العبادة هنا بمعناها المصطلح الذي يعني الأعمال التعبدية الشعائرية، كالصلاة والصيام والحج والدعاء وتلاوة القرآن.

صحيح أنها أعمال مطلوبة ومدعو إليها، لكنها في ذات الوقت تهدف لإعداد الإنسان ليكون مواطنًا صالحًا في هذا الكون، يحترم أخاه الإنسان، ويهتم به. لذلك نجد بعض النصوص الدينية تشير إلى أنّ من مقاصد العبادات الرئيسة أنها تربي الإنسان على حسن التعامل والتصرف في الحياة الاجتماعية.

فالصلاة وهي عمود الدين، وأعظم فريضة في الإسلام، يقول عنها القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾. والقرآن الكريم يعتبر أنّ الاهتمام بالصلاة، وتناسي حاجات الناس، هذا تديّن كاذب زائف؛ فالتديّن الصحيح هو الذي يبعث الإنسان ويدفعه إلى خدمة أخيه الإنسان، أما إذا اقتصر على الصلاة وتجاهل حاجات أخيه الإنسان، فإنّ تدينه ليس صادقا أبدًا، يقول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾. ثم يقول تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ يصفهم بأنهم مصلون ثم يعدهم بالويل!!

هم مصلّون، لكن لهم الويل والهلاك!! لماذا؟ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، ولا يعني ذلك أنهم لا يؤدون الصلاة، وإنما هم ساهون عن مقاصد الصلاة وأهدافها، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ يتظاهرون بالصلاة وهم يمنعون المعونة ومساعدة الناس.

وهناك نصوص دينية كثيرة تؤكد هذا المعنى، كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «خير الناس من انتفع به الناس»[1]، وعنه ﷺ: «الخلق عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله من

(١) مستدرك الوسائل. ج١٢، ص٣٨٨، حديث١٤٣٧١.

نفع عيال الله»[١]. وعنه ﷺ: «خَيْرَ النَّاسِ من ينفع الناس»[٢].

نجد في خطابنا الديني إبراز العبادات الشعائرية، ولا شك في أهميتها، ولا نريد الغضّ من شأنها ومكانتها، لكن ينبغي التذكير بمقاصدها و استهدافاتها أولًا، وثانيًا مراعاة التوازن في الحديث عن خدمة الناس ومنفعتهم، حيث من المؤسف جدًّا أن يكون الإقبال على الأعمال التطوعية الإنسانية في المجتمعات الأخرى، التي نعتبرها مجتمعات مادية، هو في مستوى أفضل مما هو في مجتمعاتنا الإسلامية، فقد بلغت التبرعات في العام ٢٠٠٣م في أمريكا حوالي (٢١٢ مليار دولار)، إضافة إلى (٩٠ ألف) متطوع في جميع الأعمال الدينية والإغاثية والإنسانية، بواقع ٥ ساعات عمل أسبوعيًّا في التطوع في جميع التخصصات[٣]، كما يقدر معدل التبرع المالي لكل أمريكي بـ(٥٠٠) دولار سنويًّا، وأنّ هناك ١٠ ملايين ونصف المليون فرنسي يتطوعون في نهاية الأسبوع للمشاركة في تقديم خدمات اجتماعية مختلفة تخصّ الحياة اليومية، من مجالات التربية والصحة والبيئة والثقافة والترفيه وغيرها[٤].

بينما تشكو الكثير من جمعياتنا الخيرية، ومؤسساتنا الأهلية، في مجتمعاتنا الإسلامية، شحَّ التجاوب، فلماذا الإنسان هناك يتفاعل ويتجاوب مع العمل التطوعي بينما في مجتمعاتنا يكون التجاوب أقلّ، وهو المجتمع الذي يدين بقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾.

لعلّ من أسباب ذلك أنّ خطابنا الديني لم يُوْلِ هذا الأمر أولوية وأهمية بالمستوى المطلوب، لذلك يتشجع الناس للحج وللصلاة وللعبادات الشعائرية، بدرجة أكبر بكثير من اهتمامهم بالعمل الإنساني والاجتماعي.

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٦٤.

(٢) كنز العمال. حديث٤٤١٥٤.

(٣) http: //www.medadcenter.com /articles /4706

(٤) جريدة اليوم، الأربعاء، ٢ أكتوبر ٢٠٠٢م، العدد١٠٧٠١.

الملاحظة الثالثة: بين حقوق الله وحقوق الناس

في الأصل، هل جاء الدين للدفاع عن مصلحة الخلق، أو مصلحة الخالق؟

الله تعالى ليست له مصلحة، فلم يبعث الأنبياء ليدافعوا عن مصلحته، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

الأديان ما جاءت للدفاع عن مصلحة الخالق، وأساسًا ليست هناك مصلحة لله سبحانه وتعالى، لذلك نقرأ في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

فالهدف الأساس أن يعيش الناس حياة العدل والقسط فيما بينهم، لكننا نجد الاهتمام في الخطاب الديني في الدفاع عمّا نعتقد أنه حقّ لله تعالى، يوازيه تقصير في الاهتمام بالدفاع عن حقوق الناس.

وعلى المستوى النظري ديننا فيه حماية لحقوق الإنسان، لكن على المستوى العملي تأخر في بلداننا التقنين لحقوق الإنسان.

وحين قامت المجتمعات المتقدمة بتقنينٍ لحقوق الإنسان، في الثورة الفرنسية عام ١٧٧٩م، وكذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة ١٩٤٦م، استمرت الحكومات الإسلامية في منظمة المؤتمر الإسلامي مدة عشر سنوات من ١٩٧٩ إلى ١٩٨٩، في عقد المؤتمرات حتى تقرر الميثاق الإسلامي لحقوق الإنسان.

عشر سنوات حتى أنجزنا هذا الميثاق، ولعلنا نحتاج إلى فترة أطول حتى نطبقه، فقد أقرّ هذا الميثاق، ولكن متى يطبق؟

هناك منظمات على مستوى العالم للاهتمام بحقوق الإنسان، وفي مجتمعاتنا العربية والإسلامية تأخر ظهور مثل هذه المؤسسات لما يعترضها من عراقيل.

الملاحظة الرابعة: تجاهل كرامة الإنسان

الخطاب الديني يعتبر أنّ كرامة الإنسان تدور مدار الدين فقط، فإذا كان مسلمًا فله الكرامة، وتراعى حقوقه، وله الاحترام، أمّا إذا كان غير مسلم فإنّ احترامه ومكانته لا تراعى.

هذا على مستوى الخطاب المتمثل في الفتاوى والخطب والآراء والأفكار المطروحة.

حتى إنّ هيئة إسلامية للإغاثة تصدر كتابًا حول العمل الخيري التطوعي، يتضمن السؤال التالي: غالبًا ما تحدث الكوارث، ومن الصعب التفرقة بين الناس أو التعرف عليهم، هل هذا مسلم أو غير مسلم، فهل يصح للمؤسسات الخيرية مساعدتهم بغض النظر عن هويته؟

الجواب: (نرى أنّ على المؤسسة الحرص على تخصيص المسلمين بالإغاثة وسدّ الحاجة، وعدم دفع المساعدات لغير المسلمين الذين هم من أعداء الدين، ولو ماتوا جوعًا، ولو قتلهم البرد أو الحرّ أو الغرق أو الهدم؛ لاعتبار ذلك عقوبة من الله لهم على كفرهم وبدعهم)[1]، وتصدر مثل هذه الفتوى وتطبع في كتاب باسم الإغاثة أيضًا.

في البداية نقول الاحترام للمسلم، وباعتبار أنّ داخل الإسلام مدارس، فإنّ أتباع كلّ مذهب يحصرون الاحترام إلى أتباع مذهبهم فقط، وليس المسلم بشكل عام، وإنما المسلم التابع لمدرستهم ومذهبهم.

الملاحظة الخامسة: الانتصار للضعيف أم إخضاعه

كان المفترض أن يتجه الخطاب الديني نحو الانتصار للضعيف أمام القوي، لكن المؤسف أنّ قسمًا كبيرًا من الخطاب الديني بدل أن ينتصر للضعيف يقنعه بالخضوع.

فمثلًا بين الرعية والحاكم، يكون الحاكم في موقع القوة، والرعية في موقع الضعف

(١) ١٠٠ سؤال وجواب في العمل الخيري، يجيب عليها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، المنطقة الشرقية.

كمحكومين، وكان ينبغي للخطاب الديني، أن ينتصر للرعية ويتحدث عن حقوقها أكثر، لكنه في كثير من الحالات يتحدث عن حقّ الحاكم، ويتجاهل حقّ المحكوم.

بين الزوج والزوجة، لكلٍّ منهما حقّ على الآخر ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، لكنّ الخطاب الديني في كثير من الأحيان يعمل على إخضاع الزوجة لزوجها، بدل من أن ينتصر لها في مواضع ظلامتها وضعفها.

وكذلك بين العامل وربّ العمل، وعلى مختلف المستويات، نجد أنّ الخطاب الديني عادة ما ينحو منحى إخضاع الضعيف والمظلوم، بدلًا من الانتصار له والدفاع عن حقوقه.

هذه مجموعة ملاحظات سقتها للتدليل على أنّ هناك خللًا في خطابنا الديني، أوجد هذا الواقع غير الإيجابي في سلوكنا العام، تجاه قيمة الإنسان ومكانته وحقوقه.

وأؤكد أنّ الكلام حول الخطاب الديني، وليس حول النص الديني، حول ما فهمناه من الدين، وليس حول الدين نفسه، كما أوكد من ناحية أخرى أني لا أقصد التعميم، فهناك آراء ومواقف مشرقة على مستوى التاريخ، وعلى مستوى الواقع المعاصر، لكن ما يجب أن يلفت نظرنا هي الظواهر العامة السائدة.

المداخلات

مدير الندوة الأستاذ محمد رضا نصر الله:

الشكر لكم سماحة الشيخ حسن على هذه الأطروحة حول الحديث عن تجديد الخطاب الديني

حقيقة الوقت مبرمج هنا وضيّق، لديّ الآن بعض المداخلات والتعليقات:

الدكتور عبد العزيز الهلابي

بسم الله الرحمن الرحيم، أشكر فضيلة الشيخ حسن جزيل الشكر، باسمي وباسم

زملائي الحاضرين، على طرحه هذه القضايا الهامة، سوف أقتصر في مداخلتي على سؤال قصير؛ لأنني أدرك أنّ الكثير يريدون أن يسألوا، وسؤالي هو الآتي:

لقد تفضلت بطرح قضية الخلاف أو التفاوت بين النص وبين الخطاب، وهنا مشكلة، فإذا كان النص وفهم النص، إذًا هو لا يأتي من عدم فهم النص، بل من اختيار هؤلاء للنص وفهمه، من ثمَّ هناك مشكلة، فهل يعود اختيار الفهم إلى مشكلة في الفهم أو مشكلة القيم أو مشكلة في التشريعات؟

أم أيضًا السؤال يرجع إلى النص نفسه، هل هو نص مثالي صعب التطبيق؟!

سماحة الشيخ:

من شروط الفهم الصحيح للنص، أن يكون هناك استيعاب لمجموع النصوص وللمنظومة الكاملة، فإذا ما بترت النصوص، وأخذ بعض النصوص وكان هناك تجاهل لبقية النصوص، فإنّ النتيجة تكون هذا الفهم الخطأ للنص، لا أعتقد أنّ هناك مشكلة في النص ذاته، وليس النص مثاليًّا، بدليل التطبيق الذي حصل في سيرة رسول الله ﷺ، وحصل أيضًا أيام الخلافة الراشدة، وحصل في بعض الفترات والعهود من تاريخ المسلمين، كان هناك تطبيق جيّد للنص، على مستوى احترام كرامة الإنسان، وحرية الإنسان.

ففي صحيح البخاري: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟![1]

النصوص الواردة حول التعامل مع أهل الذمّة، وحول احترام الناس موجودة،

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ج١، ص٣١٩، حديث١٣١٢.

لكن المشكلة حينما تؤخذ بعض النصوص، وحينما يكون هناك تقيد بفهم جيل معيّن، فَهِم النص بطريقة، ونحن نجمد عقولنا، ونفهم النص بتلك الطريقة التي فهمها ذلك الجيل، ففهم النص وعدم الإبداع والتجديد في فهم النص هو المشكلة وليس في النص ذاته.

مداخلة مكتوبة:

يلاحظ من خلال الآية ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ أن الملائكة لم تتخوف من شرك الإنسان أو كفره بل من إفساده في الأرض، هل يتكرم فضيلتكم بإلقاء الضوء على هذا الأمر؟

سماحة الشيخ:

هذا يدلّ على أنّ الملائكة ـ بما علّمهم الله تعالى ـ كانوا يعرفون حقيقة القيم التي يريدها الله سبحانه، وأنّ المهم هو احترام قيمة العدل والقسط بين الناس.

حينما يتحدث التشريع عن غير المسلمين في الدولة الإسلامية، لا يتدخل الحاكم الإسلامي فيما يرتبط بعباداتهم، هم يشركون بالله تعالى، كعقيدة التثليث مثلًا ،عباداتهم وتصوراتهم خاطئة، ممارساتهم الدينية في نظر الإسلام غير صحيحة، لكن الحاكم الشرعي مكلّف بالتدخل إذا ظلم بعضهم بعضًا، وهو دليل على القيمة الأساسية التي يجب الاهتمام بها في هذه الأرض، وهي قيمة العدل والقسط، يقول تعالى في تحديد هدف الأنبياء والرسالات السماوية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، وهذا ما تؤكد عليه الآيات الكريمة التي تخاطب الأنبياء، بأن مهمتهم ليست فرض الإيمان على الناس، بل دعوتهم إلى الإيمان ونشر العدل بينهم، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾،﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

إذًا، المسألة مسألة العدوان والظلم، وحتى القتال، نحن لا نقاتل من كان غير

مسلم لأنه غير مسلم إذا لم يعتدِ علينا، فلا سبيل لنا عليه، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٠].

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾، استعمل مفهوم البر مع غير المسلمين، وهو المفهوم المستخدم في العلاقة مع الوالدين، إذًا القيمة العليا هي قيمة العدل والقسط.

مداخلة الدكتور عدنان علي النحوي

بسم الله الرحمن الرحيم، أولًا أشكر الأخ الكريم الشيخ حسن على صفاء الفكر الذي عرضه، وقوة الأسلوب الذي عرض فيه، ثم صفاء اللغة العربية التي استخدمها في العرض.

عندي ملاحظات على موضوع ربما تطرق إليه جزئيًّا، لكني أعتبره يحتاج إلى محاضرة أخرى: ما هي أسباب هذا الخلل الذي نلمسه في فهم بعض المسلمين اليوم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

أعرض بشكل سريع أهم الأسباب التي أعتقدها لذلك:

أولًا: تمزّق المسلمين بصورة كبيرة تخالف النص المقدس، الذي أشار إليه الأستاذ، قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا ....﴾، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ....﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

ثانيًا: إنّ كتاب الله سبحانه وتعالى، ربنا الله أنزله للناس جميعًا، ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾ ونحن لم نوفر للمسلم اليوم الأسس الرئيسة التي تساعده على تدبر كتاب الله، فأصبح كثير من المسلمين يفهمون القرآن

والسنة على ضوء ما يوحى إليهم من غيرهم، إمّا من الأحزاب، أو المشايخ، أو من العلماء، بينما أنّ الله سبحانه وتعالى حمّله مسؤولية تدبر كتاب الله، الحديث عن رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم».

لم يستثنِ من ذلك أحدًا، لم نوفر أساسين ذكرهما الكتاب والسنة لتدبر مناهج الله، فأنا أرى لفهم تدبر كتاب الله مفتاحان رئيسان:

المفتاح الأول: اللغة العربية ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فارتبط العقل والتدبر باللغة العربية. وآيات أخرى كثيرة.

المفتاح الثاني: هو صفاء الإيمان والتوحيد في القلب، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ وآيات أخرى كثيرة.

مداخلة الأستاذ محمد بن ناصر الأسمري

شكرًا جزيلًا، أحيّي الشيخ الكريم وأرحب به، أهلًا وسهلًا، هذه هي المرة الأولى التي نلتقي فيها؛ ونحسن الظنّ كثيرًا بالشيخ حسن وفقه الله، ونحمله على المحمل الحسن في منهاجه الذي اختاره منهاجًا وطنيًّا أصيلًا كريمًا، بات يحتذى في لمّ شتات بعض الأفهام أو السلوكيات أو الممارسات التي قد تؤثر على وحدة الوطن.

وهنا ... الشكر على ما يقوم به من عمل للتقريب بين وجهات النظر المتباينة، وأقدم له جزيل الشكر والتقدير على موقفه النبيل تجاه ما نشرته إحدى المجلات في الكويت من الطعن في شرف رسول الله ﷺ، وأعلي وأقدّر ما قام به فضيلة الشيخ جزاه الله خيرًا في الذبّ عن شرف رسول الله ﷺ، فجعل الله ذلك في ميزان حسناتك أيّها الرجل الكريم.

في الواقع إذا كان ما تحدثت عنه فقهًا، ولا شك أنه الفقه، هو فهم لما تدلّ عليه الحقيقة، ولا أحد يمتلك حقيقة مطلقة؛ لأنّ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، بما أوتي من الحكمة وهي ضالة المؤمن، يبحث عنها فأنى وجدها فهو أولى بها، وقد وجدنا فيما أدليت به اليوم شيئًا من الحكمة وشيئًا من الفطنة، ونراك رجلًا وطنيًّا إن شاء الله، تسير على منهاج سيبدد كثيرًا من الأوهام التي ربما عششت على مخيلات مجالنا الفكري، سواء في الطائفة السنية أو في الطائفة الشيعية، ولعلّي أشدّ على يديك كثيرًا، وأتمنّى أن يزيد هذا الطرح الذي تتميز فيه، صفاء المنهجية في الطرح من خلال أسلوب الإقناع بالحقائق التي هي ملك الجميع. وشكرًا جزيلًا.

مداخلة الأستاذ عبدالله السليمان

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآل محمد تسليمًا كثيرًا مزيدًا إلى يوم الدين، وبعد

لا شك أنّ أثر الخطاب الديني على أفكار المجتمع، وأثره في صياغة فكر الناس، هو المؤثر الأول في الفكر وفي تقويم السلوك، كما أشار إلى ذلك الشيخ في بداية الكلمة.

وهناك ملحظ بسيط وقد أشار إليه الدكتور في المداخلة الأولى، في قضية التفريق بين النص والخطاب، وما هو النص الذي يرجع إليه في فهم الخطاب، وهذا هو المحك الأول، وهذه هي القضية الأولى تقريب ما هو النص الذي يفهم من الخطاب.

الخطاب قد يكون ضعيفًا، وقد يكون باطلًا، ومن ثمَّ هل يكون لهذا النص القدسية التي أشار إليها الشيخ في البداية؟

هذا ما يحتاج إليه التجديد في قضية طرح هذا الدين وأثره على سلوك المجتمع.

لا شك أنّ الإسلام أعطى الإنسان المكانة العالية كإنسان، ولكنه أيضًا حطّ من قيمته عندما يتغيّر عمّا أمره الله عزّ وجلّ عليه، فهو الذي قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ هو الذي قال أيضًا في كتابه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فجعلهم سبحانه وتعالى أضلّ من الأنعام.

أشير إلى ما يتعلق بقضية النصوص وقد أشار إليها الشيخ في كتابه الذي وزع، في قضية عندما سئل عن النصوص التي في الكافي والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه وغيرها من النصوص التي تثير بعض القضايا، مثلًا انتقاص أهل السنة أو سبّهم أو إباحة قتلهم أو إباحة أموالهم أو غير ذلك.

ما موقفك من هذه الكتب؟

هل تتبرأ منها؟ هل تحذّر منها؟

فأجاب الشيخ بجواب، من ضمنه : أنه لا يتبرأ منها وإنما يحكم هذه النصوص بالتضعيف والتصحيح، وهذا هو المحك، تنقيح النصوص والنظر في صحيحها وسقيمها هو الذي يحتاج أن يطرح للناس، وإلّا فإنّ عوام الناس و كثيرًا من الناس يأخذ بهذه النصوص، ويعمل بمقتضاها، ظنًّا منه أنها نصٌّ مقدس لا يتطرق إليه النقاش، ولا يتطرق إليه المعارضة، كما أشار الشيخ فيما يتعلق بالنص، نعم النص إن كان نصًّا في القرآن أو نصًّا عن رسول الله ﷺ ثابتًا فلا شكَّ في ذلك، لكن عندما يأخذ بها من قلّ علمه أو ضعف علمه، هذه النصوص على علاتها ، ثم يقول: النص الشرعي كذا وكذا فهذه مصيبة، ولهذا يحصل ما يحصل من تفرق ومن اختلاف، ولو أنّ الأمة رجعت بأسرها إلى النصوص الصحيحة في القرآن الكريم، والثابتة عن رسول الله ﷺ لـ لمت شتاتها، ولعلم كلّ أحد أن الخلاف إن كان راجعًا عن اجتهاد وعن تحرٍّ وعن دراسة فهو لا يفسد للودّ قضية، لكن نعلم أنّ هناك من النصوص ما ينشر وما يوزع، وهذا يحزّ حقيقة في الخاطر، والشيخ له المسؤولية الكبرى في قضية التنبيه إلى مثل هذه القضايا، أريد أن أرى استنكارًا لبعض ما نشر في بعض المواقع كقضية ما نشر عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في مجلة المنبر، وهي مجلة تصدر في الكويت، مجلة شيرازية تتحدث عن أمّ المؤمنين بأنها أمّ المتسكعين، وأنها تسهر الليالي الحمراء،

وأنها تصطاد الشباب، وهذه توزع و تنشر.

نريد من أمثال الشيخ أن يعلنها صريحة مدوية..

بعض الكتب التي تباع في السوق السوداء، هذه بحاجة من الشيخ إلى خطاب ديني يوعي المجتمع، يبين للمجتمع أنّ هذا لا يتوافق مع الشريعة، أنّ هذا الكلام قد يصل إلى حدّ الكفر؛ لأنه الاستهانة بالرسول ﷺ واستهانة بالله عزّ وجلّ، حينها يكون العلماء على قدر من المسؤولية، وعلى قدر من توجيه المجتمع لهذه القضايا، نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبّ ويرضى.

الشيخ الصفار:

حينما تحدثت عن النص إنما أعني به النص الصحيح، أمّا النص غير الصحيح فهو خارج السياق، فالنص الثابت هو القرآن الكريم، وما صح من السنة، أمّا الروايات والأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، فهذا خارج مجال حديثنا، فحديثنا عن النص الثابت، هذا أولًا.

ثانيًا: سبق أن تحدثت في أكثر من موقع أنّ التراث الإسلامي عمومًا السني والشيعي والأباضي... إلخ فيه الغثّ والسمين، فيه الصواب والخطأ، فعلى الجيل المعاصر الأخذ بما ثبتت صحته من التراث، وما يفيدنا في حياتنا، أمّا ما يسبب لنا الاستمرار في الصراعات الطائفية والداخلية، فعلينا أن نتركه وأن نتبرأ منه، سواء كان في تراث الشيعة أو السنة، وقد تحدثت عن رأيي ورؤيتي عن هذا الموضوع في أكثر من مكان.

أمّا بخصوص وجود متطرفين في هذا الطرف أو ذاك، فهذا سيستمر، وقد تكون هناك جهات خارجية تغذي هذا التطرف، كما أنّ على العقلاء ألا ينشغلوا بما يطرحه المتطرفون، ممن ليس لهم علم ولا ثقافة، ويلقون كلامًا، فينشغل به العالم سنة وشيعة.

بالنسبة للمجلة التي أشار لها الأخ، أولًا: كان عندي موقف منها وقد صرحت

به، ونشر في الصحف السعودية والخليجية، ثانيًا: هذه المجلة لا تمثل جهة رسمية، وليس بيهنم رجل دين، بل رجال الدين في الكويت أصدروا بيانًا يستنكرون ما نشرته المجلة، وقد نشر في الصحف الكويتية، لكن بعض الصحف عن قصد أو غير قصد تنشر الحدث ولا تنشر الرد.

علينا ألا ننشغل بهذا الكلام، عندما أستمع لكلام من متطرف سني تجاه الشيعة لا أحوله إلى قضية، فأنشغل وأشغل الوطن به، وكذا إذا استمع السني لمتطرف شيعي، لا يعلم من دفعه، ومن خلفه، فلا بُدّ ألا ينشغل به، أقدّر حرص الأخ الكريم، فعرض رسول الله ﷺ لا يختص بطائفة دون أخرى، فهو نبينا جميعًا، وزوجاته أمهات المؤمنين، ولسنَ أمهات لطائفة دون أخرى، ولنأخذ درسًا من سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، فبعد أحداث (حرب الجمل) لم يَرْضَ أن توجه أيّ إهانة، أو كلمة جارحة لأمّ المؤمنين عائشة، بل احترمها وقدّرها وكرمها، فقد روي أنّ عليًّا قال لمحمد بن أبي بكر: «انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها». وقال له أيضًا: يا محمد «شأنك وأختك فلا يدنو أحد منها سواك»[1].

وقيل لعَلي ﷺ: إنَّ على الباب رَجُلين ينالان من عائشة، فأمَرَ القعقاع بن عمرو أن يَجْلِدَ كلَّ واحدٍ منهما مئةً، وأنْ يُخْرِجَهما من ثيابها[2].

فمن كان يدّعي أنه من شيعة علي، فعليه أن يقتدي بسلوك عليّ ﷺ، وإذا رأينا من أحد عكس ذلك فهو الدليل على أنه لا يتبع عليًّا، وإنما يتبع شيطان الهوى، أو شيطان الأجانب الذين يدفعونه لنشر هذه الفتن.

أكرّر مجدّدًا أنه أمام هذه التحديات الكبيرة التي تعيشها الأمة يجب ألا ننشغل بمراهق هنا، وشاب أهوج هناك.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٢، ص١٨٢.
(٢) تاريخ الطبري، الطبري، ج٣، ص٥٤٤.

مداخلة الدكتور منصور الحازمي

ليست لديّ مداخلة، ولكن عندي سؤال لشيخنا الشيخ حسن: قلتم إنّ المشكلة في الخطاب الديني، فما هو الفرق بين النص الديني والخطاب الديني، ومنذ متى بدأ انحراف الخطاب الديني عن مساره الصحيح؟ هل الانحراف بدأ في أيام الدولة الأموية والعباسية؟ أم هو حديث في العصور المتأخرة؟

الشيخ الصفار:

ما هو متيقّن أنّ الخطاب الديني العام في العهد النبوي، وفي عهد الخلافة الراشدة، كان سليمًا، متوافقًا مع الكتاب والسنة، وبدأت بذور الانحراف عندما دخلت الأمة في فترة الملك العضوض، أصبح هناك حاكم ليس برضى الأمة، وأراد أن يبرر وجوده واستمراره في الحكم وسياساته، فبدأ تشجيع ظهور بعض التفسيرات للنصوص الثابتة، فبدأت بذور خطاب إسلامي مختلف، إضافة إلى ظهور الفرق والاتجاهات في الأمة، بسبب الاختلافات التي جرت في التاريخ، فدعمت هذا المنحى، وكلّما تراجعت الأمة في التزامها وتمسكها بهدي الكتاب والسنة، نمت وازدادت بذور الانحراف في الخطاب الديني، إلى أن وصلنا إلى العصر الحاضر، وقد أصيبت الأمة بصدمة يوم أفاقت ونظرت لحالها وإذا بها في حالة من التخلف والتراجع، أمام التطور في الحالة الأوروبية، هذه الصدمة أوجدت حالة من التشدد في الخطاب الديني؛ خوفًا من الانهيار أمام هذا الغزو الأوروبي، حيث وجدت تيارات استسلمت لهذا الغزو، وأخرى رفضت حتى الإيجابيات التي أتتنا من الغرب، من هذا وذاك أصبحنا نرى خطابًا دينيًّا يشكو في معظمه من السوء والانحراف.

الأستاذ عمار الجراح (مداخلة مكتوبة):

ما هي آليات الإصلاح في الخطاب الديني؟

الشيخ الصفار:

سؤال جميل، آليات إصلاح الخطاب الديني تتمثل فيما يلي:

أولًا: حرية الفكر؛ لأنّ عدم وجود حرية للفكر والإبداع، وطرح الآراء، يحرمنا من الطرح الصحيح والرأي الناضج.

ثانيًا: رفض هيمنة الأجيال السابقة على النص الديني، والخضوع إلى فهم الأجيال السابقة، سواء كان عند الشيعة، أو عند السنة، أو عند باقي المذاهب الإسلامية، فحينما يصبح الفهم مقدّسًا وليس النص، هنا نقع في الإشكالية.

ثالثًا: الجهود الجمعية، فما عاد ممكنًا لشخص بمفرده أن يعبّر عن آراء الإسلام، ذلك أنّ الدين الخالد وما فيه من تراث كبير، نحتاج إلى مؤسسات وجهود جمعية تعبّر عنه، فكما نرى في المجتمعات الأخرى، في كلّ مجال من مجالات العلم والمعرفة هناك مؤسسات، وعمل جمعي، أمّا عندنا فكلّ فقيه وكلّ عالم يعمل بمفرده، معتمدًا على دراسته وتجاربه وفهمه الشخصي، بل بعض طلبة العلوم المبتدئين أصبح يأخذ لنفسه موقع إعطاء الفتوى وإعطاء الرأي.

إنّ وجود مؤسسات اجتهادية مرجعية علمية، يساعد كثيرًا على إنتاج خطاب إسلامي أقرب للصحة والانسجام مع مقاصد الدين.

كما أنّ فهم النص يتأثر بالحالة العامة التي تعيشها الأمة؛ لأنّ الإنسان ابن بيئته، فتحسن الوضع العام الذي تعيشه الأمة على المستوى السياسي والاجتماعي يساعدنا في فهم أفضل للنص الديني.

مداخلة الأستاذ إبراهيم غريب (مداخلة مكتوبة):

ألا ترون في ظلّ وجود هذا الواقع الذي تعيشه الأمة، وجوب مراجعة وفحص الروايات قبل اعتبارها نصًّا دينيًّا مقدّسًا لا يرقى إليه الشك؟ ثم ألا ترون أنّ القول

بصحة الحديث المروي هو مجرّد اجتهاد ورأي قابل للأخذ والرد، كالقول بأنّ كلّ ما جاء في صحيح البخاري صحيح؟

الشيخ الصفار:

لا شك أنّ باب الاجتهاد مفتوح، وخاصة عند بعض المدارس الإسلامية، حتى فيما يرتبط بصحة الحديث، لكن ضمن الضوابط المقررة علميًّا.

أمّا فيما نحن بصدده ـ قضية حقوق الإنسان ـ فهناك مبادئ وقيم أساسية ثابتة، فالمسألة ليست مرويات لنقول صحيحة أو غير صحيحة، إنّ كرامة الإنسان وقيمته، مقررة بالنص الواضح الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾، وإذا كانت بعض آيات القرآن الكريم تحتمل أكثر من وجه في الفهم ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فإنّ الآيات التي تقرّر مكانة الإنسان وقيمته وحقوقه من القسم الأول، من المحكمات، وليست من المتشابهات، لذلك يقول الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ وكما ترى هذا نص محكم صريح.

في موضوع حقوق الإنسان وكرامته النصوص واضحة وصريحة، أمّا النصوص التي يفهم منها غير ذلك فإمّا أنها نصوص ضعيفة، أو يوجد سوء فهم لها، أو أنها لا توضع إلى جانب بقية النصوص حتى يكون الفهم لها فهمًا كاملًا مستوعبًا.

مداخلة الأستاذ وليد إبراهيم العجاجي (عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أمّا بعد:

فمداخلتي في عدة نقاط، النقطة الأولى: أؤكّد على

ما قاله أخي عبدالله السليمان في قضية أنّ الإنسان مكرم ما آمن بالله عزّ وجلّ، أما بعد الانحراف عن دين الله فإنه يكون كالأنعام، والله عزّ وجلّ قد وصف الكافرين بأنهم: ﴿شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾، فالله عزّ وجلّ بعد خلق الإنسان قال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ فلما انحرف وكان له قلب لا يفقه به، وعين لا يرى بها، وأذن لا يسمع بها، قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

النقطة الثانية: إنّ وجود مخالفات لما عليه النص لا يعني أنّ ذلك كلّه واقع سيئ، بل في الواقع نماذج صالحة لهذا التطبيق، وبالتالي فإنه إذا التزم بدينه تحققت له آثار هذا التطبيق، بمعنى أنه لا يعني أنّ أداء العبادة ليس لها أثر في الحياة، إذا صلى الإنسان، وحسنت صلاته، فإنها ستنهاه عن الفحشاء والمنكر، ولها آثار دنيوية كالرزق، قال عزّ وجلّ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾، ومن آثار شرائع الإسلام هناك عقيدة الولاء والبراء، فإنها من عقائد أهل السنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، والولاء لا يعني ألّا تعاملهم وتحسن إليهم، كما قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، فالإحسان إلى الكافر المحبة والمودة، فهناك فرق بين الأمرين، ومن آثار الصيام التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ومن آثار الولاء والبراء الذرية الصالحة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾، فما رأي فضيلة الأستاذ؟

الشيخ الصفار:

بالنسبة إلى إنّ الإنسان مكرم إذا التزم بالدين، وإذا لم يلتزم بدين الله ليست له كرامة، هنا أختلف معك، فالآيات التي تلوتها تقول: ﴿إن شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لكن

نحن على المستوى التشريعي لا نتعامل معهم كدواب، فالذي لا يلتزم بشرع الله هل تتعامل معه أنت كما تتعالم مع الدابة؟ هل أنّ الشرع يأمر بذلك؟ حتى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ لا يترتب عليها أثر في التشريع، فالناس متساوون، المتقي وغيره، في الحقوق، والواجبات.

إلى ماذا يوجهنا الله سبحانه وتعالى كبشر؟ هل ليحترم بعضنا بعضًا على أساس كرامة الإنسان، أم لا؟

وقد ذكرنا سابقًا، أنّ الرسول ﷺ كان جالسًا مع أصحابه فتمرّ جنازة فيقوم ﷺ، فقيل له: يا رسول الله، إنّها جنازة يهودي!! فقال: أليست نفساً؟!

وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

إذًا، يجب أن نفهم هذه الآيات الكريمة في حدودها، ونفرق بين كافر جاحد بانت له الحقيقة ثم أنكرها، أو الكافر الظالم الذي يحارب ويعتدي ويقطع السبيل على الناس، هذا بحث، وبين من لم يقتنع لأنه لم تصله الدعوة، أو لأنّ لديه شبهة، أو لأسباب مختلفة، هذا لا نستطيع أن نسقط عنه الكرامة الإنسانية، ولو رجعنا لأقوال المفسرين حول الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ لرأينا المحققين منهم ينصّون على أنّ المستوى العام من التكريم للبشر ثابت، الدين يعتبر كرامة ورتبة إضافية.

ولا أعتقد أنّ أحدًا يتعامل مع غير المسلمين كما يتعامل مع الدواب استدلالًا بالآية الكريمة، هذا قد لا يكون فهمًا يتناسب مع بقية النصوص الدينية، وليكن عندنا اختلاف في الرأي لا بأس في ذلك.

محمد رضا نصر الله

وفي نهاية هذه اللقاء لا يفوتنا أن نشكر حبيبنا الأستاذ معن الجاسر الذي أتاح

(١) سنن أبي داوود، الخراج والإمارة والفيء (٣٠٥٢)، صحيح الشيخ الألباني في غاية المرام (٤٧١).

لنا اللقاء، وهذا المستوى من الجدل الإيجابي، وكذلك نشكر سماحة الشيخ حسن الصفار الذي عوّدنا دائمًا على مداولة الرأي في قضيا الإسلام المعاصرة بهذه الرؤية المتجددة، شكرًا له وشكرًا لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القلق من الآخر*

مقدم الندوة: يحيى أبو الخير

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين

أيّها الإخوة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحييكم وأرحب بكم باسم عميد هذا اللقاء، الأستاذ الدكتور راشد المبارك، وهذه الأحدية المباركة، في هذا اللقاء، اليوم بعنوان هو «القلق من الآخر» وقد كان عنواننا السابق «موقفنا من الآخر» فارتأى الشيخ حسن حفظه الله أن يكون العنوان أكثر تحديدًا من العنوان السابق، وهو العنوان الجديد المقترح الذي عرفته للتوّ، وهو القلق من الآخر.

محاضرنا في هذه الليلة هو فضيلة الشيخ حسن بن موسى بن الشيخ رضي الصفار، ولد في مدينة القطيف بالمنطقة الشرقية، من المملكة العربية السعودية، وتعلم القرآن الكريم ضمن الكتاتيب الأهلية في المنطقة، وتدرج في المدارس النظامية، وهو الآن يحتلّ موقعًا بارزًا في كثير من مجالات العلم والفكر والثقافة، وتجلّى هذا في عدد من المجالات كثيرة. في الحقيقة له أكثر من ١٠٠ كتاب في مختلف مجالات

* أقيمت الندوة بأحدية المبارك بالرياض التي يرعاها الدكتور راشد المبارك يوم الأحد ٢٧/ ١٠/ ١٤٣٢هـ الموافق ٢٥/ ٩/ ٢٠١١م.

المعرفة الدينية والثقافة، وترجم بعض منها إلى لغات أخرى، ومن مؤلفاته المطبوعة كأمثلة على ذلك «التعددية والحرية في الإسلام بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب، التسامح وثقافة الاختلاف رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات، والتنوع والتعايش، أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، هذا صدر منه تسع مجلدات، علماء الدين قراءة في الأدوار والمهام، فقه الأسرة، السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، صلاة الجماعة بحث فقهي اجتماعي، السياسة النبوية ودولة اللاعنف، شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين، المذهب والوطن مكاشفات وحوارات صريحة، ونشرت له العديد من البحوث والمقالات في المجلات العلمية، منها: مجلة الكلمة، ومجلة الواحة، ومجلة الحج والعمرة، والمنهاج، ورسالة التقريب، والوعي المعاصر، والحوار، وإلى آخره.

كما نشرت له الصحف اليومية مقالات أسبوعية منتظمة، منها: جريدة اليوم السعودية، وجريدة الوطن الكويتية، وجريدة الدار الكويتية، وجريدة الأيام البحرينية، وجريدة الوطن القطرية.

هو عضو بارز في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وفي الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وشارك في مؤتمرات للحوار الوطني في المملكة العربية السعودية، ومؤتمرات مركز الشباب المسلم في الولايات المتحدة الأمريكية، ومؤتمرات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالبحرين، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية السورية، ومؤتمرات إسلامية وعلمية مختلفة.

أسّس وقاد حراكًا اجتماعيًّا يهدف إلى تعزيز القيم الدينية، وتحقيق حقوق المواطنة والمساواة بين المواطنين، وتجاوز التمييز الطائفي، والإقصاء الثقافي والمذهبي، معتمدًا في ذلك على منهجية ذات علاقة بالعمل السياسي والإعلامي والثقافي، واستضافته عدد من القنوات الفضائية في برامج حوارية، لمناقشة قضايا مثل الحوار

المذهبي، والوحدة الوطنية، منها:

القناة السعودية الأولى، والقناة الإخبارية السعودية، قناة الجزيرة، قناة العربية، والبي بي سي، والمنار اللبنانية، والوطن الكويتية، والكوثر الإيرانية، والعالم الإيرانية، LBC اللبنانية، ودليل السعودية.

أنشأ ورعى عددًا من المؤسسات الثقافية والاجتماعية في مناطق مختلفة، والسيرة الذاتية طويلة، لكن نختصر حفاظًا على الوقت، حتى نستطيع الاستماع إلى فضيلته هذه الليلة في عنوان مهم، وهو: القلق من الآخر.

أطلب من فضيلته أن يتفضل مشكورًا بطرح أطروحته هذه الليلة، وبعد ذلك نفتح باب المداخلات، شكرًا لكم وشكرًا لفضيلة الشيخ.

الشيخ حسن الصفار:

سعادة الدكتور راشد المبارك، الإخوة الكرام جميعًا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين، وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

أسعد الله مساءكم جميعًا، وأني أحمد الله تعالى أن أتاح لي هذه الفرصة للقاء بكم، وللحديث معكم والاستفادة إن شاء الله من آرائكم وملاحظاتكم، حديثي تحت عنوان «القلق من الآخر» وسأتحدث حول ثلاثة محاور:

المحور الأول: سلامة العلاقات البينية في حياة المجتمع

المحور الثاني: حالة القلق والارتياب في العلاقات البينية

المحور الثالث: استشراف الحلول والمعالجات على الصعيد الوطني

المحور الأول: سلامة العلاقات البينية في حياة المجتمع

بإمكاننا أن نستشف ونستوحي من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾[سورة الفرقان، الآية: ٢٠].

أنّ العلاقات البينية هي ساحة من أهم ساحات الامتحان والتحدي أمام الإنسان في هذه الحياة، فالإنسان الذي ينجح في بناء علاقات سليمة مع الآخرين، كفرد أو كمجتمع، يكون إنسانًا ناجحًا في حياته، ويكون مرضيًّا عند الله سبحانه وتعالى، بينما الإنسان الذي يفشل في هذا الامتحان، وتكون علاقاته مع الآخرين غير إيجابية، علاقات سيئة، فإنّ ذلك يقوده إلى الفشل في هذه الحياة، ويعرّضه للحساب والعقوبة بين يدي الله سبحانه وتعالى، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ الإنسان يفتتن بمعنى يمتحن ويبتلى في هذه الحياة بعلاقاته مع الآخرين، ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أتلتزمون بالقيم والمبادئ في علاقاتكم مع الآخرين ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾، المسألة ليست مسألة ادّعاء ولا مسألة شعار، وإنما هي واقع يعلمه الله، ويطّلع سبحانه وتعالى عليه؛ لأنه تعالى على كلّ شيء رقيب.

ونحن نجد أنّ المجتمعات البشرية التي تقدمت كانت أرضية انطلاقتها وتقدمها سلامة علاقاتها الداخلية، فالمجتمع الإسلامي حينما انطلق على يد رسول الله ﷺ إنما بدأ من هذه الأرضية، كما يقول الله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

حالة الأخوة التي حصلت، وتنقية العلاقات بين تلك القبائل التي كانت متصارعة متحاربة، كانت هي نقطة الانطلاق في بناء المجتمع الإسلامي، الذي أصبح مجتمعًا رائدًا في عصره آنذاك.

والمجتمعات الأوربية أيضًا كانت نقطة انطلاقتها بعد الثورة الفرنسية، الانطلاق من وثيقة حقوق الإنسان، التي تنظم العلاقات بين أبناء المجتمع ومكوناته. انطلقوا

من مسالة الالتزام بحقوق الإنسان فيما بينهم، واستطاعوا أن يحققوا النهوض والتقدم.

وكلّ مجتمع من المجتمعات البشرية، لا يستطيع أن يتقدم وأن يعيش حالة الاستقرار والأمن الداخلي ما لم تكن العلاقات البينية الداخلية فيه علاقات سليمة.

وهذا ملحوظ حتى على الصعيد الشخصي، فإنّ علاقات الإنسان مع محيطه، داخل عائلته، ومع زملائه في المؤسسة التي يعمل فيها، كلما كانت تلك العلاقات سليمة إيجابية كانت حياته أقرب إلى النجاح، وأداؤه أقرب إلى التقدم، هذا أمر واضح لا يحتاج إلى برهنة واستدلال.

وعلى المستوى الديني نرى في النصوص الدينية التأكيد على مسألة علاقات الإنسان بمن حوله، وبالآخرين، وأنّ هذه المسألة تعتبر قضية محورية في الدين، علاقتك مع الآخرين ليست موكولة إلى أهوائك، وإلى مزاجك، وإلى مصالحك الآنية.

إنّ الله سبحانه وتعالى يوجب عليك أن تنطلق في علاقاتك مع الآخرين من أسس سليمة، ووفق مبادئ صحيحة، ولذلك فإنّ رسول الله ﷺ كما روى أنس رضي الله عنه قال: (الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر، فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد، فيقتصّ الله بعضهم من بعض)[1].

إذًا على المسلم كما يهتم بصلاته وبصومه وبعلاقته مع الله سبحانه وتعالى، أن يهتم بعلاقته مع الآخرين، فذلك من صميم حسن علاقته بالله سبحانه وتعالى، وإذا أساء الإنسان للآخرين في علاقاته فإنه، وإن كان كثير الصلاة والصيام، فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يرضى منه ولا يقبل منه ذلك، وقد ورد عن رسول الله ﷺ التحذير من إساءة العلاقة حتى مع المخالف في الدين (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، حديث١٩٢٧.

طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[١] نكتفي بهذا القدر من الحديث في هذا المحور الأول، وهو أهمية سلامة العلاقات البينية.

المحور الثاني: حالة القلق والارتياب في العلاقات البينية

بالتأكيد فإنّ الإنسان يتأثر في علاقته مع الآخرين بانطباعاته عنهم، إذا كانت له ثقة واطمئنان بالآخر، فإنّ ذلك يكون أرضية لحسن علاقته مع الآخر، أما إذا كانت صورة الآخر عنده قاتمة سوداء، فإنّ ذلك يؤسّس لحالة من القطيعة، قد تقود إلى الصراع والاحتراب، ولهذا فإننا على الصعيد الديني نجد التركيز على حسن الظن بالآخرين يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[سورة الحجرات، الآية: ١٢].

وورد عن علي ﷺ أنه قال: «سوء الظن يفسد الأمور ويدفع إلى الشرور»[٢].

قد تكون هناك أسباب تُوجد في نفس الإنسان خيفةً وتوجّسًا من الآخر، هذه الحالة ينبغي أن تسلط عليها الأضواء، ونحن نريد أن نتحدث عن هذه الحالة في العلاقة بين الفئات حينما يكون المجتمع متكونًا من شرائح متنوعة متعددة في أعراقها، أو قومياتها، أو أديانها، أو مذاهبها، أو توجهاتها المختلفة. وغالب المجتمعات البشرية كذلك، فكيف تكون العلاقة بين هذه المكونات؟ قد تكون علاقة سليمة فيها انسجام ووئام وتعاون، وقد تكون علاقة سيئة، فيها صراع أو قطيعة.

حالة القلق والارتياب لها دور كبير في التأسيس للعلاقة غير الإيجابية، إذ حينما تتوجس جماعة من جماعة أخرى خيفة على وجودها، وعلى مصالحها فإنّ هذا القلق يؤسّس لعلاقة غير سوية، هذه الحالة عانت وتعاني منها مختلف المجتمعات.

---

(١) سنن أبي داود: في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث٣٠٥٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٢٩، كلمة ٩٢.

ولكن لماذا تكون حالة القلق موجودة بين هذه الفئة وتلك؟

إذا قرّبنا الصورة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية، نرى أنّ هناك أسبابًا أوجدت حالة القلق، ودفعت ببعض مجتمعاتنا إلى حالة الاحتراب والنزاع، وفقدان الأمن والاستقرار، ومن الأسباب التي يمكن ذكرها على هذا الصعيد ما يلي:

السبب الأول: تأثير التاريخ

كلّ مجتمع من المجتمعات يتأثر بتاريخه الماضي، ولكن بعض المجتمعات يتعاظم تأثير التاريخ على واقعها، نحن كمجتمع عربي إسلامي لنا تاريخ لا نستطيع أن ننفصل عنه، ولكن كيف نتعامل ونتعاطى مع هذا التاريخ؟ كأيّ تاريخ بشري علينا أن نستفيد من تجارب أمتنا، ونأخذ من تاريخنا ما يفيد لبناء حاضرنا، ولتحقيق التقدم في واقعنا ومستقبلنا، ونترك الجوانب السلبية السيئة، لكن الذي حصل ويحصل أن أمتنا بمختلف مذاهبها وتوجهاتها غارقة في التاريخ، متأثرة بأحداثه السابقة، لا نزال نتعاطى مع ما حدث قبل قرون من الزمن وكأنه للتوّ يحدث ويحصل في واقعنا. الأمم الأخرى أيضًا في تاريخها صراعات ونزاعات كالمجتمعات الأوربية، فقد عاشت قرونًا من الصراعات والخلافات، وإلى ما قبل أقلّ من قرن من الزمن حصلت في داخلها حروب مدمرة كبيرة، كالحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وما سبقها من حروب دينية بين مذاهبها، كحرب المئة عام، وحرب الثلاثين عامًا، لكن هذه المجتمعات تجاوزت آثار الماضي، وأصبح التاريخ مجرد مجال للدراسة والاعتبار، أما نحن كمسلمين ما زلنا نتفاعل مع الصراعات والأحداث التاريخية، لذلك فإنّ كلّ فئة من الفئات تنظر إلى الفئة الأخرى وهي تستحضر تاريخ الصراعات الماضية السابقة معها، ذكروا أنّ أحد الناس حينما قربت وفاته أوصى أبناءه بأن يدفنوه إلى جانب خصمه، وقال لهم اجعلوا قبري إلى جانب قبره، بشرط أن تكتبوا على قبري: إنّ هذا القبر المجاور لرجل ظالم فاسق غاشم!!

السبب الثاني: التراث الثقافي

في تراثنا الثقافي نعاني كثيرًا من أنّ هذا التراث متأثر بالبيئة التي كتب فيها، ونتج عنها، ولذلك فيه الكثير من السلبيات، وهذا ينطبق على مختلف الطوائف والمذاهب، نحن لا ننادي بتجاهل هذا التراث ففيه كثير مما يفيد، ولكننا يجب أن نغربل هذا التراث، هذه المرويات الموجودة في النصوص التاريخية، أو المرويات في نصوص السنة النبوية، أو فيما يروى عن الأئمة والصحابة والتابعين، هذه المرويات ينبغي أن نخضعها للتمحيص وللغربلة، لكننا نعاني من حالة من التشبث والتمسك بكلّ ما في هذا التراث، وخاصة في جانب العلاقات بين الأطراف والفئات، مع علمنا ويقيننا أنه ليس كلّ ما في التراث صحيح.

نحن نرى حتى في الأحداث الحاضرة، يقع حدث تتناقله وكالات الأنباء بصور شتى، المراسلون أو المشاهدون للحدث ينقلونه بصور مختلفة.

اليوم كان يحدثنا الدكتور مرزوق بن تنباك: أنه تحدث أمام طلبته في الجامعة عن موضوع، وبعد أسبوع طلب منهم أن يلخصوا له ما تحدث لهم به قبل أسبوع، فذكر أنّ ٢٩ طالبًا منهم تحدثوا بخلاف ما تحدث به حيث لم ينقلوا فكرته بشكل سليم، والبعض منهم أضاف وأنقص، لم يجد نقلًا قريبًا مما تحدث به إلّا من أربعة أشخاص.

هذا أمر نراه في الأحداث الواقعة الآن مع وجود وسائل التوثيق، والأحداث تحصل على المكشوف، هناك تصوير وتوثيق ومع ذلك نرى الاختلاف في نقل الأحداث وفي ذكر تفاصيلها، فكيف لنا أن نثق بكلّ مرويات التاريخ وما ورد في هذا التراث؟

لكنّ المصلحين والواعيين يواجهون داخل طوائفهم وجماعاتهم معاناة شديدة في الاعتراض على بعض ما في هذا التاريخ، وفي هذا التراث.

السبب الثالث: الخلل في الواقع القائم

كلنا ندرك أنّ معظم مجتمعاتنا العربية والإسلامية لا تعيش في ظلّ أنظمة تحقق

مفهوم المواطنة، وتمارس الحكم بالعدل والمساواة بين المواطنين، على اختلاف أعراقهم وقومياتهم وأديانهم ومذاهبهم، هذا الخلل في الواقع القائم هو من الأسباب الرئيسة الدافعة للمشاكل البينية؛ لأنّ الجهة التي تكون في موقع الغلبة والهيمنة تتعامل مع الجهات الأخرى بمنطق التعالي، مما يدفع للاعتداء على حقوق الفئات الأخرى، التي تشعر أنها في موقعية المهمّشين والمحرومين، فتجتر الغبن، وتعيش حالة الشعور بالمظلومية، وتتحيّن الفرصة من أجل أن تحقق الإنصاف والعدل لنفسها، وفي بعض الأحيان قد تستعين كلّ جهة بظهير من الخارج ينصرها على الفئة الأخرى، وهذا ما يفتح الباب والمجال أمام النفوذ والتدخل الأجنبي، وهذا ما رأيناه في واقع حياتنا السياسية المعاصرة.

السبب الرابع: العنصر السياسي

هناك أطراف وجهات سياسية، من أجل أغراضها ومصالحها، سواء إن كانت من داخل الأمة أو من خارجها تثير حالة القلق والخوف عند كلّ فئة من الأخرى. بعض الزعامات في داخل طوائفها ومجتمعاتها من أجل أن تحقق حولها التفافًا، فإنها ترفع لواء المظلومية لجماعتها، وتثير قلقهم من الطرف الآخر، وتبرز نفسها باعتبارها حامية لمصالح ومستقبل جماعتها وطائفتها، والطرف الآخر أيضًا قد يقوم بشيء من هذا القبيل، ليس فقط على صعيد التنوع المذهبي، حتى على صعيد التنوع القومي، رأينا الأمر مثلًا فيما بين الأكراد والعرب في العراق، وبين الأكراد والأتراك في تركيا، وبين الأكراد والفرس في إيران، وكذلك فإنّ هناك عنصرًا خارجيًّا.

نحن لا نريد أن نجعل الخارج مشجبًا لكلّ مشاكلنا وسلبياتنا، ولكننا لا نشك في أنّ الآخرين يستفيدون من هذه الثغرات، لهم أطماع في بلداننا، وحينما يجدون أنّ هناك أرضية من أجل أن يمتدوا بنفوذهم وهيمنتهم إلى مناطقنا عبر إثارة المخاوف فإنهم سيقومون بذلك.

ونرى الأمر واضحًا في العراق، مع أنّ الأمريكان لديهم اتفاقية مع الجانب العراقي

لخروج قواتهم في وقت محدد، ولكن كلما قرب الوقت فإنّ من مصلحتهم أن يثيروا مخاوف كلّ فئة من الأخرى، حتى يكونوا هم الضامن، ويكون وجودهم مطلوبًا من مختلف الجهات، أو من معظم الجهات والأطراف، وهذا ما نراه واقعًا.

المحور الثالث: استشراف الحلول والمعالجات على الصعيد الوطني

نشاهد أنّ بعض بلداننا العربية والإسلامية وهي تعاني من هذه الصراعات والنزاعات، وصلت إلى حدّ الاحتراب الأهلي، وأخيرًا وصل بعضها إلى مستوى إعلان الانفصال كما حصل في جنوب السودان قبل شهور، ولا تزال مختلف البلدان الإسلامية أو معظم البلدان الإسلامية التي تتنوع فيها المكونات، تعيش حالة من القلق والتوجس، وهو يؤسّس لتطورات سلبية.

حتى البلدان التي ليس فيها الآن نزاع واحتراب إذا ترك لهذه الحالة أن تستمر، وأن تنمو وتُغذى فإنها، لا سمح الله، قد تصل في يوم من الأيام إلى ما وصلت إليه البلدان الأخرى، لذلك نحن مطالبون ومعنيون من أجل الحفاظ على وحدة أوطاننا، وسلامة أمن مجتمعاتنا، أن نتوقف عند هذا الأمر، ونسلط عليه الأضواء، فإذا كانت هناك حالة من القلق والتوجس بين هذا المكون والمكون الآخر، لا يصح لنا أن نتجاهل هذه الحالة، أن نتركها للزمن فقد تنمو وقد تنفجر في يوم من الأيام، وخاصة على صعيد واقعنا الوطني، ونحن نحتفل هذه الأيام بذكرى اليوم الوطني المجيد، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم لوطننا الأمن والإيمان، وأن يدفع عن وطننا وعن أوطان المسلمين والبشرية جمعاء كلّ مكروه.

نحن مطالبون بألّا نتجاهل هذه الحالة، وألّا نتركها تنمو وتنميها العوامل السلبية المختلفة، علينا أن نستشرف الحلول والمعالجات إذا كانت هناك هذه الحالة من القلق، وأتحدث على المستوى العام في الأوطان المختلفة، ما هو الحلّ الذي نستشرفه؟ هل الحلّ أنّ كلّ مكون ينفصل ويستقل بنفسه كما حصل في جنوب السودان؟ لا أعتقد أنّ عاقلًا غيورًا يفكر في هذا الحل، أوطاننا نحن نشعر بأنها مجزئة، ونتمنى أن نعيش

وحدة عربية، وحدة إسلامية، جزئت أوطاننا لأسباب مختلفة فكيف نقبل أن يجزأ المجزأ، وأن يقسّم المقسّم؟

إنّ هذا الجيل المعاصر يتحمل مسؤولية تاريخية كبيرة، لا يصح لنا أن نسكت وأن نقبل بأن تستمر هذه المشاريع الانفصالية التقسيمية، ولا نشك بأنّ هناك من يغذي هذه التوجهات، ويتكلم عنها بصراحة وتنشر بعض الدعوات من هنا وهناك، لا أعتقد أنّ هذا الحلّ هو الحلّ الذي يتمناه أيّ عاقل، ثم لو استقلّ كلّ مكون بذاته، فإنّ هذه العقلية لن تبقى أيضًا ضمن هذه الحدود، لو قلنا إنّ الأكراد يستقلون في وطن خاص لهم مثلًا ، لكن الأكراد أنفسهم هم ليسوا اتجاهًا واحدًا بل في داخلهم خلافات وصراعات، والآن في شمال العراق بين الأكراد هناك صراعات. إذًا فيما بعد سنواجه مشكلة بين الأكراد أنفسهم، وفي داخل السنة أنفسهم، وفي داخل الشيعة أنفسهم، كلّ مكون من المكونات إذا استمرينا في هذه الحالة فإنّ الاحتراب والانقسام لن يبقى في دائرة معينة.

الحلّ الآخر: هو المراهنة على إلغاء هذا المكون أو ذاك، وهو ليس حلًّا معقولًا ولا ممكنًا وخاصة في هذا العصر، لا يستطيع مكون أن يلغي المكون الآخر.

الحلّ الثالث: استمرار حالة النزاع والصراع، وكلّ العقلاء يتفقون على رفضها، وعلى عدم قبولها، فلم يَبْقَ أمامنا إلّا البحث عن حلول صريحة، من أجل معالجة هذا القلق إذا كان موجودًا في هذا المجتمع أو ذاك، وهنا أتحدث عن بعض الحلول والمقترحات التي تبدو لي، وأرجو أن أستفيد من آراء الأساتذة الكرام والإخوة الأعزّاء.

أولًا: الاهتمام بالمشكلة وعدم تجاهلها

ينبغي أن نناقش هذا الموضوع، وأن يكون محلّ بحث ودراسة، نحن في الغالب نتجاهل كثيرًا من مشاكلنا، ولا نودّ أن نعترف بأن لدينا مشكلة، ونريد دائمًا أن نقول كلّ شيء على ما يرام، وقد نتسابق ونتبارى في الحديث بشكل إيجابي عن أوضاعنا

وواقعنا، لكن هذا الاسترسال في هذه الحالة النرجسية الحريرية، والآمال الخادعة، لا تؤدي إلى نتيجة سليمة.

نحن رأينا في بلادنا أنّ بعض المشاكل كانت قائمة ولكن لم تكن هناك جرأة للحديث حولها، ولكن الحمد لله في الفترة الأخيرة أصبحت مثار حديث ومدار بحث، وبالتالي يمكن استشراف حلول ومعالجات لها، في الماضي ما كان يمكن الحديث عن مشكلة الفقر في بلادنا على أساس أننا نعيش ثراءً، وبلدنا بلد الخير، والحكومة ليست مقصّرة، كان هذا هو الحديث السائد، والحمد لله كانت مبادرة من القيادة السياسية، فخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله، يوم كان وليًّا للعهد قام بزيارة لأحد الأحياء الفقيرة في الرياض، وسلطت عليها الأضواء، وتحدث عن موضوع الفقر، وأمر بإنشاء صندوق للفقر، فبدأ الحديث عن هذه المشكلة، قبل ذلك كان هناك توجس من بحث هذا الموضوع.

كذلك مشكلة التطرف ومشكلة التكفير والتشدد، في الماضي ما كان يمكن طرحها بشكل علني، لكننا نرى الآن كيف أصبحت مدار بحث ونقاش، وفي هذه الأيام هناك مؤتمر لبحث موضوع التكفير، في الماضي كان كثيرون يلاحظون أنّ هناك مشكلة، لكن لم يكن هناك الجرأة في بحث هذه المشكلة، ولا نريد أن نظهر وكأنّ هناك عيبًا في مجتمعنا، إنه ليس هناك مجتمع بشري ليس فيه مشاكل، كلّ المجتمعات حتى أرقى المجتمعات فيها مشاكل، لكن الفرق أنّ المجتمعات الأخرى تعترف بالمشكلة، وتتلمّس لها الحلول، ونحن نسكت عن المشكلة حتى تتفجر.

اعتقد أنّ مسألة العلاقات البينية مشكلة قائمة، قد نختلف في تحديد مستوياتها ولكنها مشكلة، وما إعلان الحوار الوطني، وإقامة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، إلّا انطلاقًا من الشعور بوجود هذه المشكلة. ولا ينبغي أن يجري البحث عنها والحديث حولها في الظلام، وسرًّا، خلف الكواليس، علينا أن نكون صريحين وجريئين في مناقشة مختلف الهواجس الموجودة عند هذه الفئة أو تلك، وتلمّس

المعالجات، وخاصة على مستوى القيادات السياسية والفكرية والاجتماعية.

ثانيًا: معالجة مواقع الخلل

ينبغي السعي لمعالجة الخلل القائم في العلاقة بين هذه الفئات على المستوى الوطني، بحيث تتعزز حالة المساواة، ولا يشكو أحد من تمييز أو تهميش، ولا يكون هناك شعور بالغبن، بل يشعر الجميع بأنهم متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات، وهنا من حقّ أيّ جهة أو فئة، إذا كانت تعتقد أنّ هناك انتقاصًا لبعض حقوقها، أن تتحدث عن ذلك، لماذا نعتبر أنّ حديث فئة عن وجود نقص أو مشكلة لديها نعتبره جرمًا أو لا نقبل الحديث فيه؟ علينا أن نقبل وأن نبحث الموضوع، وإذا وجدنا أنّ له حقيقة نعالجه.

ثالثًا: ثقافة التسامح

مهمٌّ أن ننشر ثقافة التسامح والاحترام المتبادل، في مقابل هذه الثقافة التحريضية التعبوية، التي أصبحنا جميعًا متورطين فيها، هذه الفضائيات التعبوية التي تنشر غسيل تاريخنا وتراثنا، من الشيعة أو من السنة، من هذه الفئة أو تلك، تقوم بدور سيئ بغيض، وعلينا أن نرفع الصوت عاليًا ضدّ هذا الضجيج التعبوي.

من المؤسف أنّ صوت الواعين الغيارى على الوطن هو الصوت الأضعف، بينما التحريضيون التعبويون، الذين يعيشون على إثارة هذه النعرات يرفعون أصواتهم، ويتحدثون بكلّ قوة وثقة، عبر الفضائيات ومواقع الإنترنت وعبر مختلف المنابر الدينية التي تشمل مختلف الطوائف والمذاهب.

رابعًا: التواصل والتداخل

لا بُدّ من تشجيع حالة التواصل والتداخل في المشاريع الوطنية العامة، التي تنفع وتفيد الجميع؛ لأنّ الناس كلما تواصلوا وتعارفوا تآلفوا، وتعزّزت حالة الثقة فيما بينهم، حالة الفرز التي تريد بعض الأطراف تعزيزها في مجتمعاتنا بحيث يكون لكلّ

طائفة وجماعة عالمهم الخاص، مؤسساتهم الخاصة، ونشاطهم الخاص، هذا واقع خطير! لقد أصبحت أوطاننا تعاني من هذه الحالة وهي خطر كبير، ولا يمكن تجاوزه إلّا بإبراز المشاريع الوطنية العامة، والتفكير في الإصلاح على المستوى الوطني العام، وهو الذي يستطيع أن يضع حدًّا لهذه الطروحات الطائفية والمناطقية والقبلية والعرقية في مختلف بلدان ومناطق المسلمين.

أكتفي بهذا الحدّ من الحديث، وأرجو أن أستفيد من آراء الأساتذة الأعزّاء، والإخوة الكرام، وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المقدم: يحيى أبو الخير

تحدث فضيلة الشيخ حسن عن محاور ثلاثة:

الأول: سلامة العلاقات البينية في المجتمع

الثاني: حالة القلق والانهيار في العلاقات

الثالث: استشراف الحلول والمعالجات على الصعيد الوطني، فالمجتمعات المكونة من شرائح ومذاهب وتوجهات تحتاج إلى حالة من الانسجام، بدل حالة القطيعة أو النزاع، فحالة القلق وحالة القطيعة تؤسس لعلاقات غير سوية بين افراد المجتمع.

الشيخ حسن الصفار:

إننا أمة واحدة، نتفق على أن الصلاة خمس فرائض، إذا صلينا نصلي متجهين إلى القبلة، ونتفق على عدد ركعات الصلاة، ونتفق على....

إننا نتجه إلى القبلة، ونتفق على عدد ركعاتها، ونتفق على أركانها الرئيسة، ونختلف، هذا يسبل يديه وهذا يتكتف، هذا يجهر بالبسملة وهذا لا يبسمل، هذه فرعيات، وكذلك في الصوم والحج قضية الأهلة، واضح أنّ المسألة لم تعد مسألة مذهبية،

الاختلاف في إثبات هلال شهر رمضان، أو هلال شهر شوال، لأنّ السنة يختلفون في داخلهم، والشيعة أيضًا يختلفون في داخلهم، وإنما المسألة ترتبط بموضوع آخر، فإنّ ما نتفق عليه هو أكثر، وأهم مما نختلف فيه، لكننا نحتاج إلى أن نمتلك إرادة الالتفاف حول المشتركات، في الغالب حينما نلتقي نهتم بما نختلف فيه، وحينما يذكر الشيعي السني ينظر إليه من زاوية ما يختلف معه فيه، وكذلك حينما يذكر السني الشيعي، لو استطعنا أن نقبل أو نطبق ما أمرنا الله تعالى به في التعامل والتخاطب مع أهل الكتاب يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ أن نبحث عن المشتركات، وأن ننطلق منها، وأن نفسح المجال أمام الاختلافات في الاجتهادات في الجوانب الفرعية؛ لأنّ هذه طبيعة حياة البشر، أكتفي بهذا القدر من التعبير.

طلاع العمودي:

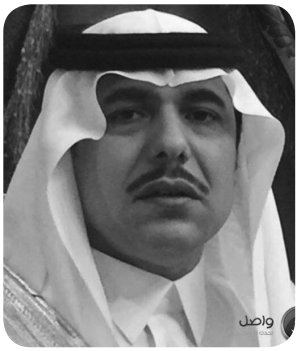

شكرًا فضيلة الشيخ على المحاضرة القيمة، وأتوقع يا شيخ أنّ المشكلة بين المذهبين تحوم حول المتشددين من المذهبين، ونحن نشاهد القنوات، هناك أُناس تؤجج الصراع إلى ما يستطيعون، لكن من الجانب الآخر لا نجد من يقف في وجوههم من المتسامحين المدركين للأمور، يعني قلّ أن تجد من يقول لهم أنتم مخطئون يا جماعة الخير، وأنكم تشعلون النار بين المذهبين، وفعلًا فإنّ الخلافات كما قال الشيخ خلافات بسيطة، حتى إننا غير متخصصين بالأمور الدينية لكن ندري أنّ الخلافات في القشور، وشكرًا.

الدكتور عصام مكاوي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. أنا أشكر أستاذي المحاضر على هذه المحاضرة القيمة، وأنتقل مباشرة إلى استشراف الحلول. في الواقع أبدأ من الآية القرآنية عندما يخاطب سيدنا نوح قومه

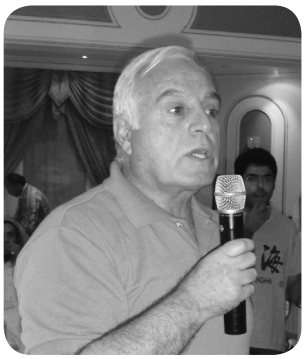

قال: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي.....﴾ أي إنّ الإلزام في الدعوة حتى في الدين غير مطلوب وغير مرغوب، ومن هنا أنطلق إلى ما تفضلت به في موضوع الاستشراف للحلول: أنّ هنالك حالة من الاستقطاب بين الفرقاء، ونحتاج إلى تفكيك هذه الحالة من القطبية أو الاستقطابية، ولكننا نحتاج عوضًا عنها إلى حالة تعويضية. الحالة التعويضية هي التي تنقل الاستقطاب من طرف مقابل طرف آخر إلى طرف واحد، يكون طرفًا يجمع الفرقاء، ولذلك نقول كما قال الإمام الشاطبي: «تعظيم الجوامع واحترام الفروق»، إذا وصلنا إلى هذه الحالة، ننتقل إلى ما يسمى استراتيجية المقاربة، ونعنى فيها أنّ نعظم من الجوانب الإيجابية والربح في الحوار، ونقلل الخسائر، وهي ما نطلق عليها من نظرية الربحية، أن يشعر كلّ فريق بأنه رابح، وبأنه ليس هو الطرف الخاسر؛ لأنه عندما أسّسنا إلى ما يسمى الحوار المذهبي، أو الحوار الديني، تحول هذا إلى ما يسمى نوعًا من المجادلة، ولا نقبل المجادلة التي تعني الفرقة بين الأطراف المعنيين، لذلك أنا أعتقد أنه من الواجب أنّ أيّ طرفين بينهما اختلاف أن يجلسوا للحوار، ويصلوا إلى ما يسمى نوعًا من التوافق، ولكن الذي نعيشه في مجتمعاتنا الحالية، أنّ الإرادة يجب أن تكون إرادة جمعية، وليس إرادة فردية؛ لأنّ مناط التكليف في الدين هو مناط فردي، ومناط جماعي، ما يقوم به الفرد تقوم به الجماعة، وما تقوم به الجماعة لا يقوم به الفرد وذلك لمسؤولية الجماعة ككل، وشكرًا.

علي شعبان:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طبعًا في مداخلتي أتكلم عن فترة في حياتي في ظلّ الصراعات الموجودة، أسئلة كثيرة تجول في ذهن أيّ واحد عاش وسط الصراع، أديان مختلفة، من بالجنة؟ من في

النار؟ كيف أتعامل مع هذا الآخر؟ أحد الكتب التي حققت لي نوعًا من الاطمئنان، أو فتحت لي مدارك في التفكير في هذه الأمور، هو كتاب للفيلسوف الإيراني عبدالكريم سروش (الصراطات المستقيمة) يمكن التعبير يجعل الناس تتوقف عنده، سمعنا عن الصراط المستقيم لكن، هل هناك صراطات مستقيمة؟ هل بالفعل هناك أكثر من طريق يؤدي إلى نفس الهدف؟ من الفصول التي شدّتني في هذا الكتاب هو عندما تحدث عن الأديان المختلفة ومحاولتها الوصول إلى الله سبحانه وتعالى، نجد داخلنا حتى المذاهب أو الأديان غير السماوية التي ننظر لها أديانًا وثنية، هي اجتهاد للوصول إلى خالق هذا الكون، هي محاولة لإيجاد الأجوبة عن هذا السؤال الفطري الموجود.

وفي الأخير هناك في مقالة للأستاذ عبد العزيز السويد حول تصور الناس لربّ العالمين سبحانه وتعالى، كما تعرفون أوقف الكاتب، وأوقف رئيس التحرير، رغم أنّ المقالة لا أجد أنها تحمل شيئًا من الكفر، ننظر إلى المسلمين لم يتفقوا حتى الآن، هناك اختلافات حتى في التصور حول صفات الله سبحانه وتعالى، هناك من جسّم، نأتي إلى الهندوس أو البوذية حقيقة كنت أبحث عن شيء داخل هذا الدين، حول تصور قريب لتصور المسلمين حول ربّ العالمين، الرّب الأوحد الخالق الذي لا شريك له، وجدت نوعًا من هذه العقيدة حتى داخل الهندوس، هناك كما يسمى ربّ الأرباب، الإله غير المنظور، وصلوا إلى شيء قريب، حقيقة هذا الكتاب جعلني أنظر نظرة أقلّ حدة في اتجاه الآخر، عما كنت عليه قبل أن أقرأ الكتاب، ثم نحن نحاول أن نصل للمشتركات، لأحاول أن أكون قريبًا من فلان أو قريبًا من فلان، أنا أعتقد حتى هذه العقيدة، لماذا يجب أن يكون هذا الشخص مؤمنًا بالله حتى يكون علاقتي فيه علاقة طيبة، علاقة جوار، علاقة صداقة، علاقة شراكة في الوطن، كثير من يركز أنّ المجموعة هذه ليس هناك الكثير من المشتركات معها، أنا أعتقد هذا الموضوع غير مهم البتة.

شيء آخر أريد أن أركز عليه: كيف نقدم الآخر؟ هل نقدّم الآخر بصورة طيبة؟ من منا يملك الجرأة؟ مواطن شيعي في مجتمع شيعي، يجد رجل الدين يركب على المنبر، ويهاجم اليهود النصارى، يهاجم مذهبًا إسلاميًّا مخالفًا له، من يجد في نفسه الجرأة لإيقاف هذا الشخص، وفي المقابل أيضًا في المجتمعات الأخرى من يملك الجرأة ليوقف هذا التكفيري الذي على المنبر يهاجم الآخرين ويوقفه عند حده؟.

الشيخ حسن الصفار:

ما تحدث به الإخوان إضاءات مفيدة وجيّدة نستفيد منها، الأستاذ الكريم طلاع العمودي تساءل أين أصوات المعتدلين؟ أنا اعتقد أنّ أصوات المتطرفين هي الأقلّ لكنها أعلى طبيعة الناس وطبيعة المجتمع هكذا، نحن الآن في هذا اللقاء إذا تحدث عشرة أشخاص بشكل إيجابي وجيد يكون أمرًا طبيعيًّا عاديًّا، لكن إذا شخص تجاوز الحدود سيكون هو القصة التي تنقل، وهو الموقف الذي يبقي في الأذهان، أنا أشعر بالتفاؤل وأعتقد أنّ الوضع الآن على صعيد تبلور الأفكار الوحدوية، ونضج القناعات الوحدوية التسامحية، أرى أنّ مساحتها أوسع في واقع الأمة، فضائيات كثيرة معتدلة، والمتحدثون كثر، وكتابات كثيرة، ومواقع أيضًا كثيرة، لكنّ المتطرفين على قلتهم أصواتهم أرفع؛ لأنها هي التي تزعج، وهى التي تلفت الأنظار والانتباه.

أؤيد أيضًا ما ذكره الأخ الكريم الدكتور عصام مكاوي بأننا نحتاج إلى أن نهتم بالجوامع المشتركة في الاستقطاب نحو ما يجمعنا، وأعتقد أنّ هناك مشتركات كثيرة تجمعنا في الدين، وهناك المصلحة الوطنية، وقضايانا التي نعيشها في وطننا تجمعنا، حينما نتحدث عن الأمور الاقتصادية والأخلاقية والقيمية في المجتمع، حينما نتحدث عن التنمية، أشياء كثيرة تجمعنا، هذه مصالحنا الحاضرة التي ينبغي أن نهتم بها وأن نجتمع حولها.

فيما ذكره الأخ علي شعبان هناك نقاش أنه ليس مطلوبًا من الإنسان أن تكون له قناعة مصححة لقناعة الآخرين، نحن نعتقد كمسلمين أنّ الدين عند الله الإسلام، وأنّ

الصراط المستقيم هو صراط واحد، لكن قد تكون هناك اجتهادات في بعض الفروع، وفي بعض التصورات، لكننا معنيون فيما يرتبط بتعاملنا مع الآخرين، نعتقد أنّ هذا يسير في طريق الخطأ، لم يؤمن بالرسالة الإسلامية، وأنّ الإسلام هو الحقّ، لكن أمره موكول إلى الله، ليس مطلوبًا منّي في هذه الدنيا أن أحاسبه، أن أسيء التعامل معه، في يوم القيامة كما تشير آيات قرآنية كثيرة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، ليس مطلوبًا منّي كمسلم أن أصحح دين الآخر أو مذهب الآخر، كلّ إنسان يعتقد أن دينه وأن مذهبه وفكرته هي الصواب، وهي الحقّ، والطرف الآخر قد يكون معذورًا فيما ذهب إليه أمام الله، هذا موكول إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك طروحات الدكتور سروش فعلًا أثارت إشكالات كثيرة في إيران، وناقشها علماء ومفكرون هناك، وبالتالي هذه مورد للنقاش ما يمكن تقريره والاتفاق عليه أن الآخرين وإن اختلفنا معهم في الدين، وكنا نعتقد أن ديننا هو الحقّ، وأنّ دينهم ليس حقًّا وليس صوابًا، لكن هذا لا يسوغ لنا أن نسيء لهم، أو نتنكر لشيء من حقوقهم، وحسابهم على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

صالح المنصور:

شكرًا للأستاذ حسن على انفتاحه الفكري، واحترام المعتقدات والأديان بما يتناسب مع العصر، يذكرني بمقولة فلسفية «المتديّن الحقيقي هو من يجدّ في طلب الحقيقة، ويفكر فيها، ويطلبها»، وأنا أراها متطابقة تمامًا مع أفكار الشيخ حسن؛ لانفتاحه الديني والمذهبي، واحترامه للمعتقدات والأديان، للأسف إنّ الكثير ممن يقرأ القرآن الكريم ويحفظه، يعمل نقيضه، وهذا لا يتناسب مع العصر، وما أمرنا به القرآن الكريم، والحكمة التي نرددها ونعمل نقيضها، الدين المعاملة، فما أعظم هذه الحكمة، طبعًا لا يفرق بين الأديان والمذاهب

إلّا من يخدم الاستعمار، سواء عن حسن نية، أو سوء نية، على صعيد المجال الديني الإسلامي، نرى الدول الكبرى العظيمة إيران هي التي فرضت وجودها، يجب أن نتحاور معها، كما تطلب هي، وأنا أعجبتني سلطنة عمان ببساطتها في الانفتاح على إيران بشكل جميل جدًّا، إيران فاتحة قلبها للحوار، في نفس الوقت هي الدولة الكبيرة التي تواجه العدو الصهيوني، طبعًا هناك من الدول الاستعمارية من يحاول أن نكون من الأعداء لها، وهذا نقيض ديننا، المسألة الأخرى الخلاف الشيعي السني أرى أنه من المفترض أن يكون بقرار سياسي إعلامي، يعلم فيه الجميع أنّ هذا ضدّ دينهم وضدّ القرآن الكريم.

عزام الموسى:

السلام عليكم، أنا أعتقد أنّ طرح الشيخ الصفار كان طرحًا جيّدًا، في مسألة نبذ الطائفية، وإعادة النظر في الصراع الطائفي في المنطقة، لكن ألا تعتقد أنّ من المفترض أن نحاول أن ننظر نظرة أخرى، أنا أجد أنّ الصراع الطائفي يبدو بشكل آخر صراعًا شعبيًّا ضمن الشعب نفسه، ضمن الطوائف في نفسها، ويبدو أيضًا الصراع بين الرجل والمرأة، وبين السني والشيعي، لكن هذا الصراع ليس مجردًا، لا يمكن أن ننظر له بأيّ تجرد؛ لأنّ هناك وسائل إعلام تحرض على هذا الصراع الموجود وتستفيد منه، وأيضًا المؤسسات السياسية، وهناك نقطة أودّ أن أطرحها لماذا المشكلة نتحمّلها نحن؟ نحن دائمًا من يتحمّل المشكلة، المشكلة فينا، نحن طائفيون، لا بُدّ أن نحلّ هذه المعضلة، الناس المهمّشون عن القرار السياسي يتم تحميلهم المسؤولية كاملة، بينما أنا أعتقد أنّ المسؤولية أكبر من ذلك، ويجب إعادة نظرة أخرى مختلفة عن النظرة الموجودة وأترك المجال للشيخ، وشكرًا.

عبد الله ناصر :

أخي الكريم، أريد أن أتكلم عن موقفين، موقف عام يتكرر، وموقف حصل مرة واحدة، الموقف العام نعرف أنّ من أبسط حقوق المواطنة هو طاعة ولي الأمر، نلاحظ أنه يحدث كثيرًا في الأعياد أنّ إخواننا الشيعة لا يعيّدوا معنا، ولم يحصل في تصوري يوم واحد عيّدوا معنا، فما أعرف ما هو السبب؟ هذا الموقف العام.

الموقف الخاص، المملكة العربية السعودية تعرضت لموقف صعب في ١١ مارس وأنت أخي الكريم وإخواننا المثقفون الشيعة لم نسمع منكم أيّ شيءٍ إطلاقًا للدفاع عن المملكة؟ وشكرًا.

الشيخ حسن الصفار:

ما تحدث به الأخ صالح منصور حيث ذكر بعض الدول والجهات السياسية وقد يختلف حول أدائها، نحن نتحدث حول العلاقة البينية داخل المجتمع، وبين مكونات المجتمع، واعتقد أنه لا ينبغي أن نربط أوضاعنا الداخلية وعلاقاتنا البينية بالعلاقات السياسية الإقليمية والدولية، فالمواطنون هم مواطنون بمختلف مذاهبهم، وإذا كانت هناك أحداث سياسية ترتبط بهذه الدولة أو تلك الدولة، بهذه الجهة أو تلك الجهة، فهي لا تنعكس على علاقاتنا البينية والداخلية داخل وطننا وبلادنا.

ما تحدث به الأخ عزام الموسى أستطيع أن أستنتج نقطة، وهي أنّ هناك خللًا في كثير من ساحات العلاقات البينية، وكلامه صحيح، حتى على المستوى الأسري نحن نشهد حالات من العنف الأسري، ونشعر بالحاجة إلى توعية بحسن العلاقة داخل الأسرة، وإلى وجود قوانين وأنظمة ترشّد هذه العلاقة، وتضعها في مسارها الصحيح من الناحية الشرعية والاجتماعية، وهكذا في العلاقات بين الطوائف والشرائح والمناطق والقبائل.

ما تحدث به الأخ الكريم عبد الله ناصر مسألة العيد والصوم، هذه مسألة ترتبط بالجانب الفقهي الديني، وكلامه أنّ الشيعة ما عيّدوا ولا يوم مع الدولة لا أعتقد أنّ هذا الكلام دقيق، في حالات كثيرة إذا توفرت الشروط التي يراها الفقه الشيعي، فإنهم يعيدون مع الدولة، لكن إذا لم تتوفر هذه الشروط حسب رأيهم الفقهي فإنهم لا يعيّدون، حتى في إيران في السنة الماضية من الناحية الرسمية الحكومة في إيران ثبت الهلال، لكن بقية العلماء ومقلّدو المراجع الآخرين في الحوزة العلمية رأوا أنّ الشروط لم تتوفر؛ لأنّ السيد الخامنئي يرى بأن يؤخذ برؤية الهلال بالمنظار، وبالفعل رؤي الهلال بالمنظار، فأعلن ثبوت العيد؛ لأنّ الهلال رؤي بالمنظار، بقية مراجع الشيعة ما كانوا يوافقونه الرأي فأعلنوا الصوم، وكان العيد فقط للدولة ولمن يأخذون برأي السيد الخامنئي، فإذًا هذه مسالة ترتبط بالجانب الفقهي، وكلكم في جوّ النقاش حول موضوع ثبوت الأهلة حتى في داخل المجتمع في المملكة، هناك نقاش كثير حول مسالة ثبوت الأهلة، وتوفر الضوابط المناسبة، لسنا الآن بصدد هذه التفاصيل.

أما مسألة الدفاع عن المملكة أعتقد أنه لا ينبغي أن يكون الأمر ساحة مزايدات، كلنا مواطنون، وعلينا أن ندافع عن وطننا وبلادنا، لكن كلّ أحد وكل جهة تدافع بالوسائل المتاحة لها، وبالأساليب المناسبة لها، وهذا أمر واضح في بعض الأحيان تكون مواقف إعلامية علنية، بالنسبة لي شخصيًّا ما أعتقد أنه مطلوب مني أن أتحدث عن نفسي وعن المواقف التي اتخذتها؛ لأنّ هذا واجب تجاه وطني، وتجاه ديني، فلا يمكن التعميم في هذه الأمر، الدفاع عن الوطن وعن البلد أمر واجب على الجميع، لكن تبقى مسألة أن تكون هناك بعض المواقف السياسية والاعتراضات السياسية هذا ليس شأنًا مذهبيًّا في السنة والشيعة، قد يكون هناك شخص من السنة لديه مشكلة مع الدولة سواء كان مخطئًا أو مصيبًا في موقفه، وأن يكون هناك شيعيًّا أكثر موالاة للدولة، هذه تناقش على صعيد الوضع السياسي، والدولة لها أجهزتها الأمنية والرسمية التي تحاكم وتحاسب، ونحن كمواطنين علينا أن نؤكد على تلاحمنا الوطني، وألّا يحرض أحدنا على الآخر، ويستنهض السلطة ضدّ هذا الطرف أو ذاك، وإنما علينا جميعًا أن

نؤكد سيادة القانون، والالتزام بحقوق الإنسان، وبالضوابط القانونية المرعية.

الأستاذ الدكتور أمين النعمان - جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية كلية العلوم الاستراتيجية

الحمد لله الصلاة والسلام على رسول الله الأمين، شكرًا جزيلا للشيخ الدكتور راشـد، وللشيخ حسن الصفار، وحقيقة أنا ألحظ أن موضوع المحاضرة وكأنما شكل لنا تنّينًا، نحن كأنما نريد نصطاد تنينًا، وصيد التنين ليس بسهل، وحيث بدا لي حينما تحدث الإخوة جميعًا فقد بدأنا بإمساك الذيل فحسب، فكيف نمسك برأس التنين هذه هي المشكلة الكبرى، وأبدأ فأقول موقفنا من الآخر، وكلمة موقفنا هذه بنون الجمع وضمير المتكلم ثم بعد ذلك الواو ....؟؟!!!

المقدم: يحيى أبو الخير

تغيّر العنوان من موقفنا من الآخر إلى القلق من الآخر، تعليقك يكون عن القلق من الآخر.

الدكتور أمين النعمان

أشكرك جزيلًا، القلق من الآخر، من نحن ومن الآخر؟ أولًا نريد أن نكرس من الذي يحقّ له أن يصنف هذا هو نحن وذاك هو الآخر؟ في كثير من الأحوال نتحدث عن الآخر ونحن في خصوص أنفسنا آخر، فأنا أريد قلق الآخر منا وليس قلقنا فقط من الآخر، أحسب أنّ الموازنة في هذه الحالة تصنف على شاكلة علمية مهمة، وهي أنّ الآخر ينقسم إلى اثنين: آخر باطن، وآخر ظاهر، وهذا يتعلق بالذات أو الشخص من حيث هو، وفي هذه الحالة أنا أحاول بسرعة أن أعطي فكرة أن الطبيب في الأول يشخص الداء ثم يصف الدواء، فهل نحن مشكلتنا في تشخيص الداء أم في وصف الدواء؟ أم مشكلتنا في الاثنين معًا؟ فبكلّ تأكيد أنّ المشكلة الكبرى في تشخيص الداء

تنعكس عليها مشكلة أكبر في وصف الدواء، فالطبيب الذي لا يجيد تشخيص الداء لا يمكن له أن يجيد وصف الدواء، فنحن مشكلتنا في التشخيص، والتشخيص هنا كما قلت هنالك آخر باطن وهناك آخر ظاهر، وهنا العلاج في هذه الحالة إذا كان يتعلق بالذات وبالنفس الآخر والذات، فإنّ وصف الدواء يصلح معه وصفة تعتمد على تحميل عبقرية العقول، حديثنا وتفكيرنا العقلي كثير جدًّا، وتطبيقنا العملي وعاطفتنا القلبية وميلنا القلبي المطلوب قليل جدًّا، هنا نحن بحاجة لتحويل عبقرية العقول إلى عبقرية القلوب، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وأما إذا كان الآخر يتعلق بالداخلي والخارجي فنحن هنا بحاجة لتكريس وصف الدواء حول قضية إدارة التنوع، هذه الجزئيات التي استمعتم إليها غير مطلوبة في هذه المرحلة؛ لأنها تخرب الأمر منذ بدايته، وتزيد القلق، ونحن لا نريد أن نزيد القلق، بل نريد أن نخفف من القلق، وهنا لا يجوز أن أتحدث عن تفاصيل، ينبغي أن نتحدث عن كليات وخطوط عريضة، ثم بعد ذلك ننتقل إلى التفاصيل، حتى لا تزيد من القلق، ونقطة أخيرة وهي أننا نفتقر إلى الوعي الاستراتيجي في التعامل مع الآخر، كما يفتقر الآخر كثيرًا جدًّا إلى الوعي الاستراتيجي في تعامله معنا، فكيف السبيل إلى التشخيص؟ وكيف السبيل إلى العلاج؟ الله أعلم وصلّى الله على سيّدنا محمد.

العميد فلاح خضاري:

شكرًا محاضرنا. عندي نقاط إرساليات بسيطة:

أولًا: العرب لا يقرؤون التاريخ، والقلة إذا قرأت لا يقرؤون بمنهجية، بل على هيئة حكايات لا معنى لها.

ثانيًا: لا يوجد عندنا تاريخ مكتوب بمنهجية من الأصل، إلّا النزر اليسير، كما قال ابن خلدون،

واكتفى بالمقدمة فقط لا غير، وتولوا كتابة التاريخ لنا لسنين طويلة الأوروبيون ومن تبعهم في الأسلوب، حتى جاء كتّاب جدد كتبوا التاريخ بمنهجية، أمثال عبدالله العروي، وهشام جعيط، والمبدأ الديكارتي من طه حسين وجماعته، فتاريخنا مكتوب بطريقة خاطئة، ونقرؤه بطريقة خاطئة أيضًا، حيث لا يوجد فيه تحليل اقتصادي ولا سياسي ولا اجتماعي، تاريخ العالم الإسلامي هو تاريخ أشخاص معينين، تاريخ فلان وفلان لا غير، أما الحركة الاجتماعية التي خلقت العالم الإسلامي والتي قامت ضدّ الظلم وضدّ التخلف، وضدّ الشرك وضد الأغنياء في مكة، وبعد ذلك هاجر النبي وقاتل، وبعد ذلك ارتدت مكة على المدينة، وحكمت العالم الإسلامي بالظلم والطغيان وبالسلاح، واتهام كلّ واحد بالخروج والتشيع، والتشيع موجود أساسًا كفكرة تاريخية ... وشكرًا.

الدكتور عزّ الدين موسى:

بسم الله الرحمن الرحيم. أنا دائمًا أشعر بالثقة بنفسي عندما أستمع إلى الشيخ حسن، وليس هذا من باب التودد له، أو إعلان المحبة، وإنما إعجابًا بالمنهج الذي يتناول به القضايا، لذلك أجد نفسي قريبًا منه، وأختلف معه كثيرًا.

أولًا: في الحقيقة أنا أريد أن أنظر للقضية من منظور مغاير، طوال المحاضرة أسمع كلامًا طيبًا رائعًا، ينبغي أن يكون عندنا؛ لأنّ مرجعيتنا تقول بذلك التسامح، والتعايش، وحب الآخر، ولكن انظر إلى تاريخنا خلال أكثر من ١٤٠٠ سنة ونحن عجزنا أن نترجم ذلك إلى واقع، وليس في الماضي وحده، وإنما في الحاضر والتاريخ الذي نعيشه، انظر للأمة وأجد أنّ كلّ العوامل التي كانت في الماضي تفعل فيها تفعل فيها الآن، حتى لو حاولنا أن نفسر كما أشار الأخ العميد

إلى قضية الصفويين، هذا الحديث أجد فيه امتدادًا للصراعات القديمة، وحتى بعض الناس يؤول الصراع الإيراني الآن وكأنّ الصراع مع الشرق الأوسط له جزء من الصراع القديم بين الشرق والغرب في ذلك العصر، هذه ليست قضيتي، مشكلتي المرجعية هذه التي نريد أن نحييها، كيف عجزت الأمة في خلال ١٤٠٠ سنة أن تعظّم المشترك ؟ وكيف عجزت أن تقلل من الفوارق؟ ونريد اليوم أن نعظّم المشترك هذا سؤال، إذًا تاريخنا كلّه هكذا، وحاضرنا كلّه كذا، يبقى مشكلة كبيرة جدًّا في نفسية هذه الأمة، إما أنّ المرجعية خطأ، ولا يمكن أن تقول المرجعية خاطئة، أو يكون فهمنا لها المستمر خطأ، فإما تاريخنا كله وواقعنا وحاضرنا كله خطأ، ونريد أن نغيره؛ لأنّ المرجعية لا يمكن أن تكون خطأ، لكي لا أضرب في المرجعية أقع في مشكلة كبيرة، لو أردنا كلّ آيات التسامح وقبول الآخر تجدها، ولو جاء آخر لكي يبرر كلّ أنواع الصراع والحروب يجدها، أشير لكي لا أطيل إلى آيتين فقط في سورة البراءة الآية: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ...﴾ آية أخرى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ...﴾ هذا ما سمّاه الأقدمون المتشابه.

يبقى فيه إشكالية كبرى في التراث الذي نرجع إليه، في قضية ما هو المتشابه وما هو المحكم، وقضية التأويل، هنا أخلص وأختم وأقول المشكلة الأساسية في أنّ المصالح دائمًا تتحكم وتؤول، فكيف نستطيع أن ننظر إلى مجتمعنا الراهن؟ نجد له مصالح جامعة، لا ننظر للقضية قطرية، أنا أتكلم عن الأمة ككل، حتى لا ندخل (ونغرق في شبر ميه) كما حاول البعض أن يثير القضية الشيعية مثلًا في المملكة العربية السعودية مع أو ضدّ، لكن في مجمل الأمة، كيف نستطيع أن نجعل المصالح موحّدة؟ الأوربيون وصلوا إلى أن يجعلوا الجامع المشترك بينهم المصلحة، فإذا جعلنا بيننا الجامع المشترك المصلحة، هل يرضى الناس الآخرون ويحاربونك فيها ويجعلوك دنيويًّا، القضية كبيرة جدًّا، فيبقى الكلام الوردي سالك، لكن عندما نأتي إلى التطبيق عندنا إشكالية كبرى، سواء كان في المرجعية نفسها، في تأويل المرجعية، في استقلال المرجعية.

وأخيرًا: إنّ أزمة الثقة التي لم تتعرض لها هي أزمة كبرى في مجتمعاتنا، هناك أزمة ثقة كيف نحلها؟ أنا لا أدري، الأوربيون حلّوها بالمصلحة، أنا أختم بهذا وهذه انطباعات شعرت بها من خلال عرض الشيخ، وهو عرض رائع، وشعرت بأنه وردي، وشعرت أني أعيش في عالم آخر غير العالم الذي أعيش فيه، ولما أفقت وجدت أنني في عالم متناقض متصارع شديد ... شكرًا.

الشيخ حسن الصفار:

في الموضوع الذي أثاره الأخ الكريم الدكتور أمين النعمان، أنا أتفق معه حول أهمية البحث حول إدارة التنوع، وهذا يقتضي أولًا الاعتراف بالتنوع، مشكلتنا أننا لا نزال نعاني من مسألة الاعتراف بالتنوع؛ لأنّ الكثيرين أو البعض يرى أنّ الآخرين يجب أن يتطابقوا معه، تجد في الشيعة من يقول إنه لا يمكن أن تتوحد الأمة إلّا إذا اتفقت على أهل البيت، ويقصدون أهل البيت بفهمهم، وهذا يعني أنّ غير الشيعة يصبحون شيعة، وتجد في السنة أو في السلفيين أنه لا تتوحد الأمة إلّا إذا اجتمع المسلمون على كتاب الله وسنه رسوله، بطريق فهم السلف الصالح، ويقصدون منهجهم وطريقهم، ما دمنا نعيش هذه العقلية، لا نعترف بالتنوع، لا نصل إلى مرحلة التفكير في إدارة التنوع، حينما يكون هناك اعتراف متبادل، وندرك أنّ من مصلحتنا أن ندير هذا التنوع، حينئذ لن يكون عسيرًا علينا إدارة التنوع؛ لأنّ أمامنا تجارب إنسانية نستطيع أن نستفيد منها.

حول ما تحدث عنه العميد فلاح خضاري أنّ العرب لا يقرؤون التاريخ، كنت أودّ أنّ الدكتور عز الدين موسى، وهو المتخصص في التاريخ، هو الذي يتناول هذا الموضوع.

لقد تحدث الدكتور أنه يتفق معي ويختلف معي، فرحت كثيرًا؛ لأنني ودت أن أسمع نقاطًا فيما يختلف فيه معي، فأستفيد من تلك النقاط، لكن مع الأسف لم يأتِ بشيء يختلف معي، فهو يتفق معي أولًا وأخيرًا، أنا مع الدكتور في أنّ عندنا تراثًا كبيرًا ولا توجد أمة من الأمم عندها تراث يدعو إلى الوحدة ويشير للوحدة كما عندنا، ومنه

قوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا»، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، الفرائض التوحيدية عندنا حيث نحج معًا ونصلي إلى قبلة واحدة، ولا تمتلك أمة تراثًا يدعو إلى الوحدة والتآلف كما نمتلك نحن، لكن المفارقة أنه ليست هناك أمة تعيش حالة من التمزق والاختلاف كما نعيش نحن، أين المشكلة؟ هذا هو محلّ البحث.

الدكتور يسأل: كيف عجزت الأمة أن تجتمع حول المشترك؟ أقول: ليس هذا هو الشأن الوحيد الذي عجزت فيه الأمة، قرون كبيرة والأمة عجزت عن تحقيق العدالة في داخلها، وكانت تخضع للاستبداد، كيف خضعت هذه الأمة في قرون طويلة وفي الكثير من أقطارها وأوطانها للاستبداد وهي أمة يقرر قرآنها العدل، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، ويقرر قرآنها الشورى، يقول تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، حتى رسول الله ﷺ الله يأمره بأن يشاور الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. كيف عاشت الأمة هذه القرون وتعيش الآن مسألة التعاطي غير الإيجابي مع المرأة ونحن نفخر بأنّ ديننا يحترم المرأة، أشياء كثيرة نعيش فيها إخفاقات، بالتأكيد ليست المرجعية هي المتهمة، وإنما فهمنا متهم، وفي كثير من الأحيان قد لا يكون الفهم متهمًا لكننا نعدل عن فهمنا للخضوع للواقع المعيش، ندرك أنما يحصل خطأ، ولكننا نجد أنفسنا متكيفين مع هذا الخطأ، وإن كان يخالف قناعتنا، الشيعة حلوها عبر الكلام عن التقية، السنة يمارسونها ولكن ليس لديهم شعار لها، فإذا هذه بالفعل مشكلة، أتفق مع الدكتور عزّ الدين في تشخيصها، وأرجو أن أتفق معه في التعاون في البحث عن حلول لها، وكذلك بقية الواعين والمخلصين من أبناء هذه الأمة، شكرًا له ولكم جميعًا.

سعد العليان:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله مساءكم بكلّ خير، هذه المرة الرابعة على ما أعتقد ويتحفنا الشيخ حسن الصفار بالحديث في هذا المنتدى،

وأحاديثه جميلة، ولكن لا أخفي أنّ لديَّ قلقًا، وأرجو أن تصبر عليّ! القلق هذا مؤداه أنّ حديثًا ما عندما يطرح في مكان ما قد يوائم؟؟....؟؟ والجغرافيا ودليلي على ذلك إنني منذ سنوات طرحت سؤالًا في هذا المكان فأجبتني إجابة وطبع الكتاب في لبنان، وأعتقد في مطابع حزب الله إجابة أخرى مختلفة، وكنت أظنّ ألّا يجري هذا البتة، لقد شننت حملة عامة على القلق من الآخر، لكن كيف نتعامل مع هذا القلق عندما يأتي بجوار بيتك مجرم له بقايا عقائد قديمة ويحرك طوائفك من الداخل ويتماس مع من يتفق معه في مذهبه في أكثر من مكان، أليس هذا داعيًا للقلق يا شيح حسن الصفار؟ وشكرًا.

بجاد الروقي:

السلام عليكم ورحمة الله الحقيقة إنه يعتمرني وغيري بعض القلق حينما لا يشاركني بعض مواطني أفراحي وأحزاني، كذلك حينما يقول أحدهم إنّ ربنا غير ربهم، إنّ كتابنا غير كتابهم، وإنّ رسولنا غير رسولهم، ثم حينما يطعن بعضهم في أمهات المسلمين، قد أقلق، وقد أخاف وأرتاب، وقد تقع المأساة، ونحن نلاحظ الآن ما يحصل في سوريا، ويقول الذي يقوم على القتل والتدمير لن يزحزحنا عن الحكم حتى الله، هل يستطيع حزب الله أو يستطيع الشيعة أو يستطيع غيرهم ممن ينادون بحقوق الإنسان ومن من يقولون بالإنسانية ووحدة الأديان، أن يقولوا لهذا الطاغية: قف نحن لا نطاوعك، بدل أن يمدّوه بالسلاح والخبراء؟

أنا أقلق، نعم؛ لأني أجد من يترك مكة ويطلب العلم في قم، هناك مخاوف كثيرة لم يتطرق لها المحاضر، أرجو الإفادة على ذلك، أنا في رأيي أنّ الشيعة هم الذين

يجمعون الأمة ولا يفرقونها، هؤلاء هم الشيعة، نحن نعرفهم، يمكن ذكرهم العميد في السويرقية ووادي الفرع من المدينة المنورة إلى جازان، فما أدري من أين جاؤوا من الفرس، لنترك كلّ الجداول الصغيرة، ونترك المساند الضعيفة، ونعود للنهر الصافي، حتى تلتئم الأمور، نأخذ المعين من مصدره الأصلي، ونترك هؤلاء البشر الذين يدخلون مآربهم في ديننا شكرًا، والسلام عليكم.

موسى الرقيب:

بسم الله الرحمن الرحيم. شكرًا للشيخ حسن الصفار على ما تفضل به، وأظنّ أنّ فضيلة الشيخ أراد أن يتصف، وأن يكون من الكرام، فمرّ على الموضوع مرور الكرام، وإلّا الموضوع كان يحتاج أكثر من هذا، نعرف ما هي الأمور التي تسبب القلق، وكيف تحلّ من أجل أن نخرج ونحن استفدنا شيئًا، نقول والله إنه جاءنا شيخ فلان من الجهة الفلانية وأعطانا الحلول، وأعطانا ما يطمئن النفس، لكن ألا ترى يا شيخ حسن أنه يمكن بجهودكم وقد يكون لكم جهود إن شاء الله تشكر وجهود المشايخ من الطرف الآخر؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ﴾، ولا أظنّ أنّ المسلمين يعجزون عن أن يكون بينهم مشترك يتفقون فيه، فلماذا لا تفكرون في أن تحتضن جامعة من الجامعات لقاء بين العقلاء من هذه الفئة وهذه الفئة، وتحدد النقاط التي يختلف فيها بعيدًا عن ضوضاء الإعلام والقنوات، ثم تكون وثيقة تعلن إلى الناس في حدودها يكون حوارات الناس ونقاشاتهم وطرحهم، أما أن هذا يغرّد هنا وهذا يغرّد هنا، من يستمع إلى الشيخ حسن الصفار يقول هو الصواب، ومن يستمع إلى جهة أخرى يقول هي الصواب، فلدينا وشريعتنا وكتابنا لا يعجز عن أن يحلّ أمرًا مثل ما تفضل الدكتور منذ ١٤٠٠ سنة

يرد الأمر إلى أهل العلم والبصيرة، وإلى قول الله سبحانه وتعالى، وإلى ما صح عن الرسول ﷺ، وإن شاء الله أن يكون في ذلك حلّ إذا صدقت النيات وصفت.

والأمر الآخر، الشيخ حسن والإخـوان، أنتم تلاحظون الآن ما يحرك العالم ويسيطر عليه، هم فئة من الناس ومن الشباب، لا يحركهم العالم الفلاني، ولا المفكر الفلاني، بل الآن المفكرين والعلماء يبحثون لهم عن مكان لهم، فيما يجري في هذا العالم، فردوا الناس إلى أصل واضح، وأصل بيّن ينطلقون منه، ولا تستمر هذه الأمور، خصوصًا مع طفرة هذه القنوات، الإنسان يقلق يرى مآسي من هنا وهناك، والله المستعان.

الشيخ حسن الصفار:

جميل جدًّا هذه المداخلات؛ لأنّ اللقاء يجب أن يكون فيه مصارحة، وجود مثل هذه الآراء الصريحة أمر جيد وسارّ، وأبدأ بملاحظة الأستاذ سعد العليان.

الكتاب الذي تحدث عنه هو «كتاب السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته» كان ندوة هنا في هذه الدار المباركة، والشريط موجود، وطبعته دار الساقي، ولا أدري كيف يقول في مطابع حزب الله، طبعته دار الساقي في لندن، ومثبت ذلك على الكتاب، ودار الساقي معروفة وليست تابعة لحزب الله، ولا أجد غضاضة في أن يطبع الإنسان كتابه في أيّ مكان، وأنا التزم أمام الأستاذ إذا كان بالفعل ما نسب إليه ليس صحيحًا في إعداد الكتاب، إذا كان فيه خطأ واشتباه، أن نعتذر إليه الشريط الذي فيه تسجيل وتصوير الندوة موجود نراجع الشريط إذا بالفعل هناك خطأ نعتذر إليه[1].

النقطة الثانية: ما تفضل به الأستاذ بجاد، أنا أعترف بأنّ هناك ما يقلق، ولا أقول إنه لا يوجد هناك شيء يستوجب القلق، قلت: إنّ أحداث التاريخ، والتراث الثقافي عند السنة والشيعة، ووجود فضائيات سيئة مخجلة، ووجود طروحات عند الطرفين، قد يتباين التقويم أين الأشدّ وأين الأقلّ، أين الفعل وأين ورد الفعل، أعترف بأنّ هناك

(١) عند مراجعة التسجيل كان مطابقًا لما دون في الكتاب، وبذلك يظهر عدم صحة إشكال الأستاذ سعد العليان!!

ما يقلق وأدعو إلى جلوس على الطاولة بين العقلاء، وهنا اقتراح الأستاذ موسى فعلًا يكون جلوس للعقلاء على الطاولة ويتناقشوا بكلّ صراحة، قضية الاختلافات بين العلماء والخلافات المذهبية تناقش على المستوى العلمي، السيء الآن أنها أصبحت مادة للتعبئة وللتحريض على الكراهية، وكان الأجدر والأولى أن تكون بالفعل تناقش بين النخبة العلمية.

وقد طُرح في الستينيات حينما تأسست دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة في مصر، ساعتها ويومها لم تكن هناك ثورة إيران، والأزهر أيضًا كان مباركًا لهذا التحرك، أن يكون هناك تلاقٍ بين علماء المذاهب، وبحث للمشتركات، وتحديد موارد الخلاف، ولكن نحن نعلم أنه لم يتجاوب معها الجميع، بل إنّ هناك من كتب ضد هذا المشروع، ورأى أنه لا يمكن التقارب بين الحقّ والباطل، وبين الإيمان والكفر، وما أشبه ذلك في عبارات يتحمّل أصحابها مسؤوليتها.

أنا مع الأستاذ موسى في أنه ينبغي أن تكون هناك لقاءات بين العلماء، وليس شرطًا أن يتفقوا، صحيح أنّ مرجعيتنا الكتاب والسنة، ولكن قد يختلف العلماء في فهم بعض آيات الكتاب، وقد يختلف العلماء في قبول بعض الأحاديث المروية في السنة، أو في فهمها، وهذا واضح ومعروف. والشيخ ابن تيمية له كتاب بعنوان «رفع الملام في اختلاف الأئمة الإعلام» فإذًا ليس شرطًا أن يجتمعوا حتى يتفقوا على كلّ التفاصيل، قد يختلفون ولكن يحرّر محل النزاع أن صح التعبير، فيقال للأمة نحن متفقون لهذا الحدّ، ونختلف في هذا الحدّ، أو في هذا المقدار، أتمنى مع الأخ الأستاذ موسى أن يتحقق ذلك وأدعو إليه.

أما قوله كيف يكون مواطنون لا يفرحون لفرحنا ولا يحزنون لحزننا؟ أنا أستغرب لهذا الكلام؛ لأنّ الحزن والفرح لنا كمواطنين فرح واحد وحزن واحد في القضايا المشتركة، إذا كانت بعض القضايا ترتبط بموضوع فرعي، فالاختلاف وارد ومقبول، حتى في داخل المؤسسة الواحدة الآن في المملكة العربية السعودية حتى بين العلماء

في هيئة كبار العلماء في بعض المسائل هناك اختلاف في وجهات النظر، ومن بينها قضية توسعة المسعى، وقضايا أخرى في هذا المجال، هذا لا ضير فيه، لكن كشأنٍ وطني كلنا متفقون ولا ينبغي التعميم إذا كان هناك بعض الفئات لديها مواقف سيئة أو سلبية ضدّ الوطن، هذا موجود في السنة وموجود في الشيعة ...

المقدم:

إلى هنا ونقف، فقد ادركنا الوقت، فشكرًا للشيخ حسن على محاضرته القيمة، وشكرا للدكتور راشد المبارك الذي اتاح لنا الاستماع للشيخ حسن وشكرا لكم جميعًا على الحضور والمشاركة.

حوارات

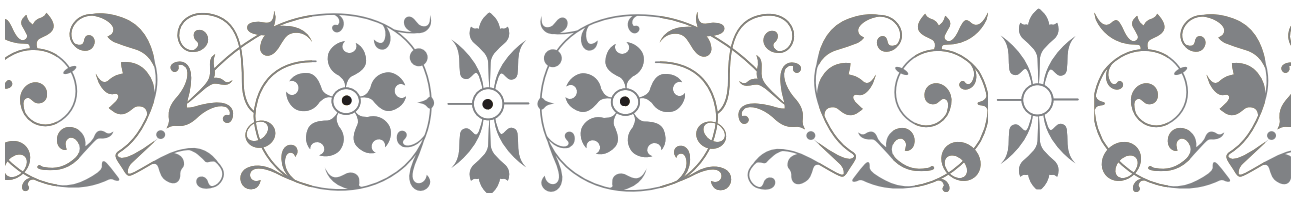

التقية لحماية التعايش والوحدة .. حوار لشبكة الاجتهاد العربية*

حاوره: الشيخ محمد مروارید

الشيخ الصفار: إذا كان كتمان الحقّ، قولًا أو عملًا، يدفع ضررًا محدودًا لكنه يؤدي من ناحية أخرى لضرر أشدّ وأكبر على مصلحة الدين والأمة، فهنا يصحّ التنازل عن العمل بالتقية، بل قد يجب، وهذا ما يفسّر موقف الإمام الحسين عليه السلام، الذي شخّص أنّ الموقف يستلزم منه الاجهار بالحقّ، ورفض الخضوع لسلطة يزيد؛ لأنّ ضرر سكوته وخضوعه أشدّ على الدين والأمة مما يصيبه من قتل وأذى.

خاصّ بالاجتهاد: المفكّر والخطيب الديني سماحة الشيخ حسن الصفار، من الباحثين الكبار في مجال التعايش والتسامح وثقافة الاختلاف والتنوع المذهبي، كما يظهر ذلك جليًّا في كتاباته كـ كتاب (التنوع والتعايش) و كتاب (التسامح وثقافة الاختلاف) والمكتوبات العلمية الأخرى في هذا المجال، كما هو من الدعاة إلى هذه الفكرة.

ولد سماحة الشيخ حسن الصفار بمدينة القطيف، وتخرّج في الفقه والأصول على يد الأعلام في قم وطهران والنجف والكويت، وصدر له أكثر من مئة كتاب في مختلف

* أجرى الحوار الشيخ محمد مروارید لصالح شبكة الاجتهاد العربية ـ موقع الاجتهاد www.ijtihad.ir التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في مشهد المقدسة.

مجالات المعارف الدينية والثقافية. أتاح سماحة الشيخ لنا هذه الفرصة الثمينة رغم كثرة انشغالاته، وأجاب عن أسئلتنا حول نهج تحقيق التعايش في المجتمع الإسلامي.

نبدأ الحوار مستعينين بالله عزّ وجلّ:

□ **ما هو معنى «التقية» الذي كان يهتمّ الأئمة عليهم السلام بعمل الأصحاب به كما ورد في هذا الحديث الشريف: «لَا وَ اللَّهِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ التَّقِيَّة»؟ ما الهدف من هذا الكتمان؟**

◀ كان يقلق السّلطات الحاكمة، أنّ أئمة أهل البيت يقودون تيارًا عقديًّا سياسيًّا يتنامى داخل الأمة، ويخترق حتى مؤسّسات الدولة، وله مرجعيته الخاصّة المستقلة عن السّلطة وهم الأئمة، وله إدارته الداخلية غير المكشوفة لدى أجهزة السلطة، وتتمثل تلك الإدارة في شبكة الوكلاء للأئمة، كما أنّ لهذا التيار مصادر تمويل أهلي من الأخماس وألوان الحقوق الشرعية والتبرعات خارج سيطرة الدولة. مما يمكن أن يطلق عليه بالمصطلحات الحديثة أنه كيان موازٍ للدولة، أو دولة عميقة.

والسّلطات كانت تترصّد هذه الحالة؛ لأنها تزاحم نفوذها، وقد تقود إلى مواجهتها والانقلاب عليها.

والتقية، كما يبدو لي، تعني التكتم على أيّ قولٍ أو فعلٍ يُعزّز ذلك القلق عند السّلطة، ويدفعها لاتّخاذ إجراءات عدائية تجاه الأئمة وأتباعهم.

لذلك أمر الأئمة شيعتهم بعدم إظهار أيِّ فكرة عقدية، أو ممارسة فقهية، يمكن أن تؤدي إلى تشخيص الولاء والانتماء لأهل البيت في الظروف الحسّاسة، ونجد مثلًا كيف أنّ الوشاة حرّضوا الخليفة العباسي هارون الرشيد ضدّ عليّ بن يقطين،

وأثاروا شكوك الخليفة في ولائه، فأراد الخليفة أن يتأكد من صدق تلك الوشايات، فقام بمراقبة عليّ بن يقطين حال وضوئه، ليستدلّ من طريقة وضوئه على انتمائه أو عدم انتمائه لخط أهل البيت ﷺ، وكما تشير الرواية فإنّ الإمام موسى الكاظم ﷺ كان قد كتب إلى عليٍّ بن يقطين أن يتوضأ بالطريقة المخالفة لفقه الأئمة، وهكذا تمت حمايته من بطش هارون، وبقاؤه في موقعه كوزير أول للخليفة.

□ **ما رأيكم حول التقية المداراتية؟ هل بإمكاننا أن نكتم الحقيقة لا لصيانة نفس من الضرر بل للتقريب بين المذاهب؟ ما الدليل عليه؟**

◀ إنّ رعاية المصلحة العامة للإسلام والأمة ليس أقلّ أهمية من صيانة النفس من الضرر، فإذا كان يصح كتمان الحقيقة دفعًا للضرر الشخصي، فمن الأولى أنه يصح دفعًا للضرر العام، وهناك عدد كبير من الروايات عن الأئمة ﷺ تأمر بالمداراة، والعشرة مع الآخرين، وجلب مودتهم، بعدم فعل أو ذكر ما ينكرون ويخالفون.

فقد جاء في الكافي عن مدرك بن الهزهاز عن أبي عبدالله الصادق ﷺ أنه قال: (رحم الله عبدًا اجترّ مودة الناس إلى نفسه، فحدثهم بما يعرفون وترك ما ينكرون)[1].

والحديث واضح في أن يقول المؤمن ما يقبله الآخر، وألّا يبدي ما ينكره الآخر، وإن كان خلافاً لما يعتقده ويراه. وأنّ جلب المودة مبرّر كافٍ لتجويز ذلك، وليس دفع الضرر فقط.

وورد عن الإمام الحسن بن علي ﷺ أنه قال: (إنّ التقية يصلح الله بها أمة لصاحبها مثل ثواب أعمالهم، فإن تَرَكها أهلك أمة تاركها شريك من أهلكهم)[2].

وجاء عن الإمام الصادق ﷺ: (ليس منّا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية)[3].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٢٣.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢٢٢، حديث٢١٤١٢.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢١٢، حديث٢١٣٨٣.

والحديث يدلّ على أنّ التقية مطلوبة لدفع الضرر عن سمعة المذهب، وليس فقط لدفع الضرر عن النفس.

□ **أليست التقية كذباً؟ الدين لا يسمح بالكذب ولو لمصلحة شخصية أو نوعية.**

◀ من الناحية الشرعية فإنّ الفقهاء يذكرون موارد يجوز فيها الكذب، ومنها دفع الضرر البدني والمالي عن نفسه أو عن الآخرين، بل تواترت الروايات على جواز الحلف كاذبًا في هذا المورد، ومن موارد الكذب المستثنى من الحرمة، الكذب لإصلاح ذات البين، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ليس الكذّاب من أصلح بين الناس)[1]، وفي صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (المصلح ليس بكذّاب)[2].

وإذا كان الإسلام يجيز كتم الحقيقة، بل قول ما يخالفها لإصلاح ذات البين بين شخصين متنازعين، ويعتبره من مستثنيات حرمة الكذب، فكيف لا يجيز ذلك للإصلاح بين طوائف الأمة ومكوناتها.

□ **ما هي حدود التقية؟ نحن نرى الأئمة عليهم السلام وصحابة النبيّ ﷺ منهم من يعمل بالتقية، ومنهم مثل الحسين عليه السلام وأبي ذرّ رحمه الله يتركها، ويعلن بصراحة فسق الخليفة، وعدم أهليته للخلافة. متى نقول الحقّ ومتى نكتمه؟**

◀ إذا كان كتمان الحقّ قولًا أو عملًا يدفع ضررًا محدودًا لكنه يؤدي من ناحية أخرى لضرر أشدّ وأكبر على مصلحة الدين والأمة، فهنا يصحّ التنازل عن العمل بالتقية بل قد يجب، وهذا ما يفسّر موقف الإمام الحسين عليه السلام الذي شخّص أن الموقف يستلزم منه الاجهار بالحقّ، ورفض الخضوع لسلطة يزيد بن معاوية؛ لأنّ ضرر سكوته وخضوعه أشدّ على الدين والأمة مما يصيبه من قتل وأذى.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٨، ص٨١٠، حديث٢٧٨٢٠.
(٢) الكافي، ج٢، ص٢١٠.

وكذلك الحال في موقف أبي ذرٍّ الغفاري، الذي رأى أنّ سكوته عن الفساد والانحراف ضرره أكبر مما يصيبه من أذىً لمعارضته.

فلا بُدّ من التشخيص الموضوعي للظرف، هل يقتضي المواجهة وتحمّل تضحياتها؟ أو يرجّح فيه الصبر وممارسة التقية؟ فالظروف تختلف، ومواقع الأشخاص تختلف، فمن يكون في موضع القدوة والقيادة، يختلف عن الشخص العادي.

وهكذا تختلف أوضاع البيئات والمجتمعات، فقد تكون المواجهة هي الموقف المطلوب، وقد تكون المداراة هي الخيار المناسب.

□ **ما هو دور التقية في التعايش مع المذاهب الأخرى؟ هل لا يمكننا أن نتعايش مع الآخرين دون تقية وكتمان للحقائق؟ يعني يقول كلّ مذهب وفرقة كلّ ما يعتقد أنه صحيح دون مشاجرة ونزاع؟**

◀ نحتاج للتقية لتحقيق التعايش مع المذاهب الأخرى، إذا كنّا نعيش في ظلِّ دولة تصادر الحريات الدينية، أو مجتمع يمارس التشدّد تجاه الرأي المذهبي الآخر، وهذان الأمران ما زالا موجودين بشكل محدود، لكن الوضع العام في العالم الإسلامي حاليًّا، لا يستوجب استخدام التقية لتحقيق التعايش.

نعم، هناك مسألة ترتبط بالسب واللعن لرموز المذاهب الأخرى، إذا اعتقدنا أنّها جزء من المذهب، فإنّ إظهارها وإعلانها يمنع التعايش مع المذاهب الأخرى، وهنا لا بُدّ من ممارسة التقية، ويبدو لي أنها ليست جزءًا من المذهب، وإنّما هي إفراز لبيئة وعصر معيَّن، والبراءة الواجبة هي البراءة القلبية والعملية، كما أنّ النصوص التي تتحدث عن مثالب ولعن الرموز الأخرى معظمها غير معتبر في سنده، أو غير مقبول في مضمونه.

بل وردت روايات عن الأئمة عليهم السلام تشير إلى أنّ الروايات التي تذكر مثالب الرموز الأخرى مدسوسة في أخبار الأئمة، من قبل أعدائهم، كالرواية التي نقلها الشيخ

الصـدوق في عيـون أخبار الرضا عليه السلام، فيما قاله الإمام الرضـا عليه السلام لابن أبي محمود: (يا ابـن أبي محمود، إنّ مخالفينـا وضعوا أخبارًا في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسـام: أحدهـا الغلـو، وثانيها التقصير في أمرنـا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سـمع الناس الغلو فينا، كفّروا شـيعتنا، ونسـبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سـمعوا التقصير، اعتقدوه فينا، وإذا سـمعوا مثالب أعداءنا بأسـمائهم، ثلبونا بأسـمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ فَيَسُبُّوا اللَّـهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾)[1].

وإذا ما اسـتثنينا موضوع الشتم واللعن والمثالب والمطاعن، فليست هناك مشكلة في تعايش المذاهب وإعلان كلّ فرقة لمعتقدها، فنحن الشيعة لا مشكلة لنا في التعايش مع الإباضية مثلًا، لكننا لن نقبل منهم إذا أعلنوا بعض آراء الخوارج السّابقين في النيل من الإمام عليّ عليه السلام.

وكذلك فإنّ السنة لن يقبلوا من الشيعة اللعن والشتم للصحابة والخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين.

وأذكـر هنا رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تدعم هـذه الفكرة، حيث يقول عليه السلام موجّهًا كلامه لشيعته: (ما أيسر ما رضي الناس به منكم، كفّوا ألسنتكم عنهم)[2].

□ **صحيح أن نقول إنّ عليًّا عليه السلام كفّ نفسه عن القتال في قصة السقيفة للتعايش؟**

◀ نعم يمكننا القول بكلّ تأكيد أنَّ عليًّا عليه السلام لم يشهر السلاح بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله دفاعًا عن حقّه في الخلافة؛ مراعاةً للمصلحة العامة للإسلام والأمة، التي كانت سـتتضرر لو اندلعت حرب أهلية آنذاك، لأنّها سـتعيد حالـة الاحتراب والاقتتال بيـن القبائـل العربية، التـي عانت منها سـنين طويلة، وتجاوزتها ببركة الإسـلام، الذي اعتبرها أكبر نعمة تحققت بفضله، يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٧٢.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص٢٥٤، حديث ٢١٤٩٩.

إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[سورة آل عمران، الآية:١٠٣] فما كان يصحّ لعليٍّ أن يفتتح ويدشّن حالة العودة للاحتراب والاقتتال، كما أنّ عنوان الحرب حينئذٍ سيكون الصراع على السّلطة، وهو ما يعزّز حالة الارتداد، ويعطي الانطباع بأنّ الدين مجرّد غطاء لمصالح سلطوية لا أكثر، كما سيشجع القوى خارج الجزيرة العربية للانقضاض على الكيان الإسلامي.

وهذا ما توحي به الكلمات الواردة عن عليٍّ عليه السلام حول الموضوع.

كقوله عليه السلام في خطبة له بذي قار: (قد جرت أمور صبرنا فيها وفي أعيننا القذى؛ تسليمًا لأمر الله تعالى فيما امتحننا به؛ رجاء الثواب على ذلك، وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلمون، وتسفك دماؤهم)[١].

وما رواه أبو الطفيل عامر بن واثلة: (كنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت عليًّا عليه السلام يقول: بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحقّ به منه! فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع القوم كفّارًا، ويضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف)[٢].

□ **بعض المعاصرين يقولون لا تجوز التقية اليوم. لأنّ وسائل الإعلام لم تبق لنا شيئًا وعقيدة وحقيقة للكتمان. كلّ شيءٍ مكشوف للعالم. إذاً لا حاجة للتقية في الظروف الراهنة. مثلًا شيعيّ وسنيّ كلاهما يعتقدان بالنسبة للآخر أخطاء كبيرة أحيانًا تؤدّي إلى التكفير، وهذا مكتوب في كتبهم. لماذا نسعى للكتمان ولغرض غير ممكن؟ ما رأي سماحتكم؟**

◀ من الناحية الشرعية فإنّ التقية جائزة عند الحاجة إليها في كلّ زمان ومكان، وفي

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج١، ص٢٤٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٩، ص٦٣٥.

أيّ مجتمع، ولكلّ فردٍ وجماعة؛ نظرًا لإطلاقات النصوص المشرعة لها، كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾[سورة النحل، الآية: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[سورة آل عمران، الآية: ٢٨].

وأساسًا فإنّ التقية حكم عقليّ، ليس مقيّدًا بزمن؛ لأنّ العقل يقضي بتقديم الأهمّ على المهم.

أما تشخيص الظروف الخارجية وهل فيها ما يستدعي التقية أم لا؟ فهذا يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأوضاع السياسية والاجتماعية.

على مستوى العلاقة بين السنة والشيعة في العالم الإسلامي اليوم، أعتقد أنّ معظم أسباب التقية قد زالت، بسبب تغيّر الظروف السياسية والاجتماعية، التي أصبحت تؤمّن قدرًا كبيرًا من الحريات الدينية والفكرية، والتعبير عن الرأي، لكن بعض المجتمعات الإسلامية ما زالت تعيش أجواء التشدّد في آرائها ومواقفها، لا تتقبّل وجود وإظهار الرأي الآخر، فينبغي بثّ ثقافة التعددية، وحرية الرأي، والتسامح، وقبول الرأي الآخر في هذه المجتمعات، وإلى أن يتحقق التغيير في هذه المجتمعات، لا بُدّ من رعاية أجواء الوحدة والتعايش بين مكوناتها، فإذا كان إظهار رأي عقدي، أو ممارسة شعيرة مذهبية، يسبب خطرًا أو ضررًا، فإنّ التقية مطلوبة ضمن تشخيص القيادات الواعية في تلك المجتمعات.

ولا ينبغي الاندفاع عاطفيًّا خلف بعض المتحمّسين الذين تنقصهم الحكمة والوعي، فيوقعون مجتمعاتهم في حال من الانقسام والاحتراب، خاصة مع وجود قوًى سياسية داخلية وخارجية، تريد إشعال نيران الفتن الطائفية لأغراض ومصالح لا

تخفى.

وهنـاك فرق بين شـيء كان يطرح في الماضي، وتذكره كتـب التراث، وبين التعبئة الإعلاميـة والإثـارة الجماهيريـة، فليس كلّ ما حـدث في التاريـخ، ولا كلّ ما ورد في كتـب التراث، يصح تفصيله ونشـره على المسـتوى الشـعبي في الحاضـر، نعم يمكن أن يكـون محلّ نقـاش وحوار بين المختصين والعلماء مـن الجهتين، لا أن يكون مادة مبتذلـة للنـزاع والخلاف، يشـغل أبناء الأمة عـن قضاياها المصيرية، وعـن التحديات الكبيرة التي تواجهها.

ويمكننـا هنا الاستشـهاد بجـواب الإمام علـيّ عليه السلام لبعض أصحابه وقد سـأله كيف دفعكـم قومكـم عن هذا المقـام وأنتم أحقّ به؟ فقـال عليه السلام: (يَا أَخَا بَنِي أَسَـدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ تُرْسِـلُ فِي غَيْرِ سَـدَدٍ وَلَكَ بَعْـدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْـأَلَةِ وَقَدِ اسْـتَعْلَمْتَ، فَاعْلَـمْ أَمَّا الِاسْـتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَـباً وَالْأَشَـدُّونَ بِالرَّسُـولِ صلى الله عليه وآله نَوْطـاً فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَـحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَـخَتْ عَنْهَا نُفُـوسُ آخَرِينَ وَالْحَكَمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ * وَ لَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ...)[1].

فالإمـام هنـا يعتبر إثـارة موضوع الخلافة بعد رسـول الله صلى الله عليه وآله في ظـرف المواجهة مـع معاويـة، ينبعث من اضطراب الفكـر (قَلِقُ الْوَضِينِ) ومن عـدم الحكمة في الطرح (تُرْسِـلُ فِي غَيْرِ سَـدَدٍ) ويدعو إلى ترك إثارته، وتركيز الاهتمام على المعركة الحاضرة ضدّ تمرّد معاوية.

□ **كيف نستطيع أن نحكّم التقية على العالم الإسلامي؟ كيف نتعامل مع الأعمال والأقوال المضادة للتقية والمؤدية إلى الصراع؟**

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٦٢.

- هؤلاء الذين يثيرون القضايا الطائفية ليست المشكلة معهم أنهم يخالفون التقية، بل إنّهم يشعلون الفتنة، ويخدمون مخططات الأعداء، وينبغي توعية المجتمعات لرفضهم، ورفض توجّهاتهم، باعتبارها خطرًا على مصلحة الإسلام والأمة بشكل عام، وعلى التشيع والشيعة بشكل خاصّ.

فمعظم ما يقولونه ليس حقًّا نطالبهم بكتمانه، بل معظمه ادّعاءات ونقولات غير ثابتة، أو لا تمثل أصولًا عقدية في المذهب، وليست محلّ اتفاق وإجماع عند علماء الشيعة.

وقد كتب العلماء والباحثون تفنيدًا علميًّا لتلك المقولات، لكنهم يصرّون على طرحها، بمبررات واهية، وأدلة مصطنعة، نسأل الله أن يهديهم، وأن يكفي المسلمين سنة وشيعة شرّهم.

حوار حول التجديد في الفكر الإسلامي ..
إجابات لأسئلة الباحث بدر موسى السيف*

□ **ما هو تعريفكم للتجديد؟ هل تغيرت نظرتكم للتجديد كفكرة أو أداة للتغيير في السابق؟ وكيف كان هذا التطور الفكري؟ هل استخدام مصطلحات أخرى كالإصلاح والتحديث تعيق الفكرة أم لا مشاحّة في الاصطلاح؟ وهل تتغير الفكرة بتغير المصطلح؟ ما هي عناصر التجديد الثابتة والمتحولة؟**

التجديد هو تقديم فهم جديد في المسألة الدينية فكرية كانت أو فقهية، ذلك أن فهم أي قضية دينية يتم عبر جهد بشري يستوثق من صدور النصّ الديني، ويتأمل في دلالته ومراده، وقد يكون مصيباً أو مخطئاً، وقد يكون ذلك الفهم متأثراً بمستوى المعرفة العامة لدى منتجه، والبيئة التي عاشها، والعصر الذي كان فيه، كما قد يكون استجابة لحاجة أو تحدٍ في تلك الظروف التي أحاطت بإنتاجه.

* باحث من الكويت، حاصل على الماجستير من جامعة هارفارد، وجامعة جورجتاون، وجامعة لندن، طالب دكتوراه في جامعة جورجتاون الأمريكية، مؤسّس ورئيس مؤسسة السيف للاستشارات، له أبحاث نشرت في مجلات علمية محكمة.

مـن هنـا يكون مشـروعاً ومطلوبـاً مراجعة ما ورثناه مـن فهوم دينيـة، لأننا لا نقول بعصمـة العلماء الذين قدموها، ولأننا نعيش عصراً تطور فيه مسـتوى العلم والمعرفة، ونواجه حاجات وتحديات جديدة.

- لقد تأكدت قناعتي أكثر بضرورة التحديد وأنه سبيل أساس للتغيير.
- لا مشـاحّة في الاصطلاح ما دام الهدف واحدًا، وهو الانعتاق من أسـر الواقع المتخلـف الراكـد، والتطلـع إلـى أفق أفضـل، بعنـوان التجديـد أو الإصلاح أو التحديـث أو النهـوض. وقد يكـون المعنى اللغوي لـكل كلمة يختلف عن الأخرى من زاوية ما، لكن المقصود منها واحد كما يبدو.
- العنصـر الثابـت هـو القيم والمبادئ الأسـاس فـي الدين، إلى جانـب مرجعية العقل في أحكامه القطيعة ومنهجيته في البحث والإدراك.
- والعنصـر المتحول هو الموضوعات الخارجية والواقع الاجتماعي وتطورات العلم والمعرفة.

□ **مـا هـي المجالات الرئيسـية التي ينبغي علـى المجدد أن يبادر بهـا في الوقت الراهن؟**

◀ من أهم مجالات التجديد في الوقت الحاضر ما يلي:

- مجـال المعتقـدات والمفاهيم، فإن المعتقدات الثابتة على الصعيد الإسـلامي العام، هي الايمان بالله تعالى، وبالرسـول محمد صلى الله عليه وآله وسـلم، وبالآخـرة، أمـا تفاصيـل هـذه المعتقـدات، وما ينبثـق عنها، وكذلـك منظومة المفاهيم والأفكار التي تشكل رؤية الإنسان عن الحياة، هذه التفاصيل العقدية والمفاهيـم الفكريـة، بحاجة إلى مراجعة، لفرز ما لحـق بها من آثار الخلافات والصراعات المذهبية والسياسية، في القرون السابقة، وكذلك إفرازات عصور التخلـف التي انعكسـت على طرح بعـض المفاهيم الدينيـة، كمفهوم التوكل،

والزهد، والصبر....

- مجال التشريعات المتعلقة بشؤون الحياة وإدارة المجتمع، كتشكيل السلطة السياسية، والنظام الاقتصادي، والتنظيم الاجتماعي، والعلاقة مع الآخر.. فما ورثناه من هذه التشريعات يحتاج إلى إعادة دراسة وبحث؛ لأن بعضه كان مناسباً لزمن مضى، كما نحتاج إلى استنباط تشريعات جديدة ضمن ضوابط الاجتهاد الشرعي، للموضوعات الجديدة، والقضايا الحادثة.

□ **ما هي المنهجية والإستراتيجية الأفضل لدفع حركة التجديد في فهم الدين؟ هل التعاون عبر مؤسسات دينية دولية، أو التنسيق مع حكومات مهتمة بالتجديد، أم التعامل مع أفراد هو الحل الأمثل، أم هناك منهج مختلف؟ هل بالإمكان عرض مثال لمنهج تم الاستعانة به وعلى أثره وقع تجديد ما؟**

◄ لا بُدّ من الاستفادة من مختلف الفرص المتاحة لإنجاز مهمة التجديد، فقد تكون هناك فرصة أمام شخص أو جهة أو في بلد، ولا تكون متوفرة لأفراد آخرين أو في بلد آخر.

- إن أي مجموعة من الأفراد المهتمين بالتجديد، والكفوئين لخوض غماره، لو تعاونوا فيما بينهم يكون إنجازهم أقوى، وتأثيرهم في الساحة أكبر.
- وإذا ما أبدت حكومة من حكومات البلاد الإسلامية توجهاً لتبني التجديد الديني ودعمه، فهذا ما يجعل المهمة أيسر لما تمتلك الحكومة من إمكانات، ولأنها قادرة على التطبيق والتنفيذ، شرط أن تبقى ممارسة الاجتهاد والتجديد في إطارها العلمي الموضوعي، دون تدخّل من الحكومة لتوجيه المسار لمصالح سياساتها، إذ يفقد المتصدون للتجديد حينئذٍ استقلاليتهم في البحث، والتعبير عن رأيهم، كما تفقد الأمة الثقة بمخرجات هذه العملية.
- ولا شك أن العمل المؤسسي وتصدي مؤسسات دينية لمهمة التجديد، هو

الخيار الأفضل والأمثل، لما في العمل المؤسسي من ديمومة وتضافر للجهود، وإذا كانت المؤسسة دولية، فإن فاعليتها ستكون أكبر ومساحة تأثيرها أوسع لصالح عملية التجديد.

- ويمكنني الإشارة هنا إلى تجربة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، والذي تأسّس للنظر في المسائل الشرعية التي تواجهها الجاليات الإسلامية المتواجدة في البلدان الغربية؛ لأن بعض تلك المسائل التي يطرحها الفقه التقليدي تسبب العسر والحرج لهم، وتفصلهم عن البيئة التي يعيشون فيها، وتخلق انطباعات غير إيجابية عن الإسلام في أوساط غير المسلمين، وقد تحدث ردود فعل لدى أبناء الجالية من الأجيال الصاعدة.

وقام هذا المجلس بالفعل بإعادة النظر في بعض تلك المسائل واستنباط البدائل المناسبة ضمن حدود القواعد الشرعية.

□ **ما هي المعايير التي يجب توافرها في المجدد؟ هل التجديد حصريٌ على العلماء ورجال الدولة؟ أم يصنف المجدد بناءً على عمله ونشاطه الفكري؟**

◀ ما دمنا نتحدث عن التجديد في المجال الديني، فلا بدّ أن يتوفر القائم به على مستوى من المعرفة الدينية، يخوّله إبداء الرأي في مجال بحثه.

ففي المجال الفقهي لا بدّ وأن يكون فقيهاً، يمتلك أدوات الاجتهاد والاستنباط، وفي المجال الفكري والثقافي، لا بدّ أن يكون باحثاً مطلعًا على النصوص الدينية والنظريات والآراء في موضوع بحثه.

من ناحية أخرى يحتاج الفقيه أو الباحث المجدد لمعرفة الواقع الخارجي، والتطور الحاصل في موضوع بحثه، لأن داعي التجديد هو الاستجابة لتحديات العصر، وتطورات الحياة، فلا بدّ من معرفة ما يرتبط منها بميدان البحث كالسياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع، ليتمكن من تنزيل الحكم الشرعي على الموضوع، فتشخيص

الموضوع ضروري قبل إطلاق الحكم عليه.

□ **مـن تصنفون كمجددين اليوم في الجزيرة العربية؟ ولماذا وقع اختياركم على هؤلاء الأفراد؟**

◀ من أبرز المجددين المعاصرين في الجزيرة العربية ـ في نظري ـ الدكتور الشـيخ عبدالهادي الفضلي من الشـيعة، والدكتور الشـيخ يوسف القرضاوي من السنة، لمـا قدماه من نظريـات وآراء جديدة في المجال الدينـي الفكري والفقهي، ولما أنجـزاه مـن أعمـال وبحـوث علميـة تجـاوزت السـائدة والمألوف، ولامسـت حاجات المجتمعات المعاصرة، واستجابت للتحديات التي تواجه الفكر الديني والشريعة الإسلامية.

□ **أي مـن كتبكـم ومقالاتكم تعرضت للتجديد؟ وهـل بالإمكان الحصول على نسخة؟ ما هي معالم مشروعكم الفكري؟**

◀ لدي كتابات ومقالات متواضعة تحمل همّ التجديد، وتدعو إليه، وتعرض بعض مجالاتـه، وتقـدم فيها بعـض المعالجات، ومن أواخـر كتاباتي في هذا السـياق كتـاب بعنـوان «الثابت والمتغير في الأحكام الشـرعية». ومعظـم كتبي وكتاباتي موجودة على موقعي في الشبكة العنكبوتية (الانترنت).

□ **مـا هـي التحديات التـي تواجه التجديد؟ وكيـف لنا أن نتخطاهـا؟ هل عملية التجديد اليوم تعاني من أزمة؟**

◀ أهم تحدٍّ يواجه التجديد هو مراكز القوى التقليدية في المؤسسات الدينية، والتي تتمسـك برؤيتها وآرائهـا، وتعارض أي نقـد أو تجديد، إلتزاماً بآراء الأسـلاف، وتخوفـاً مـن الذوبـان وتمييـع المبـادئ والأحـكام الشـرعية انبهـاراً بالغـرب، وخضوعاً لحضارته المادية الزاحفة.

والوجه الآخر لهذا التحدي يكمن في عاطفية الجمهور المسلم، مما يسهّل حشده وتجييشه خلف التوجهات التقليدية، ولمواجهة خط التجديد والإصلاح.

ولتجاوز هذا التحدي لا بديل عن توعية الجمهور، ورفع مستوى الجرأة والإقدام لدى القيادات الدينية الواعية، حتى لا تتهيب من طرح آراء التجديد، ولا تتراجع أمام ضغوط الشارع المسيّر بالعاطفة.

إن عملية التجديد اليوم في وضع متقدم عما كانت عليه في القرن المنصرم، لزيادة عدد روادها من العلماء والباحثين، من مختلف أرجاء الأمة، بعد أن كانوا أفراداً يعدون على الأصابع طيلة القرن الماضي.

كما أن مساحة الوعي في جمهور الأمة أصبحت أوسع من ذي قبل، وإن لم تصل إلى مستوى ترجيح كفة الإصلاح والتجديد.

□ **هناك من يربط قصور عملية التجديد الإسلامي بقصور النظم المعرفية الإسلامية وارتباطنا وتأثرنا بالمنظومة الفكرية الغربية مباشرةً أو بطرق غير مباشرة منذ عهد الشيوخ محمد عبده والافغاني. ما تعليقكم؟**

◀ لا شك أن هناك قصوراً في النظم المعرفية الإسلامية، بسبب الركود والجمود الذي اجتاح أوساط علماء الأمة، لكني لا أرى التشديد على حالة المفاصلة والقطيعة مع فكر الحضارة الغربية، بل ادعو للانفتاح عليه ونقده، والاستفادة من الثراء المعرفي فيه، وتحديد مواقع الاختلاف معه، ليكون مدخلاً للحوار بين الحضارات والثقافات.

وتجربة الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده، وأمثالهم، أنموذج إيجابي للانفتاح على الآخر، والاستفادة منه في جانب، ونقده في جانب آخر، ولولا انفتاح هذه الشخصيات على الحضارة الغربية، لما تميّز تفكيرهم ودورهم على أقرانهم الكثيرين المعاصرين لهم.

□ **ما هو مستقبل التجديد في الفكر الإسلامي بناءً على معطيات حاضرنا؟**

◄ إني متفائل بمستقبل التجديد في الفكر الإسلامي، فعضويتنا في القرية الكونية الواحدة، تفرض علينا التطور والتغيير، وإذا ما عدنا لمفاهيمنا الدينية الصحيحة فستحفزنا للتجديد والتطوير، وتجارب الإصلاحيين والتنويريين في الأمة تشكل دافعاً ورصيداً لرواد التجديد، وتعزز هذه التوجهات في أوساط جماهير الأمة.

□ **بم تنصحوني وأنا مقبل على دراسة ظاهرة التجديد في الفكر الاسلامي المعاصر في الجزيرة العربية؟**

◄ أقدّر لك اهتمامك بهذا الموضوع الجادّ المهم، وأرجو أن تبذل فيه جهداً يتناسب مع أهميته، بالقراءة أكثر حوله، وبالانفتاح على العلماء والباحثين المهتمين به من مختلف المذاهب والمدارس الإسلامية.

آملاً لك التوفيق والنجاح.

حوار عن شخصية الدكتور الفضلي ضمن
برنامج وثائقي في قناة الإيمان اللبنانية*

معالم المنهج الفقهي

□ **بماذا امتازت معالم المنهج الفقهي للدكتور عبدالهادي الفضلي؟**

◀ الشيخ الفضلي من الفقهاء الرّواد المجدّدين، هناك فقهاء يمارسون فقاهتهم ضمن السّائد والمألوف، وهناك فقهاء يبدعون ويبتكرون، ويقدمون إنتاجًا فقهيًّا فيه تطوير لما هو سائد.

قدّم الشيخ الفضلي مشاريع ومقترحات لتطوير المنهج الفقهي، وأنتج مؤلفات وبحوثًا فقهيّة ضمن الرؤية التي طرحها لتشكل أنموذجًا وعينة.

فقد اهتم بتطوير مقرّرات الدرس الحوزوي استمرارًا لمهمّة أستاذه الشيخ محمد رضا المظفر، وقام بمشروع لصياغة معظم مقرّرات مرحلة المقدمات، منها: خلاصة المنطق، مبادى علم أصول الفقه، مختصر الصرف، تلخيص البلاغة، خلاصة علم الكلام وغيرها.

* برنامج ثقافي ديني يوثّق لشخصيات علمائية هامّة في التاريخ الإسلامي القديم والحديث، مع التركيز الاكيد على أفكار وإبداعات هؤلاء أكثر من سيرتهم الشخصيّة.

ولمرحلة الفقه الاستدلالي أو بحث الخارج ـ حسب المصطلح ـ كتب: دروس في فقه الإمامية ٤ أجزاء، التقليد والاجتهاد، دروس في أصول فقه الإمامية جزآن، مبادئ أصول الفقه، الوسيط في قواعد فهم النصوص.. وغيرها.

كما اجتهد في وضع مقررات رأى غيابها في الحوزات، منها: تاريخ التشريع الإسلامي، أصول البحث، أصول علم الرجال، الدولة الإسلامية، أصول الحديث، أصول تحقيق التراث، التربية الدينية، القراءات القرآنية.

من معالم منهجه الفقهي على مستوى المضمون:

١. التأكيد على الفهم العرفي للنصوص الدينية، على أساس أن الشارع في بيانه لا يبتعد عن الأسلوب العرفي الذي يتبانى عليه الناس.. لذلك ينتقد في مقدمة كتابه (دروس في فقه الإمامية) المنهج الفلسفي ويرى أنه قد تسرّبت قواعد ولغة الفلسفة وأدواتها إلى المتون الفقهية، فأثرت على لغة الفقهاء المتأخرين وفهمهم بما لم يعهد في متون المتقدمين.

فمثلاً لا يرى صحة تقسيم الاجتهاد إلى مطلق وتجزؤ، ويرى أنّ ذلك يرجع إلى التعليل الفلسفي لملكة الاجتهاد، التي يراها ملكة بسيطة توجد أو لا توجد، فإذا وجدت كقدرة فإنها قابلة للممارسة في مختلف أبواب الفقه، إلا أنّ تكون هناك عوامل خارجية لا علاقة لها بملكة الاجتهاد. فالاجتهاد لا يوصف بالإطلاق ولا يقيّد بالتجزؤ.

ومثل ذلك رأيه في مسألة عدم اشتراط الأعلمية في التقليد أو العدول في التقليد من مجتهدٍ إلى آخر اعتمادًا على الفهم العرفي للنص.

٢. الاهتمام بالبعد التاريخي بمعرفة بيئة صدور النص الشرعي، ومصاديقه آنذاك، وكذلك مسار تاريخ بحث المسألة، متى بدأ بحثها؟ وكيف تطورت؟ ويرى أنّ لذلك أثرًا في فهم النص.

وكمثـال على ذلك بحثه حول الغناء وأنّ النصوص الناهية عنه كانت تشـير إلى حالة ظهرت آنذاك وهي مجالس الطرب ومحافل الغناء في العصر العباسي وهو القدر المتيقّن مما يجعل حرمة الغناء عرضية وليست ذاتية.

كما لاحظ أنّ مسـألة اشـتراط الحياة في المرجع لم يثر البحث فيها إلا في القرن العاشر من قبل الشهيد الثاني.

٣. التفاعل مع العصر بالانطلاق بالفقه إلى مسارات جديدة تلبّي حاجات المجتمع المعاصر. وتستفيد من تطور العلم والمعرفة في مختلف المجالات.

فهـو يشـير إلى الاجتهـاد الجماعـي، ويعرض رأيـه حول سـنّ اليأس عند المـرأة واختلاف القرشـية عن غيرها، وأنّ ذلك على نحـو المثالية، فقد تكون المرأة ضمن بيئة أو سلالة معيّنة كذلك وليس خاصًّا بالقرشية.

وكـذا موقفـه من صلاحية المـرأة لتولي الوظائـف العامة، ومنهـا القضاء، ورئاسـة الدولة، فقد وضع المسألة في سياق تغيّر واختلاف الزمان (يوم كانت المـرأة ربـة بيت غيـر متعلمـة ولا مطلعة لم تكـن مؤهلة لتلك المسـؤوليات، أمـا اليوم فقـد اختلف الوضع وأصبحت والرجل علـى صعيدٍ واحدٍ من حيث المستوى والقدرة).

٤. منهجية البحث العلمي الموضوعي: بتتبع الأقوال والآراء والاتجاهات في موضوع البحث، ومناقشتها حسب المعايير العلمية، دون قيود نفسية، حيث استبعد المعيار المذهبي للتقييم، فلو كان هناك رأي فقهيٌّ معتمد عند أهل السنة، يعضده الدليل فلا بُدّ من قبوله، وإن لم يكن مقبولاً لدى مشهور الشيعة. ولا يرى التهيّب من الإفتاء خلاف الرأي المشهور ورأي الأسلاف، متى ما كان هناك دليل مقبول، كما في تعليقه على رأي الكاشاني في (الغناء) وما تعرّض له من هجوم واتّهام بالتأثر برأي السنة، فقال:

أ/ إنّ اختيار الرأي العلمي وتبنّيه من قبل عالم آخر ظاهرة علمية شائعة لا مجال لإنكاره ولا المؤاخذة عليه.

ب/ كون الرأي لغير أبناء المذهب ليس سببًا مسوّغًا للرفض.

ج/ إنّ اختيار الرأي إمّا للاقتناع بصحة دليل القائلين به وهذا صحيح، أو لوجدانه في مذهبه ما يسنده. وهذا ما فعله الكاشاني حيث استدلّ بصحيحة أبي بصير حول الموضوع. فهو يدعو إلى دراسة الآراء غير المشهورة وليس رفضها مبدئيًّا، ويدعو إلى استحضار مقاصد الشريعة والإطار العام للتشريع.

وأخيرًا يؤكّد على الالتزام بنتائج البحث العلمي والتعبير عن الرأي الناتج دون رهبة أو خوف. كما يُحذّر من تأثير الميول الشخصية على عملية الاستنباط.

على مستوى الأسلوب والشكل:

١. تحديث أسلوب ولغة الطرح في الأبحاث والفتاوى، وتغيير المصطلحات القديمة كالمقادير والأوزان والفراسخ والصاع والمد، وما له نفس سائلة. وحتى بعض المصطلحات المتداولة كالحدث الأصغر، فقد انتقده وقال: إنه لا مبرّر لإطلاق الأصغر؛ لأنه يستدعي وجود حدث صغير دونه، فالأصوب أن يقال الحدث الصغير والكبير. وكذلك مصطلح الأعلم، والأصح أن يقال الأفقه؛ لأنه أوضح في تعريف المفهوم والدلالة على المعنى.

٢. تطوير تبويب الفقه إذ يقترح المنهج التالي:

- أحكام الفرد.
- أحكام الأسرة.
- أحكام المجتمع.

■ أحكام الدولة.

ويؤكد على بحث المسائل المستحدثة كالمصارف والتأمين، وقد كتب بحثاً حول المعاملات البنكية.

وينتقد أسلوب الشروح على المتون. وذلك بأن يعمد الفقيه إلى كتاب لفقيه سابق فيشرحه استدلاليًّا، مما قد يفوّت عليه بحث كثير من الفروع ذات الأهمية والابتلاء التي لم يتطرق لها المتن، ويحشره في بحث فروع غير ذات أهمية. فيقترح اتباع طريقة التأليف المستقل.

مراحل الدراسة الحوزوية:

كما كان للشيخ الفضلي تصورٌ متكامل لمقرّرات الدرس الحوزوي، حيث قسمها إلى ثلاث مراحل:

١. دراسة العلوم المساعدة للتخصص في الفقه: مبادئ علم الاجتماع والنفس والقانون والاقتصاد والكلام والفلسفة والتربية وإحدى اللغات الحيّة.

٢. المقدمات: النحو والصرف والتجويد والبلاغة والمنطق ومناهج البحث ومبادئ أصول الفقه ومبادئ الفقه.

٣. علوم التخصص بالفقه: علم أصول الفقه، والقواعد الفقهية، والدراية والرجال والفقه الاستدلالي.

كما كان للشيخ الفضلي رحمه الله دعوة لإنشاء جامعات تُعنى بشؤون الفكر الإسلامي، وتطوير الحوزات وفق متطلبات حياة المسلمين المعاصرة.

التجديد والعوائق الاجتماعية

□ **للشيخ الفضلي محاضرة بعنوان التجديد والعوائق الاجتماعيّة. ولطالما تطرّق إلى التجديد في مختلف كلماته وندواته ومؤلّفاته. وفق أيّة رؤية دعا**

إلى التجديد؟ وما هي أبرز العوائق التي ربطها به؟

◀ يرى الفضلي أنّ التجديد تفرضه طبيعة الاستجابة لتطورات الحياة ومستجدات حاجات المجتمع وتقدم العلم والمعرفة.

وإذا كانت الأصول والقيم الدينية ثابتة، فإنّ الثقافة والتشريعات متغيّرة، حسب طبيعة الدين الإلهي، لذلك توالت الشرائع السماوية، ولم تكن واحدة، وفتح الإسلام باب الاجتهاد.

أما عوائق التجديد التي واجهها الفضلي وسائر المصلحين، فأهمّها: تشبّث المجتمع بالمألوف والموروث، وتقديس رأي وأسلوب السّابقين.

والعائق الآخر: وجود مراكز قوى تستفيد من الواقع القائم، وتواجه من تراه مزاحمًا لنفوذها ومصالحها.

عاشوراء وأهل البيت

□ **كيف أطلّ من خلال فكره ومؤلّفاته على قضايا عاشوراء وأهل البيت عليهم السلام؟**

◀ كان يدعو لدراسة الحسين وتقديمه كحركة معارضة في مقابل الظلم والطغيان. وينتقد بعض أدب عاشوراء الذي يصور كربلاء وكأنها صراع عائلي بين بني أميّة وبني هاشم.

ويرى ضرورة إبراز روح المسؤولية العالية لدى أهل البيت تجاه الإسلام والأمة.

كما يرى أنّ تركيز الخطاب الشيعي على القضايا التاريخية ذات الطابع المذهبي الخلافي استصحاب لحالة سابقة في عهود التناحر الطائفي كما حدث بين السلاجقة والبويهيين وبين الصفويين والعثمانيين. وأنّ هناك الآن تغذيةً له من الاستكبار العالمي.

ويؤكد على دراسة الأئمة من خلال فكرهم السياسي وتطبيقاته وفكرهم الإداري

وتطبيقاتـه.. فذلـك هو مـا يوضح الإمامـة ويُجسّـدها.. وليس مجرّد الآدلـة الكلامية والفلسفية، وهو ما يأخذه على القراءة المجردة للإمامة.

يقول: لم أقف من خلال قراءاتي للكثير مما كتب عن سـيرة الأئمة على من تناول سـيرتهم في هدي منهج سياسـي تاريخي مسـتمد من واقع الإسلام، وهذا ما يمكن أن نستفيد منه كامل الأحكام الإسلامية في الادارة والسياسة.

فمثـلا يقـول: إنّ الامام عليًّا عليه السلام يمكن أن يقدّم نموذجاً إذا درسـناه من خلال فكره الإداري وتطبيقاته، ومن خلال فكره السياسي وتطبيقاته.

وبالنسـبة للإمام الحسـين فإننا ندرسـه من جهـة أن يزيد حاول أن يأخـذ البيعة منه وامتنـع الامام الحسـين وقتـل.. بينما الإمام الحسـين كان يمثل حركـة المعارضة عند المسلمين في مقابل تجاوزات وانحرافات الحكام آنذاك.

دور وواجب عالم الدين

□ **كيف كان يُحدّد العلّامة الفضلي دور وواجب عالم الدين؟**

◀ كان يـرى أنّ لعلمـاء الديـن دوراً محوريًّا في حفظ وحدة الأمـة وكيان المجتمع الإسـلامي، وأنّهـم يتحمّلـون مسـؤولية كبيـرة في نـزع أسـباب الفرقة الناشـئة عـن الفهم المغلـوط للدين. كما في كتـاب جمع بعض محاضراتـه عن الوحدة الإسلامية.

ويمكننا أن نستخلص رؤيته لدور وواجب عالم الدين في المهام التالية:

١. بذل الجهد في استكشاف مفاهيم الدين وتشريعاته، وكان - رحمه الله - أنموذجًا في البحث والاستكشاف. والنتاج المعرفي ليبين مفاهيم الدين وتشريعاته.

٢. فهم واقع الحياة الذي يعاصره العالم، فقد يفتي حول مسألة ترتبط بواقع لم

يتعرف عليه بالشكل الكافي. وتحدث عن ذلك في بحثه عن البنوك والمعاملات المصرفية، حيث وجد أنّ هناك عدم اطلاع كافٍ لدى بعض الفقهاء على طبيعة العمل المصرفي في واقعه المعاصر.

وحول كثرة لجوء الفقهاء المتأخرين في الفتوى للاحتياطات، يقول: إنه يعود إلى عدم ارتباط الفقيه بأجواء الحياة التي سوف تتحرك فيها فتواه، فلو علم الفقيه مدى حرج المكلفين لما أفتى بذلك.

كان يطالب العلماء بالاطّلاع على مناهج البحث الحديثة وعلى الدراسات الفقهية الحديثة، وهو شخصيًّا كان يحرص على قراءة أيّ دراسة فقهيّة من أيّ مذهب عن الموضوع الذي يبحث فيه، حيث اجتهد كثيرًا للحصول على بعض كتب المذهب الزيدي من اليمن.

٣. تمثل عالم الدين لقيم الإسلام وأخلاقه ليثبت مصداقيته وتطابق عمله مع علمه، وليكون قدوة، وصورة مشرقة عن الدين.

كان رحمه الله يرى: أنه بسبب هذا التطور الهائل المتحقق في حياة الإنسان المعاصر لا بُدّ أن يتوفر الفقيه على عنصرين يضافان إلى شروط الإفتاء المعروفة، وهما:

- الثقة المتينة بالنفس وبقدرته الفقهية والعلمية في مجال الاستنباط.
- فهم الحياة وفهم كيفية التعامل معها.

موضحا ذلك: إذا كان الفقه هو نظام هذه الحياة فمن المفترض أن الفقيه يفهم الحياة حتى يطور الفقه ويطوعه ليكون نظامًا لهذه الحياة، (فهم الموضوع نصف الحكم).

ويقول: يجب أن ندرس أوضاع الحياة لنقول إنّ فقهنا يعيش الحياة وليس في عزلة عنها.

ترسيخ الوحدة

□ **عُـرف الشـيخ الفضلي كشـخصيّة وحدويّة. كيف عمل على ترسـيخ الوحدة على ضوء المواقف التي تثبت حرصه وتمسّكه بالوحدة في وجه الفتن؟**

◀ يمكننـا أن نـرى في خطابـات وكتابات وحوارات الشـيخ الفضلـي التركيز على موضوع الوحدة من خلال الأمور التالية:

١. **التوجه للاهتمامات المشتركة في الأمة.**

حيث يرى ضرورة تنمية روح الانتماء للمبدأ الإسلامي والوطن الإسلامي عند الفرد المسـلم، وهـم المحافظة على وحـدة الصف ووحدة الكلمة مستشـهداً بقول عليٍّ عليه السلام: (لأسـالمنَّ ما سـلمت أمور المسـلمين) وهذا يعني الأخذ بمبدأ المسالمة الموصل إلى سلامة أمور المسلمين. على حدّ تعبيره.

٢. **التعارف والقراءة السليمة بين المذاهب الإسلامية فقد كتب (مذهب الإمامية بحث في النشأة وأصول العقيدة والتشريع) وقدم فقه الإمامية ومعارفهم بصورة مقبولة.**

ودعا لفتح باب الدراسات المقارنة وتعميمه في المعاهد والمؤسّسات.

٣. **يرى أنّ التعصب والذاتية هي جذر المشكل الطائفي، وليس الاختلاف الفكري. ويدعو إلى مواجهة ذلك.**

فقـد كان يرى أنّ الطائفية تتحرك على خطي الفكر والعاطفة، ففي خط الفكر هناك اختلافات في الآراء الاعتقادية والفقهية، وفي خط العاطفة هناك التعصب.

وحين يكون الاختلاف موضوعيًّا فلا مشـكلة، لكن المشـكلة إذا أصبح في منحى الذاتية وهذا يتأثر بالتعصب، ولمعالجة الطائفية لا بُدّ من معالجة الذاتية والتعصب.

ودعوته للوحدة لا تعني عدم الدعوة إلى الفكرة الحقّة التي يؤمن بها الفرد أو تؤمن بها الجماعة.

ويـرى أنـه بعد عهود من التعصـب لا بُدّ من التمهيد للتخفيـف من غلواء التعصب ولتبديد الأوهام.

مكانته قياساً بإنـجازاته

□ **حقّق الشيخ الفضلي مكانة رائدة، ورغم ذلك ثمّة من يقول إنّه لم يحقّق الشهرة التي يستحقّها مقارنة بالمكانة والإنجازات التي حقّقها وذلك لأسباب كثيرة رغم أنّه أهل لذلك. البعض يقول إنّ السبب خروجه من النجف إلى السعودية وليس إلى البيئة الشيعيّة الشعبيّة حيث حقّق آخرون لا يقلّ هو خبرة عنهم الشهرة الأوسع. والبعض يعتبر أنّ السبب هو تركيزه على الجانب الأكاديمي أكثر من الحوزوي فدفع الضريبة! والبعض يعزو السبب إلى عدم توافق آرائه مع آراء الأغلبيّة من المراجع والعلماء في حينها من الناحية الفقهيّة. والبعض أيضًا يحمّله المسؤوليّة؛ لأنّه لم يكن يحبّ الظهور والتباهي والتفاخر بإنجازاته. فهل صحيح أنّه لم يبلغ الشهرة والمكانة الشعبيّة المطلوبة للتأثير على الناس؟ وكيف تقرأ في هذه الأسباب التي ذكرناها بصفتها عائق؟**

◄ يبدو لي أنّ الشيخ الفضلي قد اختار الدور الذي يريد القيام به، واختار الشريحة التي يريد مخاطبتها.

هو لم يرد دور الزعامة السياسية ولا الاجتماعية، ولم يتصدّ للقيام بدور سياسي، عدا عن مشاركته الأولى في التأسيس لحزب الدعوة الإسلامية في العراق، وكانت بداية شبابه، ومن منطلق المواجهة الفكرية مع الاتجاهات المناوئة للاسلام كالشيوعية التي كانت تيارًا جارفًا في العراق.

لكنه انسحب فيما بعد من الارتباط بالحزب، كما أنّه لم يرد التّصدي لدور جماهيري بأن يمارس الدور التقليدي الجماهيري لرجل الدين من إمامة الجماعة والخطابة واستلام الحقوق الشرعية.

وابتعد عن البروتكولات الاجتماعية. ويمكنني القول إنه كان يبتعد عن كلّ نشاط جماهيري ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فلا يقبل الدعوات والضيافات كما هو سائد في المجتمع، وحتى مشاركاته في المناسبات الاجتماعية محدودة جدًّا، ومعروف أنه إذا اضطر للذهاب للتعزية بوفاة أحد ممن لا يمكنه التأخر عن حضور عزائه فإنه يذهب مبكرًا قبل اجتماع الناس ويؤدي واجب التعزية وينصرف.

من ناحية أخرى، لم تكن حوله حاشية أو جماعة تتبنى الدعوة إليه، وتعمل لالتفاف الناس حوله، حيث كان يهرب من ذلك، حتى مجلسه الذي كان يستقبل فيه الزائرين ليالي محددة، لم يكن له بروتكول للاستقبال والضيافة، بل كان مجلسًا عاديًّا عفويًّا، ميزته ما يطرح فيه من أفكار وآراء.

ولا شك أنّ انشغاله بالدراسة الجامعية سنينًا في القاهرة، وسنينًا أخرى بالتدريس في الجامعة بجدة، كان من أسباب ضعف تواجده الاجتماعي.

وكذلك عزوفه عن الإعلام، حيث لم يتجه للظهور في وسائل الإعلام، كلّ هذه العناصر والأسباب، جعلت شهرته ومكانته تقتصر على الأوساط النخبوية.

الدور الذي اختاره هو البحث والإنتاج العلمي، وخاصة ضمن المنحى الأكاديمي، حيث اهتم بتطوير المناهج الدراسية، وربى جيلاً من العلماء والشباب المثقفين الملتزمين.

على صعيد الإنتاج والتربية مكانته عظيمة في الحوزات والأوساط العلمية والمثقفين، ففي الوسط الأكاديمي الذي عايشه في جدة (جامعة الملك عبدالعزيز) له مكانة واعتبار.

كما أنّ كتبه الدراسية اعتمدت مقرّراتٍ في حوزات علمية كثيرة، ومن النادر أن تُدرّس كتب عالم في حياته، وأن تتعدّد الكتب التي تدرس من مؤلفاته.

صفاته الإنسانية وتعامله مع المسيئين

□ كيف كان يردّ على منتقديه والمسيئين إليه؟ (مع ذكر موقف)؟

□ حدّثنا عن أبرز معالم شخصيّته وصفاته الإنسانيّة على ضوء معرفتك به؟ وما هي أكثر عباراته ومواقفه التي ما تزال تؤثّر فيك؟

◀ من أهمّ الصفات الإنسانية التي تحلّى بها: التواضع، كان يحترم الصغير والكبير، ومع عظيم علمه ووافر فضله، إلا أنه ما كان يستعرض عضلاته العلمية أمام الآخرين، بل يطرح رأيه بتواضع وهدوء، ويشجع السّامعين على إبداء آرائهم، ويناقش الرأي المخالف برفق، لذلك كان الشباب يرتادون مجلسه على اختلاف توجهاتهم، ولا يتردّدون في طرح أسئلتهم وإشكالاتهم، كانوا يحترمون أبوّته وعلمه، لكن لا يتهيّبونه كما الشائع في العلاقة بين الناس وبعض العلماء.

ومن صفاته المهمة تشجيع الطاقات والقدرات بترغيبهم في الكتابة والبحث، وتقديم المساعدة لهم في منهجية البحث، وإعطائهم الملاحظات، ولا يرفض التقديم لكتاب يطلب منه مؤلفه تقديمه، مهما كان مستوى الكتاب، ودون نظر لمكانة المؤلف، لذلك تقدّر تقديماته بـ ١٢١ تقديمًا.

وكان منفتحًا على جميع الاتجاهات، حيث تسامى على الخلافات المرجعية السائدة، فينقل آراء مختلف الفقهاء في بحوثه، وبعضهم قد يكون ندًّا له أو اقلّ منه مرتبة علمية.

كما كان منصفًا مشيدًا بالعلماء العاملين والرساليين مهما كانت الأجواء مناوئة لهم، وأذكر في هذا السياق موقفه الصادق والشجاع في القول بمرجعية السيد فضل الله؛ لاقتناعه بفقاهته وأهليّته. رغم أنّ ذلك قد سبّب له بعض المشكلات في بعض الأوساط المرجعية.

وقـد رفض أن يردّ بعض تلامذته على كتابات ضده في الشـبكة العنكبوتية من قبل بعض المزايدين حينما اصدر كتابه (مذهب الإمامية.. دراسة في النشأة).

ويُذكـر أنّ إحـدى دور النشـر طبعـت لـه كتابًا دراسـيًّا فـي علم الأصـول، وكانت الأخطـاء فيـه كثيرة، لدرجـة أنها أغفلت ثلاث صفحـات من الكتـاب، وكان يتواصل مع الدار لتعديل الأخطاء دون اسـتجابة منها.. وأثناء ذلك جاءه أحد المثقفين الشباب يستشيره في طباعة كتاب له في هذه الدار، فشجّعه الشيخ دون أن يذكر له ما يعانيه من تعاملهـا معـه، وقصارى ما قالـه بأنّ هذه الدار لا يوجد لديهـا مدقق لغوي ونصحه بأن يسلّم الكتاب إليهم بعد تدقيقه جيّدًا.

لقـد كان الشـيخ الفضلـي أنموذجًا للعالـم الصـادق المخلـص المجتهد في خدمة العلـم والمجتمـع، تغمـده الله بواسـع رحمته، ووفـق العلماء المخلصيـن والمثقفين الواعين، لمتابعة مسيرته، وتطوير مشاريعه.

المحتويات

أول المسار ٧

خُطَبُ الجُمُعَة ١٣

تحصين المجتمع من توجّهات العنف ١٥

الإمام زين العابدين وخيارات المرحلة ٢١

حركات العنف تجارب فاشلة ٣١

ثقافة الاحترام ٣٩

توجهات مصلحية بغطاء ديني ٤٧

الموضوعية في توصيف الخُصُوم ٥٩

سوق الوضع والاختلاق في الأحاديث ٦٧

حماية مصالح المجتمع مقصد ديني ٨١

التزمت في الدين: نشأته ومظاهره ٩١

الانطلاق من المشتركات منهج العقلاء ٩٧

المسؤولية الفردية واستقلال الشخصية ١٠٥

لا تظلم من تكره ١١٣

استقلال الشخصية وحسن العلاقات ١٢١

الصراع على عقول الشباب ١٢٩
عادات الصرف وضرورة الترشيد ١٣٧
إمكانية الانتصار على السرطان..... ١٤٧
الخادمات حقوق وملاحظات ١٥٩
التنافس على الخدمة بين أفراد العائلة ١٦٧
العائلة مدرسة الاحترام والإكرام..... ١٧٥
احترام الناس ١٨١
التطوع بالوقت..... ١٨٧
المعرفة الدينية بين التفكير والتسليم..... ١٩٣
مجالس العزاء (الفواتح) ملاحظات وتقويم..... ٢٠٣
الواقعية في تطبيق القيم والمبادئ ٢١٣
التدخل في شؤون الغير وخصوصيات الآخرين..... ٢٢١
شهيد العمل الإنساني..... ٢٢٧
العتاب وحماية العلاقات الاجتماعية ٢٣٥
العيد ومضامينه الروحية والاجتماعية ٢٣٩
درس في التضحية بالحقوق لحفظ المصلحة العامة..... ٢٤٥
كيف نُشوّق أبناءنا للدراسة والتعليم..... ٢٥٣

كتابات..... ٢٦٣

سالم النويدري.. وقار الشخصية ونهج الاعتدال..... ٢٦٥
اختزان التجربة ومواصلة النهج ٢٧٥
الشيخ الصفار يستنكر اختطاف قاضي دائرة الاوقاف والمواريث ٢٧٩
المجتمع وقضايا التغيير والحوار..... ٢٨١

مبادرة للتبرع بالأعضاء ٢٨٥
الشيخ العمري قيادة حكيمة في ظروف صعبة ٢٨٧
الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي .. توثيق ببليوجرافي بآثاره ٢٩٣
كلمة في تكريم محافظ الطائف فهد بن معمر..... ٢٩٩
كلمة الشيخ الصفار ممثلاً لضيوف ملتقى الوقف الجعفري السادس... ٣٠١
مبادئ التعايش رؤية قرآنية ٣٠٥
علماء المنطقة يدعون مسلحي العوامية إلى إلقاء السلاح ٣١٧
كلمة عن الشهيد أمين آل هاني ٣١٩
أفي الله شك ٣٢١
للخطوبة أسرارها ٣٢٥

متابعات..... ٣٢٩

الصفار: المواطنون كتلة واحدة مع رجال الأمن منذ عهد المؤسس.... ٣٣١
الشيخ الصفار: المجال الديني ليس مستثنى من النقد والمراجعة ٣٣٣
الشيخ الصفار يدين أي استخدام للعنف في وجه الدولة أو المجتمع .. ٣٣٧
الصفار: خيار الانكفاء والعزلة السياسية ليس واردًا عند أئمة أهل البيت .. ٣٤١
مع الشيخ الصفار في كتاب ثقافة التنمية والإصلاح ٣٤٣
الصفار يدين الإعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف ... ٣٤٩
السناب شات الحسيني يكّرم الفائزين والمشاركين ٣٥٣
الصفار: لا غطاءَ دينيًّا أو سياسيًّا لحمل السلاح ضدّ الدولة ٣٥٥
الشيخ الصفار يدين الاعتداء على رجال الأمن بالقطيف..... ٣٥٧
الشيخ الصفار يدين استهداف رجلي أمن في القطيف ٣٥٩
الصفار يدين الاعتداء الإرهابي الذي استهدف رجلي أمن في القطيف ... ٣٦١

علماء القطيف: لن نسمح بالعنف واستهداف رجال الأمن ٣٦٣
الصفار ينتقد الأوساط الدينية «الموبوئة والملوثة بالصراعات والخلافات» . ٣٦٥
الشيخ الصفار يرفض الشروط المسبقة للحوار مع الآخرين ٣٦٩
السِّلم الأهلي مسؤولية يتشاطرها الجميع ٣٧١
الشيخ الصفار: التطرف والغلو مشاريع مصلحية بغطاء ديني..... ٣٧٥
الشيخ الصفار ينتقد بشدة إساءة «الشرق الأوسط» للمسلمين الشيعة .. ٣٧٩
الشيخ الصفار يدعو لإنشاء مؤسّسات أهلية ٣٨١
الصفار: المنامات والأحلام باتت «سوقا رائجة للوضع والاختلاق» .. ٣٨٣
الشيخ الصفار يفتتح المتحف التراثي والمعرض التشكيلي بالقطيف .. ٣٨٥
الشيخ الصفار: القيادة الدينية مسئولة عن حماية مصالح المجتمع ٣٨٧
تحذيرات القطيفي الشيخ حسن الصفار ٣٩١
الصفار: هناك فئات متمصلحة من نشوء تيار التزمت الديني في الأمة .. ٣٩٥
الصفار يرجع قسوة الصّراعات بين المتدينين إلى استخدام الدين..... ٣٩٩
شخصيّات دينيّة واجتماعيّة تدعو لنبذ الأفكار والثقافات ٤٠٣
الشيخ الصفار يدعو إلى الانطلاق من المشتركات بين اتباع الديانات .. ٤٠٧
الشيخ الصفار: خدم القرآن وحمل همّ الوحدة والتقريب ٤١١
الشيخ الصفار يحيي المولد النبوي الشريف مع جماعة الصّم والبكم .. ٤١٥
الطرح الهادئ والكلمة السّمحة.. الشيخ حسن الصفار نموذجًا..... ٤١٧
الشيخ الصفار يشدد على مبدأ المسؤولية الفردية في أفعال البشر ٤١٩
الصفار: الناس بحاجة إلى الأحكام التي تيسّر حياتهم في هذا العصر .. ٤٢٣
الصفار وآل محسن يعتزّان بمساندة المجتمع لحملة #نعمات ٤٢٧
الصفار: الإمتحان الحقيقي للمتدينين يتجلى في إنصافهم الخصوم.... ٤٢٩

الصفار: حرية الرأي حقٌّ مقدّس ويجب التفريق بينها وبين الإساءة ٤٣١
الشيخ الصفار: نحتاج لغةً معاصرةً لعرض القضية الحسينية ٤٣٥
الصفار: للمرأة دور أساس في نهوض المجتمع ومواجهة التحدّيات .. ٤٣٧
موائد وطنية ٤٤١
١٢ ألف عنوان مقصد للباحثين في مكتبة الشيخ الصفار..... ٤٤٣
الصفار يقول إن استقلال الشخصية لا يبرر القطيعة مع الآخرين ٤٤٥
الشيخ الصفار يؤكد على مرجعية العقل والقيم لتقويم الأفكار..... ٤٤٧
الشيخ الصفار يدعو إلى «إعلان طوارئ» اجتماعي..... ٤٤٩
الشيخ الصفار يكتب عن المرجع الفيّاض ٤٥٣
الشيخ الصفار يحثّ على اتخاذ «قرارات صعبة» ٤٥٧
الصفار يدعو للاهتمام بإصلاح ذات البين في الخلافات الاجتماعية .. ٤٥٩
الشيخ الصفار يدعو إلى سياسات صحية تحاصر مرض السرطان..... ٤٦٣
الصفار يؤكّد على أهمية إبراز دور البطولة في حياة السيدة زينب ٤٦٧
الشيخ الصفار ينتقد بشدة «التعامل غير الإنساني» مع خدم المنازل ٤٧١
الشيخ الصفار يؤكّد على أهمية النقد «الذاتي المجتمعي» ٤٧٣
الشيخ الصفار: على الخطباء أن يُعلّموا الناس بسلوكهم قبل كلامهم .. ٤٧٧
الشيخ الصفار يحثّ على المشاركة الأسرية في ادارة شؤون المنزل ... ٤٨١
الصفار يسلط الضوء على واقع المرجعية الشيعية وآفاق تطويرها..... ٤٨٣
حسن المالكي: بيني وبين الشيخ الصفار تلاق فكري كبير ٤٨٧
الصفار: الاحترام والإكرام ينبغي أن يحكم العلاقة بين أفراد الأسرة ... ٤٨٩
الشيخ الصفار يؤكّد على أهمية تجديد الفقه والتشريع ٤٩١
الشيخ الصفار يحض على تعزيز حالة الاحترام ضمن اطار العلاقات .. ٤٩٥

الصفار يطالب الآباء بتفهّم ظروف أبنائهم واستيعاب تطورات الحياة.. ٤٩٧
الصفار: الرهان على حكمة القيادة وعقلاء المجتمع لتجاوز الفتن..... ٥٠١
الشيخ الصفار يدين بشدة «الانفلات الأمني» في المنطقة ٥٠٣
الشيخ الصفار: وجود مؤسسة للأوقاف «الشيعية» أفضل ٥٠٧
الشيخ الصفار يرفض التخويف من البحث في الافكار والاشكالات .. ٥١١
الصفار: صَدَمَنا فشل التصويت على تجريم الكراهية والتحريض..... ٥١٥
الشيخ الصفار: الايمان الحقيقي يتجسّد في علاقتك بالناس..... ٥١٧
الصفار: الظروف السّياسية «الراهنة» ساهمت في تركيز الخطاب الديني . ٥١٩
الشيخ الصفار يدعو المثقفين للنأي بأقلامهم عن الفتنة الطائفية ٥٢٣
مجلة «المصباح» تنشر بحثًا للشيخ الصفار عن مبادئ التعايش السّلمي .. ٥٢٥
مجلة الاجتهاد والتجديد تنشر بحثًا للشيخ الصفار عن الثابت والمتغيّر... ٥٢٩
مجلة الاجتهاد والتجديد تنشر بحثًا للشيخ الصفار عن المرجع الفياض .. ٥٣٣
الصفار: مشروع «الهملة الخيرية» للزواج الجماعي ٥٣٧
الشيخ الصفار: التواصل والتشاور بين العلماء مطلب ديني ٥٣٩
وفدٌ من مكتب سماحة «الشيخ حسن الصفار» يزور نادي الابتسام..... ٥٤١
العشرات يتبادلون ١٣٠ كتابًا في أوّل أيام معرض تدوير الكتاب..... ٥٤٣
الشيخ الصفار: التواصل قيمة دينية وضرورة وطنية ٥٤٥
وفد من مكتب الشيخ حسن الصفار في زيارة ودّية لنادي السّلام..... ٥٤٧
الشيخ الصفار: المشاركة في الانشطة الثقافية دلالة وعي واهتمام..... ٥٤٩
الشيخ الصفار يدعو المبتعثين للتسلّح بالأمل والتطلّع للمستقبل ٥٥١
الصفار: تعلّم القرآن وتلاوته مقدّمة لتطبيق هديه وتجسيد آياته ٥٥٣
بالصور.. طلاب برنامج أجيال يزورون مكتب الشيخ الصفار ٥٥٧

الصفار يحثّ على إعادة النظر في التقاليد المتعلقة بـ «الفواتح» ٥٥٩
الصفار ينتقد التعتيم على منهج «الواقعية السياسية» عند أهل البيت ٥٦١
الشيخ الصفار يستنكر تغييب العقل وسيطرة الانفعالات..... ٥٦٥
الشيخ الصفار يشيد بالكفاءات الشبابية ويؤكّد أهمية تشجيعها..... ٥٦٧
عطاء التطوعية تكرّم المشاركين والمتطوعين بمعرض تدوير الكتاب.. ٥٦٩
الشيخ الصفار ينتقد التباطؤ في مأسسة وتنظيم العمل الديني..... ٥٧٣
الشيخ الصفار يشيد بأعضاء لجان الإغاثة الإنسانية في العوامية..... ٥٧٧
«الخطاب الإسلاميّ وحقوق الإنسان» لحسن الصفار ٥٨١
الصفار يحث على جعل «الأضحى» مناسبة لنشر البهجة والسرور..... ٥٩١
الشيخ الصفار يدعو شعوب الأمة إلى تقديم المصلحة العامة..... ٥٩٥
الشيخ الصفار يدعو أهالي العوامية للتكاتف للبناء وبلسمة الجراح ٥٩٩
الشيخ الصفار: الاندماج في الأمّة منهج أهل البيت..... ٦٠١
الشيخ الصفار يحثّ على «تحفيز الرغبة في التعلم وحب المدرسة»... ٦٠٣

ندوات ومحاضرات..... ٦٠٧

حقوق الإنسان في الإسلام ٦٠٩
نحو خطاب إنساني ٦٣٩
القلق من الآخر ٦٦٥

حوارات..... ٦٩٩

التقية لحماية التعايش والوحدة .. حوار لشبكة الاجتهاد العربية ٧٠١
حوار حول التجديد في الفكر الإسلامي ٧١١
حوار عن شخصية الدكتور الفضلي ضمن برنامج وثائقي في قناة الإيمان ...٧١٩